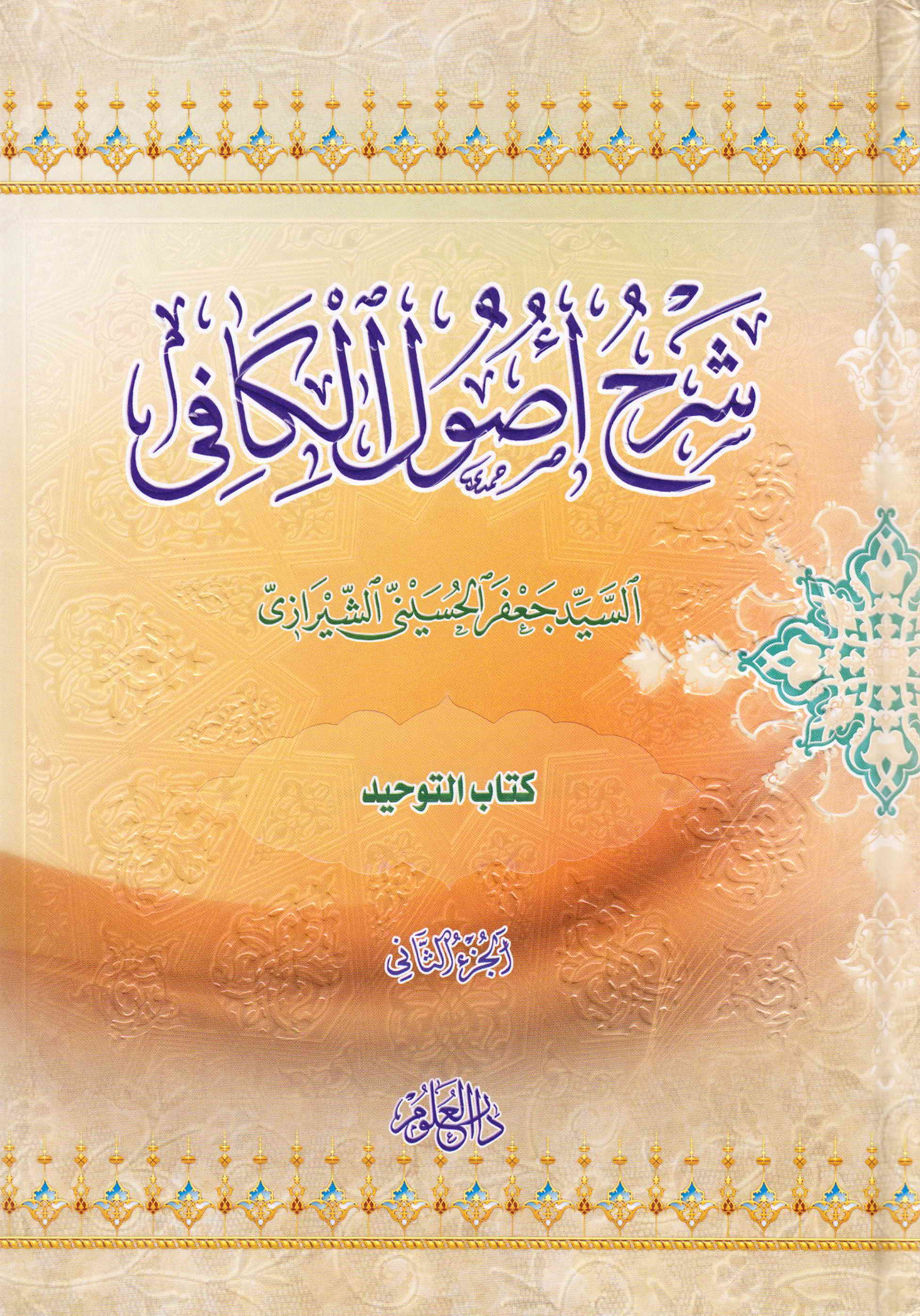

شرح أصول الكافي
السيد جعفر الحسيني الشيرازي
كتاب التوحيد
الجزء الثاني
دار العلوم


شرح أصول الكافي

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ/٢٠١٠م



المكتب : الرويس - بناية عروس الرويس - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 140/ 24 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

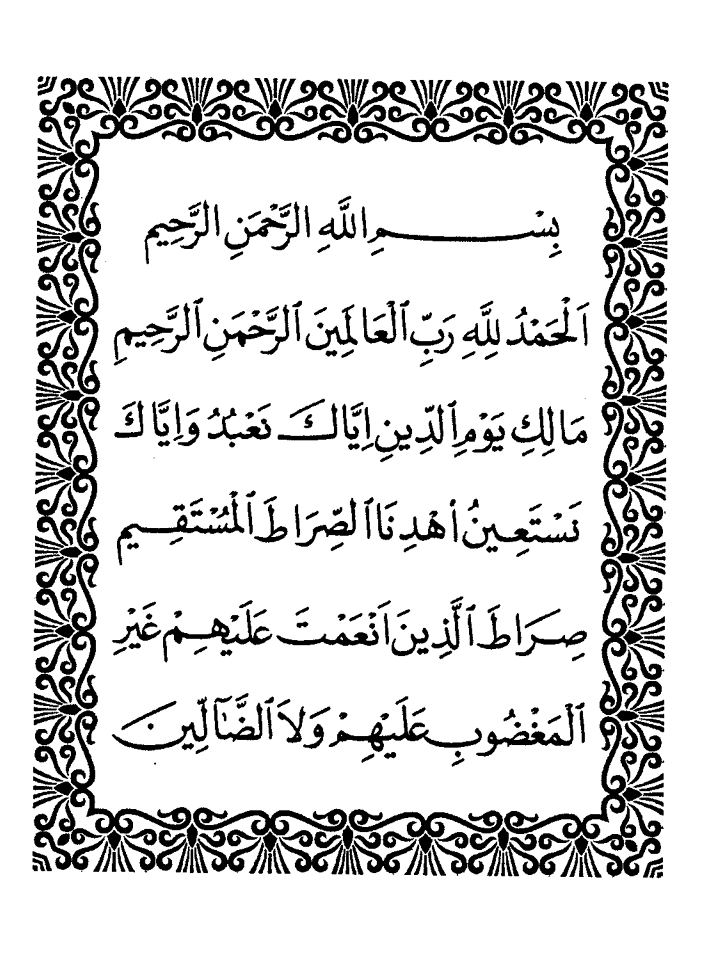
شرح أصول الكافي

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

التوحيد قسم الثاني

الجزء الثاني





بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم
مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك
نستعين اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

كِتَابُ التَّوْحِيدِ

بَابُ حُدُوثِ الْعَالَمِ[1] وَإِثْبَاتِ الْمُحْدِثِ

١ ـ أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ[2] مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ قَالَ: قَالَ لِي هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ: كَانَ بِمِصْرَ زِنْدِيقٌ[3] تَبْلُغُهُ عَنْ

الحديث الأول:

[١] (حدوث العالم):

أي كونه مسبوقاً بالعدم، خلاف زعم بعض الفلاسفة حيث اعتقدوا بقدم العالم ـ زماناً(١) ـ وخلاف زعم بعض الماديين حيث توهموا قدم العالم بالذات.

[٢] (أخبرنا أبو جعفر...) الخ:

أما من كلام الكليني رضوان الله عليه، حيث من دأب المؤلفين ـ حين الابتداء بالكتاب ـ مثل هذه العبارة كأن يقول (قال مصنف هذا الكتاب) أو (أخبرنا) ونحوه.

وأما من كلام رواة كتاب الكافي عن الكليني.

[٣] (زنديق):

المراد منكر الخالق تعالى، معرَّب (زندي) وهو المنسوب إلى (زند) كتاب مشهور للمجوس ـ كما قيل ـ ولعلَّ الكلمة في الأصل كانت تُطلق على الثنوية، ثم اصطلح فيها لكل منكر للخالق تعالى.

---

(١) ومرادهم بالقدم الزماني أنَّ الله تعالى علَّة العالم، وحيث لا يعقل انفكاك العلة عن المعلول، فالعالم لم يزل معلولاً لله تعالى، وهو زعم باطل حيث خلطوا بين العلة المضطرة، وبين الفاعل بالإرادة، كما أنَّهم خلطوا بين صفات الذات وبين صفات الفعل، حيث توهموا أنَّ الفياضية صفة الذات، مع أنَّ الصحيح أنَّها صفة الفعل.

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَشْيَاءُ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُنَاظِرَهُ فَلَمْ يُصَادِفْهُ بِهَا، وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ خَارِجٌ بِمَكَّةَ[٤]، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَصَادَفَنَا وَنَحْنُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي الطَّوَافِ، وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدَ الْمَلِكِ وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَضَرَبَ كَتِفَهُ[٥] كَتِفَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٦]: مَا

---

[٤] **(بمكة)**:

إما بمعنى إلى مكة.

أو بتضمين (خارج) معنى مقيم.

أو جعل (بمكة) بدل عن خارج أي إنَّه خارج، وإنَّه بمكة.

[٥] **(ضرب كتفه)**:

إما بمعنى ضرب بكتفه.

أو بتضمين (ضرب) معنى (لمس).

ولعلَّ هذا الفعل بسبب شدة اعتداد الزنديق بنفسه واطمئنانه بمنطقه، ولذا خرج من مصر قاصداً المناظرة، ولا يكون ذلك إلَّا ممَّن يرى نفسه غالباً.

[٦] **(فقال له أبو عبد الله...) الخ**:

الإمام عليه السلام استعمل أفضل أساليب المناظرة معه.

فأولاً: كسر شوكته وجعله في موقع المدافع الضعيف، كما يستعمل الخصوم الآن الحرب النفسية لجعل الخصم مهزوزاً ضعيف المعنويات.

وثانياً: جادله جدالاً جعله في شك من أمره، مقرّاً بضعف حجته.

وثالثاً: ذكر له البرهان الذي جعله يضطر إلى قبوله والإيمان.

وهذا التدرج في المناظرة تجعل الخصم في موقع لا يجد بدّاً من الإذعان.

ولو كان الإمام عليه السلام يبدأ بالبرهان لعلَّ الخصم كان يجادل بالباطل ليدحض الحق ويكابر ويعاند(١).

---

(١) وفي الوافي عن أستاذه، أنَّه عليه السلام سلك في الجدل ثلاث مسالك: الجدل أولاً، والخطابة ثانياً، والبرهان ثالثاً، الوافي: ج١، ص٣١٢.

اسْمُكَ؟ فَقَالَ: اسْمِي عَبْدُ الْمَلِكِ، قَالَ: فَمَا كُنْيَتُكَ؟ قَالَ: كُنْيَتِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَمَنْ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي أَنْتَ عَبْدُهُ؟ أَمِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ أَمْ مِنْ مُلُوكِ السَّمَاءِ؟ وَأَخْبِرْنِي عَنِ ابْنِكَ عَبْدُ إِلَهِ السَّمَاءِ أَمْ عَبْدُ إِلَهِ الْأَرْضِ؟ قُلْ مَا شِئْتَ تُخْصَمُ[٧]. قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ[٨]: فَقُلْتُ لِلزِّنْدِيقِ أَمَا تَرُدُّ عَلَيْهِ، قَالَ: فَقَبَّحَ قَوْلِي[٩] فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: إِذَا فَرَغْتُ[١٠] مِنَ الطَّوَافِ

الأسلوب الأول

[٧] **(قل ما شئت تخصم):**

كان يمكنه أن يقول إنَّ هذا اسم سمّاني به أبي ولم يكن بإرادتي، وكذلك في الكنية.

لكن لما كان الغرض من هذا الكلام كسر شوكته واعتداده بنفسه فإنَّ هذا الجواب وأمثاله لم يكن ليخرجه من الإحراج والانكسار، ولذا لم يحر جواباً.

[٨] **(قال هشام بن حكم):**

لعلَّ سؤال هشام كان لامتصاص غضبه وحيرته حتى ينتقل الإمام عليه السلام إلى المرحلة الثانية.

ولذا تهجّم الزنديق عليه وفرّغ ما في نفسه من الإحراج والانكسار.

[٩] **(قال: فقبّح قولي):**

أي قال هشام: فقبح ذلك الزنديق قولي، كأنَّه وجد فرصة في التنفيس عن الذات عبر التهجم على هشام.

[١٠] **(فقال أبو عبد الله إذا فرغت. . .) الخ:**

لعلَّ الإمام عليه السلام أراد أن يعطي له فرصة لتتوازن حالته النفسية ـ بعد شعوره بمرارة الهزيمة وكسر شوكته ـ ليكون أبعد من العناد وحالة الانتصار للنفس ـ بحق أو باطل ـ.

فَأْتِنَا. فَلَمَّا فَرَغَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَتَاهُ الزِّنْدِيقُ فَقَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَنَحْنُ مُجْتَمِعُونَ عِنْدَهُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام لِلزِّنْدِيقِ: أَتَعْلَمُ أَنَّ لِلْأَرْضِ تَحْتاً وَفَوْقاً؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَدَخَلْتَ تَحْتَهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا يُدْرِيكَ مَا تَحْتَهَا؟ قَالَ: لَا أَدْرِي إِلَّا أَنِّي أَظُنُّ أَنْ لَيْسَ تَحْتَهَا شَيْءٌ؛ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَالظَّنُّ عَجْزٌ، لِمَا لَا تَسْتَيْقِنُ[١١]؟ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَفَصَعِدْتَ السَّمَاءَ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَفَتَدْرِي مَا فِيهَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: عَجَباً لَكَ، لَمْ تَبْلُغِ الْمَشْرِقَ وَلَمْ تَبْلُغِ الْمَغْرِبَ[١٢]، وَلَمْ تَنْزِلِ

الأسلوب الثاني

وهو مرحلة إيجاد الشك فيه.

حيث إنَّه كان يقطع بعدم وجود الخالق، ففي هذه المرحلة استعمل معه الإمام عليه السلام أسلوب أورث الشك فيما يعتقده، وأخذ منه الإقرار لذلك.

[١١] **(فالظن عجز لما لا تستيقن)**:

(ما) إما موصولة، فالمعنى فالظن عجز للذي لا يقين لك فيه، ويؤيده ما في نسخة توحيد الصدوق[١] (عجزٌ، ما لم تستيقن) أي الظن عجز ما دمت بلا يقين.

وإما استفهامية، فالمعنى (الظن عجز) ثم استأنف الإمام عليه السلام الكلام فقال: (لماذا لا تحصّل اليقين؟).

[١٢] **(لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب)**:

هذا إما ابتداء حيث من المعلوم أنَّ أي شخص لم يصل إليها ـ في تلك العصور ـ.

وإما كان في ضمن سؤال الإمام عليه السلام ذلك، لم يذكره الرواة اكتفاءً بهذا المقطع عن ذكر السؤال والجواب عن الذهاب للمشرق والمغرب.

---

(١) التوحيد: ص٢٩٤، في طبقات الأنبياء.

الْأَرْضَ وَلَمْ تَصْعَدِ السَّمَاءَ، وَلَمْ تَجُزْ[١٣] هُنَاكَ فَتَعْرِفَ مَا خَلْفَهُنَّ[١٤]، وَأَنْتَ جَاحِدٌ بِمَا فِيهِنَّ[١٥]، وَهَلْ يَجْحَدُ الْعَاقِلُ مَا لَا يَعْرِفُ؟! قَالَ الزِّنْدِيقُ: مَا كَلَّمَنِي بِهَذَا أَحَدٌ غَيْرُكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَأَنْتَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَكٍّ فَلَعَلَّهُ هُوَ وَلَعَلَّهُ لَيْسَ هُوَ[١٦]؟ فَقَالَ الزِّنْدِيقُ: وَلَعَلَّ ذَلِكَ؛ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّهَا الرَّجُلُ! لَيْسَ لِمَنْ لَا يَعْلَمُ[١٧] حُجَّةٌ عَلَى

---

[١٣] **(لم تجز هناك):**
من الجواز بمعنى العبور.
وهو إشارة إما إلى مكان ذكره الإمام عليه السلام ولم يذكره الراوي اختصاراً مثلاً الشمال والجنوب أو البحار والبراري ونحوها. أو إشارة إلى السماء باعتبار أنَّ السماوات متعددة وفيها كواكب ونجوم فيقول الإمام عليه السلام: (إنَّك لم تصعد إلى السماء ولم تمرّ هنالك بأماكنها المختلفة).

[١٤] **(فتعرف ما خلقهن):**
(ما) إما موصولة بمعنى (من) أي فتعرف من خلقهن.
أو استفهامية بمعنى فتعرف كيفية خلقهن وأنَّه هل لهن خالق أم لا.

[١٥] **(جاحد بما فيهن):**
أي تنكر وجود خالق فيهن مع أنَّك لم تذهب إليها ولا تعلم بما فيها.
ولما كان الغرض من هذا المقطع الجدل وإخراجه من القطع الباطل إلى الشك، فلذا تكلَّم الإمام بهذا الكلام، وهو مجرد فرض لا يمكنه ردَّه ـ على حسب معتقداته ومبانيه ـ.

[١٦] **(فلعلَّه هو...) الخ:**
أي لعله موجود ولعلَّه غير موجود.

[١٧] **(ليس لمن لا يعلم...) الخ:**
لأنَّ الشاك أقصى ما يمكنه قوله هو نفي علمه عن الشي، ولا يمكنه المحاججة مع العالم، لأنَّ الجهل بالشيء ليس حجة لنفي ولا إثبات،

مَنْ يَعْلَمُ، وَلَا حُجَّةَ لِلْجَاهِلِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ! تَفْهَمُ عَنِّي[١٨] فَإِنَّا لَا

وبعبارة أخرى الجهل لا يكون مادة الاحتجاج، بل مادة الاحتجاج هي المعلومات فقط.

الأسلوب الثالث

بعد أن جعل الإمام عليه السلام الزنديق في حيرة وشك، بدأ عليه السلام في إقامة البرهان على وجود الله سبحانه وتعالى، وحاصل استدلال الإمام عليه السلام ما يعبّر عنه ببرهان النظم وقد استدل عليه السلام بهذا الدليل من وجوه ثلاثة:

الأول: إثبات أنَّ للعالم صانعاً وخالقاً.

الثاني: بطلان كون الصانع هو الدهر ـ الطبيعة ـ.

الثالث: تعيّن ذلك الخالق في الله سبحانه وتعالى.

الوجه الأول

في المرآة: (ويمكن أن يقال حاصل الدليل: راجع إلى ما يحكم به الوجدان من أنَّ مثل تلك الأفعال المحكمة المتقنة الجارية على قانون الحكمة لا يمكن صدورها عن الدهر والطبائع العادمة للشعور والإرادة)[١].

وفي المرآة أيضاً (وحاصل الاستدلال: أنَّ لهذه الحركات انضباطاً واتساقاً واختلافاً وتركباً، فالانضباط يدلُّ على عدم كونها إرادية ـ كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات، والاختلاف يدلُّ على عدم كونها طبيعية، فإنَّ الطبيعة العادمة للشعور لا تختلف مقتضياتها ـ كما نشاهد من حركات العناصر ـ كما قالوا: إنَّ الطبيعة الواحدة لا تقتضي إلى جهة والانصراف عنها)[٢].

[١٨] **(تفهم عنِّي)**:

لما بيَّن الإمام عليه السلام بأنَّه لا حجَّة للجاهل على العالم، بيَّن عليه السلام أنَّه العالم وأنَّ له الحجَّة ثم ذكر الدليل.

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٣٩.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٣٩.

نَشُكُّ فِي اللَّهِ أَبَداً، أَمَا تَرَى الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَلِجَانِ[١٩] فَلَا يَشْتَبِهَانِ[٢٠] وَيَرْجِعَانِ[٢١]، قَدِ اضْطُرَّا[٢٢] لَيْسَ لَهُمَا مَكَانٌ[٢٣] إِلَّا

---

[١٩] **(يلجان):**

من الولوج أي الدخول، قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾(١). وتثنية الضمير في (يلجان) مع أنَّها أربعة، لعلَّه لأجل أن الليل والنهار منشؤهما حركة الشمس والقمر، فيلزم النهار من الشمس، كما يلازم الليل القمر ـ عادة ـ.

وحاصل الولوج هو دخول الليل في النهار وذلك لأنَّه في نهاية النهار يقل النور ويبدأ الظلام بالتدريج، وكذلك في دخول النهار في الليل حيث يقلّ الظلام ويبدأ النور في بداية النهار.

وهذا الدليل مأخوذ من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ﴾(٢).

[٢٠] **(فلا يشتبهان):**

أي حركة منضبطة دقيقة، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾(٣).

[٢١] **(ويرجعان):**

عطف على «يلجان» أي يدخلان ويخرجان في حركة متسقة.

[٢٢] **(قد اضطرا):**

لأنَّ الممكن المختار تختلف حركاته باختلاف إرادته، وليس كذلك الشمس والقمر.

[٢٣] **(ليس لهما مكان...) الخ:**

لعلَّ المراد ليس لهما طريقة إلَّا الطريقة المرسومة لهما والقانون الذي يحكمهما لا تغيير ولا تبديل فيه.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٦.

(٣) سورة الرحمٰن: الآية ٥.

مَكَانُهُمَا، فَإِنْ كَانَا يَقْدِرَانِ[٢٤] عَلَى أَنْ يَذْهَبَا فَلِمَ يَرْجِعَانِ؟ وَإِنْ كَانَا غَيْرَ مُضْطَرَّيْنِ فَلِمَ لَا يَصِيرُ اللَّيْلُ نَهاراً[٢٥] وَالنَّهَارُ لَيْلاً؟ اضْطُرَّا وَاللَّهِ يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ إِلَى دَوَامِهِمَا. وَالَّذِي اضْطَرَّهُمَا[٢٦] أَحْكَمُ مِنْهُمَا[٢٧] وَأَكْبَرُ[٢٨]. فَقَالَ

---

[٢٤] **(فإن كانا يقدران. . .) الخ:**

لأنَّ المختار المريد يمكنه تغيير حركته بالإرادة، وليس كذلك الشمس والقمر، والليل والنهار.

[٢٥] **(فلم لا يصير الليل نهاراً. . .) الخ:**

وذلك بأن تتوقف حركة الشمس فيستمر الليل في طرف من الأرض، ويستمر النهار في طرف آخر، ولعلَّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(١).

[٢٦] **(والذي اضطرهما. . .) الخ:**

استنتاج من اختلاف حركة الشمس والقمر والليل والنهار، وأنَّهما مضطران، فمن هو الذي جعل القانون الذي سبّب اضطرارهما إلى تلك الحركات المنضبطة المتقنة؟

لا بدَّ أن يكون صانع حكيم قوي بحيث تخضع لقدرته الشمس والقمر، والليل والنهار.

[٢٧] **(أحكم منهما):**

أفعل التفضيل من (الإحكام) بمعنى الإتقان، وهو سماعي، لأنَّ القاعدة عدم وجود وزن (أفعل) للتفضيل في غير الثلاثي المجرد.

أو أفعل التفضيل من (الحكم) بمعنى القضاء، أي أشد قضاءً وأتمّ حكماً.

[٢٨] **(وأكبر):**

لما كان عليه السلام في مقام الجدال بالتي هي أحسن قال (وأكبر)، وإلا فإنَّ

---

(١) سورة القصص: الآيتان ٧١ ـ ٧٢.

الزِّنْدِيقُ: صَدَقْتَ؛ ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ: إِنَّ الَّذِي تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ وَتَظُنُّونَ أَنَّهُ الدَّهْرُ[٢٩]، إِنْ كَانَ الدَّهْرُ يَذْهَبُ بِهِمْ[٣٠] لِمَ لَا يَرُدُّهُمْ، وَإِنْ كَانَ يَرُدُّهُمْ لِمَ لَا يَذْهَبُ بِهِمْ؟ الْقَوْمُ

المخلوقات لا تُقاس بالخالق حتى يقال بأنّه أكبر منها، ولذا ورد بأنَّ معنى (الله أكبر) هو أكبر من أن يوصف، فيكون المعنى هنا «الدليل على كون الصانع أحكم وأكبر هو أنَّ المجبر لا بدَّ أن يكون أقوى من المجبور».

الوجه الثاني

بعد أن أثبت عليه السلام أنَّ لهذا العالم صانعاً، بدأ عليه السلام في إبطال مذهب الخصم من كون الصانع هو الدهر أو الطبيعة.
وحاصله إنَّ الطبيعة لا شعور لها، وما لا شعور له لا يعقل أن يكون صانعاً لهذا الصرح المتقن.

[٢٩] **(وتظنون أنَّه الدهر):**
ويعبّر عنه الماديون ـ حالاً ـ بالطبيعة.

[٣٠] **(يذهب بهم):**
أي بالشمس والقمر والليل والنهار، حيث يجوز إرجاع ضمير الجمع المذكر إلى غير ذوي العقول.
وهذا أولى من تكلّف تقدير (الناس) وإرجاع الضمير إليهم،أو القول بأنَّ الراوي اختصر المناظرة اتكالاً على وضوح سائر الجوانب التي لم يذكرها عبر الأمور التي ذكرها.
وحاصل المعنى: أنَّ الدهر العادم للشعور والإرادة والعلم بالمصلحة، كيف يصدر عنه «الذهاب» الموافق للحكمة، ولا يصدر عنه بدله «الرجوع» المخالف لها وبالعكس(١).

---

(١) هذا أقرب المعاني، وقد ذكره في المرآة كاحتمال، المرآة: ج١، ص٢٤٢ وفي الحديث احتمالات أخر ذكرها في المرآة، والوافي: ج١، ص٣١٠ و٣١٣.

مُضْطَرُّونَ[٣١] يَا أَخَا أَهْلِ مِصْرَ. لِمَ السَّمَاءُ مَرْفُوعَةٌ[٣٢]، وَالْأَرْضُ

---

[٣١] (القوم مضطرون):

المراد (بالقوم) الشمس والقمر والليل والنهار وهذا تعبير مجازي ويمكن أن يكون المراد بهم (الدهريون) حيث إنَّ هذه الحجَّة تضطرهم إلى قبول الحق والإذعان به، لكن هذا الاحتمال بعيد.

وفي الوافي[١]: (فإن قيل: لعلَّ الدهر يفعل ذلك بهم.

قلنا: كل من يفعل ذلك لمرجح وحكمة، على حسب مشيئته وإرادته، فهو الذي نريده بالرب، سواء سميتموه بالدهر أم بغيره، وإن لم يكن مرجح وحكمة فذلك محال).

ووجه الاستحالة هو أنَّ الترجح بلا مرجح غير معقول، لأنّه بمعنى وجود المعلول بغير علّة.

الوجه الثالث

وهو إثبات تعيّن الصانع في الله تعالى.

وحاصله استدلال ببرهان النظم ـ فإنَّ جميع المخلوقات في غاية النظم والدقة ـ على أنَّ الخالق هو الذات الجامعة لصفات الكمال المبرّأة من صفات النقص والذي يعبر عنه بالله سبحانه وتعالى.

وفي المرآة[٢]: وهو مبني على الاستدلال بأحوال جميع أجزاء العالم من العلويات والسفليات وارتباط بعضهما ببعض، وتلازمهما، وكون جميعها على غاية الإحكام والإتقان، واشتمالها على الحِكَم التي لا تتناهى، أي لِمَ صارت السماء مرفوعة فوق الناس والأرض موضوعة تحتهم ولم يكن العكس؟ ولِمَ لم تكونا ملتصقتين؟، فلم يمكن تعيّش الخلق على الصورتين.

[٣٢] (لِمَ السماء مرفوعة):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٣] حيث إنَّ هذه

---

(١) الوافي: ج١، ص٣١٣.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٤٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢.

مَوْضُوعَةٌ[٣٣]؟ لِمَ لَا تَسْقُطُ السَّمَاءُ[٣٤] عَلَى الْأَرْضِ، لِمَ لَا تَنْحَدِرُ الْأَرْضُ[٣٥] فَوْقَ طِبَاقِهَا[٣٦] وَلَا يَتَمَاسَكَانِ[٣٧] وَلَا يَتَمَاسَكُ مَنْ

الآية لبيان الأدلة على وجود الصانع الموجب للتصديق به، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ﴾(١).

[٣٣] **(والأرض موضوعة):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾(٢)، ولعلَّ المراد بالموضوعة في كلام الإمام عليه السلام مقابل المرفوعة، أي السماء في طرف العلو والأرض في طرف الأسفل.

[٣٤] **(لم لا تسقط السماء):**

المراد الأجرام والمخلوقات التي في جهة العلو، كالكواكب والنجوم ونحوها.

[٣٥] **(لم لا تنحدر الأرض. . .) الخ:**

المراد لماذا لا تخرج الأرض من مكانها فترتفع إلى جهة العلو فوق الطبقات المحيطة بها.

ولعلّ التعبير بالانحدار عن الارتفاع للمناسبة مع السقوط، أو لأنَّ في الارتفاع معنى إيجابياً والمراد هنا المعنى السلبي.

[٣٦] **(فوق طباقها):**

أي الطبقات التي تحيط بالأرض كالهواء مثلاً، ومن الطبقات التي تحيط بالأرض الغلاف الجوي فلا تخرج الأرض عن حدّها وترتفع على الهواء والغلاف الجوي وطبقة الأوزون ونحوها ممَّا اكتشفها العلم الحديث.

[٣٧] **(ولا يتماسكان. . .الخ):**

الواو حالية، أي لو سقطت السماء على الأرض أو خرجت الأرض عن مدارها فإنَّه لا يكون تماسك لكنَّا نشاهد التماسك وبقاء الأرض في مدارها وهو دليل على وجود ممسك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٧.

(٢) سورة الرحمن: الآية ١٠.

عَلَيْهَا[٣٨]؟ قَالَ الزِّنْدِيقُ: أَمْسَكَهُمَا اللَّهُ رَبُّهُمَا وَسَيِّدُهُمَا، قَالَ: فَآمَنَ الزِّنْدِيقُ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ حُمْرَانُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنْ آمَنَتِ الزَّنَادِقَةُ عَلَى يَدِكَ فَقَدْ آمَنَ الْكُفَّارُ عَلَى يَدَيْ أَبِيكَ[٣٩]، فَقَالَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي آمَنَ عَلَى يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اجْعَلْنِي مِنْ تَلَامِذَتِكَ؛ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: يَا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ خُذْهُ إِلَيْكَ وَعَلِّمْهُ، فَعَلَّمَهُ هِشَامٌ، فَكَانَ مُعَلِّمَ[٤٠] أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ مِصْرَ الْإِيمَانَ، وَحَسُنَتْ طَهَارَتُهُ[٤١] حَتَّى رَضِيَ بِهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.

وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾(٢).

[٣٨] **(ولا يتماسك من عليها):**

أي لو سقطت السماء أو انحدرت الأرض لم يبق حي على وجه الأرض قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾(٣) والذلول بمعنى المسخَّرة لمنافع الناس.

[٣٩] **(على يدي أبيك):**

المراد رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام حيث آمن الكفار بتبليغ الرسول صلى الله عليه وآله وبدفاع علي عليه السلام عنه بسيفه.

[٤٠] **(فكان معلِّم...):**

أي فكان هذا المؤمن الجديد معلِّم أهل الشام وأهل مصر.

وفي بعض النسخ (وكان) أي وكان هشام معلِّم هؤلاء، ولعلَّ الإمام عليه السلام كان قد قسَّم أعمال تلامذته فكان عمل هشام تعليم العقائد لهؤلاء.

[٤١] **(حسُنت طهارته):**

أي طهارته من الزندقة، بمعنى أنَّه حسُن إيمانه.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

(٢) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٣) سورة الملك: الآية ١٥.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي هَاشِمٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَسِّنٍ الْمِيثَمِيِّ[١] قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي مَنْصُورٍ الْمُتَطَبِّبِ فَقَالَ: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ[٢] وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ[٣] فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: تَرَوْنَ هَذَا الْخَلْقَ ـ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعِ الطَّوَافِ ـ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ أُوجِبُ لَهُ[٤] اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّيْخُ

الحديث الثاني:

[١] **(الميثمي)**:
نسبة إلى ميثم التمار صاحب الإمام علي عليه السلام الذي قتله عبيد الله بن زياد لعنهما الله، وقد يصحّح بكسر الميم وقد يصحّح بفتحها ـ كما في المرآة(١) ـ.

[٢] **(ابن أبي العوجاء)**:
في الوافي: كان من تلامذة الحسن البصري فانحرف عن التوحيد.
فقيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة.
فقال: إنَّ صاحبي كان مخلطاً، كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه(٢).

[٣] **(عبد الله بن المقفع)**:
كان كاتباً عند عمّ المنصور في البصرة، فكتب كتاب عهد بين المنصور وعمّه، فأغاظ المنصور، فأمر والي البصرة بقتله، فقتله شرّ قتلة بأن قطّع أعضاءه واحدة بعد أخرى وألقاها في التنور، وابن المقفع ينظر إليها إلى أن هلك، وعُرف ابن المقفع بالإلحاد أيضاً.

[٤] **(أوجب له)**:
صيغة متكلّم أي لا أرى أحداً يستحق إطلاق اسم الإنسان عليه إلّا ذلك الجالس.

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٤٤.
(٢) الوافي: ج١، ص٣١٦.

الْجَالِسُ ـ يَعْنِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام ـ فَأَمَّا الْبَاقُونَ فَرَعَاعٌ[٥] وَبَهَائِمُ فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: وَكَيْفَ أَوْجَبْتَ هَذَا الإِسْمَ لِهَذَا الشَّيْخِ دُونَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: لِأَنِّي رَأَيْتُ عِنْدَهُ مَا لَمْ أَرَهُ عِنْدَهُمْ. فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: لَا بُدَّ مِنِ اخْتِبَارِ مَا قُلْتَ فِيهِ مِنْهُ[٦]، قَالَ: فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ مَا فِي يَدِكَ[٧]، فَقَالَ: لَيْسَ ذَا رَأْيَكَ، وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَضْعُفَ رَأْيُكَ عِنْدِي فِي إِحْلَالِكَ إِيَّاهُ[٨] الْمَحَلَّ الَّذِي وَصَفْتَ؛ فَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: أَما[٩] إِذَا تَوَهَّمْتَ عَلَيَّ[١٠] هَذَا فَقُمْ إِلَيْهِ وَتَحَفَّظْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الزَّلَلِ، وَلَا تَثْنِي عِنَانَكَ[١١] إِلَى

---

[٥] **(فرعاع):**
«الرَّعاع»: بفتح الراء، جمع رعاعة، بمعنى غوغاء الناس وأراذلهم.

[٦] **(اختبار ما قلت فيه منه):**
أي امتحن منه ما قلته فيه، و(منه) متعلق بالاختبار على تضمين الاختبار معنى الكشف.

[٧] **(ما في يدك):**
أي ما تعتقده من الإلحاد.

[٨] **(في إحلالك إياه):**
من الحلول أي في وضعك إياه الموضع السامي الذي ذكرته.

[٩] **(أما):**
أما ـ بتخفيف الميم ـ حرف تنبيه ويسمى بحرف الاستفتاح أيضاً.

[١٠] **(توهمت عليَّ):**
بتضمين التوهم معنى الكذب فلذا كانت تعديته بـ(علي).

[١١] **(ولا تثني عنانك. . .الخ):**
المعنى: لا تمل إلى التساهل معه فتقبل منه بعض الأمور التي يجعلها مقدمات لدليله، فتضطر إلى قبول دليله لأنَّك أذعنت بالمقدمات التي ساقها لك.

اسْتِرْسَالٍ فَيُسَلِّمَكَ إِلَى عِقَالٍ[١٢] وَسِمْهُ مَا لَكَ أَوْ عَلَيْكَ[١٣]؟ قَالَ: فَقَامَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ وَبَقِيتُ أَنَا وَابْنُ الْمُقَفَّعِ جَالِسَيْنِ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْنَا ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ابْنَ الْمُقَفَّعِ، مَا هَذَا بِبَشَرٍ وَإِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا رُوحَانِيٌّ[١٤] يَتَجَسَّدُ[١٥] إِذَا شَاءَ ظَاهِراً[١٦] وَيَتَرَوَّحُ[١٧] إِذَا شَاءَ

و(لا تثني) نفي يُراد به النهي، فهو إنشاء بصيغة إخبار، وفي توحيد الصدوق (لا تثن) بدون ياء، وهو بمعنى الميل.
و(العنان) هو الحبل المتصل باللجام لكي يمسك الراكب بالدابة.

[١٢] **(فيسلمك إلى عقال):**
من التسليم أي يضطرك إلى قبول استدلاله، ممَّا لا تجد بدّاً منه.
و(العقال) الحبل الذي يشدّ به يد البعير ليمنعه من الحركة.

[١٣] **(وسمه ما لك أو عليك):**
من المساومة، أي لا تتساهل معه، كما أنَّ المتعاملين في المساومة لا يتساهلون، فالمعنى أنَّه في كل المباحث ـ سواء كانت لك أم عليك ـ كن صعباً حتى لا تضطر إلى قبول ما يقوله فتخصم.

[١٤] **(روحاني):**
نسبة إلى (الرُّوح) بضم الراء، أو (الرَّوح) بفتحها ـ نسيم الريح ـ وهي نسبة على غير قياس حيث زيدت الألف والنون قبل ياء النسبة.
و«الروحاني»: جسم لطيف لا يُدرك بالبصر من عنصر أشرف من الأجسام الكثيفة.

[١٥] **(يتجسد):**
أي يدخل في جسد حتى يرى، لأنَّ الجسد جسم كثيف قابل للرؤية.

[١٦] **(إذا شاء ظاهراً):**
وفي بعض النسخ (ظهر) والأول أنسب للمقابلة مع (باطناً).

[١٧] **(يتروح):**
أي لا يدخل في جسد فلأنَّه لطيف لا يُرى بالعين.

بَاطِناً[١٨] فَهُوَ هَذَا؛ فَقَالَ لَهُ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ غَيْرِي[١٩] ابْتَدَأَنِي[٢٠] فَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَقُولُ: هَؤُلَاءِ ـ وَهُوَ عَلَى مَا يَقُولُونَ[٢١] ـ

---

[١٨] **(باطناً)**:

١ ـ إما مفعول مطلق وفعله (يتروّح) لاتحاد معناهما وإن اختلفا لفظاً (قعدت جلوساً)

٢ ـ وإما تمييز أي يصير روحاً من جهة كونه باطناً خفياً.

٣ ـ وإما حال أي يتروح حال كونه باطناً غير ظاهر.

[١٩] **(فلما لم يبق عنده غيري)**:

لعلَّ انتظار الإمام عليه السلام إلى حين ذهاب الجميع، لأجل أن لا ينقطع الكلام، أو حتى لا تأخذ ابن أبي العوجاء العزة بالإثم أمام الناس، أو ليرى تصرفات وأقوال الإمام عليه السلام ويتأثر بها ـ لا شعورياً ـ فيكون أقرب لقبول الحجَّة، أو لغير ذلك.

[٢٠] **(ابتدأني)**:

لعلَّه لأجل أنَّ الذي يبدأ في الحجة يكون أكثر تأثيراً، وذلك لأنَّ الخصم قد يكون تهيّأ وفكّر في شبهاته فيطيل الجدل، بعكس ما إذا أُلقيت عليه الحجة ابتداءً ـ وخاصة فيما لم يكن متهيّئاً لها ـ.

ومع قطع النظر عن علم الإمام عليه السلام، فإنَّ ابتداءَه الكلام إما لأجل أنَّه كان يعرف ابن أبي العوجاء أو أنَّه تكلَّم في محضر الناس فأخّر الإمام الجواب إلى حين تفرق الناس أو لغير ذلك.

[٢١] **(وهو على ما يقولون)**:

جملة معترضة جاء بها الإمام عليه السلام لأجل:

١ ـ بيان أنَّه الحق، وأنَّ المجيء بالجملة الشرطية إنَّما هو للجدال مع الخصم بالتي هي أحسن، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾(١) حيث إنَّ الآية لبيان كذب المنافقين وجيء بالجملة المعترضة (والله يعلم إنَّه لرسولك) حتى لا يتوهم رجوع الكذب إلى الرسالة بل إلى المنافقين.

---

(١) سورة المنافقون: الآية ١.

يَعْنِي أَهْلَ الطَّوَافِ ـ فَقَدْ سَلِمُوا وَعَطِبْتُمْ[٢٢]، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَقُولُونَ ـ وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ ـ فَقَدِ اسْتَوَيْتُمْ وَهُمْ[٢٣]؛ فَقُلْتُ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ[٢٤] وَأَيَّ شَيْءٍ نَقُولُ وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟ مَا قَوْلِي وَقَوْلُهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ[٢٥]؛ فَقَالَ: وَكَيْفَ

---

٢ ـ وأيضاً هو من الأساليب النفسية للتأثير في الخصم.

[٢٢] **(عطبتم)**:

أي هلكتم

[٢٣] **(فقد استويتم وهم)**:

لعلّه هذا من باب التسليم الجدلي، لأنَّ الغرض هو بيان أنَّ ابن أبي العوجاء يحيط به خطر الهلاك عكس هؤلاء المؤمنين، ليكون مقدمة للاستدلال على وجود الله تعالى.

وإلّا فإنّه ـ على فرض صحة كلام الملاحدة ـ فإنَّ المؤمن ناجٍ والملحد هالك أيضاً لأنَّ المؤمن يأمره الدِّين بالالتزام بالفضائل والابتعاد عن الرذائل ويلبي حاجاته المادية والمعنوية، عكس الملحد الذي لا وازع له في الالتزام ولا تلبية لحاجاته المعنوية.

ولعلَّ الإمام عليه السلام لم يكن يريد انسياق البحث إلى هذه الجهة فلذا سلَّم جدلاً بأنَّ الملحد ناج على فرض صحة كلامه.

[٢٤] **(فقلت له يرحمك الله)**:

نطقه بهذه الكلمة ـ مع إلحاده ـ لعلّه من باب أنّه كان متعوّداً عليها لأنّه كان يعيش في بيئة إسلامية، أو أنّه جرت على لسانه من منطلق فطرته التي تظهر نفسها وخاصة في مواقع ضعف الإنسان وشعوره بالانكسار، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١].

[٢٥] **(ما قولي وقولهم إلّا واحد)**:

مراده أنّه لا فرق بين القولين فسواء كان الله أو لم يكن فلا فرق أو لعله لما شعر بأنّه مغلوب بالحجّة قال هذا الكلام جدلاً.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

يَكُونُ قَوْلُكَ وَقَوْلُهُمْ وَاحِداً؟ وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ لَهُمْ مَعَاداً وَثَوَاباً[٢٦] وَعِقَاباً، وَيَدِينُونَ بِأَنَّ فِي السَّمَاءِ إِلَهاً[٢٧] وَأَنَّهَا عُمْرَانٌ[٢٨]، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ السَّمَاءَ خَرَابٌ لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ[٢٩]؛ قَالَ: فَاغْتَنَمْتُهَا[٣٠] مِنْهُ فَقُلْتُ لَهُ: مَا مَنَعَهُ[٣١] إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا

---

[٢٦] **(إنَّ لهم معاداً وثواباً وعقاباً):**

أي ولك معاداً وعقاباً أيضاً، ولم يصرّح عليه السلام به اكتفاءً بذكر اللازم، أو رعاية لآداب المناظرة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١).

[٢٧] **(في السماء إلهاً):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾(٢)، والمعنى أنَّه إله السماء، وليس بمعنى أنَّ الله في السماء، وذلك لأنَّ السماء مخلوق لله تعالى، ولا يعقل أن يحيط المخلوق بالخالق، مضافاً إلى أنَّ الله ليس في المكان ولا في الزمان لأنَّه خالقهما.

[٢٨] **(وأنَّها عمران):**

أي عامرة بالملائكة المطيعين لله تعالى، أو بمعنى مجازي كما في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(٣) بمعنى أنَّها تحت أمر الله تعالى.

[٢٩] **(خراب ليس فيها أحد):**

الملاحدة كانوا يتصورون أنَّ الله إن كان موجوداً فلا بدَّ أن يكون في السماء فلذا كانوا ينكرون الله بنفي وجوده في السماء.

[٣٠] **(فاغتنمتها):**

أي تصوّرت أنِّي أتمكن من محاججته بهذا الكلام.

[٣١] **(ما منعه):**

لعلَّ ابن أبي العوجاء كان يتصور أنَّ الإله إن كان موجوداً فلا بدَّ أن يكون جسماً والجسم قابل للرؤية، والإمام عليه السلام كان في صدد إثبات أصل الوجود

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢٤.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨٤.
(٣) سورة طه: الآية ٥.

يَقُولُونَ أَنْ يَظْهَرَ لِخَلْقِهِ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، حَتَّى لَا يَخْتَلِفَ مِنْهُمُ اثْنَانِ، وَلِمَ احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ[٣٢]؟ وَلَوْ بَاشَرَهُمْ بِنَفْسِهِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؟ فَقَالَ لِي: وَيْلَكَ وَكَيْفَ[٣٣] احْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرَاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ[٣٤]:

فلذا أعرض عليه السلام عن البحث في إبطال الرؤية، إلى البحث في إثبات أصل الوجود، وذلك لأنَّ القوي الحجَّة يحاول دائماً حصر البحث في نقطة وبعد إكمالها ينتقل إلى نقطة أخرى ليصل البحث إلى النتيجة، عكس ضعاف الحجَّة الذين يحاولون تشتيت الموضوع وتفريعه والانتقال من موضوع قبل إكمال البحث فيه.

[٣٢] **(وأرسل إليهم الرسل. . .) الخ:**
ولعلَّه تصور أنَّ أهل الإسلام دليلهم على وجود الصانع هو قول الرسل، وليس كذلك، فإنَّ العقل دليلهم على وجود الخالق، كما أنَّ اعترافهم بالرسل أيضاً دليله العقل، ثم بعد تصديقهم للرسل أخذوا عنهم تفاصيل العقيدة والأحكام التي لا يدركها العقل.

[٣٣] **(ويلك وكيف. . .) الخ:**
من هنا يبدأ الإمام عليه السلام في الاستدلال على وجود الله.
وحاصله أنَّنا عاجزون عن رؤية الله تعالى بأعيننا، لعدم تمكننا من رؤية المجرد عن المادة، لكن الله ظهر لنا بآثاره الواضحة بحيث نعرفه بعقولنا.

[٣٤] **(من أراك قدرته في نفسك):**
كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١) أي في أنفسهم من أنواع الأعضاء والحالات المادية والمعنوية ونحوها، وقوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ لأنَّ الإراءة تدريجية.
والإمام عليه السلام بدأ يعدِّد آياته تعالى في النفس ليكون الاستدلال أوقع في نفس الخصم وأبعد من تهرّبه.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

نُشُوءَكَ[٣٥] وَلَمْ تَكُنْ، وَكِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ، وَقُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ، وَضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ، وَسُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ، وَصِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ، وَرِضَاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ، وَغَضَبَكَ بَعْدَ رِضَاكَ، وَحُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ، وَفَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ، وَحُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ، وَبُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ، وَعَزْمَكَ بَعْدَ أَنَاتِكَ[٣٦]، وَأَنَاتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ، وَشَهْوَتَكَ بَعْدَ كَرَاهَتِكَ، وَكَرَاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ، وَرَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ[٣٧]،

ووجه الاستدلال: أنَّه أراك قدرته في أحوالك المختلفة التي لا يمكن أن تكون وليدة الصدفة وليس منشأ تلك الأحوال باختيارك، وإنَّما أقصى قدرتك أن تتحكم في بعضها وبشكل جزئي.

ثم ذكر الإمام عليه السلام نوعين من آيات الأنفس: نوع يرتبط بالجسد، ونوع يرتبط بالرُّوح والنفس.

[٣٥] **(نشوءك)**:

١ ـ بدل عن (نفسك) أي أراك قدرته في نشوئك... إلخ.

٢ ـ ويمكن أن يكون بدل عن (قدرته) أي أراك نشوءك... الخ.

٣ ـ ويمكن أن يكون مبتدأ لخبر محذوف وهو (منها) مثلاً.

٤ ـ أو مبتدأ لخبر محذوف أي نشوءك دليلٌ أو آية ونحوها، ومعنى النشوء الابتداء.

[٣٦] **(بعد أناتك)**:

أي انتظارك وصبرك، من التأني بمعنى التريُّث، وأصله من الونى بمعنى الضعف، كما ورد (عرفت الله بفسخ العزائم)، وفي بعض النسخ (إبائك) والإباء الامتناع.

[٣٧] **(رغبتك بعد رهبتك)**:

أي الميل إلى الشيء بعد الخوف منه.

و«الرهبة» هي الخوف إذا كان من العقاب والضرر.

كما أنَّ «الرغبة» هي الميل إلى الشيء لنفعه.

وَرَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ، وَرَجَاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ، وَيَأْسَكَ بَعْدَ رَجَائِكَ، وَخَاطِرَكَ[٣٨] بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ، وَعُزُوبَ[٣٩] مَا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَنْ ذِهْنِكَ، وَمَا زَالَ يُعَدِّدُ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي هِيَ فِي نَفْسِي الَّتِي لَا أَدْفَعُهَا[٤٠]، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ[٤١] فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ.

٣ ـ عَنْهُ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا رَفَعَهُ، وَزَادَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ

---

[٣٨] **(خاطرك):**
يُراد به الإدراك أي تدرك شيئاً لم يكن في ذهنك، كما أنَّك قد تنسى أو تغفل عن شيء كان في ذهنك.
و«الخاطر» اسم فاعل بمعنى المصدر، كما يقال (قمت قائماً) أي قياماً.

[٣٩] **(عزوب):**
أي الغياب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾(١).

[٤٠] **(التي هي في نفسي التي لا أدفعها):**
أي علائم قدرته في النفس أي (آيات الأنفس)، والتي لا بدَّ لي من الاعتراف بها.

[٤١] **(ظننت أنَّه سيظهر):**
أي صار من الواضح لي وجود الله تعالى، حتى أنِّي ظننت أنِّي سأرى الله تعالى بيني وبينه.

الحديث الثالث:

في المرآة(٢): وليس هذا الحديث في أكثر النسخ، لكنَّه موجود في توحيد الصدوق ورواه عن الكليني ويدلُّ على أنَّه كان في نسخته.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٤٩.

حِينَ سَأَلَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: عَادَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَى مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَجَلَسَ وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَنْطِقُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَأَنَّكَ جِئْتَ تُعِيدُ بَعْضَ مَا كُنَّا فِيهِ؟ فَقَالَ: أَرَدْتُ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا أَعْجَبَ هَذَا، تُنْكِرُ[١] اللَّهَ وَتَشْهَدُ أَنِّي ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ! فَقَالَ: الْعَادَةُ تَحْمِلُنِي[٢] عَلَى ذَلِكَ؛ فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عليه السلام: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْكَلَامِ؟ قَالَ: إِجْلَالاً لَكَ وَمَهَابَةً[٣] مَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنِّي شَاهَدْتُ الْعُلَمَاءَ وَنَاظَرْتُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَمَا تَدَاخَلَنِي هَيْبَةٌ قَطُّ مِثْلُ مَا تَدَاخَلَنِي مِنْ هَيْبَتِكَ، قَالَ: يَكُونُ ذَلِكَ[٤]، وَلَكِنْ أَفْتَحُ عَلَيْكَ

المطلب الأول

[١] **(ما أعجب هذا تنكر. . .) الخ:**

أي ما أعجب كلامك هذا حيث تنكر الله لكن تقول بأنّي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.
وهذا الكلام منه عليه السلام أيضاً من الأساليب النفسية في المناظرة ومن مصاديق الجدال بالتي هي أحسن، حيث جعل الخصم في موقف ضعيف منذ البداية.

[٢] **(فقال: العادة تحملني. . .) الخ:**

ولو كان ابن أبي العوجاء ذا مسكة، لقال: من آداب المحاورة أن تخاطب الخصم بما يحب أو بما سمّى نفسه، لكنّه كان ممّن طبع الله على قلبه.

[٣] **(إجلالاً لك ومهابة):**

«الإجلال»: اعتبار الشخص أكبر وأعلى من شيء ـ قولاً كان أو عملاً ـ.
و«الهيبة»: وقار في شخص يوجب خوف.

[٤] **(يكون ذلك):**

تقرير منه عليه السلام لوجود ذلك الجلال وتلك الهيبة له عليه السلام.
أو المعنى أنَّ الإمام قَبِل المناظرة، و(ذلك) يرجع إلى (تعيد بعض ما كنّا فيه).

بِسُؤَالٍ. وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: أَمَصْنُوعٌ أَنْتَ أَوْ غَيْرُ مَصْنُوعٍ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: بَلْ أَنَا غَيْرُ مَصْنُوعٍ. فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عليه السلام: فَصِفْ لِي لَوْ كُنْتَ مَصْنُوعاً[٥] كَيْفَ كُنْتَ تَكُونُ؟ فَبَقِيَ عَبْدُ الْكَرِيمِ مَلِيّاً لَا يُحِيرُ جَوَاباً[٦] وَوَلَعَ

المطلب الثاني

[٥] **(فصف لي لو كنت مصنوعاً):**

يوضِّح هذا الكلام ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث احتج على الدهرية، فقال: (فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون؟ وكيف كانت تكون صفته؟ فبهتوا وعلموا أنَّهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلَّا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنَّه قديم)(١).

ثم إنَّ هذا من الأدلة على وجود الله تعالى، حيث إنَّ كل شيء طبق ميزان الحكمة وفي أحسن تقويم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(٢)، ولو كان الخلق صدفة لم يعقل أن يكون كل شيء بالنحو الأكمل.

أما قول البعض (ليس بالإمكان أفضل ممَّا كان)، إن كان المراد أنَّ صورة أخرى غير هذا الموجود هي خلاف الحكمة، والله تعالى ـ مع قدرته على ذلك ـ لم يخلق ما يخالف الحكمة، فهذا الكلام حق.

أما إذا كان المراد تقييد قدرة الله تعالى، فهو باطل، لأنَّ الخلق بصورة أخرى ممكن عقلاً وقدرته تعالى غير محدودة بحدّ، لكن بما أنَّه خلاف الحكمة قبيح، فالله تعالى لا يفعله لحكمته لا لعدم القدرة.

ولعلَّ الفرق بين هذا الدليل والدليل السابق ـ في الحديث الثاني ـ أنَّ ذاك استدلال بآثار الله والأثر يدلُّ على المؤثر، وهذا استدلال بإتقان الصنع والحكمة.

[٦] **(لا يحير جواباً):**

أي لا يجد جواباً.

---

(١) الاحتجاج: ج١، ص٣٤.
(٢) سورة التين: الآية ٤.

بِخَشَبَةٍ[٧] كَانَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ[٨]: طَوِيلٌ عَرِيضٌ عَمِيقٌ قَصِيرٌ مُتَحَرِّكٌ سَاكِنٌ كُلُّ ذَلِكَ صِفَةُ خَلْقِهِ[٩]، فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ: فَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ صِفَةَ الصَّنْعَةِ غَيْرَهَا فَاجْعَلْ نَفْسَكَ[١٠] مَصْنُوعاً لِمَا تَجِدُ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يَحْدُثُ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ[١١]، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْكَرِيمِ: سَأَلْتَنِي عَنْ مَسْأَلَةٍ[١٢] لَمْ يَسْأَلْنِي عَنْهَا أَحَدٌ قَبْلَكَ، وَلَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ بَعْدَكَ[١٣] عَنْ مِثْلِهَا، فَقَالَ أَبُو

---

[٧] **(وولع بخشبة):**

الولوع بمعنى شدة الحرص على الشيء.

[٨] **(وهو يقول)... الخ:**

أي يفكِّر بصوت عالٍ، ومن عادة المتحيّر أو المخصوم أن يبحث عن جواب وكلَّما جاء احتمال إلى ذهنه نطق به، أو أنَّه فكر في أوصاف المخلوقات فوجدها في غاية الإتقان ممَّا تدلُّ على خالقها.

[٩] **(كل ذلك صفة خلقه):**

خلقة بالتاء، مصدر بمعنى المفعول، أي صفة المخلوق.

ويمكن قراءتها بالهاء، ضمير يرجع إلى الله تعالى، والخلق مصدر بمعنى المفعول، أي كل ذلك صفة مخلوقات الله تعالى.

[١٠] **(فاجعل نفسك...) الخ:**

أي أقرّ وأذعن بأنَّك مخلوق، لأنَّ هذه أوصاف المخلوقات وحيث إنَّك اتصفت بها يلزمك الإقرار بالخالق.

[١١] **(لما تجد في نفسك) الخ:**

أي لأجل أنَّك تذعن ـ إذا راجعت نفسك ـ بأنَّ هذه الأمور حاصلة فيك هي من صفات المخلوقين.

[١٢] **(سألتني عن مسألة...) الخ:**

إقرار من ابن أبي العوجاء بعجزه عن الجواب.

[١٣] **(ولا يسألني أحد بعدها...) الخ:**

لعلَّ هذا التنبؤ ناشيء من شدة غروره تغطية لعجزه عن الجواب، فالمعنى

عَبْدِ اللّهِ ﷺ: هَبْكَ[١٤] عَلِمْتَ أَنَّكَ لَمْ تُسْأَلْ فِيمَا مَضَى فَمَا عَلَّمَكَ أَنَّكَ[١٥] لَا تُسْأَلُ فِيمَا بَعْدُ، عَلَى أَنَّكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ[١٦] نَقَضْتَ قَوْلَكَ،

إنّي وإن عجزت عن جوابك لكنّي لا أعجز عن جواب غيرك.

المطلب الثالث

[١٤] **(هبك):**
(هب) بمعنى افرض، و(هبني) أي افرضني فعلت، و(هبك) أي افرضك وأحسبك.

[١٥] **(فما علمك أنَّك. . .) الخ:**
هذا إشكال آخر على ابن أبي العوجاء.
وحاصله: أنَّك بنيت أمرك على الوهم، ونفيك للصانع لا يستند إلى دليل، والشاهد على ذلك أنَّك نفيت أمراً في المستقبل، مع أنَّه لا سبيل لك إلى نفي أمر مستقبلي ـ وهو: ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها ـ.

المطلب الرابع

[١٦] **(على أنَّك يا عبد الكريم. . .) الخ:**
هذا إشكال آخر عليه، وحاصله: كيف حكمت بعدم حصول شيء في المستقبل؟
فإن كان الجواب: للعلم بعدم حصول علته مستقبلاً.
فإنَّه بهذا الجواب اعترف بنظام العلية والمعلولية، فحيث وجدت العلة وجد المعلول، وحيث فقدت العلّة فُقد المعلول.
وهذا الكلام يناقض قول الملحدين حيث إنَّهم يزعمون بأنَّه لا توجد عليَّة ومعلولية بين الأشياء وإنَّما الوجود وليد الصدفة.
وفي المرآة[١]: «إنَّ نفيك للصانع مبني على أنَّك تزعم أنَّ لا عليَّة بين الأشياء، ونسبة الوجود والعدم إليها على السواء، والاستدلال على الأشياء

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٥٠.

لِأَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ مِنَ الْأَوَّلِ سَوَاءٌ، فَكَيْفَ قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ؛ ثُمَّ قَالَ: يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ أَزِيدُكَ وُضُوحاً[١٧]: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ مَعَكَ كِيسٌ فِيهِ جَوَاهِرُ فَقَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَلْ فِي الْكِيسِ دِينَارٌ فَنَفَيْتَ كَوْنَ الدِّينَارِ فِي الْكِيسِ، فَقَالَ لَكَ صِفْ لِيَ الدِّينَارَ وَكُنْتَ غَيْرَ عَالِمٍ بِصِفَتِهِ، هَلْ كَانَ لَكَ أَنْ تَنْفِيَ كَوْنَ الدِّينَارِ عَنِ الْكِيسِ وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَالْعَالَمُ أَكْبَرُ[١٨] وَأَطْوَلُ وَأَعْرَضُ مِنَ الْكِيسِ، فَلَعَلَّ فِي الْعَالَمِ صَنْعَةً[١٩] مِنْ حَيْثُ لَا تَعْلَمُ صِفَةَ الصَّنْعَةِ مِنْ غَيْرِ الصَّنْعَةِ، فَانْقَطَعَ عَبْدُ الْكَرِيمِ وَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَبَقِيَ مَعَهُ بَعْضٌ.

غير المحسوسة إنَّما يكون بالعلية والمعلولية» إلى آخر كلامه.

المطلب الخامس

[١٧] **(أزيدك وضوحاً. . .) الخ:**

هذا تأكيد لما مرّ في المطلب الثاني، وتوضيح له.

وحاصله: إنَّك لا تعلم صفة المصنوع، فكيف قلت بأنَّ هذا العالم غير مصنوع! فلعلَّ هذا العالم فيه صفات المصنوع لكنَّك لا تعلم بها!

وهل العاقل ينفي ما لا يعلم!

[١٨] **(فالعالم أكبر. . .):**

يعني أنَّك لا يصحّ أن تنفي شيئاً صغيراً إذا لم تعلم أوصافه، فبطريق أولى لا يمكنك نفي صفة المخلوقية عن هذا العالم حيث لا تعلم صفة المخلوق وصفة غير المخلوق!.

[١٩] **(فلعلَّ في العالم صنعة):**

أي لعلَّ في العالم صفات المخلوقية، فكيف نفيت المخلوقية وأنت لا تعلم صفات المخلوق من غير المخلوق!.

فَعَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: أَقْلِبُ السُّؤَالَ[٢٠]، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَلْ عَمَّا شِئْتَ فَقَالَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى حَدَثِ الْأَجْسَامِ[٢١]؟ فَقَالَ: إِنِّي مَا وَجَدْتُ[٢٢] شَيْئاً صَغِيراً وَلَا كَبِيراً إِلَّا وَإِذَا ضُمَّ إِلَيْهِ مِثْلُهُ صَارَ أَكْبَرَ، وَفِي ذَلِكَ

المطلب السادس

[٢٠] **(أقلب السؤال):**

أي أنا أوجِّه السؤال لك، لأنَّه في اليوم السابق الإمام عليه السلام هو الذي وجَّه السؤال.

[٢١] **(وما الدليل على حدث الأجسام):**

لعلَّ ابن أبي العوجاء كان يقول بقدم العالم، أو أنَّه أراد أن ينقض كلام الإمام عليه السلام في احتياج الأجسام إلى الخالق عبر إثبات عدم الدليل على حدوثها.

[٢٢] **(فقال: إنِّي ما وجدت...) الخ:**

حاصل الاستدلال مركّب من أمور:

١ ـ أنَّ القديم يستحيل عليه الانعدام، لأنَّ القديم واجب الوجود، ولا تجتمع صفة واجب الوجود مع إمكان العدم، وهذا ما أشار إليه بقوله عليه السلام: (ولن تجتمع صفة الأزل والعدم).

٢ ـ الذي يتغيّر يمكن أن ينعدم، لأنَّ الانعدام أيضاً نوع تغيّر، فإذا جاز التغير، جاز الانعدام.

٣ ـ الأجسام تتغير، ويمكن تصوّر تغيرها، فلا مانع من انعدامها، فلا تكون قديمة.

وفي المرآة(١): (ويمكن أن يكون ـ أي الاستدلال ـ مبنياً على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أنَّ كل قديم يكون واجباً بالذات، ولا يكون المعلول إلَّا حادثاً، ووجوب الوجود ينافي التغير، ولا يكون الواجب محلاً للحوادث كما برهن عليه).

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٥١ ـ ٢٥٢.

زَوَالٌ وَانْتِقَالٌ عَنِ الْحَالَةِ الْأُولَى، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً مَا[٢٣] زَالَ وَلَا حَالَ، لِأَنَّ الَّذِي يَزُولُ وَيَحُولُ يَجُوزُ أَنْ يُوجَدَ وَيُبْطَلَ[٢٤]، فَيَكُونُ بِوُجُودِهِ بَعْدَ عَدَمِهِ دُخُولٌ فِي الْحَدَثِ، وَفِي كَوْنِهِ فِي الْأَزَلِ دُخُولُهُ فِي الْعَدَمِ، وَلَنْ تَجْتَمِعَ صِفَةُ الْأَزَلِ وَالْعَدَمِ وَالْحُدُوثِ وَالْقِدَمِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ: هَبْكَ عَلِمْتَ[٢٥] فِي جَرْيِ الْحَالَتَيْنِ وَالزَّمَانَيْنِ[٢٦] عَلَى مَا ذَكَرْتَ، وَاسْتَدْلَلْتَ بِذَلِكَ عَلَى حُدُوثِهَا، فَلَوْ بَقِيَتِ الْأَشْيَاءُ عَلَى صِغَرِهَا مِنْ أَيْنَ كَانَ لَكَ أَنْ تَسْتَدِلَّ عَلَى

(إنِّي ما وجدت...) الخ:
إشارة إلى الأمر الثالث، وحاصله إمكان التغيّر على الأجسام.

[٢٣] **(ولو كان قديماً ما...) الخ:**
إشارة إلى الأمر الأول، وحاصله استحالة الحوادث ـ ومنها الانعدام ـ على القديم.

[٢٤] **(يجوز أن يوجد ويبطل)...الخ:**
إشارة إلى الأمر الثاني، وحاصله إمكان زوال المتغير، ولا يمكن زوال القديم لأنَّه واجب الوجود.

المطلب السابع

[٢٥] **(فقال عبد الكريم: هبك علمت...) الخ:**
لما لم يفهم ابن أبي العوجاء كلام الإمام عليه السلام، أشكل هذا الإشكال مع أنَّ استدلال الإمام عليه السلام كان في إمكان التغيُّر، ولم يستدل عليه السلام بوقوع التغيُّر حتى يأتي ابن أبي العوجاء بهذا الإشكال!
وحاصل إشكاله:
لنفرض أنَّ الأشياء لم تتغيّر فكيف تستدل على حدوثها؟

[٢٦] **(الحالتين والزمانين):**
حالة الانضمام بين شيئين، وحالة قبل الانضمام.
وزمان الانتقال إلى الحالة الجديدة، وزمان قبل الانتقال.

حُدُوثِهِنَّ؟ فَقَالَ الْعَالِمُ عليه السلام[٢٧]: إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَلَى[٢٨] هَذَا الْعَالَمِ الْمَوْضُوعِ، فَلَوْ رَفَعْنَاهُ وَوَضَعْنَا عَالَماً آخَرَ كَانَ لَا شَيْءَ أَدَلَّ عَلَى[٢٩] الْحَدَثِ مِنْ رَفْعِنَا إِيَّاهُ وَوَضْعِنَا غَيْرَهُ، وَلَكِنْ أُجِيبُكَ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتَ[٣٠] أَنْ تُلْزِمَنَا فَنَقُولُ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَوْ دَامَتْ[٣١] عَلَى صِغَرِهَا لَكَانَ فِي الْوَهْمِ أَنَّهُ[٣٢] مَتَى ضُمَّ شَيْءٌ إِلَى مِثْلِهِ كَانَ أَكْبَرَ، وَفِي جَوَازِ التَّغْيِيرِ عَلَيْهِ خُرُوجُهُ مِنَ الْقِدَمِ. كَمَا أَنَّ فِي تَغْيِيرِهِ دُخُولَهُ فِي الْحَدَثِ، لَيْسَ لَكَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ. فَانْقَطَعَ وَخُزِيَ.

---

[٢٧] **(فقال العالم: . . .) الخ:**
حاصل جواب الإمام عليه السلام في أمرين:
١ ـ كلامنا في أنَّ هذا العالم حادث، وهذا الدليل يكفي في إثبات حدوثه.
٢ ـ إنَّ كلامنا حول إمكان التغيّر وهو يكفي في إثبات الحدوث، وليس الاستدلال بوقوع التغيُّر، فكل ما أمكن تغيره ـ حتى إذا فرض عدم وقوع التغيّر في الخارج ـ فهو ممكن حادث.

[٢٨] **(إنَّما نتكلّم على. . .) الخ:**
هذا الجواب الأول عن شبهته.

[٢٩] **(فلا شيء أدل على. . .) الخ:**
أي انعدام هذا العالم دليل على أنَّه حادث، لأنَّ القديم لا يمكن انعدامه كما مرّ في الاستدلال.

[٣٠] **(من حيث قدّرت):**
بتشديد الدال أي من الجهة التي توهمت أنَّك تتمكن من التغلُّب علينا.

[٣١] **(إنَّ الأشياء لو دامت. . .) الخ:**
إشارة إلى الجواب الثاني.

[٣٢] **(لكان في الوهم أنَّه):**
أي كان يمكن تغيّرها، وإمكان التغيّر دليل الحدوث ـ كما مرّ ـ.

فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، الْتَقَى مَعَهُ فِي الْحَرَمِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ شِيعَتِهِ: إِنَّ ابْنَ أَبِي الْعَوْجَاءِ قَدْ أَسْلَمَ[٣٣]. فَقَالَ الْعَالِمُ عليه السلام: هُوَ أَعْمَى مِنْ ذَلِكَ[٣٤] لَا يُسْلِمُ[٣٥]، فَلَمَّا بَصُرَ بِالْعَالِمِ قَالَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ، فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عليه السلام: مَا جَاءَ بِكَ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ؟ فَقَالَ: عَادَةُ الْجَسَدِ، وَسُنَّةُ الْبَلَدِ، وَلِنَنْظُرَ مَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْجُنُونِ وَالْحَلْقِ وَرَمْيِ الْحِجَارَةِ!! فَقَالَ لَهُ الْعَالِمُ عليه السلام: أَنْتَ بَعْدُ عَلَى عُتُوِّكَ[٣٦] وَضَلَالِكَ يَا عَبْدَ الْكَرِيمِ. فَذَهَبَ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ لَهُ عليه السلام: لَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ[٣٧] وَنَفَضَ رِدَاءَهُ مِنْ يَدِهِ وَقَالَ: إِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَقُولُ وَلَيْسَ كَمَا تَقُولُ نَجَوْنَا وَنَجَوْتَ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا نَقُولُ وَهُوَ كَمَا نَقُولُ، نَجَوْنَا وَهَلَكْتَ،

---

[٣٣] **(قد أسلم):**
لعلَّه لما رآه في الحرام تصوّر أنَّه جاء للحج، فلذا توهّم إسلامه، لكن الإمام عليه السلام لمعرفته بعناده وعتوّه، أنكر إسلامه.

[٣٤] **(هو أعمى من ذلك):**
(أعمى) صفة مشبهة أي هو لا يبصر الإسلام.
ويحتمل أن يكون أفعل التفضيل - على غير قياس لأنَّه في العيوب لا تستعمل صيغة «أفعل» للتفضيل إلّا نادراً - فيكون المعنى هو أشد ضلالاً من أن يدخل في الإسلام.

[٣٥] **(لا يسلم):**
جملة مستأنفة أي هو لا يسلم، وذلك لعناده وعتوه.

[٣٦] **(عتوك):**
«العتو» الطغيان في المقال والإعراض عن الطاعة.

[٣٧] **(فقال له: لا جدال في الحج):**
لعلَّ الإمام عليه السلام كان في إحرام فلم يكن يريد الجدال معه، ولعدم الفائدة في التكلم معه، لأنَّه كان معانداً، ويكفي إلقاء الحجَّة على المعاند وهذا ما فعله

فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلَى مَنْ مَعَهُ فَقَالَ: وَجَدْتُ فِي قَلْبِي حَزَازَةً[٣٨] فَرُدُّونِي فَرَدُّوهُ فَمَاتَ لَا رَحِمَهُ اللَّهُ.

٤ ـ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْأَسَدِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيِّ الرَّازِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ بُرْدٍ الدِّينَوَرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخُرَاسَانِيِّ خَادِمِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنَ الزَّنَادِقَةِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أَيُّهَا الرَّجُلُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَكُمْ ـ وَلَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُونَ ـ أَلَسْنَا وَإِيَّاكُمْ شَرَعاً سَوَاءً[١]، لَا يَضُرُّنَا مَا صَلَّيْنَا وَصُمْنَا وَزَكَّيْنَا وَأَقْرَرْنَا؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ. ثُمَّ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: وَإِنْ كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَنَا وَهُوَ قَوْلُنَا، أَلَسْتُمْ قَدْ هَلَكْتُمْ وَنَجَوْنَا؟.

الإمام عليه السلام في العام الفائت، فلم يكن الجدال معه في هذا العام إلَّا تضييعاً للوقت، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ﴾(١).

[٣٨] (وجدت في قلبي حزازة):

لعلَّ هذه الحزازة كانت بسبب كلام الإمام عليه السلام، حيث حدثت له صدمة نفسية، لما خذله الله تعالى.

أو لأنَّ المهلة التي أعطاها الله تعالى له ـ عسى أن يتوب ـ انتهت بعد استقراره على العناد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾(٢).

الحديث الرابع:

[١] (شرعاً سواء):

و«الشرع» هنا بمعنى المشرعة، وهي جنب النهر ممَّا فيه ماء يمكن الشرب منه، أي: نشرب من ماء واحد وهو كناية عن كون المصير واحداً.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ١٤٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٨.

فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ أَوْجِدْنِي[٢] كَيْفَ هُوَ[٣] وَأَيْنَ هُوَ[٤]؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ، إِنَّ الَّذِي ذَهَبْتَ إِلَيْهِ غَلَطٌ[٥]، هُوَ أَيَّنَ الْأَيْنَ بِلَا أَيْنٍ[٦]، وَكَيَّفَ الْكَيْفَ بِلَا كَيْفٍ[٧]، فَلَا

نفي الكيف والأين

[٢] **(أوجدني):**

أي بيّن لي، من(وجد الشيء) إذا ظفر به.

[٣] **(كيف هو):**

«الكيف» هو الحالة التي عليها الشيء، وهو من الأعراض ـ يعرض على الأجسام ـ.

[٤] **(أين هو):**

سؤال عن المكان، وهو الظرف الذي يقع فيه الشيء.

[٥] **(ذهبت إليه غلط):**

لأنَّه قاس الخالق بالمخلوق، فسأل عن صفات المخلوقين زاعماً أنَّ مثلها للخالق.

فمبنى السؤال خاطىء من الأساس

[٦] **(هو أين الأين بلا أين):**

أي إنَّه تعالى خلق المكان، فهو موجود قبل المكان، مضافاً إلى أنَّ المخلوق لا يعقل أن يحيط بالخالق، وكذلك المحتاج إلى المكان هو الجسم وهو تعالى ليس بجسم، فحاصل كلامه عليه السلام أنَّه تعالى هو الذي جعل المكان مكاناً من غير أن يكون هو سبحانه في مكان.

[٧] **(كيف الكيف بلا كيف):**

أي جعل الكيف كيفاً من غير أن يكون ذا كيف، لأنَّ الكيفيات عوارض على الذات، والله سبحانه ليس محلاً للعوارض والحوادث، وذلك لجهات منها:

١ ـ أنَّ الله قديم، والقديم لا يحتاج إلى شيء ـ سواء الكيف أم غيره ـ.

يُعْرَفُ بِالْكَيْفُوفِيَّةِ وَلَا بِأَيْنُونِيَّةٍ[٨] وَلَا يُدْرَكُ بِحَاسَّةٍ[٩] وَلَا يُقَاسُ بِشَيْءٍ[١٠].

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَإِذاً إِنَّهُ لَا شَيْءَ إِذَا لَمْ يُدْرَكْ بِحَاسَّةٍ[١١] مِنَ الْحَوَاسِّ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: وَيْلَكَ، لَمَّا عَجَزَتْ حَوَاسُّكَ عَنْ

---

٢ ـ أنَّه ليس بجسم، والكيفيات من آثار الجسم.

٣ ـ أنَّه غني، وذو الكيف يحتاج إلى الكيف، وهو دليل العجز والضعف.

٤ ـ أنَّه ليس بمركّب، وذو الكيف مركّب من ذات وكيف.

[٨] **(فلا يعرف بالكيفوفية ولا بأينونيَّة):**

أي لا يتصف بهاتين الصفتين، فلا نعرفه سبحانه بأنَّه ذو كيف وذو أين.

[٩] **(ولا يُدرك بحاسة):**

وهذا كالنتيجة لما سبق، أي لما لم يكن له كيف ولا أين فهو ليس بجسم، لأنَّ الكيف والأين لازِمان للجسم لا ينفكّان عنه، وكلَّ ما لم يكن بجسم فإنَّه لا يمكن إدراكه بحاسة، لأنَّ الحواس الخمس تدرك الأجسام فقط لا غير.

[١٠] **(ولا يقاس بشيء):**

لأنَّه قاس الله تعالى بالمخلوقات فسأل عن الأين والكيف، والصحيح أنَّه لا يمكن قياسه بالمخلوقات.

[١١] **(إذا لم يُدرك بحاسة):**

الرجل لقصور فكره، تصور أنَّ كل شيء لا بدَّ أن يُدرك بالحواس وإلا فهو معدوم.

وقد غلط في توهمه، لأنَّه حتى بعض المخلوقات لا يمكن إحساسها بالحواس بل يعلم الإنسان بها عن طريق آثارها، مثلاً العقل والعلم والرُّوح ونحوها.

إِدْرَاكِهِ أَنْكَرْتَ رُبُوبِيَّتَهُ؟! وَنَحْنُ إِذَا عَجَزَتْ حَوَاسُّنَا عَنْ إِدْرَاكِهِ أَيْقَنَّا أَنَّهُ رَبُّنَا[١٢] بِخِلَافِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ[١٣].

قَالَ الرَّجُلُ: فَأَخْبِرْنِي مَتَى كَانَ[١٤]؟ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي مَتَى لَمْ يَكُنْ[١٥] فَأُخْبِرَكَ مَتَى كَانَ. قَالَ الرَّجُلُ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ أَبُو

---

[١٢] **(أيقنا أنَّه ربنا):**

لأنَّا نعلم أنَّ ما يناله الإحساس هو جسم ويحتاج إلى المكان والكيف والجهة وغيرها، وما شأنه ذلك لا يمكن أن يكون الخالق تعالى، بل الخالق من يتصف بأنَّه لا يمكن إحساسه بالحواس الخمس، ونحن لما دلّنا عقلنا على عدم اتصاف الله بصفات المخلوقات علمنا أنَّه الخالق والرب.

[١٣] **(بخلاف شيء من الأشياء):**

أي ليس من الأشياء المحسوسة، وليس مثلها، فإنَّه تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾(١)، لأنَّ كل محسوس محتاج إلى الجهة والمكان والكيف وغيرها فلا يكون خالقاً.

نفي الزمان

[١٤] **(فأخبرني متى كان):**

كأنَّ الرجل لقصوره لم يفهم ما ذكره الإمام عليه السلام له، حيث إنَّه لم يكن ليسأل هذا السؤال لو كان فهم ما قاله الإمام عليه السلام ـ من أنَّه لا يُقاس بشيء ولا يُدرك بحاسة ولا يحتاج إلى المكان والجهة ـ.

[١٥] **(أخبرني متى لم يكن...):**

لعلَّ مراد السائل عن زمان وجوده تعالى، حيث توهم أنَّه مسبوق بالعدم، فلذا أجابه الإمام عليه السلام بأنَّه لم يكن مسبوقاً بالعدم بل وجوده أزلي.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

الْحَسَنِ عليه السلام[١٦]: إِنِّي لَمَّا نَظَرْتُ[١٧] إِلَى جَسَدِي وَلَمْ يُمْكِنِّي فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ فِي الْعَرْضِ وَالطُّولِ وَدَفْعِ الْمَكَارِهِ[١٨] عَنْهُ وَجَرِّ الْمَنْفَعَةِ إِلَيْهِ، عَلِمْتُ أَنَّ

الدليل عليه

[١٦] **(فقال أبو الحسن عليه السلام):**
استدلال الإمام عليه السلام على وجوده تعالى بالآيات في النفس، وبالآيات في الآفاق، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١).

١ ـ دليل النفس

[١٧] **(إنّي لما نظرت...):**
في المرآة(٢): هذا استدلال بما يجده في بدنه ـ من أحواله، وانتظام تركيبه، واشتماله على ما به صلاحه ونظامه، وعدم استنادها إليه ـ بكونها من آثار القدرة.
حاصل الدليل: أنَّ الإنسان ـ بما أوتي من طَول وقوة ـ فإنَّه يعجز عن أبسط التغييرات في جسمه، فهل يعقل أن تكون خلقته بمحض الصدفة، والصدفة لا شيء ولا عقل لها ولا قدرة!!

[١٨] **(دفع المكاره):**
أي جنس المكاره، فإنَّ الإنسان قد يتمكن من دفع بعضها، لكنَّه لا يمكنه دفع كلّها مهما أُوتي من قوة.
وكذلك في المنفعة.

٢ ـ دليل الآفاق

حاصل الدليل:
الدقة والنظم في الأمور السماوية، ـ قريبة كانت كالسحاب والرياح، أم بعيدة كالنُّجوم ـ، ولا يعقل أن يكون ذلك من غير خالق مدبر.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٢) المرآة: ج١، ص٢٥٥.

لِهَذَا الْبُنْيَانِ بَانِياً، فَأَقْرَرْتُ بِهِ مَعَ مَا أَرَى مِنْ دَوَرَانِ الْفَلَكِ[١٩] بِقُدْرَتِهِ، وَإِنْشَاءِ السَّحَابِ[٢٠]، وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ، وَمَجْرَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[٢١] وَالنُّجُومِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْعَجِيبَاتِ الْمُبَيِّنَاتِ، عَلِمْتُ أَنَّ لِهَذَا مُقَدِّراً وَمُنْشِئاً[٢٢].

---

[١٩] **(دوران الفلك):**

«الفلك»: الدائرة الخاصة بالأجرام السماوية، ودورانه بمعنى دوران تلك الأجرام، كما يقال: جرى الميزاب أي جرى ماء المطر في الميزاب.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١) أي يسرعون في الحركة كسباحة الإنسان في الماء.

[٢٠] **(إنشاء السحاب):**

أي خلقه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾(٢)، خوفاً من الصواعق والأمطار المخربة، وطمعاً في منافعها، ويخلق السحاب الثقال بالمطر.

[٢١] **(ومجرى الشمس والقمر):**

«مجرى» مصدر ميمي بمعنى الجريان، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾(٣) ولعلَّ الأجل المسمى هو يوم القيامة إذ ينتهي نظام المنظومة الشمسية وغيرها، وقد ثبت في علم الفلك الحديث جريان المنظومة الشمسية حول مركز مجرَّة درب التبانة، وكذلك النُّجوم تجري حول مركز المجرَّة.

ويمكن أن يكون الجريان بمعناه المجازي أي ما يتراءى من الجريان بسبب دوران الكرة الأرضية.

[٢٢] **(علمت أنَّ لهذا...):**

جزاء لـ«لما» مقدرة، أي لما رأيت من دوران الفلك بقدرته... علمت أنَّ لهذا مُقدِّراً ومُنشِئاً.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٣.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٢.

(٣) سورة الزمر: الآية ٥.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْخَفَّافِ أَوْ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ الدَّيَصَانِيَّ[١] سَأَلَ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ: أَلَكَ رَبٌّ؟ فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: أَقَادِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ قَادِرٌ قَاهِرٌ[٢]. قَالَ: يَقْدِرُ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ وَلَا تَصْغُرُ الدُّنْيَا؟ قَالَ هِشَامٌ: النَّظِرَةَ[٣] فَقَالَ لَهُ: قَدْ أَنْظَرْتُكَ حَوْلاً ثُمَّ خَرَجَ عَنْهُ فَرَكِبَ هِشَامٌ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: يَابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَتَانِي عَبْدُ اللَّهِ الدَّيَصَانِيُّ بِمَسْأَلَةٍ لَيْسَ الْمُعَوَّلُ[٤] فِيهَا إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: عَمَّاذَا سَأَلَكَ؟ فَقَالَ قَالَ لِي كَيْتِ وَكَيْتِ[٥]، فَقَالَ أَبُو

الحديث الخامس:

[١] **(عبد الله الديصاني):**

الديصانية قوم من الملاحدة، وديصان رئيسهم، واسمه مشتق من داص يديص ديصاناً بمعنى زاغ ومال، ولعلَّ الفعل مشتق من اسمه.

[٢] **(قادر قاهر):**

«القاهر»: المسلط الغالب.

أضاف هشام القهر إلى القدرة، للدلالة على أنَّ القدرة فعلية وليست مجرد قدرة شأنية.

[٣] **(النظرة):**

أي أمهلني مهلة.

[٤] **(المعوّل):**

أي الاعتماد لدفع شبهته على الله سبحانه وتعالى أولاً، ثمَّ عليك لأنَّك وصي رسول الله صلى الله عليه وآله.

[٥] **(كيت وكيت):**

أي كذا وكذا، وهو من الكنايات حينما لا يُراد تكرار المطلب أو يُراد إبهامه. والتاء مبنية على الكسر.

عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا هِشَامُ كَمْ حَوَاسُّكَ[٦]؟ قَالَ: خَمْسٌ. قَالَ: أَيُّهَا أَصْغَرُ؟ قَالَ: النَّاظِرُ. قَالَ: وَكَمْ قَدْرُ النَّاظِرِ؟ قَالَ: مِثْلُ الْعَدَسَةِ أَوْ أَقَلُّ مِنْهَا. فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ! فَانْظُرْ أَمَامَكَ وَفَوْقَكَ وَأَخْبِرْنِي بِمَا تَرَى، فَقَالَ: أَرَى سَمَاءً وَأَرْضاً وَدُوراً وَقُصُوراً وَبَرَارِيَ وَجِبَالاً وَأَنْهَاراً. فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ الَّذِي قَدَرَ أَنْ يُدْخِلَ[٧] الَّذِي تَرَاهُ الْعَدَسَةَ أَوْ أَقَلَّ مِنْهَا، قَادِرٌ أَنْ يُدْخِلَ الدُّنْيَا كُلَّهَا الْبَيْضَةَ لَا

---

[٦] **(كم حواسك):**

المراد الأعضاء التي بها يحسّ الإنسان الأشياء المحسوسة.

[٧] **(فقال له أبو عبد الله إنَّ الذي قدر أن يدخل. . .):**

لعلَّ جواب الإمام عليه السلام كان مبنياً على الجدال بالتي هي أحسن، لعدم استيعاب الديصاني للجواب البرهاني لقصور باعه، وكانوا عليهم السلام يكلمون الناس على قدر عقولهم، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»(١).

وأما الجواب البرهاني فقد ورد في روايات عدة، منها:

(ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغّر الدنيا ويكبّر البيضة؟، فقال عليه السلام: إنَّ الله لا ينسب إلى العجز والذي سألت لا يكون)(٢).

(وما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة؟ فقال له: ويلك إنَّ الله لا يوصف بعجز، ومن أقدر ممَّن يلطّف الأرض ويعظّم البيضة(٣).

يعني إنَّ قدرته تعالى لا قصور فيها، فلذا هو يقدر على تكبير البيضة وتصغير الدنيا، لكن قد لا يكون للشيء قابلية، فعدمه ليس لنقصان في القدرة بل لنقصان فيه.

---

(١) الكافي: ج١، كتاب العقل والجهل، ص٢٣.

(٢) الوافي: ج١، ص٢٣٠ الحاشية.

(٣) الوافي: ج١، ص٢٣٠ الحاشية.

تَصْغَرُ الدُّنْيَا وَلَا تَكْبُرُ الْبَيْضَةُ، فَأَكَبَّ هِشَامٌ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ وَرَأْسَهُ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَ: حَسْبِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ[٨]. وَانْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ؛ وَغَدَا عَلَيْهِ الدَّيَصَانِيُّ فَقَالَ لَهُ: يَا هِشَامُ إِنِّي جِئْتُكَ مُسَلِّماً وَلَمْ أَجِئْكَ مُتَقَاضِياً لِلْجَوَابِ، فَقَالَ لَهُ هِشَامٌ: إِنْ كُنْتَ جِئْتَ مُتَقَاضِياً فَهَاكَ الْجَوَابَ. فَخَرَجَ الدَّيَصَانِيُّ عَنْهُ حَتَّى أَتَى بَابَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ، فَلَمَّا قَعَدَ قَالَ لَهُ: يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ! دُلَّنِي عَلَى مَعْبُودِي[٩]؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا اسْمُكَ[١٠]؟ فَخَرَجَ عَنْهُ وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِاسْمِهِ[١١]، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: كَيْفَ لَمْ تُخْبِرْهُ بِاسْمِكَ؟

وبعبارة أخرى السؤال فيه تناقض، أي طلب دخول الدنيا في البيضة يناقض طلب عدم تكبيرها وعدم تصغير الدنيا.

[٨] **(وقال حسبي يا ابن رسول الله):**

كان الإمام عليه السلام ـ كما يظهر من متعدد الروايات ـ يجيب بأجوبة متعددة على السؤال الواحد لاختلاف الأفهام ولزيادة الإقناع، ولعلَّ هشاماً وجد ضالته في هذا الجواب وعلم بأنَّ لا مفرَّ للديصاني عن التسليم به.

[٩] **(دلني على معبودي):**

لما انحلّت شبهة الديصاني في القدرة اقترب من الهداية، فلذلك جاء للسؤال عن الخالق الذي تجب عبادته.

[١٠] **(ما اسمك):**

لعلَّ الإمام عليه السلام بسؤاله عن اسمه أراد تهيئة نفسه لقبول الهداية، لأنَّ الإنسان متعلق باسمه ومتأثر به نفسياً، ولعلَّ رغبته في أن يكون اسمه صادقاً تزيح عنه وساوس الشيطان وتهيّؤه لقبول نداء العقل والفطرة.

[١١] **(ولم يخبره باسمه):**

لعلّه كان قد سمع بعض محاججات الإمام عليه السلام، أو توقّع ما سيسأله عليه السلام، أو شعر بحرج من الجواب.

قَالَ: لَوْ كُنْتُ قُلْتُ لَهُ: عَبْدُ اللَّهِ، كَانَ يَقُولُ: مَنْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ لَهُ عَبْدٌ، فَقَالُوا لَهُ: عُدْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ: يَدُلُّكَ عَلَى مَعْبُودِكَ وَلَا يَسْأَلُكَ عَنِ اسْمِكَ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ دُلَّنِي عَلَى مَعْبُودِي وَلَا تَسْأَلْنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اجْلِسْ وَإِذَا غُلَامٌ لَهُ صَغِيرٌ فِي كَفِّهِ بَيْضَةٌ يَلْعَبُ بِهَا[١٢] فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَاوِلْنِي يَا غُلَامُ الْبَيْضَةَ فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا دَيَصَانِيُّ: هَذَا حِصْنٌ مَكْنُونٌ[١٣] لَهُ جِلْدٌ غَلِيظٌ[١٤] وَتَحْتَ الْجِلْدِ الْغَلِيظِ جِلْدٌ رَقِيقٌ[١٥] وَتَحْتَ الْجِلْدِ الرَّقِيقِ ذَهَبَةٌ مَائِعَةٌ[١٦] وَفِضَّةٌ

---

[١٢] **(في كفه بيضة يلعب بها):**

لعلَّ جعل البيضة محوراً للاستدلال، لأنَّها كانت محوراً للشُّبهة، فأراد الإمام عليه السلام جعلها محوراً للاستدلال، لأنَّ هذه الطريقة أوقع في النفس، بأن يكون انطلاق الاستدلال من نفس منطلق الإشكال.

وحاصل الاستدلال أنَّ الإنسان مهما أوتي من طَول، فإنَّه لا يتمكن من صنع مثل هذه البيضة، بل هو جاهل بتفاصيل أمورها، فهل يعقل أن يكون كل ذلك بلا مدبر وبمحض الصدفة الفاقدة للشعور؟؟

[١٣] **(حصن مكنون):**

«الحصن»: الموضع المحكم ولذا يطلق على القلاع عادة، و«المكنون»: المحفوظ، والمعنى موضع محكم محفوظ ما فيه من الفساد.

[١٤] **(له جلد غليظ):**

لعلَّه تفسير للحصن.

[١٥] **(جلد رقيق):**

لعلَّه تفسير للمكنون، لأنَّ هذا الجلد الرقيق يحفظ ما بداخل البيض من خشونة الجلد الغليظ.

[١٦] **(ذهبة مائعة):**

وهو صفار البيض الذي يتغذى منه الفراخ ـ كما ثبت في العلم الحديث ـ، والميعان يطلق على الأشياء السائلة سواء كان طبعها الجمود أو لا.

ذَائِبَةٌ[١٧]، فَلَا الذَّهَبَةُ الْمَائِعَةُ تَخْتَلِطُ بِالْفِضَّةِ الذَّائِبَةِ وَلَا الْفِضَّةُ الذَّائِبَةُ تَخْتَلِطُ بِالذَّهَبَةِ الْمَائِعَةِ، فَهِيَ عَلَى حَالِهَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا خَارِجٌ مُصْلِحٌ[١٨] فَيُخْبِرَ عَنْ صَلَاحِهَا، وَلَا دَخَلَ فِيهَا مُفْسِدٌ[١٩] فَيُخْبِرَ عَنْ فَسَادِهَا، لَا يُدْرَى لِلذَّكَرِ خُلِقَتْ أَمْ لِلْأُنْثَى، تَنْفَلِقُ عَنْ مِثْلِ[٢٠] أَلْوَانِ الطَّوَاوِيسِ أَتَرَى لَهَا

---

[١٧] **(فضة ذائبة):**

وهو بياض البيض الذي يتحوّل إلى الفراخ، والذوبان يطلق على الأشياء التي من طبعها الجمود.

والتعبير بالذوبان في الفضة والميعان في الذهب تفنن بلاغي، إضافة إلى المناسبة بين الذوبان والفضة، وبين الميعان والذهب، لأنَّ الفضة أكثر صلابة من الذهب.

[١٨] **(خارج مصلح):**

أي ليس في داخلها شيء يُصلح شأنها فيحوّلها إلى فراخ، ثم يخرج ذلك الشيء فيخبرنا بأنَّها صلحت وتحولت إلى حيوان ولم تفسد.

[١٩] **(ولا دخل فيها مفسد):**

لأنَّ كل شيء يدخل في البيضة قبل انفلاقها يوجب فساد ما فيها.

فالحاصل أنَّه لا ندري هل أنتجت البيضة أم فسد ما فيها، وما علينا سوى الانتظار حتى اكتمال المدة.

وفي المرآة: «لا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها، والإفساد إلى ما يدخل فيها، لأنَّ هذا شأن أهل الحصن الحافظين له، وحال الداخل فيه بالقهر والغلبة(١).

[٢٠] **(تنفلق عن مثل...):**

أي تنشق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾(٢)، ويخرج الحي من الميت كما يخرج الحيوان من البيضة، ويخرج الميت من الحي كما يخرج البيضة من الطير.

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٢٥٩.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٥.

مُدَبِّراً[٢١]؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ مَلِيّاً[٢٢] ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنَّكَ إِمَامٌ وَحُجَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَأَنَا تَائِبٌ مِمَّا كُنْتُ فِيهِ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ[١] الَّذِي أَتَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، وَكَانَ مِنْ قَوْلِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: لَا يَخْلُو قَوْلُكَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ[٢]، مِنْ

---

[٢١] **(أترى لها مدبراً):**
استفهام تقريري.

[٢٢] **(فأطرق ملياً):**
أطرق أي أنزل رأسه إلى الأرض حال كونه ساكتاً.
و«ملياً» أي زماناً طويلاً، قال تعالى: ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾(١).

الحديث السادس:

[١] **(في حديث الزنديق):**
يظهر من الحديث أنَّه كان من الثنوية القائلين بإلهين اثنين، وقد استدل الإمام عليه السلام بثلاثة أدلة لإثبات التوحيد ولإبطال الشريك. وسيأتي للحديث تتمة في الحديث السادس من الباب الآتي.

الدليل الأول

[٢] **(لا يخلو قولك إنَّهما اثنان...) الخ:**
حاصل الدليل:
هو أنَّ الاثنين إما أن يكونا قويين أو ضعيفين أو أحدهما قوي والآخر ضعيف.

---

(١) سورة مريم: الآية ٤٦.

١ ـ ولا يمكن أن يكون الضعيف إلهاً، لأنَّ الضعف صفة نقص ويستحيل على واجب الوجود النقص، لأنَّه صفة الممكن.
وذلك لما تقرر في محله من أنَّ الوجود على أقسام ثلاثة: ممكن الوجوب، وواجب الوجود، وممتنع الوجود.
أما الممكن: فهو ما كانت نسبته إلى الوجود والعدم سواء فيوجد إن تحققت علته، ويكون عدماً إن لم تتحقق علته، كهذا العالم بأسره حيث كان عدماً ثم وجد لما تحققت الإرادة بوجوده.
وأما الواجب: فهو ما كان وجوده ضرورياً بلا احتياج إلى علَّة، وهذا يجب أن يكون أزلياً بلا أوَّل، لأنَّه لو كان عدماً ثم وجد لكان محتاجاً إلى علَّة إلى إيجاده، والمحتاج إلى العلَّة هو الممكن، كما أنَّ الواجب يكون واجداً لجميع صفات الكمال فاقداً لأي نقص، لأنَّه لو لم يكن كذلك كان محتاجاً إلى غيره ليكمل كماله وليزيل نقصه، والمحتاج إلى الغير لا يكون ضروري الوجود.
وأما الممتنع: فهو ما استحيل وجوده، أي كان عدمه ضرورياً، وذلك لعدم قابليته للوجود
وعلى ذلك بطل الاحتمال الثاني وهو كونهما ضعيفين، والاحتمال الثالث من كون أحدهما ضعيفاً.
٢ ـ أما إذا قال بأنَّهما قويين معاً، فالإشكال هو عدم قدرة أي منهما على الغلبة على الآخر، وعدم القدرة نقص، ولا يمكن أن يكون الناقص إلهاً، فلا يمكن أن يكونا إلهين، وكذلك لو أراد أحدهما أمراً وأراد الآخر نقيضه، فإن غلبت إرادة الأول كان الثاني عاجزاً، وكذا في العكس.
إن قلت: لعلَّ الإشكال في عدم قابلية الشيء لتعلق إرادتين به، وذلك لا يستلزم النقص في أي منهما.
قلت: عدم تعلق القدرة بالمحالات الذاتية ليس بنقص وذلك لعدم قابليتها لا لقصور في القوة ـ كما مرّ في مثال البيضة والدنيا ـ، وليس هنا كذلك لأنَّ تعلق الإرادة بالشيء ليس محالاً ذاتاً بل امتناعه هنا لأجل تعارض الإرادتين فليست المشكلة في عدم قابلية الشيء بل المشكلة في عدم القدرة وذلك يُحقّق النقص والعجز.

أَنْ يَكُونَا قَدِيمَيْنِ قَوِيَّيْنِ[٣]، أَوْ يَكُونَا ضَعِيفَيْنِ[٤]، أَوْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا قَوِيّاً وَالْآخَرُ ضَعِيفاً، فَإِنْ كَانَا قَوِيَّيْنِ، فَلِمَ لَا يَدْفَعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ وَيَتَفَرَّدُ بِالتَّدْبِيرِ[٥]. وَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ أَحَدَهُمَا قَوِيٌّ وَالْآخَرَ ضَعِيفٌ، ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ كَمَا نَقُولُ، لِلْعَجْزِ الظَّاهِرِ فِي الثَّانِي[٦]، فَإِنْ

---

[٣] **(قديمين قويين):**

«القوي» هو المتمكن على فعل كل شيء، مع تمكنه من الانفراد بالشيء وفعله لوحده.

[٤] **(ضعيفين):**

الضعيف هو الذي لا يتمكن من فعل كل شيء، ولا يمكنه الانفراد، ولا مقاومة القوي.

[٥] **(صاحبه ويتفرد بالتدبير):**

أي كيف يكون قوياً وهو لا يتمكن من دفع الآخر والغلبة عليه، فإن تمكن من دفع الآخر كان الآخر ضعيفاً لا قوياً، والحاصل أنَّ في هذا القول تناقضاً فإن جعلهما قويين يلازم ضعفهما أو ضعف أحدهما.

وهذا الدليل مأخوذ من القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾(١).

وفي التبيين(٢): ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ﴾ شريك ﴿إِذًا﴾ أي إذا كان له شريك ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ بأن انحاز مع مخلوقاته من جانب ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ﴾ بالتغالب كما يفعل الملوك.

[٦] **(للعجز الظاهر في الثاني):**

ولم يذكر الإمام عليه السلام صورة كونهما ضعيفين لاتضاح الإشكال في كون الضعيف إلهاً.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

(٢) التبيين: ص٣٦٠.

قُلْتَ: إِنَّهُمَا اثْنَانِ[٧] لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَكُونَا مُتَّفِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، أَوْ

الدليل الثاني

[٧] **(فإن قلت: إنَّهما اثنان)**:

حاصل الدليل:

أنَّ الإلهين المزعومين إما متفقان من كل الجهات، وإما مختلفان من كل الجهات، وإما متفقان من جهة ومختلفان من جهة أخرى.

١ ـ أما الشق الأول فلازمه اتحادهما وعدم كونهما اثنين، لأنَّه لا بدَّ في الاثنينية من وجود ما يمتاز به أحدهما عن الآخر، فكل وجودين يجب أن يختلفا في شيء حتى يتعددا، أما المتفق من جميع الجهات فهو واحد في الحقيقة.

٢ ـ أما الشق الثاني فلازمه كون أحدهما كمال مطلق والآخر نقص مطلق، لأنَّ الاختلاف من جميع الجهات لازمه أن يكون أحدهما عالماً قادراً مريداً إلى آخر صفات الكمال، والآخر جاهلاً عاجزاً غير مريد إلى آخر صفات النقص.

مضافاً إلى أنَّ انتظام التدبير في العالم دليل على أنَّ الخالق واحد لا اثنين، لأنَّه لو كانا إلهين اثنين مختلفين في كل شيء لزم أن يظهر هذا الاختلاف في الإرادة والخلق.

٣ ـ وأما الشق الثالث فكذلك لازمه النقص في أحدهما في جهات الاختلاف وكذا ظهور الاختلاف في الخلق.

وهذا الدليل مأخوذ من القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١].

وفي التبيين[٢]: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾ في السماوات والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ غير الله ﴿لَفَسَدَتَاۚ﴾ خربت السماوات والأرض، فإنَّ إرادة كل:

١ ـ إن وافقت الأخرى، لزم تأثير علتين في معلول واحد، وتقع المطاردة إذ قدرة أحدهما تطرد قدرة الآخر.

٢ ـ وإن خالفت، لزم التصادم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) التبيين: ص٣٣٥.

مُفْتَرِقَيْنِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ فَلَمَّا رَأَيْنَا الْخَلْقَ مُنْتَظِماً[٨]، وَالْفَلَكَ جَارِياً، وَالتَّدْبِيرَ وَاحِداً، وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَلَّ صِحَّةُ الْأَمْرِ وَالتَّدْبِيرِ[٩] وَائْتِلَافُ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّ الْمُدَبِّرَ وَاحِدٌ. ثُمَّ يَلْزَمُكَ إِنِ ادَّعَيْتَ اثْنَيْنِ[١٠] فُرْجَةٌ مَا بَيْنَهُمَا

---

٣ ـ وإن تعلقت إرادة دون إرادة، لزم اجتماع المصلحة والمفسدة وهذا لا يعقل. انتهى.

[٨] **(فلما رأينا الخلق منتظماً):**

عدم ذكر الإمام عليه السلام لتفاصيل الشقوق الثلاثة واكتفائه بدليل انتظام الخلق على أنَّ الخالق واحد، إما لعدم استيعاب ذلك الزنديق لهذه الأمور الدقيقة أو لعدم الحاجة إلى ذكر كل شيء في مجلس المناقشة، لأنَّ الجدال بالتي هي أحسن يقتضي ذكر الدليل المقنع أو المسكت للخصم من غير تطويل في الأدلة.

[٩] **(دلّ صحة الأمر والتدبير...):**

إن قلت: لعلَّ هذا العالم صنع أحدهما لذا كان منتظماً بهذا الشكل، والآخر صنع عالماً آخر؟

قلت: هذا احتمال غير قادح، وذلك لأنَّه يكفي إثبات أنَّ خالق هذا العالم واحد لا اثنين، واحتمال وجود عالم آخر صرف احتمال كإمكان تحول الأحجار إلى علماء فضلاء فإنَّ هذا الاحتمال غير مفيد لأنَّا على علم ببقاء تلك الأحجار على حالها.

مضافاً إلى أنَّ النقاش كان مع زنديق ثنوي، وعليه إثبات إله آخر وصرف الاحتمال لا يكفيه.

هذا بالنسبة إلى هذا الدليل، وإلا فقد قام الدليل على استحالة وجود إله آخر كما مرّ الدليل السابق وسيأتي الدليل اللاحق.

الدليل الثالث

[١٠] **قوله (ثم يلزمك إن ادعيت اثنين...):**

هذا دليل ثالث لنفي إله آخر، وحاصله:

إنَّه لو كانا إلهين، يلزم أن يكون فاصلاً بينهما حتى يتميزا ولا يتحدا، وهذا

حَتَّى يَكُونَا اثْنَيْنِ، فَصَارَتِ الْفُرْجَةُ ثَالِثاً بَيْنَهُمَا قَدِيماً مَعَهُمَا فَيَلْزَمُكَ ثَلاثَةٌ، فَإِنِ ادَّعَيْتَ ثَلَاثَةً لَزِمَكَ مَا قُلْتَ فِي الِاثْنَيْنِ حَتَّى تَكُونَ بَيْنَهُمْ فُرْجَةٌ فَيَكُونُوا خَمْسَةً، ثُمَّ يَتَنَاهَى فِي الْعَدَدِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ فِي الْكَثْرَةِ، قَالَ هِشَامٌ: فَكَانَ مِنْ سُؤَالِ الزِّنْدِيقِ أَنْ قَالَ: فَمَا الدَّلِيلُ عَلَيْهِ[١١]؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وُجُودُ الْأَفَاعِيلِ[١٢] دَلَّتْ عَلَى أَنَّ صَانِعاً صَنَعَهَا، أَلَا تَرَى أَنَّكَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى بِنَاءٍ

الفاصل يعبّر عنه بالفرجة، ولأنَّهما قديمين يلزم أن تكون الفرجة قديمة حتى تكون مائزاً بينهما من الأزل، ولا يمكن قدم الفرجة إلَّا إذا وجب وجودها، وواجب الوجود له جميع صفات الكمال خالٍ من النقص، فصارت الفرجة مثلهما في جميع الجهات، فصارت الآلهة ثلاثة، وللتمييز بين الثلاثة يلزم وجود فرجتين فصاروا خمسة، وبين هذه الخمسة يحتاج إلى فرج أخرى، فيتسلسل إلى ما لا نهاية من الآلهة، وهذا ما لا يقول به الثنوية لأنَّهم يقولون بإلهين اثنين فقط، فضلاً عن بطلانه بالبداهة.

وفي كفاية الموحدين[١] شرح دليل الفرجة بطريق آخر فراجع.

دليل وجود الصانع

[١١] **قوله (فما الدليل عليه):**

الأدلة التي ذكرت، دلَّت على أنَّه واحد على تقدير وجوده، فما هو الدليل على أصل وجود الخالق؟

[١٢] **قوله (وجود الأفاعيل):**

«الأفاعيل» جمع أفعولة، وهو الفعل العجيب مع مراعاة الحكمة فيه، وذلك لا يكون إلَّا من خالق هو المبدىء الأول.

وحاصل هذا الدليل هو أنَّ الأثر يدلُّ على المؤثر، والعاقل لا بدَّ وأن يقول بوجود بانٍ في بناء صغير حتى إذا لم يشاهد ذلك الباني، فكيف بهذا العالم!!

---

(١) كفاية الموحدين: ج١، ص ٣٦٩ ـ ٣٧١.

مُشَيَّدٍ مَبْنِيٍّ[١٣] عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ بَانِياً وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَ الْبَانِيَ وَلَمْ تُشَاهِدْهُ[١٤]، قَالَ: فَمَا هُوَ[١٥]؟ قَالَ: شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ، ارْجِعْ بِقَوْلِي إِلَى إِثْبَاتِ مَعْنًى[١٦] وَأَنَّهُ شَيْءٌ

---

[١٣] **قوله (بناء مشيّد مبني):**

«مشيّد» أي مبني باستحكام كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(١).

و«مبني» وصف للتأكيد، كقوله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾(٢)، أو وصف لبيان أنَّ المراد ما كان مصنوعاً لإنسان، لا مثل الجبال ونحوها فإنَّها بناء مشيّد لكنَّها ليست مبنية لإنسان، فإنَّ المصنوع لإنسان لا يشكك عاقل في أنَّ له صانعاً حتى وإن لم يشاهده.

[١٤] **قوله (لم تر الباني ولم تشاهده):**

المشاهدة نفس الرؤية جيء بها للتأكيد.

عدم إدراك كنهه

[١٥] **قوله (قال فما هو):**

أي بعد أن ثبت وجوده، أراد السائل معرفة حقيقته وكنه ذاته، فأجابه عليه السلام بأنا لا نتمكن من معرفة الله بحقيقته بل المقدار الذي يمكننا تعقله هو أنَّه يختلف عن سائر الأشياء في جميع الجهات ـ في ذاته وصفاته ـ.

[١٦] **(ارجع بقولي إلى إثبات معنى):**

«بقولي» أي أريد من قولي: (بأنَّه شيء).

«إثبات معنى» أي موجود حقيقي، والحاصل أنِّي عندما أقول إنَّه شيء لا أريد الوجود الذهني الذي لا حقيقة له في خارج الذهن، بل أريد وجوداً حقيقياً وهو معنى لفظ الله.

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٠.

بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ[١٧]، غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ[١٨] وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ[١٩] وَلَا

---

[١٧] **(أنّه شيء بحقيقة الشيئية):**

«الشيء» هو الوجود أو الموجود.

ولعلَّ المراد من «حقيقة الشيئية» هو الوجود الحقيقي، لا أنَّه مجرد تصور وتوهم، فهو تعالى موجود لكن يختلف عن سائر الموجودات، لأنَّها أجسام ممكنة لها صورة ويمكن إحساسها بالحواس الظاهرة أو بالقوى الباطنة، وهو تعالى ليس بجسم ولا صورة له ولا يمكن إحساسه لا بالحواس الظاهرة ولا بالقوى الباطنة.

وفي معنى (حقيقة الشيئية) احتمالات أخرى لكنَّها غير ظاهرة من العبارة فراجع حاشية الوافي ومرآة العقول(١).

[١٨] **(لا جسم ولا صورة):**

كل الموجودات ـ سوى الله تعالى ـ أجسام، أي مركبة من المادة، فبعضها أجسام كثيفة كالحيوانات والنباتات، وبعضها أجسام لطيفة كالجن والملائكة والرُّوح.

وأما المجرد عن المادة فهو الله تعالى فقط، وما يُقال من وجود مجردات فلم يدلُّ عليه دليل عقلي ولا نقلي، بل دلَّ النقل على كون الملائكة والرُّوح أجسام لطيفة وللتفصيل راجع (الفقه: العقائد) للوالد «أعلى الله درجاته».

و«الصورة» هي العارض على الأجسام بحيث تكون شكلاً للجسم كخريطة البناء مثلاً.

[١٩] **(لا يُحسّ ولا يُجسّ):**

«لا يُحسّ»: أي لا يُرى، كقوله تعالى: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾(٢) وأصله عام لجميع الحواس، لكن يُراد منه هنا خصوص حاسة البصر.

---

(١) الوافي: ج١، ص٣٢٧، ومرآة العقول: ج١، ص٢٧٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٨.

يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ[٢٠]، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ[٢١] وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ[٢٢] وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ[٢٣].

«ولا يُجسّ»: أي لا يمكن لمسه باليد، كما يقال: «جسّ النبض».

[٢٠] **(ولا يدرك بالحواس الخمس):**

ذكر العام بعد الخاص، فأولاً ذكر عليه السلام حاسة البصر واللمس ثم عمّم الأمر لجميع الحواس الخمس، وإنَّما خصهما بالذكر لأنَّ سائر الآلهة المتفرقة ـ كالأصنام ـ الإحساس بها عادة يكون عبر البصر واللمس باليد، فأراد الإمام عليه السلام تنزيه الله تعالى من أمثال هذه التصورات الباطلة.

[٢١] **(لا تدركه الأوهام):**

أي لا تصل القوى الباطنية إلى كنه ذاته، كما أنَّ القوى الظاهرة ـ وهي الحواس ـ لا تصل إليه.

والوهم يمكن أن يُراد به العقل والخيال بل جميع قوى الإدراك في الإنسان.

[٢٢] **(لا تنقصه الدهور):**

نفي لأبرز آثار كون الشيء جسماً، وهو النقصان بعد مرور الأزمنة المتطاولة.

و«الدهر» هو مدة من الزمان ـ وخاصة إذا كان طويلاً ـ.

[٢٣] **(ولا تغيّره الأزمان):**

لأنَّ التغيّر من صفات الممكن، أما الواجب فلا يتغير، لأنَّ الأوصاف الثابتة في القدم لا بدَّ أن تكون واجبة، لأنَّه لا يمكن كون الشيء قديماً إلَّا إذا كان واجباً كي لا يحتاج إلى العلَّة، وما كان واجباً يستحيل عليه العدم لأنَّ الاتصاف بالعدم صفة الممكن لا الواجب، ومعنى التغيّر زوال الأوصاف القديمة وهذا محال، مضافاً إلى أنَّ الأوصاف في الواجب عين ذاته حتى لا يستلزم التركب فيه.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: حَدَّثَنِي عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: كَفَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ[١] بِخَلْقِ الرَّبِّ الْمُسَخِّرِ[٢]، وَمُلْكِ الرَّبِّ

الحديث السابع:

[١] **(كفى لأُولي الألباب):**

فاعل كفى هو (بخلق) والباء زائدة كقوله: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[(١)].

«أُولي الألباب» أي أصحاب العقول.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام قد أقام ثمانية أدلة على وجوده تعالى.

الدليل الأول

[٢] **(بخلق الرب المسخر):**

«الخلق»: مصدر بمعنى الإنشاء والإيجاد.

و«المسخر»: اسم فاعل صفة للرب بمعنى المسلّط، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾[(٢)] أي سلّطها عليهم.

ويمكن أن يكون الخلق بمعنى المخلوق، والمسخر اسم مفعول صفة للخلق كقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾[(٣)] أي ذلَّلها لكم لأجل المنافع، والأول أنسب للسياق حتى لا يكون الدليل الثالث تكراراً للدليل الأول.

وهذا الدليل استدلال بالأثر على المؤثر، لأنَّ نفس الإنشاء والإيجاد دليل على وجود المنشىء.

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٩.

(٢) سورة الحاقة: الآية ٧.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٣.

الْقَاهِرِ[٣]، وَجَلَالِ الرَّبِّ الظَّاهِرِ[٤]. وَنُورِ الرَّبِّ الْبَاهِرِ[٥] وَبُرْهَانِ الرَّبِّ

الدليل الثاني

[٣] **(وملك الرب القاهر):**

«الملك» ـ بضم الميم ـ: السلطة المطلقة من كل الجهات، أو ـ هنا ـ بمعنى الألوهية.

و«القاهر»: الغالب الذي يجبر الأشياء والأشخاص كيفما يشاء، صفة للرب، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(١) وهذا الدليل، استدلال بخضوع الجميع تحت نظام وقانون لا يمكنهم الخروج عنه، كقوله عليه السلام (ولا يمكن الفرار من حكومتك)(٢)، فالإنسان مهما أُوتي من طَول خاضع لقوانين الكون، وأقصى ما يمكنه الوصول إليه هو اكتشاف تلك القوانين ثم تطبيق حياته على طبقها، وهكذا هي عامة الاختراعات والاكتشافات.

والفرق بين هذا الدليل وسابقه، أنَّ ذاك كان استدلالاً بالخلق، وهذا استدلال بتصرفه في الخلق.

الدليل الثالث

[٤] **(جلال الرب الظاهر):**

«الجلال»: الارتفاع والعلو.

و«الظاهر»: صفة للرب بمعنى المنكشف بآثاره كقوله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾(٣) أي الظاهر بآثاره.

وهذا استدلال بعظمته في مخلوقاته، بمعنى أنا لمَّا نرى المخلوقات العظيمة كالنُّجوم والكواكب ونحوها نعلم بوجود خالق لها.

الدليل الرابع

[٥] **(ونور الرب الباهر):**

«النُّور»: هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦١.

(٢) مصباح المتهجد: ص٨٤٥. (دعاء كميل).

(٣) سورة الحديد: الآية ٣.

الصَّادِقِ[٦]، ....

و«الباهر»: النُّور الغالب على سائر الأنوار، كما يقال: «بهر القمر» إذا أضاء حتى غلب ضوؤه ضوء الكواكب.

وهذا استدلال بذاته تعالى، أي إنَّ ذاته تدلُّ عليه، كما في الدُّعاء (يا من دلت ذاته على ذاته)[١]، وقد يعبّر عن هذا الدليل ببرهان الصديقين، لأنَّ عامة الناس تستدل على الله بآثاره، والقليل ممَّن كملت فيهم العقول دليلهم عليه تعالى هو نفس ذاته، فكما أنَّ نور الشمس لا يستدلّ لها بآثارها بل نفسها دليل عليها، كذلك وجود الله تعالى الغالب على كل وجود دليل عليه تعالى. فتأمّل.

الدليل الخامس

[٦] **(برهان الرب الصادق)**:

«البرهان»: هو الدليل والحجَّة، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[٢].

وهذا استدلال بخلق الأنبياء والأئمة ﷺ، فإنَّ أصل خلقتهم ـ مع عظم شأنهم واتصافهم بالكمالات الجليلة والأوصاف العظيمة، وأنَّه لا يعقل أن يكون خلق كهؤلاء من أفعال الطبيعة الفاقدة للشعور ـ دليل على وجود خالق حكيم.

ولا يخفى المناسبة في الأوصاف المذكورة للرب في هذه الأدلة الخمسة فإنَّ الظاهر أنَّ الأوصاف كلها للرب لا للخلق والملك والجلال والنُّور والبرهان، وذلك لاقتضاء السياق، وإن كان يمكن إرجاعها أوصافاً لها.

فلما كان الخلق والمخلوقات تحت قدرة الله، وصف سبحانه بأنَّه المسخر.

ولما كان ملك الله غالباً على كل ملك، وصف سبحانه بالقاهر.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٤، باب ١٣، ص٣٣٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٤.

وَمَا أَنْطَقَ بِهِ أَلْسُنَ الْعِبَادِ[٧]، وَمَا أَرْسَلَ بِهِ الرُّسُلَ[٨]، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى

ولما كان جلال الله سبحانه ظاهراً على كل جلال، وصف سبحانه بالظاهر.

ولما كان نور الله غالباً على كل نور، وصف سبحانه بالباهر.

ولما كانت حجج الله صادقة، وصف سبحانه بالصادق.

الدليل السادس

[٧] **(وما أنطق به ألسن العباد):**

استدلال بالفطرة الموجودة في كل الناس، تلك الفطرة التي تظهر على ألسنتهم وقت الشدائد، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١) وفي التبيين(٢) فإنَّ الإنسان يجد من أعماق نفسه الاعتقاد بوجود إله للكون عالم قدير، بدون تبديل، حتى المشرك أيضاً لا يقدر أن يبدل خلقته وفطرته.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾(٣) فالجميع وقت الشدة يرجع إلى فطرته ويدعو الله تعالى، وهذا من أدلة وجوده سبحانه.

الدليل السابع

[٨] **(وما أرسل به الرسل):**

أي المعاجز التي جرت على أيدي الأنبياء عليهم السلام، ممَّا يستحيل على البشر الإتيان بمثلها.

فإنَّ تلك المعاجز كما أنَّها دليل على صدقهم في ادعائهم، كذلك دليل على خالق أرسلهم وحباهم بهذه المعجزات.

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) التبيين: ص٤١٩.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٣.

الْعِبَادِ[٩] دَلِيلاً عَلَى الرَّبِّ.

الدليل الثامن

[٩] (وما أنزل على العباد):
الكتب السماوية، والشرائع التي أنزلها تعالى على العباد، فإنَّ العاقل إذا لاحظ القرآن الكريم، ولاحظ الشريعة الإلهية وجدها كاملة من كل الجهات متطابقة مع خلق الإنسان وحاجاته، وهذا دليل على خالق أرسلها، عكس الشرائع البشرية التي كلَّما وضعوها اكتشفوا بعد فترة نواقص فيها أو خطأها من الأساس، ولذا حتى أرقى القوانين البشرية تتعرض للتغيير دائماً ـ ولو بعد حين ـ لوجود الثغرات الكثيرة فيها.

(تنبيه)

لا يخفى أنَّ هذه الفقرات الثمان أو الأدلّة الثمانية، فسرناها بما هو الأقرب، والمتقارب ألفاظها مع ألفاظ بعض الآيات الشريفة.
وفيها احتمالات أخرى يمكن مراجعة التفصيل في كتاب مرآة العقول للعلامة المجلسي رضوان الله عليه(١).

---

(١) مرآة العقول: ج١، ص٢٧٦ ـ ٢٨٠.

بَابُ إِطْلَاقِ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ شَيْءٌ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام[١] عَنِ التَّوْحِيدِ[٢] فَقُلْتُ: أَتَوَهَّمُ شَيْئاً[٣]؟ فَقَالَ: نَعَمْ، غَيْرَ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ[٤]،

«الإطلاق» بمعنى الجواز، أي يجوز القول بأنَّه شيء.

الحديث الأول:

[١] **(أبا جعفر عليه السلام):**

الإمام الجواد عليه السلام.

[٢] **(عن التوحيد):**

معنى التوحيد ـ حسب اصطلاح المتشرعة ـ، هو كل ما يتعلق بمعرفة الله تعالى سواء من مسائل الذات، أو الصفات، أو أي مسألة من المسائل الإلهية.

[٣] **(أتوهم شيئاً):**

استفهام بحذف أداته، بمعنى: هل يجوز أن أتصور الله تعالى.

[٤] **(نعم غير معقول ولا محدود):**

أي يجوز أن تعتبره تعالى شيئاً، ولكن لا يمكن أن تتصوره بكنهه وحقيقته، كما لا يمكن أن تجعل له تعالى حدوداً.

أما عدم إمكان تصوره بكنهه وحقيقته، فلأنَّه سبحانه غير متناهٍ وعقولنا محدودة، ولا يمكن إحاطة المتناهي باللامتناهي، بل قد مرّ أنَّ عقولنا عاجزة عن معرفة حقيقة كثير من الممكنات المخلوقات، بل بعض أوضح الأمور ـ كالوجود ـ لا يمكن معرفة حقيقتها.

فَمَا وَقَعَ وَهْمُكَ عَلَيْهِ[٥] مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ خِلَافُهُ[٦]، لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ[٧] وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ[٨] كَيْفَ تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا يُعْقَلُ[٩]، وَخِلَافُ

وأما عدم كونه محدوداً، فلأن الحدود العقلية والحسية هي صفة الممكنات، وسيأتي شرح ذلك إن شاء الله تعالى.

فالمقدار الممكن من المعرفة هو العلم بأنَّه موجود وأنَّه مستجمع لصفات الكمال منزَّه عن صفات النقص.

[٥] **(فما وقع وهمك عليه):**

تفريع لقوله عليه السلام: «غير معقول ولا محدود»، أي حيث إنَّه لا يمكن معرفته بحقيقته ولا يمكن جعل حدّ له، فكل ما نتصوره بأذهاننا وبعقولنا فهو ليس الله تعالى وذلك لأنَّ ما في الذهن أمر محدود بحدود عقلية أو حدود حسية.

[٦] **(فهو خلافه):**

لأنَّ الوهم يدرك شيئاً متناهياً محصوراً موصوفاً بصفات الممكن، وهو تعالى غير متناهٍ ولا محصور وليس له صفات الممكنات.

[٧] **(لا يشبهه شيء):**

لأنَّ جميع الأشياء مخلوقات له، وهو القديم وحده، وحيث إنَّ الممكنات لا تشبهه وكل ما ندركه بحواسنا وبأوهامنا هو ممكن، فلا يمكن أن نجعله شبيهاً لها.

[٨] **(ولا تدركه الأوهام):**

هذا كالنتيجة لما قبله، أي لأنَّه ليس له شبيه فلا يمكن للأوهام أن تدركه.

وقد مرّ أنَّ المراد بالوهم هو القوى الباطنية للإنسان، وقد يُستعمل ويُراد به ما يعمُّ العقل أيضاً.

[٩] **(وهو خلاف ما يعقل):**

لعلَّ المراد بـ«خلاف ما يعقل» هو (خلاف ما يتصور) وما بعده عطف تفسيري للتوضيح. أو الأول: بمعنى لا يمكن معرفة كنهه، والثاني: بمعنى لا صورة له حتى يمكن تمثلها في الذهن.

مَا يُتَصَوَّرُ[١٠] فِي الْأَوْهَامِ؟! إِنَّمَا يُتَوَهَّمُ شَيْءٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ وَلَا مَحْدُودٍ[١١].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ: إِنَّهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ[١].

---

[١٠] **(خلاف ما يتصور):**

لأنَّ الإنسان بسبب محدوديته وأنَّه محكوم بالزمان والمكان فكل ما يتصوره يكون مشابهاً لما رآه أو سمعه، فلا يمكنه أن يتصور شيئاً لا شبيه له في الممكنات، نعم يمكنه الإذعان بوجود الخالق من غير تصور لحقيقته.

[١١] **(إنَّما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود):**

بيان للنتيجة، فالإمام عليه السلام ذكر أمراً، ثمّ استدلّ له، ثم بيَّن النتيجة ـ وهي نفس ما ذكره أولاً، ونظيره ادعاء أمر ثم الاستدلال عليه ثم تكرار المدعى الذي هو نتيجة الاستدلال.

وجعل الكليني رضوان الله عليه هذه الرواية في هذا الباب لأجل أنَّ الإمام عليه السلام أطلق لفظ الشيء على الله تعالى في قوله: (إنما يتوهم شيء)، ويمكن أن يكون لأجل حمل معنى قول السائل: (أتوهم شيئاً) على أنَّ مراده هل أقول إنَّه شيء.

الحديث الثاني:

[١] **(يخرجه من الحدين: حدّ التعطيل وحدّ التشبيه):**

١ ـ «التعطيل» هو نفي جميع الصفات عنه تعالى، كما ينسب إلى المعتزلة حيث أرادوا تنزيه الله تعالى من التركب فأنكروا الصفات، والصحيح هو إثبات الصفات من غير استلزام للتركيب أي كون الصفات عين الذات بلا مغايرة في الوجود.

وأما ما عن بعض المتكلمين من «إرجاع جميع الصفات الثبوتية إلى صفات

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي الْمَغْرَاءِ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ[١]،

سلبية، فقالوا معنى العالم أنَّه غير جاهل، والقادر أنَّه غير عاجز وهكذا، وذلك لعدم إمكان تصور كنه صفاته لأنَّها عين ذاته ولا يمكن معرفته تعالى بحقيقته ـ كما مرّ ـ»، فهذا ليس من التعطيل، بل إثبات صفات لكن مع الإقرار بعدم معرفة كنهها. فتأمل.

٢ ـ «التشبيه» هو الاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١).

الحديث الثالث:

[١] **(إنَّ الله خلو من خلقه):**

«الخِلو» ـ بالكسر ـ الخالي، أي إنَّ الله مغاير لمخلوقاته، فهو لا يكون جزءاً من مخلوق، ولا صفة لمخلوق.

فلا يصحّ ما ذهبت إليه الأشاعرة من أنَّ الصفات زائدة على الذات، لأنَّ الصفات الزائدة لا بدَّ أن تكون مخلوقة وإلا لزم تعدد القدماء وهو باطل، مضافاً إلى فقدانه لها في رتبة ذاته وافتقاره إليها، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولا يصحّ أيضاً ما ذهبت إليه الكرامية من أنَّ صفاته حادثة مخلوقة له، لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، فكيف يكون علمه مخلوقاً له مع أنَّ غير العالم لا يمكنه إعطاء العلم، مضافاً إلى الفقدان في مرتبة الذات والافتقار.

ولا يصحّ أيضاً قول بعض الصوفية من أنَّ الماهيات الممكنة عرضت على ذاته تعالى كأمواج البحر، فإنَّ بطلان هذا بديهي، ويكذبه ضرورة التغاير بين الموجودات، وأما أمواج البحر فلأنَّ البحر مركب من أجزاء فأمكن تصور بعض الأجزاء بصور الأمواج، والله تعالى غير مركب.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ[٢]، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ[٣] اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ.

---

[٢] **(وخلقه خلو منه):**

أي لا يكون جزءاً من شيء أو صفة لشيء، كما أنَّه لا يحلّ في المخلوقات فلا تكون ظرفاً له أو متحدة معه. لأنَّ جميع الأشياء مخلوقة له وهي محدودة، وهو تعالى غير محدود ولا يعقل إحاطة المحدود باللامحدود.

فلا يصحّ ما ذهبت إليه النصارى من اتحاده مع المسيح عليه السلام[١].

كما لا يصحّ ما ذهب إليه بعض الغلاة بأنَّه ظهر في صورة البشر الكاملين وأولى الناس بذلك أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام.

كما لا يصحّ ما ذهب إليه بعض الصوفية، من أنَّ السالك إذا أمعن في السلوك وخاض لجة الوصول فربما يحل الله فيه، حتى أنَّ بعضهم كان يقول ليس في جبتي سوى الله ـ تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً ـ.

كما لا يصحّ ما ذهب إليه القائلون بوحدة الوجود والموجود حيث زعموا أنّه لا موجود إلّا الله فهو حقيقة واحدة تتكرر على المظاهر، وإنَّما الكثرة في الإضافات والتعيينات التي هي الخيال والسراب. وهذا بديهي البطلان وسفسطة مقابل الحقيقة وأمر قائلها دائر بين القول باتحاد جميع الموجودات مع الله تعالى وبين القول بعدم تحقيق موجود آخر في الواقع، وكل منهما سفسطة تحكم بديهة العقل ببطلانه وضرورة الدِّين بفساده وطغيانه ـ كما ذكر ذلك العلامة المجلسي في المرآة[٢].

[٣] **(وكل ما وقع عليه...):**

هذا كالنتيجة لما قبله، أي بما أنَّ الله مغاير للمخلوقات وهي مغايرة له تعالى، إذن كل الأشياء مخلوقات له تعالى وليست هي جزء منه أو صورة له أو صفة له تبارك وتعالى.

---

(١) ولمعرفة تفاصيل مذاهبهم في الحلول ونحوه يُراجع (مرآة العقول) للمحدث والعالم الجليل العلامة المجلسي رضوان الله عليه ج١، ص٢٨٣.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٨٤.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلْقَهُ خِلْوٌ مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، تَبَارَكَ الَّذِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ[١] وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[١] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خِلْوٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقَهُ خِلْوٌ

الحديث الرابع:

[١] **(تبارك الذي ليس كمثله شيء)**:

«تبارك» أي دام خيره، كقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)، والإمام عليه السلام بمناسبة أنَّ الله خالق كل شيء أتمَّ الكلام بأنَّ كل خير منه تعالى، وأنَّ خيره دائم ثابت، وأنَّ خلق الأشياء خير منه تعالى لها.

ومعنى «ليس كمثله شيء» هو: ليس كذاته تعالى شيء، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، وتوصيفه بالسميع البصير لكي لا يتوهم أحد أنَّ السمع والبصر من صفات الممكنات فلذا لا سمع ولا بصر له، وذلك لأنَّ صفاته أيضاً تختلف عن صفات البشر، فعدم التماثل معناه عدم اشتراك شيء معه في أي صفة من الصفات، وقد مرّ أنَّ السمع والبصر فيه تعالى بمعنى العلم بالمسموعات والمبصرات.

الحديث الخامس:

[١] **(عن أبي جعفر عليه السلام)**:

هذا نفس الحديث الثالث لكن بسند آخر، وقد كان من دأبهم تكرار الحديث بتعدد السند تقوية للحديث، وأحياناً كانوا يكتفون بذكر السند الثاني من غير تكرار لمتن الحديث.

---

(١) سورة الملك: الآية ١.

مِنْهُ، وَكُلُّ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ تَعَالَى فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو الْفُقَيْمِيِّ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِلزِّنْدِيقِ حِينَ سَأَلَهُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ شَيْءٌ بِخِلَافِ الْأَشْيَاءِ ارْجِعْ بِقَوْلِي إِلَى إِثْبَاتِ مَعْنًى وَأَنَّهُ شَيْءٌ بِحَقِيقَةِ الشَّيْئِيَّةِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا يُحَسُّ وَلَا يُجَسُّ وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ، وَلَا تَنْقُصُهُ الدُّهُورُ، وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَزْمَانُ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَتَقُولُ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟[١] قَالَ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ[٢] سَمِيعٌ بِغَيْرِ

الحديث السادس:

وهذا الحديث تتمة الحديث السادس من الباب السابق أي «باب حدوث العالم وإثبات المحدث». وفي هذا المقطع جواب عن شبهات ذلك الزنديق، وسؤالاته.

١ ـ توهم السائل وجوابه

[١] **(فتقول إنَّه سميع بصير)**:

لعلَّ السائل توهم أنَّ السمع والبصر من صفات الأجسام، فلذا سأل بأنَّك حيث نفيت عنه الجسميَّة فكيف أثبتَّ له السمع والبصر؟

أو أنَّ السائل أراد الإشكال على قول الإمام عليه السلام (لا تدركه الأوهام) فما لا تدركه كيف تصفه، إذ لا يمكن وصف شيء مجهول؟

[٢] **(هو سميع بصير)**:

وحاصل الجواب أنَّ الأوهام لا تدرك كنه ذات الله، ولكنَّا نعلم إجمالاً بأنَّه مستجمع لصفات الكمال، خالٍ من صفات النقص، والسمع والبصر من صفات الكمال، ولكن سمعه وبصره يختلف عن سمعنا وبصرنا، لأنَّا نسمع بالآذان ونبصر بالعيون، ومعنى السمع والبصر فيه أنَّه عالم بالمسموعات والمبصرات محيط بها.

جَارِحَةٍ[٣] وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ[٤]، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ[٥]؛ لَيْسَ قَوْلِي: إِنَّهُ سَمِيعٌ[٦] يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَبَصِيرٌ يُبْصِرُ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرُ وَلَكِنْ

---

[٣] **(سميع بغير جارحة):**
تسمّى الأعضاء الظاهرة بالجارحة، لأنَّ الحيوانات تجرح بمخالبها وأيديها وكذلك الإنسان يصيد بيديه، ثم عمّمت الكلمة للأعضاء الظاهرة وإن لم يكن بها الجرح، قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾(١) أي يعلم ما كسبتم بجوارحكم من الأعمال المختلفة، كما أنَّ الجوانح هي الأضلاع التي تحيط بالأعضاء الباطنية، ثم أُطلقت على الأفعال المرتبطة بالقلب.

[٤] **(بغير آلة):**
أي بغير «عين» وهي الجارحة التي تكون وسيلة للإبصار، وتبديل الجارحة بالآلة تفنن في العبارة.

[٥] **(يسمع بنفسه ويبصر بنفسه):**
لأنَّ صفات الله الذاتية هي عين ذاته، وليست زائدة عليه، ولا هو تعالى مركّب من الذات والصفات.

٢ ـ دفع وهم

[٦] **(ليس قولي إنّه سميع...):**
لما كان قوله عليه السلام (يسمع بنفسه) مظنة توهم أنَّ لله نفساً، أنّه غير النفس، كما أنَّ الإنسان مركب من بدن وروح ونفس، أراد عليه السلام دفع هذا التوهم.
قال تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾(٢)، أي أوجب على نفسه أن يرحم، ومعنى ذلك أنّه وعد بالرحمة، فالنفس هنا بمعنى الذات لا أنَّ النفس غير الذات.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢.

أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي[٧] إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولاً وَإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً، فَأَقُولُ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بِكُلِّهِ[٨] لَا أَنَّ الْكُلَّ مِنْهُ لَهُ بَعْضٌ[٩] وَلَكِنِّي أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ

وحاصل الجواب ـ لدفع التوهم ـ هو أنَّ الرسل والأوصياء كلفوا بأن يكلموا الناس بلسانهم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١) أي بلغة قومه كي لا يحتاجوا إلى ترجمة، وقال سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾(٢) أي أنزلناه على لغتك، والمعنى أنَّه نزل القرآن على لغتهم بمفرداتها وبإطلاقاتها وبكيفية استعمالاتها، فمثلاً الآيات التي تتكلم حول الله سبحانه جاءت بشكل يفهم ظاهرها جميع من يعرف اللغة العربية حتى الأُميين فلذا كثرت الآيات المتشابهة المحتاجة إلى التأويل، فإنَّ الظاهر أنيق يفهمه الكل وباطنه عميق يحتاج إلى بيان الحقائق والغوامض والدقائق فيه.

[٧] **(عبارة عن نفسي):**

أي التعبير عمّا في نفسي.

[٨] **(سميع بكلّه):**

لأنَّ الله سبحانه ليس بمركب، بل صفاته الذاتية هي عين ذاته، ولما كان السمع والبصر فيه بمعنى العلم بالمسموعات والمبصرات وكان العلم من صفات الذات، كان سميعاً بكلّه، بصيراً بكلّه.

٣ ـ ردّ توهم آخر

[٩] **(لا أنَّ الكل منه له بعض):**

وأيضاً لما كان قوله (بكلّه) مظنة توهم أنَّ له أجزاء، لأنَّ الكل مركب من الأجزاء، لذا أراد عليه السلام دفع هذا التوهم فقال ليس المقصود أنَّ (كلّه) بمعنى أنَّ الكلّ أبعاض وأجزاء، بل المقصود أنَّ صفاته عين ذاته.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) سورة مريم: الآية ٩٧.

وَالتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ[١٠] إِلَّا إِلَى أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ[١١] بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ وَلَا اخْتِلَافِ الْمَعْنَى[١٢]. قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَمَا هُوَ[١٣]؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١٤]: هُوَ الرَّبُّ وَهُوَ

---

[١٠] **(وليس مرجعي في ذلك...)**:
أي مقصودي ومرجع كلامي «بأنَّه سميع بكلّه» إلى أنَّ السمع والبصر عين ذاته.

[١١] **(العالم الخبير)**:
«العلم»: هو انكشاف الأشياء، و«الخبرة» هو العلم بالتفاصيل والدقائق، وذكر هذين الوصفين للإشارة إلى أنَّ «السمع والبصر» مرجعهما إلى العلم التفصيلي الكامل بالمسموعات والمبصرات.

[١٢] **(بلا اختلاف الذات ولا اختلاف المعنى)**:
أي بلا اختلاف الذات بالأجزاء، ولا اختلاف المعنى أي الصفات بكونها متعددة متغايرة.
ومن غير أن يكون تغاير بين الذات والصفات، فصفاته عين ذاته.

٤ ـ سؤال عن كيفية معرفته

[١٣] **(قال له السائل فما هو)**:
حاصل الإشكال: أنَّه إذا كانت صفاته عين ذاته وليس لذاته أجزاء فكيف تمكن معرفته؟
لأنَّ معرفة الأشياء إما بأجزائها أو بأوصافها الزائدة عليها.
فقولكم بأنَّه لا أجزاء له ولا صفات زائدة معناه عدم إمكان معرفته!

[١٤] **(قال أبو عبد الله عليه السلام)**:
حاصل الجواب: أنَّ معرفة الشيء لا تنحصر بمعرفته عبر أجزائه أو أوصافه الزائدة، بل هناك طرق أخرى يمكن معرفة الأشياء بها.
منها: المعرفة عبر الآثار والأفعال، كما أنَّ القوى الباطنية مجهولة لنا لا نعرفها إلَّا عن طريق آثارها.
ومنها: المعرفة عبر الاسم، أي ننتقل من الاسم إلى المسمى.

الْمَعْبُودُ وَهُوَ اللَّهُ[١٥]، وَلَيْسَ قَوْلِي: اللَّهُ[١٦] إِثْبَاتَ هَذِهِ الْحُرُوفِ[١٧]:

---

[١٥] **(هو الربّ وهو المعبود وهو الله):**

«الربّ» أي يعرف بفعله حيث خلق الأشياء وربّاها قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(١) أي أعطى المخلوقات صورتها وأرشدها إلى ما يجلب النفع ويدفع الضرر، فيعرف بأثره في المخلوقات.

«المعبود» أي ويعرف باحتياج العباد إليه، والممكن لا بدَّ وأن ينتهي إلى الواجب القديم.

«الله» أي ويعرف بواسطة ذاته، فإنَّ الأشياء قد تُعرف بواسطة نفسها، ولعلَّه المراد من (اعرفوا الله بالله) كما سيأتي.

ولا يخفى أنَّ هذه الأمور الثلاثة مترتبة، فأولاً يُعرف بآثاره، ثم يُعرف بالافتقار إليه، ثم يُعرف بنفسه. فالإمام عليه السلام جمع في هذه الكلمات الثلاث ثلاثة براهين على وجوده تعالى.

وفي معنى العبارة احتمالات أخرى(٢).

٥ ـ ردّ توهم

[١٦] **(وليس قولي الله...):**

أيضاً دفع لتوهم، وذلك لأنَّ الإمام عليه السلام قال: «هو الرب وهو المعبود وهو الله» وحيث إنَّ بعض المتكلمين توهموا أنَّ الاسم عين المسمى، أراد الإمام عليه السلام إزاحة هذا التوهم، وأنَّه لا يقصد ما يقصده هؤلاء، بل الخالق هو معنى هذه الأسماء وليس نفس هذه الأسماء، وسيأتي في «باب المعبود» تفصيل ذلك أكثر.

[١٧] **(إثبات هذه الحروف):**

أي ليس المراد بيان أنَّ الله تعالى هو هذه الحروف.

---

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

(٢) يُراجع مرآة العقول: ج١ ص٢٨٦ ـ ٢٨٧، وحاشية الوافي: ج١، ص٣٢٨.

أَلِفٍ وَلَامٍ وَهَاءٍ، وَلَا رَاءٍ وَلَا بَاءٍ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى مَعْنًى[١٨] وَشَيْءٍ خَالِقِ الْأَشْيَاءِ وَصَانِعِهَا، وَنَعْتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ[١٩] وَهُوَ الْمَعْنَى سُمِّيَ بِهِ[٢٠] اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ وَالْعَزِيزُ[٢١] وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ وَهُوَ

---

[١٨] **(لكن ارجع إلى معنى):**

أي أقصد إثبات حقيقة ـ وهو المسمى بهذه الحروف ـ وذلك المسمى هو الخالق والصانع، أي الصفات ليست للاسم والحروف، بل الصفات للمعنى والمسمى.

وهذا المقطع كأنَّه دليل على أنَّ الاسم ليس هو المسمى، ولذا الأوصاف تنطبق على المسمى ولا تنطبق على الاسم.

[١٩] **(ونعت هذه الحروف):**

بالجر عطف على قوله: «معنى وشيء» أي ارجع إلى معنى وإلى شيء وإلى نعت هذه الحروف. فالمراد: ارجع إلى صفة هذه الحروف ومعناها وهو المسمى(١).

وفي توحيد الصدوق «ولكن ارجع إلى معنى هو شيء خالق الأشياء وصانعها، وقعت عليه هذه الحروف وهو المعنى الذي يسمى به»(٢).

[٢٠] **(وهو المعنى سُمِّي به):**

أي الخالق ليس الأسماء، وإنَّما معنى الأسماء، وذلك المعنى سُمِّي بهذه الأسماء.

وضمير «به» يرجع إلى الاسم، أي المعنى سُمِّي بالاسم.

[٢١] **(الله والرحمن والرحيم والعزيز):**

١ ـ (الله...) بدل من الضمير في (به)، أي سُمِّي بالله والرحمن والرحيم والعزيز...الخ، فالمعنى سمي بهذه الأسماء وأشباهها.

٢ ـ ويمكن أن يكون «الله» مبتدأ و«من أسمائه» خبر.

٣ ـ ويمكن أن يكون المعنى سُمّي هو بالله والرحمن...الخ. فيكون

---

(١) وفي تركيب العبارة احتمالات أخرى، يُراجع مرآة العقول: ج١ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ وحاشية الوافي: ج١، ص٣٢٨.

(٢) حاشية الوافي: ج١، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩.

الْمَعْبُودُ جَلَّ وَعَزَّ[٢٢]. قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَإِنَّا لَمْ نَجِدْ مَوْهُوماً إِلَّا مَخْلُوقاً[٢٣]، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢٤]: لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لَكَانَ التَّوْحِيدُ عَنَّا

«الضمير» نائب الفاعل، و«بالله» مفعول بالتعدية بحرف الخبر، ثم قلبت المواقع فجعل الضمير مفعولاً بالتعدية و«الله» نائب فاعل في اللفظ مع بقاء المعنى على ما هو عليه.

[٢٢] **(وهو المعبود جل وعزَّ):**
أي الأسماء ليست المعبود بل معنى الأسماء هو المعبود.
جلّ عن أن يكون هو الأسماء، وهو أعزّ من أن تكون الأسماء متحدة معه، بل الأسماء مخلوقات له وهي تشير إليه.

٦ ـ شبهة أخرى وجوابها

[٢٣] **(فإنا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً):**
لما قال الإمام عليه السلام ـ في صدر الحديث ـ: «لا تدركه الأوهام» أراد السائل الإشكال على هذا الكلام، وحاصل شبهته:
أنَّ ما يمكن إدراكه يكون مخلوقاً، لأنَّ ما يحصل في الوهم هو مخلوق للذهن وهو متصف بصفات المخلوقين، وما لا يمكن إدراكه لا يمكن الاعتقاد به، لأنَّ التصديق والاعتقاد فرع التصور، فإذا لم يمكن التصور ما أمكن التصديق.
وبعبارة أخرى: إنَّ أمركم دائر بين أمرين:
١ ـ ما يحصل في الوهم مخلوق.
٢ ـ ما لا يحصل في الوهم لا يكون مدركاً.

[٢٤] **(قال أبو عبد الله عليه السلام لو كان ذلك):**
حاصل الجواب:
أنَّ الإدراك ليس مستلزماً لحصول حقيقة المدرك في الوهم.
فإنا ننفي توهمه بحقيقته لأنَّ معرفة كنهه محال، ولا ننفي معرفته إجمالاً بأن نعرف وجوده وأنَّه موصوف بصفات الكمال منزَّه من صفات النقص.

مُرْتَفِعاً[٢٥] لِأَنَّا لَمْ نُكَلَّفْ غَيْرَ مَوْهُومٍ[٢٦] وَلَكِنَّا نَقُولُ: كُلُّ مَوْهُومٍ[٢٧] بِالْحَوَاسِّ مُدْرَكٍ بِهِ تَحُدُّهُ الْحَوَاسُّ وَتُمَثِّلُهُ فَهُوَ مَخْلُوقٌ، إِذْ كَانَ النَّفْيُ هُوَ الْإِبْطَالَ وَالْعَدَمَ[٢٨]، وَالْجِهَةُ الثَّانِيَةُ: التَّشْبِيهُ إِذْ كَانَ التَّشْبِيهُ هُوَ صِفَةَ

وإنَّما قلنا «لا تدركه الأوهام» لأنَّ ما في الوهم مخلوق وذلك لجهتين:

الأولى: الشيء لم يكن في الوهم والتصور، ثم يحصل ذلك الشيء في الوهم، ثم لدى الغفلة ينعدم ذلك الشيء، وكل ما كان معدوماً ثم وجد ثم يعدم لا يمكن أن يكون خالقاً بل هو مخلوق.

الثانية: إنَّ ما في الوهم شبيه المخلوقات، وكل ما له شبيه يكون مركباً، لأنَّ معنى الشبه أن يتشاركا من جهة ويختلفا من جهة أخرى، لأنَّهما إن لم يتشاركا في جهة فلا تكون مماثلة، وإن لم يختلفا من أية جهة فلا اثنينية بل وحدة.

[٢٥] **(لكان التوحيد عنَّا مرتفعاً)**:

لأنَّه لا يمكن التصديق والاعتقاد إلَّا بعد التصور، فإذا امتنع التصور امتنع الاعتقاد، ولا يعقل التكليف بالممتنع.

[٢٦] **(لم نكلّف غير موهوم)**:

في المرآة[١]: «أي لا نكلف ما لا ندركه بالوهم، ولكن ليس الإدراك بالوهم مستلزماً لحصول حقيقة المدرك في الوهم» انتهى.

بل ندرك بعقولنا أنَّه موجود وأنَّ متصف بجميع الكمالات منزَّه من جميع النقائص.

[٢٧] **(لكنَّا نقول: كل موهوم)**:

هذا الوجه الأول لكون ما في الوهم مخلوقاً.

[٢٨] **(إذ كان النفي هو الإبطال والعدم)**:

أي عدم كون ما في الوهم موجوداً سابقاً وانعدامه لاحقاً، دليل على أنَّ ما في الوهم مخلوق.

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٨٨.

الْمَخْلُوقِ الظَّاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ، فَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ[٢٩] لِوُجُودِ الْمَصْنُوعِينَ وَالِاضْطِرَارِ إِلَيْهِمْ[٣٠] أَنَّهُمْ مَصْنُوعُونَ وَأَنَّ صَانِعَهُمْ غَيْرُهُمْ وَلَيْسَ مِثْلَهُمْ[٣١] إِذْ كَانَ مِثْلُهُمْ شَبِيهاً بِهِمْ فِي ظَاهِرِ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ، وَفِيمَا

وهذه الرواية في التوحيد للصدوق هكذا: «ولكنَّا نقول كل موهوم بالحواس مدرك ممَّا تحدّه الحواس وتمثله فهو مخلوق، ولا بدَّ من إثبات صانع الأشياء خارج الجهتين المذمومتين:

أحدهما: النفي، إذ كان النفي هو الإبطال والعدم.

والجهة الثانية: التشبيه، إذ كان التشبيه من صفة المخلوق الظاهر التركب والتأليف» انتهى[١].

[٢٩] **(فلم يكن بدَّ من إثبات الصانع)**:

أي إنَّ العقل يحكم ببداهة بوجود الخالق لاستحالة تحقق المعلول من غير علَّة، ولا يمكن أن يكون ما في الذهن هو الخالق لأنَّ ما في الذهن مخلوق.

والحاصل: ندرك بعقولنا وجود الصانع، لكن لا يمكن تصوره بكنهه وحقيقته.

وبعبارة أخرى: يمكن إدراك المفهوم مع عدم إمكان تصور المصداق، كما يقال في نظيره إنَّ اجتماع النقيضين لا يمكن تحقق مصداقه في الذهن لكن يتحقق مفهومه.

[٣٠] **(والاضطرار إليهم)**:

أي اضطراراً ينتهي إليهم، ويمكن أن تكون «إلى » بمعنى «اللام» أو بمعنى «من» والمعنى بداهة أنّهم مصنوعون. . . . الخ.

[٣١] **(ليس مثلهم)**:

أي ليس مثلهم من جميع الجهات، إذ المثلية ـ ولو من وجه واحد ـ تستلزم التركيب، والمركب يحتاج إلى أجزائه.

---

(١) الوافي: ج١، ص٣٣٢.

يَجْرِي عَلَيْهِمْ[٣٢] مِنْ حُدُوثِهِمْ بَعْدَ إِذْ لَمْ يَكُونُوا، وَتَنَقُّلِهِمْ مِنْ صِغَرٍ إِلَى كِبَرٍ وَسَوَادٍ إِلَى بَيَاضٍ وَقُوَّةٍ إِلَى ضَعْفٍ وَأَحْوَالٍ مَوْجُودَةٍ لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى تَفْسِيرِهَا لِبَيَانِهَا[٣٣] وَوُجُودِهَا. قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَقَدْ حَدَدْتَهُ[٣٤] إِذْ أَثْبَتَّ وُجُودَهُ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: لَمْ أَحُدَّهُ[٣٥] وَلَكِنِّي أَثْبَتُّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ

---

[٣٢] (وفيما يجري عليهم...):
وهذا وجه آخر لعدم تركبه تعالى، لأنَّ كل مركب محتاج، فيكون في مرحلة ذاته مفتقراً ناقصاً. ثم زاد ﷺ البيان بذكر نقائص المخلوقات، لينزّه الله تعالى عن مشابهتهم.

[٣٣] (لبيانها):
أي لوضوحها، فلا نحتاج إلى بيان نقائص المخلوقات وتغيُّرها.

٧ ـ شبهة وجوابها

[٣٤] (قال له السائل فقد حددته...الخ):
توهم السائل أنَّ إثبات الوجود له تعالى يستلزم كونه محدوداً بصفة هي الوجود، إذ كل موصوف محدود بتلك الصفة!!

[٣٥] (قال أبو عبد الله ﷺ لم أحدّه):
حاصل الجواب: أنَّ إثبات الوجود لشيء، ليس بمعنى جعل حدّ لذلك الشيء، لأنَّ الوجود قد لا يكون من الصفات المغايرة للذات كما في الله تعالى.
وحيث لا واسطة بين الوجود والعدم، فإن لم يكن موجوداً فلا محالة يكون معدوماً، وحيث إنَّ العقل يحكم بلزوم صانع للأشياء علمنا بأنَّه موجود من غير أن يكون الوجود حدّ له بل ذاته غير محدودة ولا متصفة بصفات مغايرة.
ويمكن أن تكون شبهة السائل عن أنَّك تصورته وحكمت عليه بأنَّه موجود، وكل ما في الذهن محدود.
فتكون جواب الشُّبهة: أنَّه لا يلزم تحديده ـ وكون حقيقته حاصلة في الذهن

بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ مَنْزِلَةٌ. قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَهُ إِنِّيَّةٌ وَمَائِيَّةٌ؟[٣٦] قَالَ: نَعَمْ لَا يُثْبَتُ الشَّيْءُ[٣٧] إِلَّا بِإِنِّيَّةٍ وَمَائِيَّةٍ[٣٨]. قَالَ لَهُ السَّائِلُ: فَلَهُ

أو محدود بصفة ـ، فإنَّ الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن ـ كذا في المرآة ـ[١].

٨ ـ سؤال وجواب

[٣٦] **(فله إنِّية ومائية؟)**:

«الإنية»: الذات المنتزع منها الوجود.

و«المائية»: الحقيقة التي ينتزع منها الوجود.

ولا يخفى أنَّ الفرق بينهما اعتباري.

[٣٧] **(قال نعم لا يثبت الشيء... الخ)**:

حاصل الجواب:

هو أنَّه لا يمكن لنا إثبات شيء إلَّا إذا انتزعنا الوجود من ذاته وحقيقته فنقول إنَّه موجود. فلما ندرك ثبوت الذات وتحققها في الخارج نقول: إنَّها موجودة، فانتزاع الوجود منها لا يرتبط بها، بل هو عمل أذهاننا لندرك وجودها.

وبعبارة أُخرى: هنالك مرحلتان:

مرحلة الثبوت: أي تحقق الشيء في الخارج ـ سواء علم الناس به أم جهلوه ـ.

ومرحلة الإثبات: أي لما يلتفت الإنسان إلى تحقق ذلك الشيء، يحكم بأنَّه موجود.

ويمكن أن يكون قوله عليه السلام: (لا يثبت) إشارة إلى مرحلة الثبوت، أي لا يمكن لشيء أن يكون موجوداً إلَّا إذا كان ذاتاً حقيقة فتأمل.

[٣٨] **(إلا بإنية ومائية)**:

المراد «بالمائية» الحقيقة التي ينتزع عنها الوجود، وهذا يختلف عن

(١) المرآة: ج١، ص٢٩١.

كَيْفِيَّةٌ؟[٣٩] قَالَ: لَا لِأَنَّ الْكَيْفِيَّةَ[٤٠] جِهَةُ الصِّفَةِ وَالْإِحَاطَةِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْخُرُوجِ[٤١] مِنْ جِهَةِ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ، لِأَنَّ مَنْ نَفَاهُ فَقَدْ

اصطلاحهم في «الماهية» حيث يريدون بها حدود الوجود ـ من الجنس والفصل ـ والماهية حسب هذا الاصطلاح تغاير الوجود، والباري تعالى لا ماهية له بهذا المعنى إذ هو ليس بمركب ولا حدّ لوجوده.

٩ ـ سؤال وجواب

[٣٩] **(فله كيفيَّة؟):**

«الكيف» هو الصفات الزائدة على الذات والتي تَعرض عليها، وإنَّما سأل هذا السؤال، لأنَّ كل ما يشاهده له كيفيات وصفات غير ذاته، والدليل على التغاير هو أنَّ الصفات كثيراً ما تتغيّر من غير أن تتغيّر الذات، فالشيء قد يكون أبيض ثم يتحول إلى أسود من غير فرق في الذات.

[٤٠] **(قال: لا لأنَّ الكيفية. . .):**

حاصل الجواب: أنَّه تعالى لا كيفية له لجهتين:

١ ـ إنَّ الكيفيات ـ عادة ـ هي صفات يحتاجها الشيء ليكمل بها، والله تعالى غني بذاته لا يحتاج إلى شيء ـ صفة كان أم غيرها ـ بل ذاته عين الكمال المطلق من كل الجهات.

٢ ـ وإنَّ الكيفيات ـ وهي صفات الشيء ـ تحيط بالشيء عادة أو تحيط ببعض أجزائه، فالبياض مثلاً يحيط بكل الأبيض أو ببعض أجزائه، حيث إنَّ الله تعالى غير محدود فلا يمكن أن يحيط به شيء.

[٤١] **(ولكن لا بدَّ من الخروج. . .):**

الصفات من البحوث التي انحرف فيها الكثيرون عن جادة الصواب، فبعضهم أنكر الصفات رأساً ـ كالمعتزلة ـ، وبعضهم جعلها زائدة على الذات ـ كالأشاعرة ـ وبعضهم جعلها بأجمعها مخلوقة ـ كالكرامية ـ.

لذا بيّن الإمام عليه السلام الصحيح في الصفات.

أَنْكَرَهُ[٤٢]، وَدَفَعَ رُبُوبِيَّتَهُ وَأَبْطَلَهُ[٤٣]، وَمَنْ شَبَّهَهُ بِغَيْرِهِ فَقَدْ أَثْبَتَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ الْمَصْنُوعِينَ الَّذِينَ لَا يَسْتَحِقُّونَ الرُّبُوبِيَّةَ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ إِثْبَاتِ أَنَّ لَهُ كَيْفِيَّةً[٤٤] لَا يَسْتَحِقُّهَا غَيْرُهُ[٤٥] وَلَا يُشَارِكُ فِيهَا[٤٦] وَلَا يُحَاطُ بِهَا[٤٧] وَلَا

---

[٤٢] **(لأنَّ من نفاه فقد أنكره):**

أي نفاه تعالى عن الصفات، والمراد نفي الصفات عنه.

و«فقد أنكره» لأنَّ من الصفات «الحياة» فنفيها إنكار لوجوده تعالى.

[٤٣] **(ودفع ربوبيته وأبطله):**

«دفع ربوبيته» لأنَّ من الصفات «الملك»، فنفيها إنكار لكونه الرب والخالق والرازق. . . الخ.

«أبطله» لأنَّ من الصفات القدرة، فنفيها إثبات العجز له، تعالى الله عن ذلك.

ويمكن أن تكون الجملات الثلاث «أنكره» «دفع ربوبيته»، «أبطله» بمعنى واحد ذُكرت تأكيداً، أي نفي الصفات عنه مستلزم لعدمه.

[٤٤] **(إثبات أنَّ له كيفية):**

المراد بالكيفية هنا الصفة بشكل مطلق.

وفي توحيد الصدوق «ذات بلا كيفيَّة»[١] أي ذات بلا صفة زائدة.

[٤٥] **(لا يستحقها غيره):**

أي سنخ صفاته الثبوتية تختلف عن صفات الممكنات، لأنَّ تلك الصفات عين ذاته فلا حدود لها ولا اختلاف.

[٤٦] **(ولا يشارك فيها):**

لأنَّ مشاركته مع غيره تستلزم تركبه عن: ما به الاشتراك مع الغير، وما به الامتياز.

[٤٧] **(ولا يُحاط بها):**

لجهتين:

---

(١) المرآة: ج١، ص٢٩٣.

يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ[٤٨]. قَالَ السَّائِلُ: فَيُعَانِي الْأَشْيَاءَ بِنَفْسِهِ؟[٤٩] قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هُوَ أَجَلُّ[٥٠] مِنْ أَنْ يُعَانِيَ الْأَشْيَاءَ بِمُبَاشَرَةٍ وَمُعَالَجَةٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ صِفَةُ الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَا تَجِيءُ الْأَشْيَاءُ لَهُ إِلَّا بِالْمُبَاشَرَةِ وَالْمُعَالَجَةِ، وَهُوَ مُتَعَالٍ نَافِذُ الْإِرَادَةِ وَالْمَشِيئَةِ، فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ.

---

١ ـ لأنَّه غير محدود فلا يمكن أن يحيط به شيء.

٢ ـ لأنَّ الصفات عين الذات، ولا معنى لأن يحيط الشيء بنفسه.

[٤٨] **(ولا يعلمها غيره)**:

لأنَّها عين ذاته، فكما يستحيل لغيره معرفة ذاته، كذلك يستحيل لغيره معرفة كنه صفاته. فأقصى ما نتمكن من إدراكه هو أنَّه واجد لتلك الصفات، ونعرفها بآثارها لا بحقيقتها وكنهها.

١٠ ـ سؤال وجواب

[٤٩] **(فيعاني الأشياء بنفسه؟)**:

«المعاناة» التصرف في الشيء مباشرة وبمشقة، وحاصل السؤال هو كيف يتصرف في الكون وهو غير مركب فلا يد له ولا أداة ليتصرف بها في العالم؟

[٥٠] **(قال أبو عبد الله عليه السلام هو أجل...)**:

حاصل الجواب:

أنَّ المخلوق لا يتمكن من فعل الشيء إلَّا بالمباشرة وصرف طاقة، ولا يتمكن من الفعل بمجرد الإرادة، أما الخالق تعالى فهو يخلق ويتصرف بمجرد الإرادة بلا حاجة إلى عضو أو وسائل وأدوات.

فهو تعالى إن أراد إيجاد الشيء من غير أسباب، أوجده كذلك كما في خلق آدم عليه السلام.

وإن أراد إيجاد الشيء بأسبابه، أوجده بها كخلق سائر الناس.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَمَّنْ ذَكَرَهُ قَالَ: سُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: أَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ شَيْءٌ؟ قَالَ: نَعَمْ يُخْرِجُهُ مِنَ الْحَدَّيْنِ: حَدِّ التَّعْطِيلِ وَحَدِّ التَّشْبِيهِ.

الحديث السابع:

مرّ مضمون هذا الحديث في الحديث الثاني.

إلا أنَّه كرّره هنا لاختلاف السند، واختلاف الألفاظ أيضاً مع كون المضمون واحداً.

بَابُ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِهِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ السَّكَنِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ[١]، وَالرَّسُولَ بِالرِّسَالَةِ[٢]، وَأُولِي الْأَمْرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ[٣] وَالْعَدْلِ

الحديث الأول:

[١] (اعرفوا الله بالله):

أي إنَّ معرفة الله تعالى تكون عن طريقه سبحانه، إذ الإنسان بفطرته وعقله يعلم أنَّ هنالك خالقاً متصفاً بالكمالات منزَّهاً عن النقائص، لكن لا يمكن للعقل أن يصل إلى التفاصيل، ولو فكَّر الإنسان في التفاصيل من غير دليل من الله فإنَّه يضل ولذا نهينا عن التفكر في ذات الله.

فلا بدَّ من معرفته عبر الطرق التي جعلها هو سبحانه.

[٢] (والرسول بالرسالة):

أي معرفة الرسول تكون عن طريق معرفة معنى الرسالة، وأنَّها خلافة الله تعالى وأنَّ الرسول دليل على المرسل، فلا بدَّ أن يكون مستجمعاً للفضائل بعيداً عن الرذائل معصوماً عن الخطأ والخطيئة، فإذا عرف الإنسان الرسالة حق معرفتها فإنَّه يتمكن من تمييز الرسول عن الأدعياء.

[٣] (وأولي الأمر بالأمر بالمعروف...) الخ:

أي معرفة الإمام تكون عن طريق معرفة معنى العدل والإحسان والمعروف ثم يرى الإنسان من يعلمها ثم يطبقها.

وَالْإِحْسَانِ[٤]. وَمَعْنَى قَوْلِهِ عليه السلام[٥]: اعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَشْخَاصَ وَالْأَنْوَارَ وَالْجَوَاهِرَ وَالْأَعْيَانَ؛ فَالْأَعْيَانُ: الْأَبْدَانُ، وَالْجَوَاهِرُ: الْأَرْوَاحُ، وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ لَا يُشْبِهُ جِسْماً وَلَا رُوحاً، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي خَلْقِ الرُّوحِ الْحَسَّاسِ الدَّرَّاكِ أَمْرٌ وَلَا سَبَبٌ، هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِخَلْقِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ، فَإِذَا نَفَى عَنْهُ الشَّبَهَيْنِ: شَبَهَ الْأَبْدَانِ وَشَبَهَ الْأَرْوَاحِ، فَقَدْ عَرَفَ اللَّهَ بِاللَّهِ وَإِذَا شَبَّهَهُ بِالرُّوحِ أَوِ الْبَدَنِ أَوِ النُّورِ فَلَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِاللَّهِ.

فلو كان مدعي الإمامة لا يعرف من المعروف أو العدل أو الإحسان شيئاً واحداً فلا محالة لا يأمر به، فلا يكون إماماً.

فلا بدَّ في الإمام من العلم بكل المعروف والعدل والإحسان ثم أمر الناس بها.

[٤] **(والإحسان):**

الإحسان: زيادة على العدل، كأن يحسن إلى من لا يطلبه شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾[١].

[٥] **(ومعنى قوله عليه السلام):**

هذا توضيح من ثقة الإسلام الكليني (رضوان الله تعالى) لمعنى الحديث وحاصله[٢] «اعرفوه هو الله مسلوباً عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشابهة شيء منها».

وعلى هذا فمعنى قوله والرسول بالرسالة: «معرفة الرسول بأنَّه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام وهذا الدِّين وهذا الكتاب».

ومعرفة كل من أولي الأمر «بأنَّه الآمر بالمعروف والعالم العامل به، وبالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كل شيء، والإحسان أي الشفقة على خلق الله والتفضل عليهم ورفع الظلم عنهم».

---

(١) الآية سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) المرآة: ج١، ص٢٩٦.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ سِمْعَانَ بْنِ أَبِي رُبَيْحَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: بِمَا عَرَّفَنِي نَفْسَهُ، قِيلَ: وَكَيْفَ عَرَّفَكَ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَا يُشْبِهُهُ صُورَةٌ[١] وَلَا يُحَسُّ بِالْحَوَاسِّ[٢] وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ[٣]، قَرِيبٌ

الحديث الثاني:

[١] **(لا يشبهه صورة):**
قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١) أي ليس كذاته شيء، وسائر الأشياء لها صورة وهو تعالى منزّه عنها، لأنَّ الصورة هي شكل الأجسام وعارض عليها، والله تعالى ليس بجسم ولا يعرض عليه شيء، وقد زعم بعض المنتحلين للإسلام أنَّ لله صورة كصورة الإنسان، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

[٢] **(ولا يحس بالحواس):**
قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٢)، لأنّه ليس بجسم وليس له حدود فلا يمكن أن يحسّ بالحواس الخمس، ولا بالقوى الباطنية حيث لا يمكن إدراك حقيقته وكنه ذاته.

[٣] **(ولا يُقاس بالناس):**
أي ليس له صفات الناس حتى يُقاس بهم، لأنَّ صفاتهم زائدة على ذاتهم ومحدودة فهي من سنخ الممكنات، والباري تعالى لا صفات زائدة له بل صفاته عين ذاته ولا حدود لذاته فلا حدود لصفاته، ويدلُّ عليه الآيتان السابقتان وكذلك الآيات النافية للشريك. فهذا المقطع في الصفات، والمقطعان السابقان في الذات، أو أنَّ هذا ذكر الخاص بعد العام لكثرة

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

فِي بُعْدِهِ[٤]، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ[٥]، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ[٦] وَلَا يُقَالُ شَيْءٌ فَوْقَهُ[٧]، أَمَامَ

مزال الأقدام فيه، حيث يشبهونه بالناس لقصور فكر الكثير عن ما سوى ذاتهم.

[٤] **(قريب في بعده):**

«قريب» لإحاطة علمه وقدرته بكل شيء، ولقرب رحمته لكل شيء قال تعالى: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾(٣).

«في بعده» حيث لا يمكنهم معرفة كنه ذاته، ولمباينته للكلّ في الذات والصفات.

[٥] **(بعيد في قربه):**

تكرار للتأكيد، فهو سبحانه يحيط بكل شيء علماً وقدرة، لكنَّه سبحانه منزَّه من أن يحيط به أو يدركه أحد.

[٦] **(فوق كل شيء):**

فهو فوق كل شيء من حيث الذات والصفات، فهو القاهر المتكبّر الملك، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٤) أي يقهر الناس ويجبرهم كما يشاء لأنَّه فوقهم بالغلبة والقدرة والتصرّف، وقهره حسب المصلحة لا جزافاً.

وقال سبحانه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾(٥) أي فوقهم بالمنزلة والرتبة.

[٧] **(ولا يقال شيء فوقه):**

«وفيه إشعار بأنَّه ليس المراد به الفوقية حسب المكان وإلا لأمكن أن يكون شيء فوقه» كذا في المرآة(٦).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

(٣) سورة سبأ: الآية ٥٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٨.

(٥) سورة النحل: الآية ٥٠.

(٦) المرآة: ج١، ص٣٠٠.

كُلِّ شَيْءٍ[٨] وَلَا يُقَالُ لَهُ أَمَامٌ[٩]، دَاخِلٌ فِي الْأَشْيَاءِ[١٠] لَا كَشَيْءٍ دَاخِلٍ فِي شَيْءٍ[١١]، وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ[١٢] لَا كَشَيْءٍ خَارِجٍ مِنْ شَيْءٍ[١٣]، سُبْحَانَ مَنْ

والمعنى أنَّه لو كان في مكان فوقي لأمكنه النزول وحينئذٍ يكون شيء فوقه، كما زعمت بعض الطوائف من أنَّه تعالى ينزل ليالي الجمع إلى السماء الدنيا ومعنى هذا الكلام الباطل هو أن تكون سائر السماوات فوقه، تعالى الله عمَّا يقولون.

[٨] **(أمام كل شيء):**
أي مقدّم على كل شيء، لأنَّه الأول بلا بداية، وهو علَّة كل الموجودات.

[٩] **(ولا يقال له أمام):**
أي لا يوجد شيء مقدّم عليه، ولا يُراد به الأمام المكاني لأنَّه تعالى منزّه عن المكان، إذ المكان مخلوق له سبحانه.

[١٠] **(داخل في الأشياء):**
قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[١] والمراد بدخوله نفوذ علمه وقدرته في كل شيء.

[١١] **(لا كشيء داخل في شيء):**
أي ليس دخوله بالمعنى الحقيقي كما يزعم البعض من حلوله في بعض المخلوقات تعالى الله عمَّا يقولون.

[١٢] **(خارج عن الأشياء):**
أي لا يشبه الأشياء في شيء من الصفات والذات، ولا يحلّ في المخلوقات ولا متحد معها.

[١٣] **(لا كشيء خارج من شيء):**
لأنَّ خروج الأشياء عن غيرها بالمكان، والله تعالى ليس له مكان حتى يقال إنَّه في مكان خارج مكان الأشياء.

---

(١) سورة ق: الآية ١٦.

هُوَ هَكَذَا وَلَا هَكَذَا غَيْرُهُ[١٤] وَلِكُلِّ شَيْءٍ مُبْتَدَأٌ[١٥].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنِّي نَاظَرْتُ قَوْماً فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ[١] أَجَلُّ وَأَعَزُّ وَأَكْرَمُ[٢] مِنْ أَنْ يُعْرَفَ

---

[١٤] **(ولا هكذا غيره):**
لانحصار القديم فيه، فلا واجب الوجود غيره، فلذا تنحصر صفات واجب الوجود فيه تعالى.

[١٥] **(ولكل شيء مبتدأ):**
أي كل الأشياء مخلوقات له فهو مبتدأ لها، و«مبتدأ» اسم فاعل من باب الافتعال، قال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(١)، ولعلَّ هذا المقطع كالدليل على قوله عليه السلام: (ولا هكذا غيره) فكل الأشياء مخلوقات فلا يمكن أن تكون لها صفات الخالق.

الحديث الثالث:

[١] **(جلَّ جلاله):**
أي ارتفع عن النقائص فهو منزَّه عنها.

[٢] **(أجل وأعز وأكرم):**
«أجلّ» فهو أعظم من أن لا يقدر على إقامة البرهان على ذاته إلَّا بواسطة خلقه، بل هو قادر على ذلك وعلى كل شيء.
و«أعزّ» لأنَّ العزة كلها لله قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾(٢) فهو غالب على كل شيء فلا يحتاج إلى شيء لمعرفته.
و«أكرم» لأنَّ الله تعالى لطيف بعباده رحيم بهم، فهو أكرم من أن يمنعهم هذا اللطف وهو معرفته من غير واسطة، لأنَّ معرفته أعظم النعم عليهم فلا يمنع

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٩.
(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

بِخَلْقِهِ[٣]، بَلِ الْعِبَادُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ[٤]، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّه.

هذا اللطف عنهم، لأنَّ معرفته بغيره قد لا تتيسر لبعض العباد، أما معرفته بما أودعهم في فطرتهم فهي ميسورة للجميع.

[٣] **(من أن يعرف بخلقه):**
لعدم احتياجه إلى مخلوقاته، فلا يحتاج في معرفته إليهم، بل وجوده أعرف الأشياء وأظهرها، وقد أودع سبحانه معرفته في فطرة كل أحد قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾(١).

[٤] **(بل العباد يُعرفون بالله):**
يُعرفون ـ بالبناء على المجهول ـ أي نعرف عباد الله بما أعطاهم الله سبحانه وتعالى، فالأنبياء ـ مثلاً ـ يُعرفون بعلمهم ومعاجزهم وهي أمور حباهم الله بها.
أو يَعرفون ـ بالبناء على المعلوم ـ أي عباده يعرفونه بما أعطاهم من فطرة وعقل وبما أراهم من آياته.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

بَابُ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ؛ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ الْهَمْدَانِيِّ جَمِيعاً، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ أَدْنَى الْمَعْرِفَةِ[١] فَقَالَ: الْإِقْرَارُ[٢] بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شِبْهَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ[٣]، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ مُثْبَتٌ[٤] مَوْجُودٌ غَيْرُ

أي المقدار الذي يجب على كل مكلف، ولا يقبل منه أقل من ذلك المقدار.

وحاصل ما يُستفاد من أحاديث هذا الباب هو لزوم:

الاعتقاد بوجوده تعالى، وتوحيده، وتنزيهه عن الشريك والشبيه، وأنَّه أزلي أبدي أي لا بداية له ولا نهاية، وأنَّه عالم قادر حيّ.

الحديث الأول:

[١] **(عن أدنى المعرفة):**

لعلَّ السؤال عن أدنى المعرفة في ذاته سبحانه، لذا كان الجواب عمَّا يتعلق بالذات من غير ذكر للصفات.

[٢] **(الإقرار):**

أي الاعتقاد وإظهاره، فلا يكفي العلم وحده، كما لا تكفي لقلقة اللِّسان من غير اعتقاد.

[٣] **(ولا شبه له ولا نظير):**

أي لا شريك له ـ سواء كان متفقاً معه أو مختلفاً ـ فهو منزَّه عن أي شريك.

[٤] **(قديم مثبت):**

أي هو الأول، من غير أن تكون له بداية، فوجوده ثابت من الأزل بلا احتياج لعلَّة.

فَقِيدٍ[٥]، وَأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٦].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ طَاهِرِ بْنِ حَاتِمٍ فِي حَالِ اسْتِقَامَتِهِ[١] أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى الرَّجُلِ[٢]: مَا الَّذِي لَا يُجْتَزَأُ[٣] فِي مَعْرِفَةِ

---

[٥] **(موجود غير فقيد):**
أي هو الآخر، من غير أن تكون له نهاية، فلا يزول وجوده قال سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١).

[٦] **(وأنه ليس كمثله شيء):**
أي لا يشاركه شيء لا في ذاته ولا في صفاته.

الحديث الثاني:

[١] **(حال استقامته):**
في رجال النجاشي(٢): «طاهر بن حاتم بن ماهويه القزويني أخو فارس بن حاتم، كان صحيحاً ثم خلط».
وفي فهرست الشيخ الطوسي(٣): «كان مستقيماً ثم تغيّر وأظهر القول بالغلو».

[٢] **(كتب إلى الرجل):**
في الوافي(٤): «ولعلَّ المراد بالرجل الرضا عليه السلام لأنَّه عُدَّ من أصحابه».
وفي كتاب التوحيد للصدوق: بإسناده عن طاهر بن حاتم «كتبت إلى الطيّب ـ يعني أبا الحسن عليه السلام ـ» الحديث بفرق يسير(٥).

[٣] **(لا يجتزأ):**
أي لا يكتفي فلا يقبل أقل من ذلك.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٢٧.
(٢) رجال النجاشي: ص٢٠٨.
(٣) الفهرست: ص١٤٩.
(٤) الوافي: ج١، ص٣٤٤.
(٥) حاشية الوافي: ج١، ص٣٤٤.

الْخَالِقِ بِدُونِهِ[٤]؟ فَكَتَبَ إِلَيْهِ[٥]: لَمْ يَزَلْ[٦] عَالِماً وَسَامِعاً وَبَصِيراً[٧] وَهُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ[٨]. وَسُئِلَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام[٩] عَنِ الَّذِي لَا يُجْتَزَأُ بِدُونِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ فَقَالَ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ لَمْ يَزَلْ عَالِماً سَمِيعاً بَصِيراً.

---

[٤] **(في معرفة الخالق بدونه):**

لعلَّ سؤاله كان عن صفات الله تعالى، لذا كان الجواب عن أدنىٰ معرفة للصفات من غير لذكر لذاته سبحانه وتعالى.

[٥] **(فكتب إليه):**

حاصل الكتاب أنَّ المقدار اللازم من معرفة الصفات معرفة أنَّه متصف بالعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة والحياة.

[٦] **(لم يزل):**

يُستفاد من هذه الكلمة «الحياة» وأنَّ هذه الصفات قديمة لا أنَّها حادثة.

فيلزم معرفة أنَّه حي وأنَّ صفاته قديمة.

[٧] **(سامعاً وبصيراً):**

أي عالماً بالمسموعات والمبصرات.

[٨] **(الفعال لما يريد):**

تضمّنت هذه الجملة القدرة والإرادة، لأنَّ الفعال لما يريد إنَّما هو القادر المريد.

[٩] **(وسئل أبو جعفر عليه السلام):**

يمكن أن يكون هذا من كلام الكليني رضوان الله عليه فيكون حديثاً ثالثاً مرسلاً.

ويمكن أن يكون تتمة لكلام طاهر بن حاتم.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ بْنِ بَقَّاحٍ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ أَمْرَ اللَّهِ[١] كُلَّهُ عَجِيبٌ[٢] إِلَّا أَنَّهُ قَدِ احْتَجَّ[٣] عَلَيْكُمْ بِمَا قَدْ عَرَّفَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ.

الحديث الثالث:

[١] **(أمر الله):**
أي كل ما يتعلق بالله تعالى.

[٢] **(كله عجيب):**
العجيب هو ما لا أنس للذهن به، ويكون عادة في الأمر قليل الوجود أو الأمر الذي لا تُعرف علّته.
فالمراد ـ كما في المرآة[١] ـ أنَّ أمر الله كلّه من الخفايا التي لا يطّلع عليها إلَّا بتعريف وتبيين من الله سبحانه وإعطائه القلوب مبادىء معرفته.

[٣] **(إلا أنَّه قد احتج. . .):**
أي لم يكلف الناس بأكثر ممَّا أظهره لهم، وهذا المقدار هو الذي يجب على الإنسان معرفته لأنَّ الله يحتج على العباد به، فلا عذر لهم في عدم معرفته، ولذا جعل الكليني (رضوان الله عليه) هذا الحديث في هذا الباب.

---

(١) المرآة ج١، ص٣٠٢.

بَابُ الْمَعْبُودِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ وَعَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِالتَّوَهُّمِ[١] فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ[٢]، وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ[٣]، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى بِإِيقَاعِ الْأَسْمَاءِ

وأنَّ المعبود ليس هو الاسم بل المسمّى.

الحديث الأول:

[١] **(عبد الله بالتوهّم فقد كفر):**

أي توهّم صورة لله تعالى وعبد تلك الصورة.

لأنَّ كل ما يتوهم في الذهن محدود مخلوق ـ كما مرّ ـ فهو غير الله تعالى، ومن عبد غير الله فقد كفر.

[٢] **(عبد الاسم دون المعنى فقد كفر):**

أي عبد الحروف مثل «الألف واللام واللام والهاء» أو الأمر الذهني الحاصل من اللفظ أي المفهومات الكلّية الذهنية للألفاظ.

«دون المعنى» أي المسمى وهو الحقيقة الثابتة في الخارج.

«فقد كفر» لأنَّ الألفاظ وما في الذهن غير المسمى، ولذا الاسم والموجود الذهني ليس لهما آثار المسمى، فالنار محرقة لكن لا باسمها ولا بصورتها الذهنية وإنَّما بحقيقتها الخارجية.

[٣] **(عبد الاسم والمعنى فقد أشرك):**

إما بأن يعبد كل واحد منهما مستقلاً كأن يتصورهما إلهين، أو عَبَدَ المجموع بأن تصور أنَّ المعبود هو المركب من الاسم والمعنى.

«فقد أشرك» لأنَّه عَبَد مع الله غيره.

عَلَيْهِ[٤] بِصِفَاتِهِ الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ[٥] فَعَقَدَ عَلَيْهِ قَلْبُهُ[٦] وَنَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ[٧] فِي سَرَائِرِهِ وَعَلَانِيَتِهِ[٨] فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٩] حَقّاً.

---

[٤] **(بإيقاع الأسماء عليه):**
أي أطلق تلك الأسماء عليه، لا بتوهم أنَّها المعبود، بل باعتبار أنَّ تلك الأسماء تشير إليه تعالى، كما في سائر الأسماء حينما يطلقها الناس فإنَّهم يريدون بها الإشارة إلى معانيها وأنَّها علامة للمعاني لا أنَّها نفس المعاني.

[٥] **(بصفاته التي وصف بها نفسه):**
حيث إنَّ أسمائه توقيفية فلا يجوز وصفه إلَّا بما وصف به نفسه.

[٦] **(فعقد عليه قلبه):**
عقد القلب أي البناء على القبول، فلا يكفي مجرد العلم، وقد مرّ أنَّ مجرد العلم لا يُقال له اعتقاد، فقد يعلم لكنَّه يبني على عدم القبول لحسد أو نحوه، ولذا الذي يعلم بالحق وينطق به لكن بنى قلبه على الإنكار يكون منافقاً.
وبعبارة أخرى: عقد القلب هو الاعتقاد الجازم الصادق.

[٧] **(ونطق به لسانه):**
لأنَّه لا بدَّ من الإقرار باللِّسان مع التمكن، فلا يكفي في الإيمان مجرد الاعتقاد.

[٨] **(في سرائره وعلانيته):**
أي كان ظاهره كباطنه، لا كالمنافقين الذين تختلف حالاتهم بين السر والعلانية فيبطنون الكفر ويظهرون الإسلام.
نعم في الحالات الطارئة كالتقية يجوز أو يجب إخفاء المعتقد لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾[١].

[٩] **(أصحاب أمير المؤمنين):**
لأنَّه الميزان الفارق بين المحق والمبطل وبين المؤمن والمنافق، فمن اتّبع هداه وسلك سبيله كانت عقيدته وكلامه وعمله حقاً وصحيحاً.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٦.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَاشْتِقَاقِهَا: اللَّهُ مِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ[١]؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا هِشَامُ اللَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ إِلَهٍ[٢]، وَالْإِلَهُ يَقْتَضِي

الحديث الثاني:

[١] **(الله ممَّا هو مشتق):**

لعلَّ هذا سؤال ثان، أي سأله عن أسماء الله وعن كلمة «الله»، لأنَّ المراد «بأسماء الله» صفاته، وكلمة «الله» ليست صفة لذا أفردها بسؤال آخر.

[٢] **(مشتق من إله):**

(إلـه) اسم على وزن كتاب بمعنى معبود من (ألَهَ) بمعنى: عَبَدَ، وهذا هو الصحيح في معنى كلمة «الله».

وفي اشتقاق كلمة «الله» أقوال نقلها في المرآة(١) منها:

٤ ـ ٢ ـ اشتقاقه من (ألِهَ) فعل ماض مكسور العين:

إما بمعنى سكن، لأنَّه تعالى يسكن في القلوب.

أو بمعنى فزع، لأنَّ العابد يُفزع إليه في الملمات.

أو بمعنى ولع، من ألِه الفصيل إذا ولع بأمه.

٥ ـ اشتقاقه من (وَلَهَ)، بمعنى: تحيَّر، لأنَّ الخلق يتحيرون فيه تعالى.

٧ ـ ٦ـ اشتقاقه من (لاه).

إما بمعنى ارتفع، لأنَّه تعالى مرتفع عن الممكنات.

وإما بمعنى احتجب، من لاه يلوه إذا احتجب.

٨ ـ إنَّه غير مشتق بل هو عَلَم للذات الإلهية المستجمعة لصفات الكمال المنزّهة عن النقائص.

---

(١) المرآة: ج١، ص٣٠٤.

مَأْلُوهاً[٣]، وَالِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، فَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً[٤]، وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَعَبَدَ اثْنَيْنِ[٥]، وَمَنْ عَبَدَ

فهذه ثمانية احتمالات، الصحيح منها ما ذكره الإمام عليه السلام من أنَّ الكلمة مشتقة من اله بمعنى عبد.

[٣] **(الإله يقتضي مألوهاً):**

أي اللفظ يقتضي وجود المسمى، وهو المعبود الموجود، إذ لا يصحّ عبادة اللاشيء، بأن يكون اللفظ مجرد اسم من غير مسمى، وهذا المقطع كالمقدمة لإثبات تغاير الاسم والمسمى، فإنَّ اللفظ يدلُّ على المعنى والدال غير المدلول.

أدلة تغاير الاسم والمسمّى

الدليل الأول

[٤] **(فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً):**

«فقد كفر» لأنَّه لم يعبد الله تعالى بل عبد ألفاظاً مخلوقة.

و«لم يعبد شيئاً» لأنَّ هذه الألفاظ ليس لها بقاء واستمرار بل هي أعراض في الأوراق ونحوها تزول بالمحو أو هي أعراض في الأذهان تزول بالغفلة عنها من الأذهان.

أو المعنى أنَّه لم يعبد شيئاً محققاً في الخارج بل عبد أمراً وهمياً ـ كذا في الوافي ـ[١].

[٥] **(وعبد اثنين):**

لأنَّه عبد الله وعبد الاسم، فقد وقع الاشتراك في نفس العبادة حيث أشرك بعبادة الله تعالى عبادة الألفاظ التي لا دوام لها ولا استمرار.

---

(١) الوافي: ج١، ص٣٤٧.

الْمَعْنَى دُونَ الِاسْمِ فَذَاكَ التَّوْحِيدُ، أَفَهِمْتَ يَا هِشَامُ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: زِدْنِي، قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً[٦]، فَلَوْ كَانَ الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَهاً[٧]، وَلَكِنَّ اللَّهَ مَعْنًى يُدَلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ[٨] وَكُلُّهَا غَيْرُهُ، يَا هِشَامُ: الْخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ[٩]، وَالْمَاءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ،

الدليل الثاني

[٦] **(إنَّ لله تسعاً وتسعين اسماً):**

لا يريد الإمام عليه السلام حصر الأسماء في تسعة وتسعين، لأنَّ العدد لا مفهوم له، بل لعلَّ ذكرها من باب أنَّها الأشهر من أسمائه تعالى، أو لرجوع سائر الأسماء إلى هذه فهي أُصول الأسماء كلها، أو أنَّ عبارة «تسعة وتسعين» للدلالة على الكثرة كما في لفظ «سبعين» «وألف» ونحوها.

[٧] **(فلو كان الاسم هو المسمّى لكان كل اسم منها إلهاً):**

حاصل الدليل:

هو أنَّ الأسماء متغايرة بالبداهة، فلفظ الخالق غير لفظ العالم ـ مثلاً ـ، فلو كان الاسم عين المسمّى، لتَعَدَّدَ المسمّى بتعدد الاسم، فيلزم أن يكون الإله متعدداً إلى تسعة وتسعين حسب تعدد الأسماء.

ولما علمنا بالبداهة توحيد الله، علمنا أنَّ الأسماء غيره تعالى.

[٨] **(يدلُّ عليه بهذه الأسماء):**

أي هذه الألفاظ علامة وإشارة إلى الذات الإلهية.

لأنه ـ وحسب مقتضى التحقيق في الوضع ـ فإنَّ الألفاظ علائم للمعاني كالعلائم المنصوبة في الطرق مثلاً حيث تدلُّ على المقصود.

الدليل الثالث

[٩] **(الخبز اسم للمأكول):**

هذا دليل ثالث، وحاصله أنَّ الآثار الوجودية إنَّما هي للمسمّى، أما الاسم فليس له تلك الآثار، ولو كان الاسم عين المسمّى لكان للاسم نفس آثار

وَالثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ، وَالنَّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ، أَفَهِمْتَ يَا هِشَامُ فَهْماً تَدْفَعُ بِهِ وَتُنَاضِلُ بِهِ أَعْدَاءَنَا[١٠] وَالْمُتَّخِذِينَ مَعَ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ غَيْرَهُ[١١]؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَالَ: نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَثَبَّتَكَ يَا هِشَامُ؛ قَالَ هِشَامٌ فَوَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي أَحَدٌ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى قُمْتُ مَقَامِي هَذَا[١٢].

المسمّى، وليس كذلك.

فالخبز يؤكل ويشبع لا بلفظه ومفهومه بل بالحقيقة الخارجية التي هي معنى لفظ الخبز، والماء الذي يروي هو المسمّى لا اسم الماء، والذي يستر هو معنى الثوب لا لفظه، واسم النار لا يحرق بل حقيقتها الخارجيَّة.

[١٠] **(تناضل به أعداءنا):**

أي تجادلهم فتغلبهم، وأصل الكلمة نَضَلَ نضلاً بمعنى غَلَب، وتناضلوا إذا تسابقوا في الرمي.

[١١] **(المتخذين مع الله عزَّ وجلَّ غيره):**

لأنَّهم يعبدون الأسماء حيث يزعمون أنَّها عين الله تعالى، فهؤلاء اتخذوا مع الله غيره.

وفي بعض النسخ (الملحدين مع الله) من الإلحاد أي العدول والانحراف عن الشيء ومنه لحد القبر، ومن مصاديقه العدول عن الحقّ، ثم صار اصطلاحاً في خصوص العدول عن الحق في المعتقدات، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾(١).

[١٢] **(حتى قمت مقامي هذا):**

أي لحد الآن، حيث قمت في هذا المقام عندكم ـ أي حينما ينقل الخبر للنضر بن سويد وغيره ـ.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَوْ قُلْتُ لَهُ: جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ، نَعْبُدُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ مَنْ عَبَدَ الِاسْمَ دُونَ الْمُسَمَّى بِالْأَسْمَاءِ[١] أَشْرَكَ وَكَفَرَ وَجَحَدَ وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً[٢]، بَلِ اعْبُدِ اللَّهَ[٣] الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الصَّمَدَ[٤] الْمُسَمَّى بِهَذِهِ

الحديث الثالث:

[١] **قوله: (دون المسمّى بالأسماء):**
أي من دون أن يخصّص عبادته بالمسمّى.

[٢] **(أشرك وكفر وجحد):**
الجمل الثلاث للتأكيد على أنَّه لم يعبد الله سبحانه، أو أنَّ كل جملة للدلالة على حالة، فإذا عبد الاسم والمسمّى فقد أشرك، وإذا عبد الاسم غافلاً عن المسمّى فقد كفر بلا جحود، وإذا عبد الاسم منكراً للمسمّى فهو الجاحد.
«ولم يعبد شيئاً» أي لم يعبد الله عبادة حقيقية بل إما أشرك به أو عبد غيره.

[٣] **(بل أعبد الله):**
أي لا بدَّ أن تعبد الله الموصوف بهذه الأوصاف مع الاعتقاد بأنَّ الأسماء ليست هي الذات الإلهية بل علامة وإشارة.

[٤] **(الواحد الأحد الصمد):**
ذكر هذه الأوصاف إما من باب المثال، كما أنَّ السائل ذكرها وذكر غيرها من باب المثال.
وإما لأجل أنَّ هذه الأوصاف إشارتها إلى الذات الإلهية وتوحيدها أوضح من غيرها، لأنَّ الواحد: ما لا ثاني له، والأحد: ما لا جزء له، والصمد: السيد المقصود، وهذه الأوصاف الثلاث تشير إلى توحيد الذات الإلهية بلا شريك، فلا تكون صفات الفعل ـ كالرحمن والرحيم وغيرها ـ عين الذات، بل علامة وإشارة، فتدبَّر.

الْأَسْمَاءِ دُونَ الْأَسْمَاءِ، إِنَّ الْأَسْمَاءَ صِفَاتٌ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ[٥].

---

[٥] **(إنَّ الأسماء صفات وصف بها نفسه)**:

فتلك الأسماء مخلوقات له تعالى لتشير إلى ذاته، كما أن وجودها الكتبي من عمل الإنسان، ومفاهيمها الذهنية من عمل الذهن.

بَابُ الْكَوْنِ وَالْمَكَانِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَأَلَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ مَتَى كَانَ[١]؟ فَقَالَ[٢]: مَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى أُخْبِرَكَ مَتَى كَانَ، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ[٣]

الحديث الأول:

[١] **(متى كان):**

السؤال عن ابتداء وجود الله تعالى، حيث توهم السائل أنَّه سبحانه مسبوق بالعدم.

[٢] **(فقال):**

الجواب يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: أن توهّم اختصاصه بزمان دون زمان باطل.

الثاني: أنَّه تعالى فوق الزمان وخارج عنه.

الثالث: أنَّ المتغيّر هو الداخل في الزمان، والله ليس بمتغيّر فلا يكون داخلاً في الزمان.

وقوله (متى لم يكن حتى أخبرك متى كان) هو الأمر الأول: وهو أنَّ (متى) سؤال عن شيء كان معدوماً في زمان ثم وجد في زمان آخر، فيقال «متى وجد».

والله سبحانه ليس مسبوقاً بالعدم حتى يُسأل عن زمان وجوده، فالسؤال خطأ من أساسه.

[٣] **(سبحان من لم يزل ولا يزال):**

هذا الأمر الثاني: وهو أنَّه تعالى أزلي أبدي أي ليس لوجوده بداية وليس مسبوقاً بالعدم، فهو خارج عن الزمان، لأنَّ الزمان حادث، فهو مسبوق بالعدم، وأزلية الباري تعالى معناها أنه سابق على كل حادث، وحيث إنَّ الزمان حادث فهو تعالى سابق عليه غير داخل فيه.

فَرْداً صَمَداً لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً[٤].

---

[٤] **(فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً):**

هذا هو الأمر الثالث: وهو أنَّه تعالى غير متغيّر وكل غير متغيّر فهو خارج عن الزمان.

أ ـ أما أنه غير متغيِّر فلجهتين:

١ ـ إنَّه غير محتاج، كي يضطر إلى إزالة احتياجه بتغيير في ذاته أو صفاته، وأشار الإمام عليه السلام إلى عدم احتياجه بقوله (فرداً صمداً) فهو واحد لا ثاني له ليحتاج إليه في تدبير الأمر، ولا جزء له ليحتاج إلى أجزائه، بل هو السيِّد المقصود المصمود إليه.

٢ ـ إنَّه غير متقارن مع المتغيرات كالصاحبة والولد حيث الاقتران والانفصال.

ب ـ وأما أنَّ غير المتغيّر خارج عن الزمان:

فلأنَّ الزمان هو نتيجة حركة الأجسام ـ وهذا أمر ثبت في العلم الحديث أيضاً ـ فكلَّما كانت الحركة أشد كان الزمان أسرع وكلما كانت أضعف كان الزمان أبطأ، ولذا نقل بعض أهل الاختصاص في العلم الحديث: «إنَّ الزمان يختلف من مكان إلى مكان آخر، فيقولون إنَّ الإنسان إذا انتقل إلى مجرَّة أخرى قد يمضي من زمانه دقائق وفي الوقت نفسه يكون قد مرّ على سكان الأرض آلاف أو ملايين السنين، وقد يمضي من زمانه سنوات والحال أنَّه لم يمضِ في الأرض إلَّا دقائق حسب سرعة أو بطء الحركة، ولو توقفت الحركة توقف الزمان، ولذا قالوا بنسبية الزمان» انتهى.

وفي المرآة[١] «إنَّ (متى) عند الحكماء نسبة المتغيرات إلى مقدار تغيُّرها، والتغيّر هو الحركة، والزمان مقدارها... فكل ما لم يكن حركة ولا متحركاً ولوجوده علاقة بالمتحرك، فليس بواقع في الزمان، فلا يصحّ السؤال عنه بمتى» انتهى.

وحيث ثبت أنَّ الله غير متغيّر فلا حركة فيه فهو خارج عن الزمان، بل الزمان مخلوق له لأنَّه خلق الأشياء وحرَّكها.

---

(١) المرآة: ج١، ص٣٠٧.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام مِنْ وَرَاءِ نَهَرِ بَلْخَ فَقَالَ: إِنِّي أَسْأَلُكَ، عَنْ مَسْأَلَةٍ فَإِنْ أَجَبْتَنِي فِيهَا بِمَا عِنْدِي[١] قُلْتُ بِإِمَامَتِكَ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: سَلْ عَمَّا شِئْتَ. فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ؟ وَكَيْفَ كَانَ؟ وَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اعْتِمَادُهُ[٢]؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيَّنَ الْأَيْنَ بِلَا أَيْنٍ[٣]، وَكَيَّفَ الْكَيْفَ بِلَا كَيْفٍ[٤]، وَكَانَ اعْتِمَادُهُ

الحديث الثاني:

[١] **(أجبتني فيها بما عندي):**

لعلَّ الرجل كان قد اطلع على الجواب الصحيح من الأئمة عليهم السلام السابقين فأراد معرفة إمامة الرضا عليه السلام عن طريق إجابته على الجواب الصحيح الحق الذي يخفى على غير العلماء من أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وخاصة أنَّ في زمانه عليه السلام نشأت الواقفة المنكرة لإمامته طمعاً في حطام الدنيا.

[٢] **(وعلى أي شيء كان اعتماده):**

أي على ماذا اعتمد واستعان ليخلق الخلق؟

[٣] **(أين الأين بلا أين):**

السؤال كان عن الزمان، ولكن الإمام عليه السلام أجاب بنفي المكان عنه تعالى، وذلك لأنَّ الزمان لا يصحّ إلَّا في الأجسام التي تحتاج إلى المكان، فنفي المكان عنه يستلزم نفي الزمان عنه تعالى، وقد مرّ في الحديث السابق أنَّ الزمان هو وليد الحركة والحركة إنَّما تكون في الأجسام، والله تعالى منزَّه عن الجسم فلا مكان له وحيث لا مكان له فلا زمان له.

ومعنى هذه الجملة أنَّ الله تعالى هو الذي خلق المكان من غير أن يكون هو في المكان.

[٤] **(كيف الكيف بلا كيف):**

أي خلق الكيف من غير أن يكون له تعالى (كيف): أي صفات زائدة على

عَلَى قُدْرَتِهِ[٥] فَقَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ[٦]: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ وَأَنَّ عَلِيّاً وَصِيُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَيِّمُ بَعْدَهُ بِمَا قَامَ بِهِ رَسُولُ اللَّه ﷺ، وَأَنَّكُمُ الْأَئِمَّةُ الصَّادِقُونَ وَأَنَّكَ الْخَلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي، عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ[١] إِنَّمَا يُقَالُ لِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ: مَتَى كَانَ، إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى

الذات أو الحالات النفسانية العارضة، لأنَّ الصفة المغايرة للذات يحتاجها ذي الصفة، والكيفيات النفسانية عوارض متغيّرة ولا تغيّر في ذات الباري تعالى.

[٥] **(وكان اعتماده على قدرته):**

أي لم يكن له اعتماد على غيره أصلاً، لأنَّ قدرته تعالى عين ذاته، فهو خلق الأشياء بذاته، غير مستعين بأحد، لأنَّ المعتمد على الغير محتاج ناقص.

[٦] **(فقبَّل رأسه وقال):**

يظهر من الجواب أنَّ الرجل كان إمامياً لكنَّه لم يكن يعلم بإمامة الرضا عليه السلام أو أنَّه كان له اطلاع كامل بالإسلام والمذهب الإمامي، فلما التفت من الجواب إمامة الرضا عليه السلام استلزم ذلك الاعتقاد الكامل بسائر أُصول الإمامية، والأول أظهر.

الحديث الثالث:

[١] **(فقال ويلك...):**

جواب الإمام عليه السلام مركّب من أربعة مقاطع، وفي بعض المقاطع تكرار لما سبق تأكيداً وإضافة بعض الأمور تأسيساً، ولعلَّ بعض التكرار لأهمية المطلب أو لتركيزه في ذهن السامع، أو كالمقدمة لبعض المطالب اللاحقة.

كَانَ وَلَمْ يَزَلْ[٢] حَيّاً بِلَا كَيْفٍ[٣]، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَانَ[٤]، وَلَا كَانَ لِكَوْنِهِ

فالمقطع الأول:

لنفي الزمان عنه، وذلك عبر نفي كل شيء يستوجب دخوله في الزمان، كالحياة الزائدة على الذات والمكان والتغيّر والكيفيات النفسانية ونحوها.

والمقطع الثاني:

لنفي تغيّر ذاته لمَّا خلق المخلوقات، فلم تحصل له صفات زائدة بعد الخلق، ولا مكان، ولا حدود وشبه، ولا تغير بمرور الزمان ونحوها.

والمقطع الثالث:

توضيح لما ورد في الجمل السابقة وتأكيد لها، ولبيان أنَّ صفاته الذاتية لا تغيّر فيها ولا تبدل أبداً، وأنَّ سائر الأشياء تتغيّر بإرادته تعالى.

والمقطع الرابع:

النتيجة لما سبق من كلامه عليه السلام، وأنَّه لا يصحّ قياسه بشيء من مخلوقاته تعالى، إذن فلا زمان له ولا يصحّ السؤال عنه بمتى كان.

المقطع الأول

[٢] **(كان ولم يزل):**

«ولم يزل» إما عطف على «كان» فالمعنى: كان ولم ينقطع وجوده بل استمر، أو الواو حالية أي كان والحال أنَّه لم يزل حياً أي حياته أزلية لم يسبقها عدم.

[٣] **(حياً بلا كيف):**

أي لم تكن حياته مغايرة لذاته، ولا كانت تعتريه الحالات النفسانية التي هي لوازم الحياة في الممكنات.

[٤] **(ولم يكن له كان):**

أي التعبير بـ«كان» في الله من باب ضيق العبارة، لأنَّ كان فعل ماض، وهو يدلُّ على الزمان، وليس لله تعالى زمان، فقولنا «كان الله» اضطرار، لأنَّ الغرض إيصال الفكرة التي تكون عبر الكلمات المتعارفة بين الناس، وقد مرّ

كَوْنٌ[٥]، كَيْفَ[٦]؟ وَلَا كَانَ لَهُ أَيْنٌ[٧]، وَلَا كَانَ فِي شَيْءٍ[٨]، وَلَا كَانَ عَلَى

تفصيل شرح نظير هذا الكلام في الحديث السادس من باب «إطلاق القول بأنَّه شيء»، وقد ادعى بعض الأُصوليين عدم دلالة الفعل على الزمان مستدلاً: بأنّه لو كانت تدلُّ على الزمان، لكان استعمالها في الله تعالى مجازاً، لعدم دلالتها على الزمان فيه تعالى(١).

ويمكن أن يقال إنَّ هذا الحديث وغيره يدلُّ على دلالة الفعل على الزمان وإنَّ استعماله في الله تعالى لضيق العبارة، ثم إنَّه لا يلزم المجازية لأنَّه يستعمل فيما وضع له من الزمان، لكن بالإرادة الجدية لا يريد الزمان، فتأمل.

[٥] **قوله: (ولا كان لكونه كون):**

أي لم يكن لوجوده حدوث.

[٦] **قوله: (كيف):**

أي كيف يمكن أن يكون حادثاً والحال أنَّه غير متصف بصفات الحادثات، فليس له مكان، ولا كان محتاجاً حتى يستقوي بالمخلوقات، ولا أنَّه يشبه مخلوقاً، كان قوياً مالكاً قبل خلق الأشياء ويكون قوياً مالكاً بعد انعدام الأشياء وفي المقاطع اللاحقة تفصيل نفي اتصافه بصفات الحادثات، ويمكن قراءة العبارة هكذا «ولا كان لكونه كونُ كيفٍ» أي لم يكن لوجوده كيف، وفي توحيد الصدوق «ولا كان لكونه كيف».

[٧] **قوله: (ولا كان له أين):**

الإمام عليه السلام ابتداءً ينفي المكان بشكل مطلق، ثم ينفي أنواع التمكن في المكان تفصيلاً.

[٨] **قوله: (ولا كان في شيء):**

بأن يحتويه المكان من كل الجهات كالذي في الغرفة تحيط به من كل

---

(١) قال في الكفاية «وإلا لزم القول بالمجاز والتجريد عند الإسناد إلى غيرها ـ يعني غير الزمانيات ـ من نفس الزمان والمجردات» الكفاية/بحث المشتق/ص٥٩.

شَيْءٍ[٩]، وَلَا ابْتَدَعَ لِمَكَانِهِ مَكَاناً[١٠]، وَلَا قَوِيَ بَعْدَ مَا كَوَّنَ الْأَشْيَاءَ[١١]، وَلَا كَانَ ضَعِيفاً قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَ شَيْئاً[١٢]، وَلَا كَانَ مُسْتَوْحِشاً قَبْلَ أَنْ يَبْتَدِعَ شَيْئاً[١٣]،

الجهات، فهو نفي للمكان بالمعنى الدقيق أي الحيّز، فلا يصحّ ما يتوهمه المجسمة من أنَّه ينزل إلى السماء الأولى فتحيط به السماء الأولى من كل الجهات!! تعالى عمَّا يقولون.

[٩] **قوله: (ولا كان على شيء):**
وهو نفي المكان العرفي، فلا يصحّ ما تتوهمه المجسمة بأنَّه على السماء السابعة.

[١٠] **قوله: (ولا ابتدع لمكانه مكاناً):**
أي لم يخلق لمحل استقراره شيئاً يجلس عليه، كما يصنع الملوك حيث يصنعون لمحل جلوسهم عرشاً أو كرسياً أو منصة ونحوها.
فقوله: «لمكانه» بمعنى محل استقراره، وقوله: «مكاناً» أي شيئاً كالكرسي يجلس عليه، فلا يصحّ ما توهمته المجسمة ونحوها بأنَّه جالس حقيقة على العرش فإنَّهم لقصورهم في المعارف وفي البلاغة لم يلتفتوا إلى بلاغة القرآن ومجازاته.

[١١] **قوله: (ولا قوي بعد ما كوَّن الأشياء):**
أي إنَّ قوَّته وسلطته لم تحصل بعد خلق الأشياء، لأنَّ قدرته عين ذاته فهي أزلية قبل الأشياء.
وهذا ردّ على من زعم أنَّ الله استعان بمخلوقاته، بل هو الغني المطلق عنهم، إن كان لهم قدرة فإنَّما هي بما أنعم عليهم، وإن أمر بعضهم بالقيام ببعض المهام فإنَّما هو لأجل المصلحة في ترتيب الأشياء على مسببات، والأمر كله منه وإليه.

[١٢] **قوله: (ولا كان ضعيفاً قبل أن يكون شيئاً):**
أي لم يكن عاجزاً قبل خلق الأشياء، لأنَّ القدرة عين ذاته.

[١٣] **(ولا كان مستوحشاً قبل أن يبتدع شيئاً):**
أي فلم يكن خلقه للأشياء ليخرج عن الوحدة ويستأنس بالموجودات، لأنَّ ذلك صفة عجز واحتياج، مضافاً إلى أنَّ الوحشة والأنس من الكيفيات والعوارض النفسانية، وهو تعالى منزَّه عن كل ذلك.

وَلَا يُشْبِهُ شَيْئاً مَذْكُوراً[١٤]، وَلَا كَانَ خِلْواً مِنَ الْمُلْكِ قَبْلَ إِنْشَائِهِ[١٥] وَلَا يَكُونُ مِنْهُ خِلْواً بَعْدَ ذَهَابِهِ[١٦]، لَمْ يَزَلْ حَيّاً بِلَا حَيَاةٍ[١٧]، وَمَلِكاً

---

[١٤] (ولا يشبه شيئاً مذكوراً):

أي شيئاً مخلوقاً، لأنَّ المخلوق مذكور عادةً، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[١].

فبعد أن نفى الإمام عليه السلام عن الله تعالى صفات المخلوقات التي تحتاج إلى الخالق، بيَّن أنَّه ليس له صفات المخلوقات، فليس بحادث حتى يصحّ السؤال عنه بـ«متى كان».

[١٥] (ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه):

لعلَّ المراد أنَّه كان موجوداً قبل خلق الأشياء، فهو قبل الزمان، لأنَّ الزمان مخلوق، فلا يصحّ السؤال عن الزمان فيه تعالى.

وكونه خارجاً عن الزمان وقبل الزمان ليس بمعنى عدم قدرته بل هو القادر المطلق.

و«الملك» بضم الميم السلطنة ويلازمها العظمة.

[١٦] (ولا يكون منه خلواً بعد ذهابه):

أي لا تزول قدرته وسلطنته بعد إعدام الأشياء، وفي هذا المقطع دلالة على أنَّ الأشياء يعدمها الله تعالى قبل القيامة ثم يعيدها للحساب، وكذلك يُستفاد ذلك من بعض الأحاديث الأخرى[٢].

المقطع الثاني

[١٧] (لم يزل حياً بلا حياة):

أي بلا حياة زائدة، وهذا كالشرح لقوله عليه السلام: (كان ولم يزل حياً بلا كيف).

---

(١) سورة الإنسان: الآية ١.

(٢) خلافاً لما قاله بعضهم من استحالة تخلل العدم في الوجود الواحد وأنَّ إعادة المعدوم محال، لكن هذا ادّعاء خالٍ عن الدليل، وذلك لأنَّ الماهية من حيث هي ليست إلاَّ هي لا موجودة ولا معدومة أي قابلة للوجود وللعدم فإن تحققت علّتها وجدت وإلاَّ كانت معدومة، فحين وجودها هل وجد ماهية أخرى؟ أم نفس الماهية اللابشرط؟ فإذا جاز ذلك في أول الوجود جاز في آخره أي تعدم الماهية ثم توجد مرَّة أخرى فتأمل.

قَادِراً قَبْلَ أَنْ يُنْشِىء شَيْئاً[١٨]، وَمَلِكاً جَبَّاراً بَعْدَ إِنْشَائِهِ[١٩] لِلْكَوْنِ، فَلَيْسَ لِكَوْنِهِ كَيْفٌ[٢٠] وَلَا لَهُ أَيْنٌ[٢١] وَلَا لَهُ حَدٌّ[٢٢]، وَلَا يُعْرَفُ بِشَيْءٍ

---

[١٨] **(ملكاً قادراً قبل أن ينشىء شيئاً):**

هذا كالشرح لقوله: (ولا كان خلواً من الملك قبل إنشائه) وإلى (ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن شيئاً) ولعلَّ المعنى أنَّ الملك قبل الإنشاء هو القدرة على الإنشاء.

[١٩] **(ملكاً جباراً بعد إنشائه):**

أي هو مالك مع فعلية قدرته وسلطته، فإنَّ الجبار هو المتسلط الذي يجبر الأشياء، فإنَّها مجبورة في وجودها أولاً، وفي تحكم القوانين الطبيعية فيها ثانياً، نعم هنالك مساحة حرية للإنسان في اختيار أعماله ولذا ورد (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين) ـ كما سيأتي ـ.

قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

[٢٠] **(فليس لكونه كيف):**

أي لا يحصل تغيّر في ذاته بعد الخلق، فلا فرق في ذاته قبل الخلق وبعد الخلق، عكس المخلوقات التي تتغيّر بتغيّر ما يحيط بها.

[٢١] **(ولا له أين):**

أي لم يحصل له مكان بعد خلقه الأشياء، خلافاً لمن يزعم أنَّه تعالى جالس على العرش حقيقة أو أنَّه ينزل إلى السماء الدنيا بالمعنى الحقيقي للنزول، فإنَّ كل ذلك هو جعل مكان له تعالى، ومنشأه عدم فهم معاني الآيات المباركات وجمالها البلاغي.

[٢٢] **(ولا له حدّ):**

أي ليس له حدّ ينتهي عنده، لأنَّ كل محدود يمكن أن يُحاط، وهو تعالى

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

يُشْبِهُهُ[٢٣]، وَلَا يَهْرَمُ لِطُولِ الْبَقَاءِ[٢٤] وَلَا يَصْعَقُ لِشَيْءٍ[٢٥]، بَلْ لِخَوْفِهِ تَصْعَقُ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا[٢٦]، ....

عن أن يُحاط بل هو المحيط بالأشياء علماً وقدرة.

ولعلَّ هذا ردّ على من زعم أنَّ الله يدخل في هذا العالم ويخرج عنه، لأنَّ كل داخل في الشيء وخارج عنه يكون محدوداً، بل ليس له تعالى دخول وخروج لعدم كونه جسماً ولا في مكان ولا محدود لينتقل من مكان إلى آخر بل له إحاطة علم وقدرة بالكون كلّه.

[٢٣] **(ولا يعرف بشيء يشبهه):**

لأنَّه ليس كمثله شيء كي يُقاس بذلك الشيء، وقد مرَّت بعض الأحاديث في أنَّه تعالى يُعرف بنفسه لا بمخلوقاته.

[٢٤] **(ولا يهرم لطول البقاء):**

لأنَّه ليس بجسم، ولا متغيّر، ولا تجري عليه صفات الممكنات.

[٢٥] **(ولا يصعق لشي):**

أي لا يغشى عليه لهيبته من شيء، وذلك لأنَّه ليس محلاً للعوارض، وهو المهيمن على الأشياء كلّها.

[٢٦] **(بل لخوفه تصعق الأشياء كلها):**

أي عند ظهور قدرته تعالى يُغشى على الأشياء أو تهلك كلها، هيبة له وخوفاً منه، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(١) أي هلكوا وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾(٢) أي مغشياً عليه من الهيبة.

والخوف منه تعالى إما بمعنى الخوف من عقابه، وإما بمعنى عدم القدرة على تحمّل آيات عظمته، وإما بمعنى الهيبة منه ـ وهو شعور ينتاب الضعيف أمام القوي ـ.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

كَانَ حَيّاً بِلَا حَيَاةٍ حَادِثَةٍ[٢٧]، وَلَا كَوْنٍ مَوْصُوفٍ[٢٨]، وَلَا كَيْفٍ مَحْدُودٍ[٢٩]، وَلَا أَيْنٍ مَوْقُوفٍ عَلَيْهِ، وَلَا مَكَانٍ جَاوَرَ شَيْئاً[٣٠]، بَلْ حَيٌّ يُعْرَفُ[٣١]، وَمَلِكٌ لَمْ

المقطع الثالث

[٢٧] **(بلا حياة حادثة):**

لأنَّ حياته عين ذاته، خلافاً لمن زعم أنَّ جميع صفاته تعالى مخلوقة حادثة.

أو معنى الحادثة: الزائدة على الذات فيكون تأكيداً لما سبق.

[٢٨] **(ولا كون موصوف):**

أي ليس وجوده موصوفاً بالزمان كي تسأل «متى كان»، بل هو خارج عن الزمان.

أو بمعنى أنَّ وجوده ليس متصفاً بكونه زائداً على ذاته كالممكنات حيث كانت معدومة ثم اتصفت ماهيتها بالوجود.

أو بمعنى «موصوف بالحدوث» أي ليس وجوده حادثاً بقرينة قوله عليه السلام: «بلا حياة حادثة»، فتكون العبارة هكذا: كان حياً بلا حياة حادثة ولا وجود حادث.

[٢٩] **(ولا كيف محدود):**

أي لم تكن له الكيفيات النفسانية التي تجعل الشيء محلاً للعوارض فيكون متغيّراً محدوداً.

[٣٠] **(جاور شيئاً):**

أي ليس له مكان ليقف عليه أو ليجاور مكاناً آخر.

و«موقوف عليه» بمعنى الوقوف، أو بمعنى توقف الوجود عليه.

و«جاور» من الجوار بمعنى تقارب المكانين، وفي بعض النسخ بالزاي المعجمة من الجواز بمعنى العبور، أي ليس له مكان يتجاوز عن الأمكنة الأخرى كأن يكون فوقها مثلاً.

[٣١] **(بل حيّ يُعرف):**

بعد أن نفى الإمام عليه السلام عنه تعالى الحياة الموصوفة بالحدوث والزيادة والكيف والمكان، أثبت له الحياة غير الموصوفة بتلك الأوصاف، بل حياته من سنخ آخر، ويمكن معرفة أنَّه حي عن طريق آثاره تعالى، فهو حي،

يَزَلْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْمُلْكُ[٣٢]، أَنْشَأَ مَا شَاءَ حِينَ شَاءَ بِمَشِيئَتِهِ[٣٣]، لَا يُحَدُّ وَلَا يُبَعَّضُ وَلَا يَفْنَى[٣٤]، كَانَ أَوَّلاً بِلَا كَيْفٍ[٣٥]، وَيَكُونُ آخِراً بِلَا أَيْنٍ[٣٦] وَكُلُّ

ويُعرف بأنَّه حي بآثاره، لا بعلمنا بكنه حياته لأنَّ حياته عين ذاته فلا يمكن معرفة كنهها.

[٣٢] **(لم يزل له القدرة والملك):**

أي ليست ملكه وقدرته بتبع إيجاده للأشياء، فيكون محتاجاً إليها، بل ذاته لها القدرة والسلطنة ـ قبل الخلق وبعد الخلق وبعد فناء الأشياء ـ.

[٣٣] **(بمشيئته):**

فهو ليس بمجبور على الخلق، كما في العلل الطبيعية حيث إنَّها مجبورة لتوليد المعلول كالنار التي تصدر النُّور والحرارة من غير اختيار لها.

وفي هذا ردّ لزعم بعض الفلاسفة من أنَّه كالعلل الطبيعية مجبور، وأنَّ العالم قديم زماناً أي كان في الأزل في ضمن دائرة الزمان القديم أيضاً، وقد مرّ بعض الكلام في ردّهم.

[٣٤] **(لا يحدّ ولا يبعّض ولا يفنى):**

«لا يحدّ» أي وجوده وصفاته غير متناهية، أو بمعنى التعريف لأنَّ الحدّ إنَّما يكون بالأجزاء العقلية كالجنس والفصل.

«لا يبعّض» أي ليس له أجزاء خارجية حتى يكون كل جزء بعضاً له، فتحصل أنَّه ليست له أجزاء لا عقلية ولا خارجيَّة.

«لا يفنى» لاستحالة فناء القديم، لأنَّه ضروري الوجود وواجبه، فيستحيل عليه العدم.

[٣٥] **(أولاً بلا كيف):**

أي هو السابق على كل الموجودات، وعلَّة لها، لكن لا بقدرة وعلم وصفات تغايره، بل إيجاده لها بذاته تعالى.

[٣٦] **(آخراً بلا أين):**

أي الباقي بعد فناء الأشياء، من غير احتياجه إلى مكان، فتفنى جميع الأمكنة وهو باق تعالى.

شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ[٣٧]؛ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ[٣٨] تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[٣٩]؛

[٣٧] (كل شيء هالك إلّا وجهه):

أي كل شيء يزول إلّا ذاته تعالى، وما يزول أو يكون قابلاً للزوال لا يعقل أن يتوقف عليه القديم الواجب الوجود، إذن فلا يحتاج إلى الزمان ولا سائر ما يرتبط بالممكنات.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١).

[٣٨] (له الخلق والأمر):

«الخلق» بمعنى إيجاد كل الأشياء، و«الأمر» بمعنى إرادته التكوينية في التصرف في الأشياء والتشريعيَّة بجعل القوانين، والحاصل أنَّ التكوين ـ حدوثاً وتصرفاً ـ والتشريع بيده سبحانه وتعالى.

[٣٩] («تبارك الله رب العالمين»):

أي هو تعالى ذو خير دائم، وهو مربي العالمين أجمع ـ كعالم الإنسان والجن والملك والنباتات والجمادات وغيرها ـ.

و«ربّ» وإن كان من مادة «ر،ب،ب» إلّا أنّه بمعنى التربية وهي من مادة «ر،ب،ي» فيكون المعنى معطي الوجود والمنمّي لها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

المقطع الرابع

وهو كالنتيجة لما سبق وحاصله أنّه لا يجري عليه ما يجري على الممكنات المخلوقات.

(١) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

وَيْلَكَ أَيُّهَا السَّائِلُ: إِنَّ رَبِّي لَا تَغْشَاهُ الْأَوْهَامُ[٤٠]، وَلَا تَنْزِلُ بِهِ الشُّبُهَاتُ[٤١] وَلَا يُجَارُ[٤٢]، وَلَا يُجَاوِرُهُ شَيْءٌ[٤٣]، وَلَا تَنْزِلُ بِهِ الْأَحْدَاثُ[٤٤]، وَلَا يُسْأَلُ

---

[٤٠] **(لا تغشاه الأوهام):**
أي لا تحيط به ولا تدركه الأوهام، لأنَّها تدرك الممكنات والمحسوسات، ولا يمكنها إدراك كنه ذات الواجب، إذن فسؤالك عن «متى كان» خطأ لأنَّك تريد قياسه بما أدركته وتوهمته.
و«تغشى» من غَشِيَ يغشىٰ بمعنى اشتمال شيء لشيء.

[٤١] **(ولا تنزل به الشُّبهات):**
أي لا تدخل شبهة في وجوده وكمالاته، وذلك لوضوح أمره، ودلالة العقل والفطرة عليه.

[٤٢] **(ولا يُجار):**
بمعنى «لا يجار فيه» أي لا يوجد شك في وجوده وكماله.
وفي بعض النسخ «ولا يحار من شيء» ـ بالحاء ـ و(من) نشوية ـ أي ابتدائية ـ أي لا يكون شيء سبباً للشك والحيرة فيه بل كل الأشياء تدلُّ عليه.
وفي نسخ أخرى «ولا يجار من شيء» ـ بالجيم ـ من الإجارة بمعنى الإغاثة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) أي هو يغيث من يشاء، ولا أحد يغيثه، لأنَّ الكل محتاج إليه، وهو تعالى لا يحتاج إلى إغاثة أحد.

[٤٣] **(ولا يجاوره شيء):**
أي ليس له مكان لكي يكون له جوار، وفي بعض النسخ بالزاي أي لا يعبره شيء بمعنى: لا يخرج شيء عن حكمه وقدرته.

[٤٤] **(ولا تنزل به الأحداث):**
أي نوائب الدهر ومصائبه، لأنَّه ليس محلاً للعوارض والحوادث، كما أنَّه القادر المطلق، وما ينزل به الأحداث عاجز عن ردّها عن نفسه.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٨٨.

عَنْ شَيْءٍ[٤٥]، وَلَا يَنْدَمُ عَلَى شَيْءٍ[٤٦]، وَلَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ[٤٧]، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى[٤٨].

---

[٤٥] **(ولا يُسأل عن شيء):**

قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾(١)، وذلك لأنَّه المالك لكل شيء، فلا أحد فوقه ليسأله، مضافاً إلى أنَّ أعماله كلها صواب وحسب الحكمة.

[٤٦] **(ولا يندم على شيء):**

لأنَّ الندم نتيجة انكشاف شيء كان خافياً على النادم، فيندم على ما فاته من المصلحة أو لما وقع فيه من المفسدة، والله تعالى منزَّه عن ذلك لعلمه بكل الأشياء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢) ما يعزب أي لا يخفى.

[٤٧] **(ولا تأخذه سنة ولا نوم):**

السِنة من «الوسن» بمعنى الفتور قبل النوم، وهي مرحلة بين النوم واليقظة. فلما بيَّن الإمام عليه السلام أنَّه منزَّه من أنواع التغيّرات، ذكر أيضاً أنَّه لا تعرضه الغفلة بسبب السِّنة والنوم.

[٤٨] **(وما بينهما وما تحت الثرى):**

قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾(٣)، أي له جميع المخلوقات التي في السماوات كالنُّجوم والكواكب والملائكة ونحوها، وجميع ما في الأرض كالإنسان والحيوانات والنباتات والجمادات وغيرها، وما بين السماء والأرض كالهواء وأمثاله، و«الثرى» هو التراب، «ما تحت الثرى» المعادن والعناصر وطبقات الأرض، ولعلَّه إشارة إلى الأموات أيضاً.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٢) سورة يونس: الآية ٦١.

(٣) سورة طه: الآية ٦.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ رَفَعَهُ قَالَ: اجْتَمَعَتِ الْيَهُودُ إِلَى رَأْسِ الْجَالُوتِ[١] فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ عَالِمٌ ـ يَعْنُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ نَسْأَلْهُ[٢]، فَأَتَوْهُ فَقِيلَ لَهُمْ: هُوَ فِي الْقَصْرِ[٣]، فَانْتَظَرُوهُ حَتَّى خَرَجَ، فَقَالَ لَهُ رَأْسُ الْجَالُوتِ: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ فَقَالَ: سَلْ يَا يَهُودِيُّ عَمَّا بَدَا لَكَ[٤]، فَقَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ رَبِّكَ مَتَى كَانَ؟ فَقَالَ[٥]: كَانَ

الحديث الرابع:

[١] **(رأس الجالوت):**
كبير علماء اليهود، ولعلَّه مرادف للحاخام ـ حسب اصطلاحهم ـ.

[٢] **(بنا إليه نسأله):**
سؤالهم كان للتعنت لا للاستفهام، ولعلَّ كان غرضهم هو تثبيت اليهود على معتقداتهم، وتضعيف المسلمين في دينهم، كما يظهر من الحديث السادس الآتي.

[٣] **(هو في القصر):**
أي دار الإمارة، وكان مقرّ الوالي في الكوفة، ولم يتخذ الإمام علي عليه السلام منزلاً في الكوفة بل سكن في دار الإمارة ـ زهداً ولكي يتابع قضايا الحكم بشكل مستمر ـ.

[٤] **(سل يا يهودي عمَّا بدا لك):**
امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾(١) ولأنَّ الحق يعلو ولا يُعلى عليه ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾(٢) فلذا باب النقاش مفتوح على مصراعيه، وإنَّما يخاف النقاش الجاهل أو المُبطل.

[٥] **(فقال):**
في البدء نفى الإمام عليه السلام عن الله تعالى كل ما يوجب كون الشيء في الزمان، وبعد ذلك نفى عنه الزمان مطلقاً.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

بِلَا كَيْنُونِيَّةٍ[٦]، كَانَ بِلَا كَيْفٍ[٧] كَانَ لَمْ يَزَلْ بِلَا كَمٍّ وَبِلَا كَيْفٍ[٨] كَانَ لَيْسَ لَهُ قَبْلٌ[٩]، هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ[١٠] وَلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهًى[١١]، انْقَطَعَتْ عَنْهُ

---

[٦] **(كان بلا كينونة):**

أي من غير أن يكون وجوده حادثاً، أو من غير أن يكون وجوده زائداً على ذاته.

[٧] **(كان بلا كيف):**

أي صفات زائدة على ذاته.

[٨] **(بلا كمّ وبلا كيف):**

«الكمّ» هو المقدار، و«الكيف» ـ هنا ـ بمعنى العوارض النفسانية، فليس لله تعالى مادة قابلة للتغيّر ولا حالات نفسانية متغيّرة.

[٩] **(كان ليس له قبل):**

أي لم يسبقه شيء، أو بمعنى أنَّه ليس في الزمان حتى يصحّ فيه صفة القبل الزماني.

[١٠] **(قبل القبل بلا قبل):**

أي لا شيء قبله، فإنَّ وجود الله سبحانه سابق على أول شيء خلق في الزمان، ومعنى «بلا قبل» هو سبق وجوده على كل الموجودات، أو بمعنى أنَّه ليس في الزمان حتى يصحّ فيه القبل الزماني.

[١١] **(ولا غاية ولا منتهى):**

«الغاية» و«المنتهى» بمعنى واحد، أو بينهما فرق اعتباري فالغاية: الغرض الذي ينتهي الشيء بالوصول إليه، والمنتهى: نهاية الشيء لا إلى غرض.
وفي مجمع البحرين[١] «الغاية انتهاء الشيء ونهايته» وقال أيضاً «الغاية: العلَّة التي يقع لأجلها الشيء» وقال أيضاً «الغاية: المسافة» انتهى. وقيل: الغاية: نهاية الامتداد الزماني.
والحاصل أنَّه تعالى ليس له نهاية ولا لوجوده غرض ينتهي بالوصول إليه.

---

(١) مجمع البحرين: ج١، ص٣٢٢.

الْغَايَةُ[١٢] وَهُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ[١٣] فَقَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ: امْضُوا بِنَا فَهُوَ أَعْلَمُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ.

٥ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ[١] إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهُ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[٢] وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ: مَتَى كَانَ؟ كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ

---

[١٢] **(انقطعت عنه الغاية):**

أي كل شيء له غاية سوى ذاته تعالى، فإنَّه لا غاية له، لأنَّ وجوده ضروري واجب، ولم يكن هذا الوجود لغرض كي ينتهي بالوصول إلى ذلك الغرض، فالغاية تنقطع عنده أي لا تصل إلى ذاته، أو بمعنى أنَّ الكلام في الغاية يصحّ في كل شيء لكن لما يصل إليه تعالى فإنَّه ينقطع الكلام في الغاية.

[١٣] **(وهو غاية كل غاية):**

أي هو موجود بعد كل غاية، أو بمعنى أنَّ جميع الغايات ترجع إليه كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾(١) أي انتهاء الخلائق في الحساب إليه تعالى، وقال سبحانه: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾(٢).

الحديث الخامس:

[١] **(حبر من الأحبار):**

الحبر ـ بفتح الحاء ـ يُطلق على علماء اليهود.

[٢] **(ثكلتك أمك):**

«الثكل» هو نزول مصيبة موت الولد على والدته، وهو دعاء عليه بالموت.

---

(١) سورة النجم: الآية ٤٢.
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩٣.

بِلَا بَعْدٍ[٣]، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهى لِغَايَتِهِ[٤]، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ فَهُوَ مُنْتَهى كُلِّ غَايَةٍ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ[٥]؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ[٦]. وَرُوِيَ أَنَّهُ سُئِلَ عليه السلام: أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ سَمَاءً

---

[٣] **(بعد البعد بلا بعد):**

أي هو بعد آخر الأشياء ولا شيء بعده تعالى، بمعنى أنَّه تفنى الأشياء كلّها وهو سبحانه باقٍ، أو بمعنى أنَّه بعد الأشياء لا بمعنى المتأخر زماناً بل بمعنى بقائه بعد فناء الأشياء كلها.

[٤] **(ولا منتهى لغايته):**

أي لا منتهى لوجوده تعالى، والغاية هنا بمعنى الوجود جيء بها للجناس، فإنَّه عليه السلام نفى الغاية عنه فقال: «لا غاية» ثم قال: «ولا منتهى لغايته».

[٥] **(أفنبيّ أنت؟):**

لأنَّ الحبر علم أنَّ هذه المعاني والمعارف الدقيقة لا يمكن أن تصل إليها العقول ابتداءً، بل هي من علوم النبوة.

[٦] **(عبد من عبيد محمد ﷺ):**

أي مطيع له، وهذه العلوم أخذتها منه، كما قال عليه السلام: «علَّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب»(١).

ومادة (عبد) قد تكون بمعنى اتخاذ الشيء إلهاً، وهذه العبودية خاصة لله سبحانه وتعالى، وقد تكون بمعنى الإطاعة فتجب إطاعة الله وكذلك تجب إطاعة من أمر الله بإطاعته، وقد ورد (عبد) في القرآن الكريم بمعنى المطيع قال تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾(٢)، حيث إنَّه يجب على الرقيق إطاعة مواليهم، وقال سبحانه: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾(٣) أي خاضعون فإنَّ بني إسرائيل لم يكونوا يؤلّهون آل فرعون بل كانوا خاضعين لهم.

---

(١) الفصول المختارة، الشريف المرتضى: ص١٠٧.

(٢) سورة النُّور: الآية ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٤٧.

وَأَرْضاً[٧]؟ فَقَالَ عليه السلام: أَيْنَ سُؤَالٌ عَنْ مَكَانٍ؟! وَكَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانَ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَأْسُ الْجَالُوتِ لِلْيَهُودِ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ عَلِيّاً عليه السلام مِنْ أَجْدَلِ النَّاسِ وَأَعْلَمِهِمْ[١]، اذْهَبُوا بِنَا إِلَيْهِ لَعَلِّي أَسْأَلُهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ وَأُخَطِّئُهُ فِيهَا، فَأَتَاهُ فَقَالَ: يَا

---

[٧] **(أن يخلق سماء وأرضاً):**
كزعم ابن تيمية وأتباعه حيث صحّحوا الرواية المجعولة المنسوبة كذباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حيث نقلوا أنّه قال: (كان في عماء تحته هواء فوقه هواء)(١) فهم اعتبروا هذا الهواء غير مخلوق، وأنّه يحيط بالله، وأنَّ لله مكاناً، تعالى الله عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

الحديث السادس:

[١] **(وأعلمهم):**
اتفقت كلمة المسلمين على أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد تواترت روايات الخاصة والعامة في ذلك، فمن العامة: ما رواه البخاري عن عمر «وأقضانا علي»(٢).
وروى الحاكم في المستدرك(٣) بإسناد صحيح عن قثم بن العباس: «كيف ورث عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله دونكم؟ قال: لأنّه كان أولنا به لحوقاً وأشدّنا به لزوقاً».
قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي في الهامش: صحيح.
وفي صحاحهم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «أو ما ترضين أنّي زوجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً»(٤).

---

(١) مسند أحمد: ج٤، ص١١.
(٢) البخاري، باب تفسير القرآن، ج٦، ص١٨٧ ط بولاق.
(٣) المستدرك: ج٣، ص١٢٥.
(٤) مسند أحمد: ج٣٣، ص٤٢٢.

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، قَالَ: سَلْ عَمَّا شِئْتَ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّنَا؟ قَالَ لَهُ: يَا يَهُودِيُّ إِنَّمَا يُقَالُ: مَتَى كَانَ، لِمَنْ لَمْ يَكُنْ فَكَانَ مَتَى كَانَ[٢]، هُوَ كَائِنٌ بِلَا كَيْنُونِيَّةٍ كَائِنٍ[٣] كَانَ بِلَا كَيْفٍ يَكُونُ[٤]، بَلَى يَا يَهُودِيُّ ثُمَّ بَلَى يَا يَهُودِيُّ، كَيْفَ يَكُونُ لَهُ قَبْلٌ؟! هُوَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا غَايَةٍ وَلَا مُنْتَهَى غَايَةٍ وَلَا غَايَةَ إِلَيْهَا[٥]، انْقَطَعَتِ الْغَايَاتُ عِنْدَهُ، هُوَ غَايَةُ كُلِّ غَايَةٍ

وأيضاً في صحاحهم عن عبد الله قال كنت عند النبي فسُئل عن علي؟ فقال: قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً[١].

[٢] **(لم يكن فكان متى كان):**

قوله: «متى كان» الثانية إما تأكيد للأولى، أو الأولى استفهامية والثانية خبرية بمعنى «في وقته المحدّد» فيكون المراد: (إنَّما يسأل عن شيء بـ«متى» إذا لم يكن ذلك الشيء ثم وجد في وقت محدّد معلوم).

[٣] **(بلا كينونية كائن):**

أي قبل أن توجد الكائنات، فلم يكن زمان ولا مكان.

[٤] **(كان بلا كيف يكون):**

أي بدون وجود كيف له تعالى، والكيف بمعنى الصفات الزائدة على الذات أو بمعنى الكيفيات والانفعالات النفسانية والجسمانية، فهو تعالى منزَّه عن كل ذلك.

[٥] **(ولا غاية إليها):**

الضمير راجع إلى الغاية، أي لا نهاية ينتهي هو تعالى إلى تلك النهاية.
فيكون محصل العبارة: «هو قبل القبل بلا أن يكون وجوده لغرض بل وجوده لذاته، وبلا أن يكون هو نهاية غرض، وبلا أن يكون له نهاية ينتهي إليها».

---

(١) ألّف أحدهم وهو السيد أحمد بن صديق الغماري المغربي المتوفى عام ١٣٨٠ كتاباً أسماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي) أورد فيه متواتر الروايات ـ عن طرق العامة ـ عن النبي ﷺ والصحابة في أعلمية الإمام علي عليه السلام بعد النبي ﷺ.

فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ دِينَكَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ بَاطِلٌ.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَكَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَانَ وَلَا شَيْءَ. قُلْتُ: فَأَيْنَ كَانَ يَكُونُ؟ قَالَ: وَكَانَ مُتَّكِئاً فَاسْتَوَى جَالِساً وَقَالَ: أَحَلْتَ[١] يَا زُرَارَةُ وَسَأَلْتَ عَنِ الْمَكَانِ إِذْ لَا مَكَانَ.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: أَتَى حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟ قَالَ: وَيْلَكَ إِنَّمَا يُقَالُ: مَتَى كَانَ لِمَا لَمْ يَكُنْ، فَأَمَّا مَا كَانَ فَلَا يُقَالُ: مَتَى كَانَ، كَانَ قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْدٍ وَلَا مُنْتَهَى غَايَةٍ لِتَنْتَهِيَ غَايَتُهُ، فَقَالَ لَهُ: أَنَبِيٌّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: لِأُمِّكَ الْهَبَلُ[١] إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

الحديث السابع:

[١] (أحلت):
إما بمعنى (قلت محالاً)، أو بمعنى (الحلول) أي كلامك يستلزم حلول الله تعالى في مكان.

الحديث الثامن:

[١] (لأمك الهبل):
«الهَبَل» بمعنى الثكل أي ثكلتك أمك.
ولا يخفى أنَّ الحديث الرابع والخامس والسادس والثامن مضامينها متقاربة، ولعلَّ الواقعة تكرّرت عدّة مرّات مع عدّة من علماء اليهود، كما يشاهد الآن حينما تُثار شبهة أو تُطرح قضية فيكثر السؤال عنها ويكثر من يلقيها، فيكون الجواب متعدداً بمضامين متقاربة.

بَابُ النِّسْبَةِ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ:

إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالُوا: انْسِبْ لَنَا رَبَّكَ[١] فَلَبِثَ ثَلَاثاً لَا يُجِيبُهُمْ[٢] ثُمَّ نَزَلَتْ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إِلَى آخِرِهَا.

وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ.

الحديث الأول:

[١] **(انسب لنا ربك):**

أي اذكر لنا نسب ربك، و«النسب» القرابة من جهة الآباء، و«النسبة» لمطلق القرابة.

أو المراد بيّن كيفية ارتباطه بخلقه.

[٢] **(فلبث ثلاثاً لا يجيبهم):**

لعلَّ التأخير كان انتظاراً لنزول الوحي، أو ليكون الجواب أوقع في النُّفوس، أو لدحض أقاويل اليهود فإنَّ التأخير قد يثير القيل والقال والشُّبهات الواهية فلما يأتي الجواب يكون أقوى دحضاً للباطل، أو امتحاناً لضعاف الإيمان أو لغير ذلك.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عَمْرٍو النَّصِيبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فَقَالَ: نِسْبَةُ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ[١] أَحَداً صَمَداً أَزَلِيّاً صَمَدِيّاً[٢] لَا ظِلَّ لَهُ يُمْسِكُهُ[٣] وَهُوَ يُمْسِكُ

الحديث الثاني:

[١] **(نسبة الله إلى خلقه):**

أي كيفية ارتباطه بالخلق.

[٢] **(أحداً صمداً أزلياً صمدياً):**

أي هذه الكلمات الأربع تتضمن ما في سورة التوحيد، فـ:

«أحداً» إشارة إلى قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

«صمداً» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾.

«أزلياً» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

«صمدياً» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

ثم يذكر الإمام عليه السلام تفسير هذه الكلمات في الجملات اللاحقة.

ولا يخفى أنَّ:

«الأحد» ما لا ينقسم إلى أجزاء ـ عقلية أم خارجية ـ.

و«الصمد» السيِّد المقصود في الحوائج، فيكون الكامل من كل الجهات.

و«الأزلي» القديم الذي لا علَّة له، فلم يولد من أحد.

و«الصمدي» مبالغة في الصمد ـ لأنَّ ياء النسبة قد تكون للمبالغة ـ، فلا نظير له ولا مثل كي يعاونه فيحتاج إليه.

ونصب (أحداً) وما بعده على الحالية أي أنسبه حال كونه أحداً... الخ.

وفي معنى الكلمات وسبب نصبها احتمالات أخرى أيضاً.

[٣] **(لا ظل له يمسكه):**

«الظل» إما بمعنى الجسم ـ لأنَّ الجسم سبب الظل ـ، وإما بمعنى الرُّوح

الْأَشْيَاءَ بِأَظِلَّتِهَا[٤]، عَارِفٌ بِالْمَجْهُولِ[٥] مَعْرُوفٌ عِنْدَ كُلِّ جَاهِلٍ[٦]، فَرْدَانِيّاً[٧]،

كما يقال عالم الأرواح هو عالم الظلال ـ لأنَّ الروح جسم لطيف كالظل ـ.

والمعنى أنَّ الله ليس له جسم أو روح حتى يحتاج إليهما في وجوده.

[٤] **(وهو يمسك الأشياء بأظلتها):**

أي مع أظلتها أو بسبب أظلتها، والمعنى هو تعالى يحفظ الأشياء وما يتعلق بها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾(١) أي إنَّ الله يحفظهما وإن تركهما فإنَّهما تزولان ولا أحد قادر على حفظهما غيره تعالى.

والحاصل أنَّ الله لا يحتاج، والكل ـ في وجوده وفي استمراره في الوجود ـ بحاجة إليه تعالى.

[٥] **(عارف بالمجهول):**

أي المغيبات والمعدومات التي لم توجد بعد، لأنَّه غير محتاج، وكل جاهل يحتاج لحصول العلم إلى غيره.

[٦] **(معروف عند كل جاهل):**

أي لوضوح وجوده فإنَّه يعرفه الكل حتى الجهَّال، ولعلَّ المعنى أنَّ الجميع ـ حتى المنكرين له ـ يقصدونه في حوائجهم وخاصة في الأزمات قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٢).

[٧] **(فردانياً):**

أي لا يُقارن بأحد، و«فرداني» نسبة إلى «فرد» والألف والنون من زيادة النسبة للمبالغة، كالروحاني والجسماني نسبة إلى الروح والجسم.

والنصب على الحالية.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

لَا خَلْقُهُ فِيهِ وَلَا هُوَ فِي خَلْقِهِ[٨]، غَيْرُ مَحْسُوسٍ وَلَا مَجْسُوسٍ[٩]، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ[١٠]، عَلَا فَقَرُبَ[١١] ....

---

[٨] **(لا خلقه فيه ولا هو في خلقه):**
«لا خلقه فيه» حتى يلدهم، كما في الآباء والأمهات حيث الأبناء في أصلابهم وأرحامهن ثم يلدونهم، وأيضاً ليس ذاته تعالى مكاناً للمخلوقات، لأنّه خالق المكان وليس هو مكان.
«ولا هو في خلقه» كي يكون له والد أو والدة فيخرج منهما، وأيضاً ليس له حلول في خلقه، ولا هو في الزمان والمكان المخلوقين له.

[٩] **(غير محسوس ولا مجسوس):**
الأولى من الحس ـ بالحاء ـ، والثانية من الجس ـ بالجيم ـ.
و«الحس» هو عام لجميع الحواس الخمس بل قد يشمل القوى الإدراكية ـ مجازاً ـ، ولكن قد يُراد به خصوص حاسة البصر إذا عطف عليه إحدى الحواس الأخرى، و«الجس»، ـ بالجيم ـ: اللمس باليد.
وفي بعض النسخ كلاهما بالحاء، فيكون الثاني تأكيد للأول أو أحدهما للحواس الظاهرة والآخر للباطنة.

[١٠] **(لا تدركه الأبصار):**
قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١)
فلا يمكن رؤيته تعالى.

[١١] **(علا فقرب):**
هذا وما بعده لبيان أنواع ارتباطه بخلقه، والمعنى ارتفع عن الخلق بذاته وبصفاته، وهذا العلّو هو سبب علمه بهم وقدرته عليهم، فهو قريب بإحاطته بهم علماً وقدرة قال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).
وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٢) سورة الشورى: الآية ٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

وَدَنَا فَبَعُدَ[١٢]، وَعُصِيَ فَغَفَرَ وَأُطِيعَ فَشَكَرَ[١٣]، لَا تَحْوِيهِ أَرْضُهُ[١٤] وَلَا تُقِلُّهُ سَمَاوَاتُهُ[١٥]، حَامِلُ الْأَشْيَاءِ بِقُدْرَتِهِ[١٦]، ....

---

[١٢] **(ودنا فبعد):**

أي هو قريب لمخلوقاته بأن كان عِلَّة لهم، وهذه العِلية هي سبب بعده عن الحواس والعقول، لأنَّ المخلوقات محدودة فلا يمكنها أن تحيط به، قال سبحانه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾(١) أي ارتفع عن مشابهة الخلق وعن إدراكهم له، وهو المالك الحقيقي لهم لأنَّه عِلَّة إيجادهم ومسلّط عليهم.

[١٣] **(وعصي فغفر وأطيع فشكر):**

لأنَّه المالك القادر على الخلق، فيغفر لمن يشاء ويُثيب من يشاء.

وهذا أيضاً بيان نوعٍ من نسبته تعالى إليهم، قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾(٢)، والشكر من الله بمعنى الإثابة أي إعطائهم الثواب.

[١٤] **(لا تحويه أرضه):**

أي لا تضمّه ولا تحيط به الأرض، لأنَّها مخلوقة له تعالى، وهو ليس في المكان، بل الله تعالى أحاط بالأرض بعلمه وقدرته قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾(٣).

[١٥] **(ولا تقلّه سماواته):**

«قلَّ» بمعنى حَمَل كقوله تعالى: ﴿إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا﴾(٤)، والمعنى لا تحمله السماوات.

[١٦] **(حامل الأشياء بقدرته):**

أي هو علة وجودها واستمرارها في الوجود ومسلط عليها من كل الجهات.

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٤.

(٣) سورة فصلت: الآية ٤٥.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٥٧.

دَيْمُومِيٌّ أَزَلِيٌّ[١٧]، لَا يَنْسَى وَلَا يَلْهُو وَلَا يَغْلَطُ وَلَا يَلْعَبُ[١٨]، وَلَا لِإِرَادَتِهِ

والحامل: ليس ارتباطه بخلقه أن تضمّه الأرض المخلوقة له، ولا أن تحمله السماوات وهي مخلوقة له، بل هو تعالى حامل الأشياء بقدرته.

[١٧] **(ديمومي أزلي):**

لا يحتاج إلى غيره لا في وجوده ولا في استمراره لأنَّه سرمدي.

و«ديمومي» بمعنى أبدي فلا نهاية لوجوده، نسبة إلى ديمومة وهي مصدر دام يدوم.

و«أزلي» بمعنى لا بداية لوجوده.

[١٨] **(لا ينسى ولا يلهو ولا يغلط ولا يلعب):**

لأنَّ منشأ هذه الأمور النقص، ومن يرتكبها يحتاج إلى غيره ليرشده ويصحّح خطأه وليكمّله، وهو تعالى الغني المطلق الذي يحتاج إليه غيره.

و«النسيان»: هو الجهل بالشيء بعد العلم به.

و«اللهو»: انصراف الذهن عن شيء لانشغاله بأمر آخر، وقد يكون بمعنى الغفلة، قال سبحانه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[١].

و«الغلط»: الخطأ بأن يجعل شيئاً مكان شيء آخر ومنشؤه الجهل أو الغفلة أو العجز.

و«اللعب»: هو الانشغال بأمر بلا غرض، ومنشؤه نقص الإدراك أو الحاجة إلى ملء الفراغ والتسلي ونحو ذلك.

والله سبحانه منزَّه من كل ذلك، لأنَّه صمد مقصود إليه في الحوائج ولا يحتاج إلى شيء.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٧.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٤.

(٣) سورة الأنبياء: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

فَصْلٌ[١٩] وَفَصْلُهُ جَزَاءٌ[٢٠] وَأَمْرُهُ وَاقِعٌ[٢١]، لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ[٢٢]، وَلَمْ يُولَدْ

---

[١٩] (ولا لإرادته فصل):

«الفصل» بمعنى القطع، أي لا شيء يمنع إرادة الله تعالى.

فإن كانت إرادة تكوينية تحقّق الشيء من غير مانع قال سبحانه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

وإن كانت إرادة تشريعيَّة، تحقّق الحكم الشرعي من غير مانع أيضاً، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾(٢)، أي يحكم بالتحليل والتحريم حسب إرادته.

وإرادته تعالى ـ تكويناً أم تشريعاً ـ لا تكون اعتباطاً، بل بالحكمة لأنَّه سبحانه حكيم.

[٢٠] (وفصله جزاء):

أي في الإرادة التشريعية، يتحقّق مراده تعالى وهو صدور الحكم الشرعي، وليست إرادته جبر الناس على الالتزام بالحكم، لكنَّه يجازي المطيع بالثواب والعاصي بالعقاب، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(٣) أي جُمعت الرسل يوم القيامة، وقد أجَّل الله تعالى جمعهم ليوم الفصل بين الخلائق بإثابة المحق وعقاب المبطل.

[٢١] (وأمره واقع):

أي في الإرادة التكوينية، يقع أمره لا محالة، قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤).

[٢٢] (لم يلد فيورث):

أي لم ينفصل ـ بالولادة ـ عنه شيء كان داخلاً فيه، فيرثه ذلك الولد في صفاته وفي ملكه.

---

(١) سورة يس: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١.

(٣) سورة المرسلات: الآيات ١١ ـ ١٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ١١٧.

فَيُشَارَكَ[٢٣]، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[٢٤].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ قَالَ: قَالَ: سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ[١] أَقْوَامٌ مُتَعَمِّقُونَ[٢] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وَالْآيَاتِ مِنْ

ويمكن قراءة (يورث) بالمجهول من المجرد أو باب الإفعال أو باب التفعيل، وبالمعلوم من البابين.

[٢٣] **(ولم يولد فيشارك):**

أي لم ينفصل ـ بالولادة ـ عن شيء كان هو في ذلك الشيء، فيكون ذلك الشيء شريكه في صفاته وفي ملكه، لأنَّ الوالد شبيه الولد كما أنَّ الولد يشبه أباه في الصفات.

ويمكن قراءة (يشارك) بالمعلوم وبالمجهول.

[٢٤] **(كفواً أحد):**

أي لا أحد يماثله حتى يكون كفواً له، و«الكفو» المثل.

الحديث الثالث:

[١] **(آخر الزمان):**

سمي آخر الزمان لقربه من قيام الساعة، والأظهر أنَّ المراد به من زمان بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله لأنَّه الأقرب إلى نهاية الزمان، قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾(١).

[٢] **(أقوام متعمقون):**

أي يفكرون بدقائق الأمور ويبحثون عن بواطنها كالذي يغوص في أعماق البحار لاستخراج جواهره ولآلئه.

وبما أنَّ المتعمق في المعرفة لا يؤمن فيه الزلل والخطأ في موضوع هو

---

(١) سورة القمر: الآية ١.

سُورَةِ الْحَدِيدِ[٣] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦] فَمَنْ رَامَ وَرَاءَ

فاصل بين الإيمان والكفر، لذا جعل الله تعالى ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل، والميزان للمتعمقين سورة التوحيد وآيات سورة الحديد، فمن ترك هذا الميزان وتعمّق بغيره فقد غرق في الضلال أو الكفر.

وفي حاشية الوافي(١) «والأظهر أنَّ الرواية ذم للمتعمقين أي الذين يتصدون لمعرفة ما لا يناله الإنسان من ذات الله تعالى وأمر لهم بالاكتفاء بمفردات الآيات» انتهى.

وفي المرآة(٢) «أي ليتعمقوا فيه، أو لا يتعمقوا كثيراً بأفكارهم بل يقتصروا في معرفته سبحانه على ما بُيِّن لهم، أو يكون لهم معياراً يعرضون أفكارهم عليها فلا يزلّوا ولا يخطئوا، والأوسط أظهر» انتهى.

والحاصل أنَّ الله جعل ميزاناً لمعرفة الحق من الباطل، وهو القرآن أولاً، ورسول الله ﷺ ثانياً ليبين للناس ما نزل لهم، وبعد الرسول ﷺ الميزان هو ما تركه الرسول ﷺ في الأُمَّة أي القرآن وأهل البيت ﷺ، ولذا ورد أنَّ كل ما لم يخرج من هذا البيت فهو باطل(٣)، أي كل ما يرتبط بأمور الدِّين.

[٣] **(والآيات من سورة الحديد):**

وهي الآيات الست من أول سورة الحديد:

ففي التبيين(٤):

١ - ﴿سَبَّحَ﴾ نزّه ﴿لِلَّهِ﴾ خالصاً له ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إما بلسان الحال، أو لها لسان خاص، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في سلطانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في تدبيره.

٢ - ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ﴾ في الآخرة، أو الجماد يحوّله ذا حياة ﴿وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) حاشية الوافي: [ج١، ص٣٦٩.

(٢) المرآة: ج١، ص٣٢٠.

(٣) الاختصاص: ص٣١.

(٤) التبيين: ص٥٥١ - ٥٥٢.

---

٣ ـ ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ السابق على الموجودات ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ الباقي بعد فنائها ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بآثاره ﴿وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ لا يدرك كنهه العقل ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ عالم.

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي﴾ قدر ﴿سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ﴾ توجّه واستولى ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ الملك، ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ كالميت يقبر، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالمطر، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ﴾ كالمَلَك، ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ بعلمه وقدرته ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ فيجازيكم عليه.

٥ ـ ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ﴾ إلى حكمه وحسابه ﴿تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أمور الناس وغيرهم.

٦ ـ ﴿يُولِجُ﴾ يدخل ﴿ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ بتمديد الليل، ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ﴾ بتمديد النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بأسرار صدور الناس. انتهى.

وفي حاشية الوافي[1]:

حيث دلَّ بقوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ على شهادة كل بتقديسه وتنزهه، فكل موجود يمكن أن يستدلّ منه على وجوده وتقدسه.

ثمَّ دلَّ بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ على عموم قدرته.

وبقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾ على أزليته ودوامه وسرمديته، كونه مبدأ كل معلول.

وبقوله: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ على ظهور آياته ودلائل وجوده وقدرته وعلمه بالظواهر والبواطن وكونه غير مُدرَك بالحواس.

وبقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ على عموم علمه.

ثم بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ على استواء نسبته سبحانه إلى المعلولات فلا يختلف بالقرب والبعد، وظهور شيء وخفائه.

وبقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ على إحاطة علمه بجميع الأشخاص والأمكنة فلا يعزب عنه سبحانه شيء منها.

وبقوله: ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ على إلهيته للكل... الخ.

وبقوله: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ على أنَّه يأتي بآيات الظهور والخفاء والكشف والستر.

---

(١) حاشية الوافي: ج١، ص٣٦٩.

ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ[٤].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُهْتَدِي قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنِ التَّوْحِيدِ فَقَالَ: كُلُّ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وَآمَنَ بِهَا[١] فَقَدْ عَرَفَ التَّوْحِيدَ[٢]؛ قُلْتُ: كَيْفَ يَقْرَأُهَا؟ قَالَ: كَمَا يَقْرَأُهَا النَّاسُ[٣].

[وبقوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾] وأنَّ الموجودات بالوجود العلمي ومخزونات النُّفوس والصدور التي هي أخفى الأشياء، ظاهرة عليه أعلى مراتب الكشف والظهور. انتهى.

[٤] **(فقد هلك):**
أي سبَّب لنفسه أشدّ الضرر، لأنَّ الانحراف في التوحيد يوجب الكفر والضلال، فيخسر ثواب الآخرة ويستحق العذاب الدائم.

الحديث الرابع:

[١] **(وآمن بها):**
أي اعتقد بما فيها.

[٢] **(فقد عرف التوحيد):**
فأدنى درجات التوحيد ـ الذي ينجو به الإنسان ـ هو الاعتقاد بما في ظاهر هذه الآيات، وبما أنَّ المعرفة درجات كما قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًىۗ﴾(١) فكلَّما ازداد الإنسان تدبراً وفهماً لهذه السورة فقد ازداد إيماناً ومعرفة.

[٣] **(كما يقرأها الناس):**
أي عموم الناس أو المراد العامة.
وذلك لأنَّ القرآن الكريم لم ينقص فيه شيء ولم يزد فيه شيء، وما بأيدينا هو كما أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة مريم: الآية ٧٦.

وَزَادَ فِيهِ كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي[٤] كَذَلِكَ اللَّهُ رَبِّي.

ولعلَّ هذا المقطع يدلُّ على عدم جواز القراءة بغير القراءة المشهورة بين الناس وهي القراءة التي قرأ على طبقها عاصم.

وقال السيد الوالد (أعلى الله درجاته) في الوصائل[١]:

وأما مسألة القراءات فهي شيء حادث، كانت حسب الاجتهادات لجماعة خاصة، ولكن لم يعبأ بها المسلمون لا في زمان القرّاء ولا بعد زمانهم.

وقال[٢]: ولذا نستشكل نحن في صلاة من يقرأ «ملك» في سورة الحمد مكان «مالك»، أو كفؤاً» بالهمزة في سورة التوحيد مكان «كفواً» بالواو.

وقال: كما أنَّ روايات التحريف الموجودة في كتب السُّنة والشيعة روايات دخيلة، أو غير ظاهرة الدلالة، وقد تتبعنا ذلك فوجدنا أنَّ الروايات التي في كتب الشيعة تسعين بالمئة منها عن طريق السياري وهو بإجماع الرجالين كذاب وضاع ضال، والبقية بين ما لا سند لها، أو لا دلالة لها، كما يجدها المتتبع الفاحص، وأما روايات السُّنة: فهي أيضاً تنادي بكذب أنفسها، كما لا يخفى على من راجع الروايات، في البخاري وغيره انتهى.

[٤] **(وزاد فيه كذلك الله ربي)**:

أي بعد قراءة التوحيد قل «كذلك الله ربي»، وفي الأخبار يقولها ثلاثاً في الصلاة وغيرها، إظهاراً للإيمان واستكمالاً له، وتصديقاً بما جاء في الكتاب المنزل، وفي بعض النسخ «ذلك الله ربي».

---

(١) الوصائل: ج٢، ص٢٤١.

(٢) ص٢٤٢.

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْكَيْفِيَّةِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: تَكَلَّمُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ[١] فَإِنَّ الْكَلَامَ فِي اللَّهِ لَا يَزْدَادُ صَاحِبَهُ إِلَّا تَحَيُّراً[٢].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عَنْ حَرِيزٍ: تَكَلَّمُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَتَكَلَّمُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ.

الحديث الأول:

[١] **(ولا تتكلموا في الله):**

أي في كنه ذاته وحقيقته.

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر عليه السلام ما يفسر معنى هذا الحديث قال (اذكروا من عظمة الله ما شئتم ولا تذكروا ذاته، فإنّكم لا تذكرون منه إلّا وهو أعظم منه)(١) و«الكلام» هنا يشمل القول وكذلك المجادلة كما يظهر من الأحاديث اللاحقة.

[٢] **(لا يزداد صاحبه إلّا تحيراً):**

وذلك لعدم إمكان الإحاطة بكنه ذاته، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢)، ومن فكّر بما لا يمكنه الوصول إليه فإنّه ترتسم في ذهنه احتمالات وصور وأفكار، وكلّما ازدادت هذه الاحتمالات ازداد التحير، كعجز الناظر إلى الشمس حين ارتفاعها، فكلما ازداد نظراً، ازداد عمىً.

---

(١) الوافي: ج١ ص٣٧٢ عن توحيد الصدوق.

(٢) سورة طه: الآية ١١٠.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢][١] فَإِذَا انْتَهَى الْكَلَامُ إِلَى اللَّهِ فَأَمْسِكُوا.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ النَّاسَ لَا يَزَالُ بِهِمُ الْمَنْطِقُ[١] حَتَّى يَتَكَلَّمُوا فِي اللَّهِ فَإِذَا سَمِعْتُمْ ذَلِكَ[٢] فَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

الحديث الثاني:

[١] **(إلى ربك المنتهى):**
أي نهاية التفكير إلى هذا الحد، فلا يمكن التفكير بما بعده، والمعنى هو أنَّه يمكن ويجوز التفكير في كل شيء سوى ذات الله تعالى.
والانتهاء إلى الله تعالى قد يكون في الفكر وقد يكون في العمل، وتفسيره عليه السلام بيان لأحد المصاديق ـ وهو النهاية في الفكر ـ، والمصداق الآخر هو النهاية في العمل أي انتهاء الخلائق في الحساب إليه تعالى، ويمكن حمل كلام الإمام عليه السلام على التأويل.

الحديث الثالث:

[١] **(لا يزال بهم المنطق):**
«بهم» بمعنى معهم، أي يجوز الكلام معهم في كل شيء إلّا في ذات الله.

[٢] **(فإذا سمعتم ذلك):**
أي كلامهم في ذات الله، فحينئذٍ لا تخوضوا في الحديث معهم، بل انقلوا الكلام إلى التوحيد ونفي الشبيه.
وإذا رأى الإنسان جمعاً يتكلمون بالباطل في الله وفي آياته، فعليه أن يغيّر الكلام أو الإعراض عنهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ

الْوَاحِدُ الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٣].

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: يَا زِيَادُ إِيَّاكَ وَالْخُصُومَاتِ[١] فَإِنَّهَا تُورِثُ الشَّكَّ[٢] وَتَهْبِطُ الْعَمَلَ[٣]

عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[(١)].

[٣] (ليس كمثله شيء):

لأنَّ الكلام في ذات الله يستلزم عادة تشبيهه بمخلوقاته، لأنَّ الإنسان إذا أراد معرفة كنه شيء لم يكن قد رآه، فإنَّه يشبّهه بما رآه.

فإذا رأيتم الناس يتكلمون في الله، فبيّنوا لهم أنَّه ليس كمثله شيء، فلا يمكن معرفة ذاته بقياسه بمخلوقاته.

الحديث الرابع:

[١] **(إياك والخصومات):**

أي المراء في مسائل الدين والجدل الذي لا يُراد منه إحقاق الحق بل يُراد منه الغلبة على الآخر بأية كيفية كانت، وهذا النوع من الجدل منشأ للعداوات، ويورث أربعة أمور:

[٢] **(فإنَّها تورث الشك):**

الأمر الأول: في المراء يرفض الإنسان ما يقوله الآخر ـ ولو كان حقاً ـ، ويصرّ على ما يقوله هو ـ ولو كان باطلاً ـ، وبما أنَّ النفس لا تريد الاعتراف بصحة كلام الخصم، فإنَّها تزيّن لصاحبها كلامه الباطل حتى يشك في الحق ـ وإن كان متيقناً به سابقاً ـ.

[٣] **(وتحبط العمل):**

الأمر الثاني: حبط العمل، وهو بطلان الأعمال الحسنة، لأنَّ الشك يحبط

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٨.

وَتُرْدِي صَاحِبَهَا[٤]. وَعَسَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ فَلَا يُغْفَرَ لَهُ[٥] إِنَّهُ كَانَ فِيمَا مَضَى قَوْمٌ تَرَكُوا عِلْمَ مَا وُكِّلُوا بِهِ[٦] وَطَلَبُوا عِلْمَ مَا كُفُوهُ[٧]، حَتَّى انْتَهَى كَلَامُهُمْ إِلَى اللَّهِ فَتَحَيَّرُوا، حَتَّى إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُدْعَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ[٨] فَيُجِيبُ مِنْ خَلْفِهِ وَيُدْعَى مِنْ خَلْفِهِ فَيُجِيبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

العمل قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾[(١)]، أو بمعنى أنَّ العمل مع شك لا أجر فيه.

[٤] **(وتردي صاحبها):**

الأمر الثالث: السقوط، و«تردي» من الردى بمعنى السقوط والهلاك، فإنَّ المجادل بالباطل لا بد وأن ينفضح لأنَّ الباطل زَهوق، فتسقط مكانته الاجتماعية والفكرية بانكشاف زيفه وباطله.

[٥] **(فلا يغفر له):**

الأمر الرابع: العذاب الأخروي، إذ لعلَّه يتكلم بباطل يؤدِّي إلى الكفر، أو إلى الكبائر، أو إلى آثار غير محمودة لكلامه، فلا يراه الله مستحقاً للغفران فلا يغفر له.

[٦] **(علم ما وكّلوا به):**

من التوكيل، بمعنى ما أمروا بتحصيله، لأنَّهم كانوا قادرين على معرفته، كالمعارف الحقة والفقه ونحوهما.

[٧] **(طلبوا علم ما كفوه):**

من الكفاية، أي كفاهم الله مؤونته بأن أسقطه عنهم، أو من الكفّ بمعنى المنع أي منعهم الله عن ذلك.

[٨] **(من بين يديه):**

لأنَّ المتحير قد تشتبه عليه الأمور الضرورية والواضحة، و«مِن» حرف جر في قوله (من خلقه) و(من بين يديه).

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٩.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: حَتَّى تَاهُوا فِي الْأَرْضِ[٩].

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمَيَّاحِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ نَظَرَ فِي اللَّهِ كَيْفَ هُوَ[١]؟ هَلَكَ[٢].

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ مَلِكاً[١] عَظِيمَ الشَّأْنِ كَانَ فِي مَجْلِسٍ لَهُ فَتَنَاوَلَ الرَّبَّ[٢] تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَفُقِدَ[٣] فَمَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ.

---

[٩] (حتى تاهوا في الأرض):
كما قال تعالى: ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾(١).

الحديث الخامس:

[١] (كيف هو):
أي ليعرف كنه ذاته.

[٢] (هلك):
لأنّه ارتكب محرماً، ولأنَّ هذا النظر يؤدِّي عادة إلى العقائد الباطلة.

الحديث السادس:

[١] (إنَّ ملكاً):
بكسر اللام من ملوك الدنيا، أو بفتحها من الملائكة.

[٢] (فتناول الرب):
أي تكلم في ذات الله أو فكّر فيها.

[٣] (ففقد):
أي فُقد من مجلسه، عقوبة له، ولا يُدرى إلى أي مكان ألقاه الله فيه.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧١.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ رَزِينٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالتَّفَكُّرَ فِي اللَّهِ وَلَكِنْ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَى عَظَمَتِهِ فَانْظُرُوا إِلَى عَظِيمِ خَلْقِهِ[١].

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا ابْنَ آدَمَ[١] لَوْ أَكَلَ قَلْبَكَ طَائِرٌ لَمْ يُشْبِعْهُ، وَبَصَرُكَ لَوْ وُضِعَ عَلَيْهِ خَرْقُ إِبْرَةٍ لَغَطَّاهُ،

ولا يخفى أنَّ الملائكة معصومون أو محفوظون من الذُّنوب ـ كما ذكرنا ذلك في التفكّر في القرآن ـ فلعلَّ تناوله كان بالمقدار الذي ليس بذنب ولكنَّه ترك للأولى، فاستحق بتركه الأولى التنزل من مجلسه ومن عظمة شأنه.

أما إذا كان هذا من ملوك الدنيا، فالأمر فيه واضح.

الحديث السابع:

[١] **(إلى عظيم خلقه):**

لأنَّ الإنسان يتضاءل أمام مخلوقاته العظيمة، فإذا نظر إليها وعلم بأنَّها مخلوقاته، فإنَّه سيعلم بأنَّ الله أعظم منها لأنَّه خالقها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١) والملكوت مبالغة في الملك أي الملك العظيم، وقال سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢).

الحديث الثامن:

[١] **(يا ابن آدم):**

حاصل الحديث: أنَّ قوى الإنسان ـ الجسمانية والباطنية ـ ضعيفة جداً، لا تطيق بعض مخلوقاته، فالعين أو قوة الباصرة لا يمكنها النظر إلى الشمس مثلاً، والقلب أو قوى الإدراك الباطني لا يمكنها تجاوز الأجسام أو ما

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ بِهِمَا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَهَذِهِ الشَّمْسُ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَمْلَأَ عَيْنَيْكَ مِنْهَا فَهُوَ كَمَا تَقُولُ[٢].

يشابهها، فلا يمكن للإنسان أن يعرف بها الكثير من آثار عظمة الله تعالى، فكيف يمكنه معرفة كنه ذاته تعالى بها!! قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[١].

بلى لو استعمل الإنسان أعضاءه وقواه ـ الظاهرية أم الباطنية ـ وبالطرق التي شرعها الله تعالى، فإنَّه يتمكن من النظر إلى بعض آثار عظمة الله تعالى والاعتبار بها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[٢] أي أو لم ينظروا نظر اعتبار في الملك العظيم الدال على وجود الله تعالى.

وفي المرآة[٣]: «ويمكن أن يكون المراد التنبيه بصغر وحقارة القوى الظاهرة، على ضعف قوى الباطنة، أي كما لا يقدر بصرك الظاهر على تحديق النظر إلى الشمس فكيف تقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته وأنوار جلاله.

أو المراد أنَّ العين تعجز عن رؤية بعض المحسوسات فكيف ما لا يدركه حس ولا يحيط به جهة، فيكون تنبيهاً على عجز القوى الجسمانية عن إدراكه سبحانه فالمراد بالملكوت مالك الملكوت، أي إذا لم تقدر على رؤية سائر الملكوت فكيف المالك» انتهى.

[٢] **(فهو كما تقول)**:

تعليق على المحال، أي فكما يمتنع التحديق في الشمس إذ يؤدِّي إلى العمى، كذلك يمتنع معرفة الملكوت ـ بالمعنى الذي مرّ ـ.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.

(٣) المرآة: ج١، ص٣٢٤.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ الْيَعْقُوبِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى مَوْلَى آلِ سَامٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ يَهُودِيّاً يُقَالُ لَهُ سِبَحْتُ[١]، جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أَسْأَلُكَ، عَنْ رَبِّكَ، فَإِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ[٢] وَإِلَّا رَجَعْتُ، قَالَ: «سَلْ عَمَّا شِئْتَ»، قَالَ: أَيْنَ رَبُّكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ[٣] وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَكَانِ الْمَحْدُودِ[٤]». قَالَ: وَكَيْفَ هُوَ[٥]؟ قَالَ: «وَكَيْفَ أَصِفُ رَبِّي

الحديث التاسع:

[١] **(سبحت):**
بالحاء ولعلّه معرب «سبخت» بالخاء ـ بمعنى ثلاثة حظوظ ـ لما رواه الصدوق رضوان الله عليه في التوحيد وفيه (سبخت الفارسي).

[٢] **(عمّا أسألك):**
أي إن أجبتني آمنت بك، حذف الجزاء لوجود القرينة عليه.

[٣] **(هو في كل مكان):**
أي محيط ـ بعلمه وقدرته ـ بكل الأمكنة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(١).

[٤] **(من المكان المحدود):**
أي ليس في المكان بمعنى الحيّز والظرف أو المقر، لأنَّ المكان محدود ومحيط بما فيه أو عليه، والله غير محدود ولا يُحاط به بل هو محيط بكل شيء، قال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(٢).

[٥] **(كيف هو؟):**
أي هو على أيِّ حال، أو أيّة صفة ليُعرف بها؟

---

(١) سورة الحديد: الآية ٤.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٦.

بِالْكَيْفِ[٦] وَالْكَيْفُ مَخْلُوقٌ وَاللَّهُ لَا يُوصَفُ بِخَلْقِهِ[٧]»؛ قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ يُعْلَمُ أَنَّكَ نَبِيُّ اللَّهِ؟ قَالَ: «فَمَا بَقِيَ حَوْلَهُ حَجَرٌ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ إِلَّا تَكَلَّمَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» يَا سِبَحْتُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّه ﷺ[٨] فَقَالَ سِبَحْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَمْراً أَبْيَنَ مِنْ هَذَا[٩]، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّه.

---

[٦] **(كيف أصف ربِّي بالكيف):**

أي بصفة زائدة على ذاته، أو بالعوارض والكيفيات النفسانية.

[٧] **(والله لا يوصف بخلقه):**

لأنَّ كل شيء غير ذات الله فهو مخلوق له تعالى، والله لا يعقل أن يوصف بمخلوقاته، لأنَّ معنى ذلك فقدانه لتلك الصفة قبل خلقها، فجرى فيه النقص والاحتياج، وهو الغني المطلق الكامل من جميع الجهات.

[٨] **(يا سبحت إنَّه رسول الله):**

لأنَّ إثبات الله وصفاته يرتبط بالدليل العقلي، وأما إثبات صدق مدّعي النبوة فيكون عن طريق الإعجاز ـ عادة ـ فلذا أسمعه رسول الله ﷺ معجزة ليؤمن به.

وقد ورد في القرآن الكريم نظير هذه المعجزة لأنبياء سابقين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾(١) أي يا جبال ويا طيور كرري وأرجعي التسبيح مع داود (على نبينا وآله وعليه السلام).

[٩] **(أبين من هذا):**

أي أوضح من هذه المعجزة.

وفي توحيد الصدوق (رضوان الله عليه) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه نقل هذه القصة في بعض خطبه وفيها(٢): (فلم يبق بحضرتنا ذلك اليوم حجر ولا مدر ولا جبل ولا شجر ولا حيوان إلَّا قال مكانه: أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وقلت أنا أيضاً: أشهد أن لا إله إلَّا

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٠.

(٢) كما في الوافي: ج١، ص٣٦١ ـ ٣٦٢.

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَثْعَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتِيكٍ الْقَصِيرِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ[١] فَرَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ[٢] ثُمَّ قَالَ: تَعَالَى الْجَبَّارُ[٣]، تَعَالَى الْجَبَّارُ، مَنْ تَعَاطَى مَا ثَمَّ هَلَكَ[٤].

الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فقال: يا محمد، من هذا؟ قال: هذا خير أهلي وأقرب الخلق منِّي، لحمه من لحمي، ودمه من دمي، وروحه من روحي، وهو الوزير منِّي في حياتي، والخليفة بعد وفاتي، كما كان هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيّ بعدي، فاسمع له وأطع، فإنَّه على الحق، ثم سمَّاه عبد الله).

الحديث العاشر:

[١] **(عن شي من الصفة):**
أي عن كنه وحقيقة الصفة ـ كما يظهر من جواب الإمام عليه السلام ـ.

[٢] **(فرفع يده إلى السماء):**
إما للدعاء للاستعاذة به تعالى من هذا السؤال، وإما للإشارة إلى السماء لأنَّ أوامر الله تعالى تصدر منها.

[٣] **(تعالى الجبار):**
أي هو أرفع وأعلى شأناً من أن تُعرف حقيقته وكنه ذاته، وقوله عليه السلام: «الجبار» كالمقدمة لقوله: «من تعاطى ثم هلك» لأنَّ معنى الجبار هو: «من يقهر الكون بإرادته» فيُخشى عقابه.

[٤] **(تعاطى ما ثَمَّ هلك):**
أي تكلَّم في ما هنالك فقد هلك، و«ثَمَّ» ـ بمعنى هنالك ـ مجاز، لأنَّه إما بمعنى السماء أو بمعنى الصفات أي تكلم في ذلك الموضوع ـ وهو كنه الصفات ـ.

بَابُ فِي إِبْطَالِ الرُّؤْيَةِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ[١] قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام أَسْأَلُهُ كَيْفَ يَعْبُدُ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَهُوَ لَا يَرَاهُ[٢]؟ فَوَقَّعَ عليه السلام: يَا أَبَا يُوسُفَ جَلَّ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَالْمُنْعِمُ عَلَيَّ وَعَلَى

الحديث الأول:

[١] **(عن يعقوب بن إسحاق):**

لعلَّه الفيلسوف المعروف، الذي ألَّف كتاباً في تناقض القرآن ـ حسب زعمه ـ ثم أحرق الكتاب لمَّا بلغه كلام عن الإمام العسكري عليه السلام في حلّ شبهته.

وفي جواب الإمام عليه السلام ما يستشعر منه أنَّ السائل هو الفيلسوف المعروف وأنَّ غرضه كان الاختبار.

وليس (ابن السكيت) الذي قتله المتوكل لأجل التشيع، وقد كان معلماً لولدي المتوكل، فقال المتوكل يا يعقوب أيهما أحب إليك ولداي هذان أو الحسن والحسين؟ فقال: والله إنَّ قنبراً غلام علي بن أبي طالب خير منهما ومن أبيهما، فقال المتوكل: سلّوا لسانه من قفاه، فسلّوه فمات رحمه الله.

[٢] **(وهو لا يراه):**

في حاشية الوافي[١] «وكأنَّه أراد امتحان الإمام عليه السلام في علمه وعقله، لأنَّ أكثر زهاد ذلك العصر كانوا مجسمة لا يعترفون بموجود غير مجسم» انتهى.

---

(١) حاشية الوافي: ج١، ص٣٧٧.

آبَائِي[٣] أَنْ يُرَى، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَبَّهُ[٤]؟ فَوَقَّعَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَى رَسُولَهُ بِقَلْبِهِ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ مَا أَحَبَّ[٥].

---

[٣] **(المنعم عليَّ وعلى آبائي):**

أثبت الإمام عليه السلام بهذه الكلمة عدة أمور:

١ ـ أنّه ليس من شرط العبادة الرؤية، فإن شكر المنعم واجب مطلقاً.

٢ ـ عدم إمكان الرؤية، لأنَّه أجلّ وأعلى من أن يُرى.

٣ ـ إنَّ معرفتنا به ليس كمعرفتكم، لأنَّ ما عندنا فهو ممَّا أنعم الله به علينا من كمال العلم والمعرفة فلا خطأ في علومنا، عكس الكثير من الفلاسفة حيث أخذوا أكثر علومهم من غير الله تعالى أو اعتمدوا على عقولهم من غير هداية من الوحي فلذا أخطأوا وضلوا وأضلّوا.

[٤] **(هل رأى رسول الله ﷺ ربّه):**

السؤال إما عن الرؤية البصرية، لاحتماله أنَّه ﷺ لكماله كان يمكنه الرؤية، وإما عن الرؤية القلبية حيث يزعم بعض العامة أنَّ الرسول ﷺ رأى الله في المعراج وكان القلب آلة للإبصار!

[٥] **(من نور عظمته ما أحب):**

المعنى: أنَّ رؤية الله مستحيلة على كل أحد، وإنَّما الرؤية الممكنة هي معرفته تعالى، والمعرفة قلبية، وقد دلّت الأدلة العقلية والنقلية من القرآن الكريم ومتواتر الروايات استحالة رؤيته في الدنيا وفي الآخرة.

وكان الضلال نتيجة ابتعاد الكثير من الأمة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام وتفسيرهم للقرآن بآرائهم، وقد حذّرهم رسول الله ﷺ من أن تركهم للقرآن ولأهل البيت عليهم السلام موجب لضلالهم، فقال في حديث الثقلين: (ما إن تمسكتم بهم لن تضلوا بعدي أبداً)(١).

فقال بعضهم بإمكانها في الجهة والمكان، وبعضهم إمكانها لا في الجهة والمكان، ومنهم من قال بوقوعها في الدنيا بأن رآه رسول الله ﷺ، ومنهم من قال باختصاصها بالآخرة، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

---

(١) الأمالي، الصدوق: ص٥٦٤.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ[١] أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي ذَلِكَ فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالَ وَالْحَرَامِ وَالْأَحْكَامِ[٢]، حَتَّى بَلَغَ سُؤَالُهُ إِلَى التَّوْحِيدِ، فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ: إِنَّا رُوِينَا[٣] أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ الرُّؤْيَةَ وَالْكَلَامَ بَيْنَ نَبِيَّيْنِ فَقَسَمَ الْكَلَامَ لِمُوسَى وَلِمُحَمَّدٍ الرُّؤْيَةَ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام[٤]: فَمَنِ الْمُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ إِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ: ﴿لَا

الحديث الثاني:

[١] **(المحدّث):**

قال الحرّ العاملي رضوان الله عليه: أي يحدّث بأحاديث العامة، وكان قاضياً(١).

[٢] **(والأحكام):**

عطف العام على الخاص، أو بمعنى سائر الأحكام كالأحكام الوضعية، أو الحلال بمعنى المباح فالأحكام بمعنى المستحب والمكروه والواجب، أو الأحكام بمعنى الواجبات فالحلال بمعنى المباح بالمعنى الأعم.

[٣] **(روينا):**

بالمجهول، أي أخبرنا عبر الرواية.

[٤] **(فقال أبو الحسن عليه السلام):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام أنّ القرآن يدلُّ على عدم إمكان الرؤية، وهذه الرواية تخالف القرآن فيجب تكذيبها، ولو صحّت هذه الرواية لكان الرسول صلى الله عليه وآله متناقضاً في كلامه ـ وحاشاه من ذلك ـ.

---

(١) هامش الفصول المهمة في أُصول الائمة: ج١، ص١٧٨.

تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[٥] [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٦] [طه: ١١٠] وَ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[٧] [الشورى: ١١] أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: بَلَى قَالَ: كَيْفَ يَجِيءُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعاً فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ

---

[٥] (لا تدركه الأبصار):

قال تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[١] ورؤيته إدراك له، وقد نفاه الله تعالى.

وفي المرآة[٢]: إنَّ إدراك البصر عبارة شائعة في الإدراك بالبصر، إسناداً للفعل إلى الآلة.

والإدراك بالبصر هو الرؤية، بمعنى اتحاد المفهومين أو تلازمهما.

والجمع المعرّف باللام ـ عند عدم قرينة العهدية والبعضية ـ للعموم والاستغراق، بإجماع أهل العربية والأصول وأئمة التفسير، وبشهادة استعمال الفصحاء، وصحة الاستثناء.

فالله سبحانه قد أخبر بأنّه لا يراه أحد في المستقبل، فلو رآه المؤمنون في الجنة لزم كذبه تعالى، وهو محال. انتهى.

[٦] (ولا يحيطون به علماً):

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[٣]، والرؤية إحاطة علمية به، وهي أعلى درجات المعرفة، وقد نفاها الله تعالى.

[٧] (ليس كمثله شيء):

لأنّهم كانوا يزعمون أنَّ الرسول ﷺ رأى الله على صورة البشر تعالى عمّا يقولون، ومن كان على صورة البشر فهو مثلهم من جهة الصورة والله قد نفى المثل عنه تعالى، وهذا ما يظهر من كلام الإمام عليه السلام.

ويمكن نفي المثلية أيضاً من جهات أخرى، منها:

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) المرآة: ج١، ص٣٣٩.

(٣) سورة طه: الآية ١١٠.

اللَّهِ فَيَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ وَ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ثُمَّ يَقُولُ[٨]: أَنَا رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي وَأَحَطْتُ بِهِ عِلْماً وَهُوَ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ؟! أَمَا تَسْتَحُونَ؟! مَا قَدَرَتِ الزَّنَادِقَةُ أَنْ تَرْمِيَهُ بِهَذَا[٩] أَنْ يَكُونَ يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ يَأْتِي بِخِلَافِهِ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ؟! قَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[١٠] [النجم: ١٣] فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام[١١]: إِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا رَأَى، حَيْثُ قَالَ[١٢]: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] يَقُولُ: مَا كَذَبَ فُؤَادُ

---

١ ـ حين الرؤية تنعكس في الذهن صورة الشيء، وهي مثله.

٢ ـ والرؤية تستلزم الجهة والمكان وأن يكون جسماً، والله تعالى منزَّه عن كل ذلك.

[٨] **(ثم يقول):**

أي ثم يناقض نفسه بهذا القول، وحاشا لرسول الله صلى الله عليه وآله ذلك.

[٩] **(أن ترميه بهذا):**

أي بالتناقض، وقوله: (أن يكون...) الخ بدل لـ(هذا).

[١٠] **(فإنَّه يقول ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾):**

زعم أبو قرة أنَّ ضمير الهاء راجع إلى الله تعالى، فكان توهمه في معنى الآية أنَّ الرسول قد رأىٰ الله تعالى.

[١١] **(فقال أبو الحسن عليه السلام):**

حاصل الجواب أنَّ في الآيات اللاحقة بيان لما رآه الرسول صلى الله عليه وآله حيث يقول تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(١).

[١٢] **(حيث قال):**

أي الآية السابقة الدالة على الرؤية الأولى أيضاً غير مفسرة، وكذلك هذه الآية الدالة على الرؤية الثانية أيضاً غير مفسرة، وإنَّما تفسيرها فيما بعدها،

---

(١) سورة النجم: الآية ١٨.

مُحَمَّدٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ[١٣]. ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] فَآيَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ فَإِذَا رَأَتْهُ الْأَبْصَارُ فَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ الْعِلْمُ وَوَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ[١٤]، فَقَالَ أَبُو قُرَّةَ:

والآيات هي:

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(١).

[١٣] **(ما كذب فؤاد محمّد ما رأت عيناه)**:

أي لم يكن تخيلاً، كما يحدث من أخطاء الباصرة، كما يخيّل للرائي التصاق الخطوط الممتدة كسكة الحديد، فإنَّ الإنسان يدرك بقلبه أنَّ ما يراه من أخطاء العين.

والآية معناها أنَّ قلب الرسول ﷺ صدَّق ما رآه بعينيه فلم يكن خطأً أو تخيلاً.

ثم اعلم أنَّ الخاصة والعامة رووا أنَّ المرئي كان جبرئيل عليه السلام:

ففي الاحتجاج للطبرسي(٢) (رضوان الله عليه) عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وقوله في آخر الآية ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ رأى جبرئيل في صورته مرتين، هذه المرة، ومرة أخرى»(٣).

[١٤] **(ووقعت المعرفة)**:

لأنَّ العلم والمعرفة قد يكونان بالرؤية وقد يكونان بالاكتساب ـ كما سيأتي

---

(١) سورة النجم: الآيات ١١ ـ ١٨.

(٢) الاحتجاج: ص٢٤٣ وعنه في البرهان ج٩، ص٢٦٥.

(٣) ومن العامة ما رواه مسلم في كتابه [باب الإيمان/معنى قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾] عن عائشة عن الرسول أنّه قال: «إنّما هو جبرئيل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطاً من السماء سادّاً عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض» فقالت: ـ [يعني عائشة]: أولم تسمع أنَّ الله يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾»...

ورواه أيضاً الترمذي في سننه [باب تفسير القرآن عن رسول الله/من سورة الأنعام]، وأحمد بن حنبل في مسنده [باب باقي مسند الانصار/باقي المسند السابق] ـ ولم يذكر الآية!! ـ

فَتُكَذِّبُ بِالرِّوَايَاتِ[١٥]؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: إِذَا كَانَتِ الرِّوَايَاتُ مُخَالِفَةً لِلْقُرْآنِ كَذَّبْتُهَا. وَمَا أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ[١٦]، أَنَّهُ لَا يُحَاطُ بِهِ عِلْماً وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[١٧]؟.

في الحديث اللاحق إن شاء الله تعالى ـ، والعلم الناشىء من الرؤية هو أقوى درجات العلم، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾(١)، أي لو كان لكم علم يقيني لكنتم ترون الجحيم بقلوبكم ـ أي تعتقدون بها اعتقاداً جازماً ـ، ثم بعد الموت لترون الجحيم بأعينكم حينما تدخلونها.

ولذا ذكروا أنَّ لليقين درجات ـ باعتبار منشئِه وقوَّة بقائه وعدم زواله بالتشكيكات ـ وأقوى الدرجات (عين اليقين) وهو اليقين الحاصل من الرؤية والإحساس.

[١٥] **(فتكذب بالروايات؟):**

استفهام إنكاري، أي كيف تكذب بالروايات الواردة بأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله رأى الله تعالى؟

[١٦] **(وما أجمع المسلمون عليه):**

أي اتفق المسلمون على صحة ما في القرآن الكريم، فلا يعارضه الروايات التي رويتموها وهي مخالفة للقرآن.

[١٧] **(وليس كمثله شيء):**

ولا يخفى أنَّ الإمام عليه السلام كرَّر الآيات بألفاظها وبمعانيها مرات متعددة تأكيداً للكلام وتقوية للاستدلال، وبيان مخالفة تلك المرويات معه.

ثم لا بأس بنقل تفسير آيات سورة النجم من مجمع البيان ـ مختصراً ـ(٢).

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ القرآن إذا نزل، أو الثريا أو مطلق النجم إذا أفل، أو الشهاب إذا رمي، أو الرسول صلى الله عليه وآله إذا هبط إلى الأرض بعد المعراج، ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾

---

(١) سورة التكاثر: الآيات ٥ ـ ٧.

(٢) مجمع البيان: ج٩، ص٤٢٦ ـ ٤٣٦.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا تَرْوِيهِ الْعَامَّةُ وَالْخَاصَّةُ[١]. وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَشْرَحَ لِي

أي النبي ﷺ ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ تأكيد لأنَّ الغواية بمعنى الضلال، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ أي بالهوى أو عن ميل الطبع، ﴿إِنْ هُوَ﴾ القرآن وما ينطق به من الأحكام ﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ أي يأتيه جبرئيل، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ يعني جبرئيل عليه السلام، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ جبرئيل على صورته التي خُلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ ﴿وَهُوَ﴾ أي جبرئيل ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني أُفق المشرق ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبرئيل من محمد ﷺ ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ أي قرب بَعد بُعده ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي كان ما بين جبرئيل ورسول الله ﷺ بمقدار قوسين أو أقل ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ الله على لسان جبرئيل ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ أي عبد الله وهو الرسول ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾ من الآيات القرآنية أو مطالب أخرى ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ﴾ أي فؤاد محمد ﷺ ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ ما رآه بعينه ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ أي تجادلونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ لأنَّهم قالوا له صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في الشام وغير ذلك ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أي رأى رسول الله ﷺ جبرئيل في صورته التي خلق عليها ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ نازلاً من السماء نزلة أخرى، فرآه محمد ﷺ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة، ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ أي جنَّة المقام وهي جنَّة الخلد، ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ يغشاها الملائكة أو النُّور أو غير ذلك، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ أي بصر محمد ﷺ لم يمل يميناً وشمالاً ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ لم يتجاوز الحد المرسوم له، وهذا وصف أدبه ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ الآيات العظام مثل صورة جبرئيل وسدرة المنتهى وغيرها. انتهى باختصار وتصرف.

الحديث الثالث:

[١] **(وما ترويه العامة والخاصة):**

لعلَّه في كلامه كان ناظراً إلى ما هو الشائع من معتقدات العامة ورواياتهم في ذلك الزمان، لأنَّ السؤال كان عن شرح ما ترويه العامة في الرؤية وما

ذَلِكَ فَكَتَبَ بِخَطِّهِ[٢]: اتَّفَقَ الْجَمِيعُ لَا تَمَانُعَ بَيْنَهُمْ[٣] أَنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنْ

ترويه الخاصة في إبطال الرؤية، فيكون كلام الإمام عليه السلام ناظراً إلى إبطال معتقدهم وإلزامهم والاحتجاج عليهم بما يعتقدون.

[٢] **(فكتب بخطه):**

حاصل الجواب:

أنَّ كل ما يُرىٰ تُعرف صفاته المرئية، بالبداهة، فلو رأينا شيئاً وله صفات ظاهرة للعين فإنَّنا نعرفه ونعرف أنَّه متصف بتلك الصفات التي نراها، والمعرفة بالرؤية أعلى درجة من المعرفة بالاكتساب العقلي، ولو أمكن رؤية الله في الآخرة حصلت معرفته ومعرفة صفاته المرئية.

وهذه المعرفة ـ الحاصلة من الرؤية ـ إما أن تكون إيماناً أو لا تكون إيماناً.

الشق الأول: أن تكون إيماناً، ولازم ذلك أن لا تكون المعرفة في الدُّنيا إيماناً كاملاً لأنَّها ليست بالرؤية بل بالأدلة العقلية، والمعرفة الاكتسابية أدنى درجة من المعرفة العينية الحاصلة بالرؤية.

الشق الثاني: أن لا تكون المعرفة بالرؤية إيماناً، ولازم ذلك زوال الإيمان في الآخرة، لأنَّه بمجرد الرؤية يعرفونه، والمفروض أنَّ هذه الرؤية ليست بإيمان، وبما أنَّ المعرفة الاكتسابية تحوَّلت إلى المعرفة بالرؤية فمعنى ذلك زوال الإيمان.

وكلا الشقين باطل لأنَّه يوجد في الدُّنيا مؤمنون كاملو الإيمان كالأنبياء والأوصياء، ولأنَّ الإيمان لا يزول في الآخرة، فتحصل أنَّ القول بإمكان الرؤية يستلزم المحال، وكلُّ ما استلزم محالاً فهو محال، فالرؤية محال.

ثم اعلم أنَّ في معنى الرؤية احتمالات متعددة ذكر بعضها في الوافي[١].

[٣] **(لا تمانع بينهم):**

أي لا تنازع بينهم فلا يمنع بعضهم مقالة البعض الآخر، بل الكل متفقون على أنَّ الرؤية توجب العلم والمعرفة بالبداهة.

(١) الوافي: ج١، ص٣٨٠ ـ ٣٨١ والمرآة: ج١، ص٣٣١ ـ ٣٣٤.

جِهَةِ الرُّؤْيَةِ ضَرُورَةً[٤]. فَإِذَا جَازَ أَنْ يُرَى اللَّهُ بِالْعَيْنِ وَقَعَتِ الْمَعْرِفَةُ ضَرُورَةً، ثُمَّ لَمْ تَخْلُ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ مِنْ أَنْ تَكُونَ إِيمَاناً أَوْ لَيْسَتْ بِإِيمَانٍ، فَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ[٥] مِنْ جِهَةِ الرُّؤْيَةِ إِيمَاناً[٦]، فَالْمَعْرِفَةُ الَّتِي فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنْ جِهَةِ الِاكْتِسَابِ لَيْسَتْ بِإِيمَانٍ لِأَنَّهَا ضِدُّهُ[٧]، فَلَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنٌ[٨] لِأَنَّهُمْ لَمْ

---

[٤] **(ضرورة):**

أي بداهة، بمعنى أنَّ هذا الكلام ـ وهو حصول المعرفة عبر الرؤية ـ أمر بديهي شديد الوضوح للكل.

أو بمعنى الوجوب، أي بمجرد الرؤية تحصل المعرفة من غير اختيار.

[٥] **(فإن كانت تلك المعرفة):**

هذا الشق الأول.

(تلك المعرفة):

أي الناشئة من جهة الرؤية.

[٦] **(إيماناً):**

أي إيماناً كاملاً ـ حسب ما وضحّناه ـ، والإيمان ـ هنا ـ بمعنى الاعتقاد المطابق للواقع.

[٧] **(لأنَّها ضده):**

أي لأنَّ المعرفة الاكتسابية ضد الإيمان ـ وهو المعرفة بالرؤية ـ، لأنَّ المعرفة الناقصة تضادّ المعرفة الكاملة، وكل شيء إن كانت فيه درجات فإنَّه لا يمكن اجتماع الدرجات في شيء واحد، كالنُّور والحرارة ونحوهما فما كان ضعيفاً لا يكون قوياً، وإذا ازدادت الحرارة أو النُّور انقلب من الدرجة الأضعف إلى الدرجة الأقوى.

[٨] **(فلا يكون في الدنيا مؤمن):**

هذا إبطال للشق الأول أي فلا يكون مؤمن كامل الإيمان ـ حسب التوضيح الذي ذكرناه ـ.

يَرَوُا اللَّهَ عَزَّ ذِكْرُهُ. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ[٩] تِلْكَ الْمَعْرِفَةُ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الرُّؤْيَةِ إِيمَاناً لَمْ تَخْلُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ[١٠] الَّتِي مِنْ جِهَةِ الِاكْتِسَابِ أَنْ تَزُولَ، وَلَا تَزُولُ[١١] فِي الْمَعَادِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُرَى بِالْعَيْنِ، إِذِ الْعَيْنُ تُؤَدِّي إِلَى مَا وَصَفْنَاهُ[١٢].

---

[٩] **(وإن لم تكن...):**

هذا الشق الثاني.

[١٠] **(لم تخل هذه المعرفة...):**

أي لا بد أن تزول هذه المعرفة الاكتسابية، لأنَّه مع حصول الدرجة الأقوى ـ وهي المعرفة بالرؤية ـ، فإنَّه تزول الدرجة الأضعف ـ وهي المعرفة بالاكتساب ـ قطعاً.

[١١] **(ولا تزول):**

هذا إبطال للشق الثاني، أي والحال أنَّه لا تزول المعرفة في الآخرة بل تزداد هذه المعرفة، وذلك لأنَّ المؤمن كان يعرف الله بالأدلة العقلية مع وجود الوساوس والشُّبهات وإلقاءات الشيطان، فكيف تزول هذه المعرفة في الآخرة مع ارتفاع الموانع وزوال الوساوس!

مضافاً إلى أنَّ القائلين بوقوع الرؤية يقولون باختصاص الرؤية بالمؤمنين فلو زال الإيمان بالرؤية لزم كون الكفار ـ المحجوبين عن الرؤية ـ أعلى درجة من المؤمنين!

[١٢] **(تؤدّي إلى ما وصفناه):**

والحاصل أنَّ القول بالرؤية يستلزم أحد أمرين، وحيث بطل اللازم ـ وهو كلا الأمرين ـ، بطل الملزوم وهو إمكان الرؤية.

٤ ـ وَعَنْهُ[١] عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ الثَّالِثِ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الرُّؤْيَةِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ فَكَتَبَ[٢]: لَا تَجُوزُ الرُّؤْيَةُ[٣]، مَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ هَوَاءٌ[٤] ....

الحديث الرابع:

[١] **(عنه)**:
أي أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد بن عيسى.

[٢] **(فكتب)**:
الإمام عليه السلام يستدلّ بدليلين على بطلان الرؤية، ويمكن اعتبار الثاني من تتمة الأول:
الأول: يشترط في الرؤية أن يكون المرئي في الجهة المقابلة للرائي وبفاصلة، وبما أنّه لا يمكن التزام الجهة في الله تعالى، لأنّها حدّ والله غير محدود، ولأنّها تستلزم المكان والله تعالى خالق المكان وليس فيه، فلا يمكن الالتزام بإمكان رؤيته لاستحالتها.
الثاني: إنّه لو أمكنت رؤيته تعالى، لكان شبيهاً بخلقه، لأنَّ سبب الرؤية الجهة والنُّور والهواء ونحوهما، والقول بوجودها في رؤيته تعالى يستلزم مشابهته لخلقه في هذه الأمور، والله تعالى ليس كمثله شيء.
فإذا كان سبب الرؤية هذه الأمور، فلا يمكن القول بأنَّ رؤيته لا تكون بهذا السبب، لعدم انفكاك المعلول عن علته.
وأما قول الأشاعرة بأنّه رؤية حقيقية لكن بالقلب منزهاً عن الجهة، فهو في الحقيقة لعب بالألفاظ، لأنَّ ما في القلب هو الاعتقاد لا الرؤية الحقيقية.

[٣] **(لا تجوز الرؤية)**:
أي لا تمكن.

[٤] **(والمرئي هواء)**:
لعلَّ المراد بالهواء هنا هو الفراغ، أي أن لا يكون المرئي ملاصقاً للعين

يَنْفُذُهُ الْبَصَرُ[٥]، فَإِذَا انْقَطَعَ الْهَوَاءُ[٦] عَنِ الرَّائِي وَالْمَرْئِيِّ لَمْ تَصِحَّ الرُّؤْيَةُ؛ وَكَانَ

لعدم إمكان الرؤية حينئذٍ بل التغطية تمنع الرؤية، فلا بدَّ من فاصل بين الرائي والمرئي، فيكون المرئي في جهة مقابل العين، وفي القرآن الكريم استعمل الهواء بمعنى الفراغ كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[١] أي قلوبهم خالية من الفكر والقصد.

ويمكن أن يكون المراد بالهواء نوع من الغازات أو الجزيئات التي تسبب انتقال النُّور، وهذا الأمر لم يثبت في العلم الحديث، لكن لعلَّه سيثبت مع تطوره، وعلى كلٍّ حال ففي المعنى الأول كفاية لبيان المراد.

[٥] **(ينفذه البصر):**

في أكثر النسخ هكذا والمعنى واضح.

وفي بعض النسخ (لم ينفذه) و«لم» إما زائدة لجواز زيادة حرف النفي بعد نفي سابق للتأكيد كقوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾[٣] فـ«لا» زائدة للتأكيد بعد النفي، وضمير ينفذه يرجع للهواء.

وإمَّا نافية واعتبار جملة «لم ينفذه البصر» جزاء لقوله؛ «ما لم يكن...الخ».

فيكون المعنى: لا تجوز الرؤية، والدليل هو إذا لم يكن بين الرائي والمرئي هواء فلم ينفذه الرؤية، وضمير ينفذه يرجع للمرئي، أي لا تصل الرؤية إلى المرئي.

و«نفوذ البصر»: هو وصوله إلى الشيء المرئي، فينطبق على خروج شعاع النُّور من البصر فيقع على الأشياء فتُرى ـ كما كان يزعم القدماء ـ وكذلك ينطبق على انعكاس النُّور من الأشياء ودخوله في العين ـ كما أثبته العلم الحديث ـ.

[٦] **(فإذا انقطع الهواء):**

إشارة إلى الدليل الأول.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

(٣) سورة ص: الآية ٧٥.

فِي ذَلِكَ الِاشْتِبَاهُ[٧]. لِأَنَّ الرَّائِيَ[٨] مَتَى سَاوَى الْمَرْئِيَّ[٩] فِي السَّبَبِ الْمُوجِبِ بَيْنَهُمَا فِي الرُّؤْيَةِ وَجَبَ الِاشْتِبَاهُ، وَكَانَ ذَلِكَ التَّشْبِيهُ، لِأَنَّ الْأَسْبَابَ[١٠] لَا بُدَّ مِنِ اتِّصَالِهَا بِالْمُسَبَّبَاتِ[١١].

---

[٧] **(وكان في ذلك الاشتباه):**

إشارة إلى الدليل الثاني.

الاشتباه بمعنى المثلية والتشبيه، كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾(١) أي بعض هذه الثمار تشبه الأخرى، وقوله تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا﴾ اسم فاعل من باب الافتعال ومصدره الاشتباه.

وقد تطلق مادة (ش ب هـ) على الخطأ أيضاً باعتبار أنَّ ما أُخطىء فيه كان يشبه ما كان مقصوداً كقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(٢).

[٨] **(لأنَّ الرائي...):**

بيان لوجه التشبيه، وحاصله أنَّ سبب الرؤية لا يختلف ـ وهو الجهة والنُّور... الخ ـ فإذا تساوى الخالق بالمخلوق في سبب الرؤية، كان المخلوق مثل الخالق.

[٩] **(متى ساوى المرئي):**

أي تساوى عنده سبب الرؤية.

[١٠] **(لأنَّ الأسباب):**

لعلَّه ردّ على من زعم أنَّ رؤيته بالقلب منزهاً عن الجهة ـ كما تقوله الأشاعرة ـ ومرّ تقريره في شرح أول الحديث.

[١١] **(اتصالها بالمسببات):**

أي لا يمكن انفكاك المعلول عن العلة، فلا يمكن القول بأنَّه تعالى مرئي من غير أن نقول بتحقق سبب الرؤية.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٧.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَيَّ شَيْءٍ تَعْبُدُ؟ قَالَ: اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: بَلْ[١] لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْإِبْصَارِ[٢] وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ[٣]،

الحديث الخامس:

[١] **(قال: بل):**

إضراب للردع والإبطال، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾(١)، وفي بعض النسخ «بلى» بمعنى نعم في جواب الاستفهام، أي نعم رأيته لا بالبصر ولكن بالقلب.

وكلام الإمام عليه السلام مركب من ثلاثة مقاطع:

١ ـ نفي الرؤية.

٢ ـ معرفته لا تكون عبر الرؤية والقياس والتشبيه.

٣ ـ معرفته ممكنة عبر آياته وعلائمه وعدله.

المقطع الأول

[٢] **(بمشاهدة الابصار):**

مصدر من باب الإفعال بمعنى الرؤية، والإضافة بيانية.

أو جمع بصر فالإضافة بمعنى (من)، أي مشاهدة من البصر، والأول أنسب بالسياق لقوله بعد ذلك (بحقائق الإيمان).

[٣] **(حقائق الإيمان):**

في تركيبه ومعناه احتمالات ـ كلها ترجع إلى معنى واحد ـ.

١ ـ إضافة الصفة إلى الموصوف ـ مثل جرد قطيفة ـ، أي الإيمان الذي هو حقائق دلَّ عليها العقل والفطرة.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

لَا يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ[٤] وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ[٥] وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ[٦]؛ مَوْصُوفٌ بِالْآيَاتِ[٧]، مَعْرُوفٌ بِالْعَلَامَاتِ[٨]، ....

---

٢ ـ إضافة بمعنى (اللام)، أي حقائق للإيمان، ومعنى حقائق ـ حينئذٍ ـ: البراهين والأدلة.

٣ ـ إضافة بمعنى (من)، أي حقائق نشأت من الإيمان، فالحقائق هي أنوار سطعت على القلب.

٤ ـ إضافة بيانية، أي حقائق هي الإيمان، فالحقائق اعتقادات وتلك هي الإيمان.

المقطع الثاني

[٤] **(لا يُعرف بالقياس):**

أي معرفته لا تكون عبر مقياسته بغيره، كما نقيس نحن ما لم نره على ما رأيناه، وذلك لأنَّه ليس كمثله شي حتى يُعرف بقياسه بشبيهه، تعالى عن ذلك.

[٥] **(لا يدرك بالحواس):**

الخمس ومنها الباصرة، ويمكن أن يريد عليه السلام الأعم من الحواس الظاهرة والباطنة.

[٦] **(ولا يشبه بالناس):**

كأن يكون له صورة مثلهم، وهذا وإن كان داخلاً في قوله عليه السلام (لا يُعرف بالقياس)، لكن تخصيصه بالذكر لعلَّه للرد على من يزعم أنَّ آدم عليه السلام على صورة الله، لانتشار الاعتقاد بهذا الزعم، تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً.

المقطع الثالث

[٧] **(موصوف بالآيات):**

أي يوصف بأنَّه خالق الآيات، أو بمعنى أنَّه يوصف بسبب الآيات التي أظهرها، فنعلم أنَّه قادر حي عالم ونحوها لمَّا نرى من عظيم خلقه وإتقان صنعه.

[٨] **(معروف بالعلامات):**

أي يُعرف بآثاره، التي هي علامات على وجوده وعلمه وقدرته وسائر

لَا يَجُورُ فِي حُكْمِهِ[٩]؛ ذَلِكَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ قَالَ: فَخَرَجَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ[١٠].

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ حِينَ عَبَدْتَهُ؟ قَالَ: فَقَالَ: وَيْلَكَ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ؛ قَالَ: وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: وَيْلَكَ لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ[١] وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.

صفاته، فإنَّه سبحانه جعل لكل أمر علامة، وجعل في كل شيء علامة تدلُّ عليه تعالى، قال سبحانه: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١).

[٩] (لا يجور في حكمه):

أي لا يظلم، وأصل الجور الزيغ عن الطريق المستقيم.

[١٠] (الله أعلم حيث يجعل رسالته):

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾(٢) ومعنى الآية أنَّهم كانوا يريدون أن يوحى إليهم، أو يريدون أموراً أخرى تتعلق بالأنبياء ـ كاختيار الأوصياء ـ فيردهم الله تعالى بأنَّ الرسالة تحتاج إلى موضع قابل لها لائق بها، وهؤلاء ليسوا محلاً قابلاً لها لأنَّهم مجرمون وجزاؤهم سيكون ذلّاً وحقارة في الآخرة وعذاباً شديداً.

الحديث السادس:

[١] (في مشاهدة الأبصار):

شهد بمعنى حضر، كقوله ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٣) يُطلق على الرؤية

---

(١) سورة النحل: الآية ١٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

٧ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ذَاكَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِيمَا يَرْوُونَ مِنَ الرُّؤْيَةِ. فَقَالَ:[١] الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً[٢] مِنْ نُورِ

باعتبار حضور الشخص عند الشيء أو حضور صورة الشيء في عينه، تُطلق الرؤية على الإخبار عن شيء عند القاضي ونحوه أيضاً من باب أنَّه كان حاضراً الواقعة ورآها فيُخبر عن ذلك.

وقوله: (في مشاهدة)، لأنَّ إدراك العين إنَّما هو بكونها ظرفاً لصورة الشيء فكأنَّه وصلت العين إلى ذلك الشيء عبر صورته، وأما الحديث السابق فقد قال عليه السلام (بمشاهدة) حيث إنَّ الباء متعلقة بقوله (لم تره) والرؤية تكون بسبب العين لا في العين.

ويمكن أن تكون «في» بمعنى باء التعليل كقوله ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾(١) أي الإدراك بسبب المشاهدة.

الحديث السابع:

[١] **(فقال الشمس...):**

لعلَّ هذا الحديث في مقام إبطال الرؤية عبر إلزامهم بما يعتقدون، وحاصله أنَّ نور الله تعالى أقوى من نور مخلوقاته، وهم عاجزون عن النظر إلى أحد مخلوقاته وهي الشمس وليس نورها بأعظم الأنوار المخلوقة، بل هنالك مخلوقات أنوارها أضعاف نور الشمس بملايين المرات، فكيف يتمكنون من النظر إلى الله تعالى؟!!

والحاصل أنَّ الحواس ـ ومنها البصر ـ لها حدود لا يمكنها تجاوز تلك الحدود.

[٢] **(جزءٌ من سبعين جزءاً):**

كثيراً ما تُستعمل كلمة «سبعين» ويُراد بها الكثرة، لا العدد المخصوص

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٢.

الْكُرْسِيِّ، وَالْكُرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ الْحِجَابِ، وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نُورِ السِّتْرِ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلَؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ صلى الله عليه وآله: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، بَلَغَ بِي[١] جَبْرَئِيلُ مَكَاناً لَمْ يَطَأْهُ قَطُّ جَبْرَئِيلُ، فَكَشَفَ لَهُ[٢] فَأَرَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ[٣] مَا أَحَبَّ.

وخاصة في أمثال هذه التراكيب، كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾(١).

فلعلَّ المراد أنَّ نور الكرسي أضعاف نور الشمس ما لا تحصى كثرة، وهكذا باقي الكلمات، ولو فرض أنَّ المراد بكلمة سبعين العدد المخصوص فإنَّ المعنى أيضاً واضح.

الحديث الثامن:

[١] (بلغ بي):

أي أوصلني إلى مكان، وهو لم يتجاوز ذلك المكان، لأنَّه لجبرئيل عليه السلام حدود لا يتمكن من تعديها.

[٢] (فكشف له):

الانتقال من ضمير المتكلّم إلى ضمير الغائب، فيكون النقل من هنا بالمعنى.

[٣] (نور عظمته ما أحب):

النُّور المعنوي، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢).

وذلك النور هو المعارف والآيات التي تُعرف بالقلب، والله تعالى أرى

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ٥٢.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قَالَ: إِحَاطَةُ الْوَهْمِ[١]، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ[٢]: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن

رسوله ﷺ من الآيات الكبرى، قال سبحانه: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(٢).

«ما أحب» أي ما أحب الله تعالى أن يُريه رسوله ﷺ وهي الآيات الكبرى الدالّة على عظمة خالقها.

في قوله تعالى:
﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾

يُستفاد من مجمل أحاديث هذا الباب هو أنَّ الله تعالى لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون؟

أي إذا امتنع إدراكه بالوهم، فبطريق أولى تمتنع رؤيته، لأنَّ كل ما يُرى يدركه الإنسان، فإذا امتنع الإدراك امتنعت الرؤية قطعاً.

الحديث التاسع:

[١] (إحاطة الوهم):

المقصود هو بيان عموم مفهوم ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، فكما يشمل نفي الرؤية بالبصر كذلك يشمل امتناع الإدراك بالقوى الباطنة.

و«الوهم» ـ كما مرّ ـ يُطلق على العقل، وكذلك على جميع قوى الإدراك الباطنة.

[٢] (ألا ترى إلى قوله):

استدلال الإمام عليه السلام بمادة «ب ص ر» فإنَّها تطلق على الإدراك الباطني أيضاً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١.

(٢) سورة النجم: الآية ١٨.

رَبِّكُمۡ﴾[٣] [الأنعام: ١٠٤] لَيْسَ يَعْنِي بَصَرَ الْعُيُونِ، ﴿فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦ﴾، لَيْسَ يَعْنِي مِنَ الْبَصَرِ بِعَيْنِهِ، ﴿وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ﴾ لَيْسَ يَعْنِي عَمَى الْعُيُونِ، إِنَّمَا عَنَى إِحَاطَةَ الْوَهْمِ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ بَصِيرٌ بِالشِّعْرِ، وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالْفِقْهِ، وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالدَّرَاهِمِ، وَفُلَانٌ بَصِيرٌ بِالثِّيَابِ؛ اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُرَى بِالْعَيْنِ[٤].

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ اللَّهِ هَلْ يُوصَفُ[١]؟ فَقَالَ: أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ

---

[٣] (بصائر من ربّكم):
هذه الآية تتبع آية ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ مباشرة.
فتكون قرينة على عموم معنى (الأبصار).

[٤] (الله أعظم من أن يُرى بالعين):
هذه التكلمة، حتى لا يتوهم أنَّ الآية خاصة بنفي الإدراك بالوهم، بل الآية عامة كما تشمل الإدراك بالوهم كذلك تشمل الإدراك بالبصر ـ أي الرؤية ـ أيضاً.
والمعنى أنَّ ما لا يدرك بالوهم فهو بطريق أولى لا يدرك بالبصر.

الحديث العاشر:

[١] (هل يوصف):
أي هل يمكن أن نعرف صفاته فنصفه بها من غير أن نسمع تلك الصفات عن طريق الوحي؟
وبعبارة أخرى: هل نتمكن من وصفه كما نصف الأشياء؟
وجواب الإمام عليه السلام هو أنَّ وصف شيء إما عن طريق رؤيته أو عن طريق إدراكه بالقلب، وبما أنَّ الله تعالى تستحيل رؤيته ولا يمكن معرفة كنه ذاته ـ وصفاته الذاتية عين ذاته ـ فلا يمكن وصفه، بل نقتصر على أوصافه بما وصف به نفسه.

ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَتَعْرِفُونَ الْأَبْصَارَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: مَا هِيَ؟ قُلْتُ: أَبْصَارُ الْعُيُونِ، فَقَالَ: إِنَّ أَوْهَامَ الْقُلُوبِ أَكْبَرُ[٢] مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ، فَهُوَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَوْهَامُ[٣] وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَوْهَامَ.

١١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؟ فَقَالَ: يَا أَبَا هَاشِمٍ أَوْهَامُ الْقُلُوبِ أَدَقُّ مِنْ أَبْصَارِ الْعُيُونِ[١]، أَنْتَ قَدْ تُدْرِكُ بِوَهْمِكَ السِّنْدَ وَالْهِنْدَ وَالْبُلْدَانَ الَّتِي لَمْ

---

[٢] **(أوهام القلوب أكبر):**
«أكبر» أي أحق بالنفي، ومراده عليه السلام أنَّه إذا لم تمكن رؤيته فبطريق أولى لا يمكن إدراكه بالقلب.

[٣] **(فهو لا تدركه الأوهام):**
فكيف يمكنها وصفه؟ وهنا جواب الإمام عليه السلام للسؤال، حيث لا يمكن وصف ما لا يمكن إدراكه.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(أدق من أبصار العيون):**
أي أوسع وأشمل، أي تدرك ما تدركه العيون وما لا تدركه العيون.
فحاصل المعنى أنَّ الإنسان يمكنه إدراك بعض الأشياء بالبصر، فإذا أدركها بالبصر فقد أدركها بالقلب أيضاً، ويمكن للإنسان إدراك بعض الأشياء التي لا يراها كالعنقاء والجن والملائكة ونحوها.
فالإدراك بالقلب أوسع من الإدراك بالبصر، لأنَّه يشمل ما يدركه البصر وغيره.
ومثلنا في عدم رؤية الله وعدم إدراكه بالقلب، كمثل الأكمه ـ الأعمى بالولادة ـ الذي لا يمكنه تصور الألوان ونحوها، فإنَّه كما لا يتصور كذلك لا يرى.

تَدْخُلْهَا، وَلَا تُدْرِكُهَا بِبَصَرِكَ. وَأَوْهَامُ الْقُلُوبِ لَا تُدْرِكُهُ فَكَيْفَ أَبْصَارُ الْعُيُونِ؟!.

١٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ[١] قَالَ: الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِأَمْرَيْنِ: بِالْحَوَاسِّ وَالْقَلْبِ؛

مع فارق أنَّ الأكمه يمكنه التصور والرؤية إذا أبرأه الله تعالى، وأما إدراك الله تعالى لا يمكن أبداً.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(عن هشام بن الحكم قال):**
هذا الكلام موقوف أي لم يُسند إلى المعصوم عليه السلام، وإنَّما هو من كلام هشام بن الحكم (رضوان الله عليه) يصلح لأن يكون توضيحاً لبعض الأحاديث السابقة.
حاصل كلامه أنَّ الإدراك إما بالحواس الظاهرة وإما بالقوى الباطنة، ولا يمكن إدراك الله تعالى بأية واحدة منهما.
أما الحواس الظاهرة فهي على ثلاثة أقسام:
١ ـ أن يدخل المحسوس في آلة الحس:
كالأصوات التي هي أمواج وتدخل في الأذن وتقرع الطبلة، وكالمشام التي هي جزيئات صغيرة متطايرة تدخل الأنف، وكالطعوم التي يحسها الإنسان بإدخال الأشياء في فمه، وكذلك ذلك مستحيل في الله تعالى لبداهة أنَّه لا يحلّ في شيء.
٢ ـ أن يلامس المحسوس آلة الحس:
وآلة الحس هنا الجلد الظاهر، حيث يحس الإنسان البرد والحر ونحوهما عبر الملامسة، وهذا أيضاً محال على الله تعالى.
٣ ـ أن يكون عبر انتقال صورة الشيء من غير دخول الشيء في آلة الحس ولا مماسة، وذلك الرؤية، والرؤية لها شرطان:
الشرط الأول: الجهة وأن يكون فاصل بين الرائي والمرئي، بأن يكون

وَالْحَوَاسُّ إِدْرَاكُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: إِدْرَاكاً بِالْمُدَاخَلَةِ، وَإِدْرَاكاً بِالْمُمَاسَّةِ، وَإِدْرَاكاً بِلَا مُدَاخَلَةٍ وَلَا مُمَاسَّةٍ، فَأَمَّا الْإِدْرَاكُ الَّذِي بِالْمُدَاخَلَةِ فَالْأَصْوَاتُ وَالْمَشَامُّ وَالطُّعُومُ[٢]، وَأَمَّا الْإِدْرَاكُ بِالْمُمَاسَّةِ فَمَعْرِفَةُ الْأَشْكَالِ مِنَ التَّرْبِيعِ

المرئي في جهة مقابل الرائي.

الشرط الثاني: النُّور حيث إنَّ النُّور يصيب الشيء ثم ينعكس عنه إلى البصر فتحصل الرؤية، ولذا لا تمكن الرؤية في الظلام المطلق الخالي عن جزيئات النُّور.

وكلا الشرطين مستحيل على الله تعالى، لأنَّه ليس في جهة ولا يُعقل إصابته بالنُّور.

ثم يضرب هشام مَثَلاً: وهو أنَّ مَثَل من يريد رؤية شيء غير قابل للرؤية، كمَثَل من يريد أن ينظر عبر المرآة إلى خلفها، فإنَّه لا يتمكن من رؤية خلفها بل سيرى نفسه، وكذلك من يريد رؤية الله فإنَّه يطلب محالاً فيرى أو يتصور أشياء أخرى يتوهم أنَّها الله تعالى.

وأما القوى الباطنة:

فإنَّها لا يمكنها إدراك شيء لم تحس به ولم تحس بمشابهه، فكل ما يتصوره الإنسان إنَّما يتصوره شبيهاً لما رآه أو أحسّ به، وحيث إنَّ الله تعالى لا شبيه له فلا يمكن تصوره بأي وجه من الوجوده.

أقول: ولتقريب المطلب إلى الذهن نقول إنَّ الأكمه ـ أي الأعمى بالولادة ـ يستحيل عليه تصور الألوان، لأنَّه لم يرها ولم ير مشابهاً لها، وكذلك كل من فقد حساً منذ الولادة، نعم من كان بصيراً ورأى الأشياء وألوانها، ثم أصيب بالعمى، فإنَّه يتمكن تصور ألوان الأشياء وأشكالها، لأنَّه رأى الشبيه فيمكنه التصور والمقايسة بما رآه، وكذلك في سائر الحواس، والله تعالى منزَّه عن الشبيه وتستحيل رؤيته، فيستحيل إدراكه بالقوى الباطنة، وقد مرَّت الأحاديث في هذا المعنى في باب (إطلاق القول بأنَّه شيء).

[٢] **(الطعوم)**:

«الطعوم» جمع (طعم) وهو يرتبط بالذوق، وإنَّما اعتبر الطعوم من قسم المداخلة باعتبار إدخال الطعام في الفم، وإلا فالذائقة في الحقيقة هي بالمماسّة.

وَالتَّثْلِيثِ[٣] وَمَعْرِفَةُ اللَّيِّنِ وَالْخَشِنِ وَالْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَأَمَّا الْإِدْرَاكُ بِلَا مُمَاسَّةٍ وَلَا مُدَاخَلَةٍ[٤] فَالْبَصَرُ فَإِنَّهُ يُدْرِكُ الْأَشْيَاءَ بِلَا مُمَاسَّةٍ وَلَا مُدَاخَلَةٍ فِي حَيِّزِ غَيْرِهِ وَلَا فِي حَيِّزِهِ[٥]؛ وَإِدْرَاكُ الْبَصَرِ لَهُ سَبِيلٌ وَسَبَبٌ[٦]، فَسَبِيلُهُ الْهَوَاءُ[٧]، وَسَبَبُهُ الضِّيَاءُ، فَإِذَا كَانَ السَّبِيلُ مُتَّصِلاً[٨] بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْئِيِّ وَالسَّبَبُ قَائِمٌ[٩] أَدْرَكَ مَا

---

[٣] **(التربيع والتثليث):**
معرفة الأشكال الهندسية للأشياء كثيراً ما تكون باللمس، وكثيراً ما تكون عبر الرؤية، ولعلَّ إدخالها في المحسوسات باللمس، من باب أنَّ إحساسها في البداية يكون عبر اللمس ثم الأشكال المرئية تُقاس بالأشكال الملموسة، أو لأنَّ الإحساس بالأشكال لا ينحصر بالبصر فالأعمى أيضاً يمكنه الإحساس بها عبر اللمس.

[٤] **(بلا مماسة ولا مداخلة):**
أي المحسوس لا يدخل ولا يمس، نعم صورته تدخل.

[٥] **(في حيز غيره ولا في حيزه):**
أي لا البصر يدخل في الأشياء، ولا الأشياء تدخل فيه.

[٦] **(سبيل وسبب):**
أي طريق وعلة، والمعنى أنَّ الرؤية لها شرطان، عبّر عن أحدهما «بالسبيل»، وعبّر عن الآخر «بالسبب».

[٧] **(فسبيله الهواء):**
أي الفراغ أو الفضاء الخالي، وهو يستلزم الجهة بأن يكون المرئي بفاصلة عن الرائي.

[٨] **(السبيل متصلاً):**
أي في الطريق بين الرائي والمرئي لم يكن حاجزاً، بل كان فراغ بحيث كان المرئي في الجهة المقابلة للرائي بلا مانع.

[٩] **(السبب قائم):**
أي علة الرؤية وهو النُّور كان موجوداً.

يُلَاقِي مِنَ الْأَلْوَانِ وَالْأَشْخَاصِ، فَإِذَا حُمِلَ الْبَصَرُ عَلَى مَا لَا سَبِيلَ لَهُ فِيهِ رَجَعَ رَاجِعاً[١٠] فَحَكَى مَا وَرَاءَهُ[١١] كَالنَّاظِرِ فِي الْمِرْآةِ[١٢] لَا يَنْفُذُ بَصَرُهُ فِي الْمِرْآةِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ سَبِيلٌ رَجَعَ رَاجِعاً يَحْكِي مَا وَرَاءَهُ، وَكَذَلِكَ النَّاظِرُ فِي الْمَاءِ الصَّافِي يَرْجِعُ رَاجِعاً فَيَحْكِي مَا وَرَاءَهُ، إِذْ لَا سَبِيلَ لَهُ فِي إِنْفَاذِ بَصَرِهِ. فَأَمَّا الْقَلْبُ[١٣] فَإِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الْهَوَاءِ[١٤]، فَهُوَ يُدْرِكُ جَمِيعَ مَا فِي الْهَوَاءِ

---

[١٠] **(رجع راجعاً):**

أي رجع رجوعاً، وهنا اسم الفاعل ـ وهو راجع ـ أقيم مقام المفعول المطلق، أو المعنى رجع خاسئاً.

[١١] **(فحكى ما وراءه):**

أي لا يحكي البصر ـ حينئذٍ ـ ما كُلِّف برؤيته، بل حكى البصر ما وراءه، ولعلَّ المقصود حكى الأشياء التي رآها سابقاً، بمعنى أنَّه يتصور الأشياء التي رآها سابقاً ويقيس عليها ما عجز عن رؤيته.

[١٢] **(كالناظر في المرآة):**

هذا هو المثل، وحاصله ـ كما مرَّت الإشارة إليه ـ هو أنَّ من ينظر إلى المرآة وهو يريد خلفها، فإنَّه كَلَّف البصر ما لا يتمكن، فيرجع البصر عاكساً صورة الرائي ولا يكون عاكساً لما خلف المرآة.

كذلك من يريد إدراك الله فإنَّه سيقيسه على الأشياء المرئية ويشبهه بها.

[١٣] **(فأما القلب):**

شروع في نفي إمكان إدراكه ـ بحقيقته ـ عبر الحواس الباطنة.

[١٤] **(سلطانه على الهواء):**

أي على ما في الهواء، ولعلَّ مراده أنَّ سلطة القلب ـ بالإدراك ـ على الأشياء التي في الحيّز، وتلك الأشياء هي الأجسام، فالقوى الباطنة تدركها ـ بنفسها أو بصورتها ـ.

وَيَتَوَهَّمُهُ، فَإِذَا حُمِلَ الْقَلْبُ عَلَى مَا لَيْسَ فِي الْهَوَاءِ مَوْجُوداً، رَجَعَ رَاجِعاً فَحَكَى مَا فِي الْهَوَاءِ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْمِلَ قَلْبَهُ عَلَى مَا لَيْسَ مَوْجُوداً فِي الْهَوَاءِ مِنْ أَمْرِ التَّوْحِيدِ جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ، فَإِنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَتَوَهَّمْ إِلَّا مَا فِي الْهَوَاءِ مَوْجُودٌ[١٥] كَمَا قُلْنَا فِي أَمْرِ الْبَصَرِ. تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يُشْبِهَهُ خَلْقُهُ.

---

[١٥] (إلا ما في الهواء موجود):

أي ما هو موجود في الهواء، فالمعنى أنّه حينئذٍ سيتوهم الله تعالى شبيهاً للأجسام المتحيزة، وهو تعالى ليس كمثله شيء.

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصِّفَةِ بِغَيْرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ تَعَالَى

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَتِيكٍ الْقَصِيرِ قَالَ: كَتَبْتُ عَلَى يَدَيْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ[١] إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ قَوْماً بِالْعِرَاقِ يَصِفُونَ اللَّهَ بِالصُّورَةِ وَبِالتَّخْطِيطِ[٢]، فَإِنْ رَأَيْتَ ـ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ ـ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيَّ بِالْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ مِنَ التَّوْحِيدِ؟ فَكَتَبَ إِلَيَّ[٣]: سَأَلْتَ رَحِمَكَ اللَّهُ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَمَا

الحديث الأول:

[١] (على يدي عبد الملك بن أعين):
أي كان عبد الملك حاملاً للرسالة، ولأنَّ حامل الرسالة يحملها عادة بيده فكأنَّ الكتابة على يده مجازاً.

[٢] (بالصورة والتخطيط):
«التخطيط» أي بإحاطة الحدود به تعالى، فهؤلاء كانوا يزعمون أنَّ الله تعالى جسم وله الحدود، والحدّ كأنّه خطّ لذا عبّر عنه بالخطوط.

[٣] (فكتب إليَّ):
كلام الإمام عليه السلام يتضمن ثلاثة مقاطع:
الأول: إبطال كلام هؤلاء القائلين بالصورة والتخطيط وردّهم بآيات قرآنية ضَمَّنها في الكلام.
الثاني: بيان الصحيح من التوحيد مستدلاً أيضاً بالقرآن الكريم.
الثالث: بيان الميزان في معرفة الحق من الباطل في الصفات، وهو القرآن الكريم.

ذَهَبَ إِلَيْهِ مَنْ قِبَلَكَ[٤]، فَتَعَالَى اللَّهُ[٥] الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، تَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ[٦] الْمُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ[٧] الْمُفْتَرُونَ عَلَى

---

[٤] **(من قبلك):**

أي من هم عندك من أهل العراق، و«قِبَل» - بكسر القاف وفتح الباء - هو الطرف والجهة كقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾(١).

الأول: إبطال الصورة والتخطيط

[٥] **(فتعالى الله):**

أي ارتفع عمَّا يقولون، لأنَّ الصورة والتخطيط تشبيه له تعالى بالمخلوقات، وهو يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٢).

[٦] **(تعالى عمَّا يصفه الواصفون):**

هذا التكرار، لبيان المحرمات التي يرتكبها هؤلاء المشبهون، وهي الوصف، والتشبيه، والافتراء.

فالوصف الحق هو ما كان من الله تعالى، أما الوصف من غيره فهو باطل، ولذا ذمّ القرآن الواصفين أينما ذكرهم وبشكل تام، وبيَّن أنَّهم سيعاقبون على فعلتهم، قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾(٣)، وقال: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٤)، وقال: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٥) وغيرها من الآيات.

[٧] **(المشبهون الله بخلقه):**

لأنَّهم لم يدركوا حقيقة الله تعالى، فوصفوه بأوصاف أنسوا بها في غيره،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٢) سورة الشورى: الآية: ١١.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٩.
(٤) سورة الصافات: الآية ١٨٠.
(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

اللَّهِ[٨]، فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ فِي التَّوْحِيدِ مَا نَزَلَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ[٩] جَلَّ وَعَزَّ، فَانْفِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى الْبُطْلَانَ وَالتَّشْبِيهَ[١٠]، فَلَا

فكان من التشبيه، فخلقوا له بنين وبنات، وجعلوا له شركاء، ونسبوا إليه ما لا يليق به(١).

[٨] **(المفترون على الله):**

وافترائهم من جهتين:

١ ـ لأنَّه نسبة باطل إلى الله تعالى، بمعنى نسبة شيء إليه وليس فيه.

٢ ـ ولأنَّهم ينسبون ما قالوا إلى القرآن والحديث.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾(٢).

الثاني: الصحيح من الصفات

[٩] **(من صفات الله):**

من بيانية لقوله «التوحيد»، لأنَّ الكلام ـ سؤالاً وجواباً ـ حول خصوص الصفات.

[١٠] **(البطلان والتشبيه):**

لأنَّ البعض كالمعتزلة أرادوا تنزيه الله تعالى عن الصفات الزائدة، فلذا أنكروا أصل الصفات، وإنكارها تعطيل بل إبطال له تعالى، لأنَّ من الصفات الحياة والقدرة والعلم، فنفيها يساوق القول بعدم وجوده، وقد مرّ بعض الكلام في ذلك.

والبعض لم يدرك الجمال البلاغي في آيات القرآن فشبّه الله تعالى بخلقه، وكذلك اتبع بعض المرويات المكذوبة.

---

(١) تراجع الآيات التالية: فإنَّه تعالى وارتفع عن: البنين والبنات (سورة الأنعام: الآية ١٠٠)/والشريك (سورة الأعراف: الآية ١٩٠)/والشبيه (سورة طه: الآية ١١٤)/وعمَّا لا يليق به (سورة المؤمنون: الآية ١١٦) وغيرها.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٧.

نَفْيَ وَلَا تَشْبِيهَ، هُوَ اللَّهُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ[١١] تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ[١٢]، وَلَا تَعْدُوا الْقُرْآنَ[١٣] فَتَضِلُّوا بَعْدَ الْبَيَانِ[١٤].

---

[١١] **(هو الله الثابت الموجود):**

إشارة إلى نفي زعم بطلان الصفات رأساً.

[١٢] **(تعالى عمَّا يصفه الواصفون):**

إشارة إلى نفي التشبيه.

الثالث: الميزان في الصفات

[١٣] **(لا تعدوا القرآن):**

أي لا تتجاوزوا القرآن بنفي ما وصف به نفسه تعالى في القرآن، أو بإثبات ما نفاه عن نفسه في القرآن.

بل التزموا بما في القرآن، فأثبتوا ما أثبته وانفوا ما نفاه.

أما ما لم يذكر في القرآن ـ لا بالنفي ولا بالإثبات ـ فلا يجوز وصفه به إلَّا إذا ثبت عن المعصومين عليهم السلام، لأنَّ كلامهم مأخوذ من القرآن ومفسر له.

ولعلَّ تلك الأوصاف أصلها يرجع إلى القرآن الكريم، فتدخل في الأوصاف القرآنية.

[١٤] **(فتضلوا بعد البيان):**

ومن ضلَّ بعد البيان فلا يُقبل له عذر قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[١].

ثم إنَّ في المرآة[٢] «إنَّ الظاهر من هذه الأخبار المنع عن التفكر في كنه الذات والصفات، والخوض فيها، فإنَّ العاقل عاجز عنها ولا يزيد إلَّا حيرة وضلالة» انتهى.

أقول: هو كما ذكره رضوان الله تعالى عليه في صفات الذات، وأما صفات

---

(١) سورة الإسرا: الآية ١٥.

(٢) المرآة: ج١، ص٣٤٦.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام[١]:

الفعل فإنها صادرة عنه تعالى وليس عين ذاته.

ثم لا يخفى أنَّ هنا أمرين: الوصف ـ وهو الاسم ـ والإخبار.

أما الوصف: فهو توقيفي ـ لما في هذه الأخبار وغيرها ـ.

وأما الإخبار المجرد عن الوصف فليس بتوقيفي.

فلا يجوز وصف الله بالزارع مثلاً، ولكن يجوز الإخبار عنه بأنَّه تعالى الزارع لا غيره لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾(١).

ومن ذلك قولهم إنَّه (واجب الوجود) فإنَّه لا يُراد به وصف الله وجعل «واجب الوجود» اسماً له، بل يُراد الإخبار عنه تعالى، فتأمل(٢).

الحديث الثاني:

[١] **(قال لي علي بن الحسين عليه السلام)**:

حاصل الحديث ـ على ما يظهر ـ هو:

عدم إمكان وصفه بما يحدّه تعالى، سواء كانت حدود جسمانية أم حدود عقلية.

لأنَّ الله أعظم من أن يوصف بالصفات الزائدة، فكيف يوصف بما هو أسوأ أنواعها وهي المحدودية.

والدليل هو أنَّ الله غير محدود وغير المحدود يلزم أن تكون صفاته الذاتية غير محدودة ـ وهذا ما دلَّ عليه العقل ـ.

كما أنَّ الشرع دلَّ على عدم إمكان إدراكه، ولو كان محدوداً لأمكن إدراكه بالبصر وأمكن توهمه بالقلب!!

---

(١) سورة الواقعة: الآية ٦٤.

(٢) لا يخفى أنَّه لم ترد كلمة «واجب الوجود» أو «الواجب» في الأدلة الشرعية، وإنَّما ورد كلمة «قديم» بنفس المعنى، والالتزام باصطلاح الأئمة عليهم السلام أولى من التزام اصطلاح غيرهم.

يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ[٢]، عَظُمَ رَبُّنَا عَنِ الصِّفَةِ، فَكَيْفَ[٣] يُوصَفُ بِمَحْدُودِيَّةٍ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ[٤] وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ[٥]؟

---

[٢] **(لا يوصف بمحدودية):**

أي لا يمكن أن تكون له صفة محدودة، أو بمعنى أنَّه لا يمكن أن يكون محدوداً، لا بحدود جسمانية، ولا بحدود عقلية.

[٣] **(عظم ربنا عن الصفة):**

أي الصفة المغايرة للذات، وهي كل خارج عن الذات عارض عليها، لأنَّها تستلزم الاحتياج إليها، والله تعالى غير محتاج وهو الغني المطلق.

«فكيف» أي إنَّ الله تعالى أعظم من أن يوصف بالصفات الزائدة فكيف يوصف بما هو أسوأ منها أي الصفات المحدودة أو الذات المحدودة!!

[٤] **(من لا يحد ولا تدركه الأبصار):**

«مَن لا يحد» أي دلَّ العقل على أنَّه غير قابل للحدّ، فكيف تكون صفاته أو ذاته محدودة.

«ولا تدركه الأبصار» أي ودلَّ الشرع على أنَّه لا يمكن توهمه ولا رؤيته، فكيف يصف الإنسان شيئاً ولم يدركه لا بالقلب ولا بالبصر!

فالحاصل أنَّ العقل دلَّ على عدم إمكان الحدّ عليه، والشرع دلَّ على عدم إمكان إدراكه، فكيف يوصف بوصف محدود أو ذات محدودة!!

[٥] **(وهو اللطيف الخبير):**

«اللطيف» النافذ علمه في الأشياء، ومن لطفه تدبير الخلق والبرّ بالعباد.

«الخبير» العالم ببواطن الأمور.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَزَّازِ وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَا: دَخَلْنَا عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَحَكَيْنَا لَهُ أَنَّ[١] مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله رَأَى رَبَّهُ فِي صُورَةِ الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ[٢] فِي سِنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَقُلْنَا: إِنَّ هِشَامَ بْنَ سَالِمٍ وَصَاحِبَ الطَّاقِ وَالْمِيثَمِيَّ[٣] يَقُولُونَ: إِنَّهُ أَجْوَفُ إِلَى

الحديث الثالث:

[١] **(فحكينا أن...)**:
لعلَّ المعنى أنَّهما سألاه عن معنى هذه الحكاية، أو عن صحتها وسقمها.

[٢] **(الشاب الموفق)**:
أي الذي وصل إلى الكمال في شبابه، فجمع بين تمام الخلقة وكمال المعنى، وفي توحيد الصدوق تكملة (رجلاه في خضرة).

[٣] **(والميثمي)**:
هؤلاء الثلاثة وكذا هشام بن الحكم من الثقات الأجلّاء، ونسبة هذه الأباطيل لهؤلاء الأجلّاء لأحد وجوه:
الأول: لعلَّ نسبة هذا القول إليهم من الدعايات والإشاعات التي كان يُحارب بها أصحاب الأئمة عليهم السلام، فإنَّ الظالمين وأتباعهم كانوا يتهمون الأئمة وأقربائهم وأصحابهم بمختلف التهم، ولما يمتلكون من سلطة ومال ورجال كانوا يشيعون هذه الافتراءات على من لا يتبعهم، كما يشاهد في الحكومات الجائرة في العصر الحاضر حيث يتعاملون مع المعارضة بهذا الأسلوب.
وقد ينطلي الأمر على بعض الناس، ويصدّقون الإشاعات في المؤمنين، وقد ابتلي رسول الله صلى الله عليه وآله بمنافقين يثيرون أمثال هذه الدعايات والإشاعات، كما في قصة الإفك في سورة النور الآيات ١١ ـ ٢٠.
والإمام عليه السلام بيَّن بطلان هذا القول، ولم يتعرض لإبطال نسبته إلى هؤلاء

الأجلاء، لأنَّ المهم كان تنزيه الله تعالى، لا تنزيه هؤلاء الأصحاب، وبعبارة أخرى: أراد الإمام عليه السلام بيان التوحيد الصحيح تنزيهاً لله تعالى عن هذه الترهات، أمَّا تنزيه الأصحاب فلم يكن مهماً حينذاك، إما لعدم ارتباط السائلين بهم، أو للحفاظ عليهم، أو لمصالح أخرى.

الوجه الثاني: ويمكن أن تكون هذه أقوالهم قبل اهتدائهم على يد الإمام الصادق عليه السلام.

وفي المرآة[١]: فقد قيل إنَّ هشام بن الحكم قبل أن يلقىٰ الصادق عليه السلام كان على رأي جهم بن صفوان، فلمَّا تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق.

ويؤيده ما ذكره الكراجكي في كنز الفوائد من الرد على القائلين بالجسم ـ بمعنييه ـ حيث قال:

وأما موالاتنا هشاماً «ره» فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم ـ الذي كان ينصره ـ، ورجوعه عنه، وإقراره بخطئه فيه، وتوبته منه، وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام إلى المدينة فحجبه، وقيل له: إنَّه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قائلاً بالجسم، فقال: والله ما قلت به إلَّا لأنِّي ظننت أنَّه وفاق لقول إمامي عليه السلام، فأما إذا أنكره عليَّ فإنَّني تائب إلى الله منه، فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير» انتهى.

الوجه الثالث: إنَّهم ألزموا الخصوم ـ حين الجدل معهم ـ بأمور، إسكاتاً لهم، فنُسبت إليهم زوراً وبهتاناً، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾[٢].

ففي المرآة[٣] عن الشهرستاني ـ صاحب الملل والنحل ـ: «وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإنَّ الرجل وراء ما يلزمه على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه، وذلك أنَّه ألزم العلَّاف، فقال: إنَّك تقول: إنَّ الباري تعالى عالم بعلم، وعلمه ذاته، فيشارك المحدثات في أنَّه عالم بعلم ويباينها في أنَّ علمه

(١) المرآة: ج٢، ص٥.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٨١.
(٣) المرآة: ج٢، ص٤.

السُّرَّةِ وَالْبَقِيَّةُ صَمَدٌ[٤] فَخَرَّ سَاجِداً لِلَّهِ[٥] ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ مَا عَرَفُوكَ وَلَا وَحَّدُوكَ فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَصَفُوكَ[٦]، سُبْحَانَكَ لَوْ عَرَفُوكَ لَوَصَفُوكَ بِمَا وَصَفْتَ

ذاته فيكون عالماً لا كالعالمين، فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام، وصورة لا كالصور، وأنَّه قدرة لا كالأقدار إلى غير ذلك» انتهى.

[٤] **(والبقية صمد):**

في الوافي[١]: «زعموا أنَّ العالم كله شخص واحد وذات واحدة، له جسم وروح، والمجموع صورة الحق الإله، فقسمه الأسفل الجسماني أجوف لما فيه من الظلمة الناشئة من المادة، وقسمه الأعلى الروحاني غير أجوف بل صمد لأنَّ الروح العقلي موجود فيه، تعالى الله عمَّا يقولون».

[٥] **(فخر ساجداً لله):**

موقف الإمام عليه السلام من هذا القول الشنيع كان:

١ ـ السجود لله سبحانه، ثم تسبيحه تعالى، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[٢].

٢ ـ بيان القاعدة في الصفات والذات.

٣ ـ بيان لزوم التمسك بآل محمد صلى الله عليه وآله حتى لا يضل الإنسان.

٤ ـ شرح موطن الخطأ والتحريف في الكلام.

الموقف الأول

[٦] **(من أجل ذلك وصفوك):**

أي بأوصاف لا تليق بك، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[٣]، وهذه الأوصاف الباطلة منشؤها الجهل، ونتيجتها الشرك، فلذا قال عليه السلام: (ما عرفوك ولا وحّدوك).

---

(١) الوافي: ج١، ص٤٠٧. ـ بتلخيص وتصرّف.

(٢) سورة الحجر: الآيتان ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

بِهِ نَفْسَكَ[٧]، سُبْحَانَكَ كَيْفَ طَاوَعَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يُشَبِّهُوكَ بِغَيْرِكَ[٨]، اللَّهُمَّ لَا أَصِفُكَ إِلَّا بِمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَلَا أُشَبِّهُكَ بِخَلْقِكَ، أَنْتَ أَهْلٌ لِكُلِّ خَيْرٍ[٩]، فَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ[١٠]؛ ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ[١١]: مَا

وفي القرآن الكريم ذكر الوصف بالذم، كلما ذكر وصف الناس لله تعالى أو لما يتعلق به(١).

[٧] **(لوصفوك بما وصفت به نفسك):**

لأنَّ من عرف الله، يعلم بأنَّه لا يمكن إدراك كنه ذاته، فلا يتجاوز الحدّ بأن يصف الله، بل يتعبد بالشرع، فيصف الله سبحانه بما وصف به نفسه.

[٨] **(أن يشبهوك بغيرك):**

حيث شبهوه بالشاب الموفق، وأنَّ له سرة، وأنَّه أجوف.

وحيث إنَّ كلامهم كان يتضمن الوصف بغير ما وصف نفسه والتشبيه، لذا تبرأ الإمام عليه السلام من الأمرين أي الوصف والتشبيه.

[٩] **(أنت أهل لكل خير):**

لبيان أنَّ المعرفة والعقيدة الصحيحة، إنَّما هي بفضل من الله تعالى، لأنَّه أهل لكل خير، ومن خيره أن وفقني للاعتقاد الصحيح.

[١٠] **(من القوم الظالمين):**

كقوله تعالى: ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢)، وهذا دعاء لاستمرار لطفه تعالى.

الموقف الثاني

[١١] **(ثم التفت إلينا فقال):**

هذا هو الموقف الثاني.

---

(١) مادة الوصف وردت في القرآن في أربعة عشر مورداً كلها مذمومة، عشرة موارد تتعلق بالله، مورد حول الأحكام، ومورد حول الزعم الباطل في الثواب، وموردان يتعلقان بقصة يوسف، راجع المعجم الفهرس مادة (و ص ف).

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩٤.

تَوَهَّمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَوَهَّمُوا اللَّهَ غَيْرَهُ[١٢]، ثُمَّ قَالَ: نَحْنُ آلُ مُحَمَّدٍ[١٣] النَّمَطُ الْأَوْسَطُ[١٤] الَّذِي لَا يُدْرِكُنَا الْغَالِي[١٥] وَلَا يَسْبِقُنَا التَّالِي[١٦]، يَا

---

[١٢] **(فتوهموا الله غيره):**

أي اعتقدوا الله غيره، وقد مرّ مفصلاً: أنَّ كل ما في الوهم مخلوق للذهن وهو شبيه الصور الذهنية أو الخارجية، فلا يمكن أن يكون ذلك الخالق.

وقوله: «فتوهموا الله» استعمل كلمة التوهم بمعنى الاعتقاد للمشاكلة، لقوله قبل ذلك (ما توهمتم من شيء)، وهذا نظير قوله: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾(١)، وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(٢).

الموقف الثالث

[١٣] **(ثم قال نحن آل محمد):**

هذا هو الموقف الثالث.

[١٤] **(النمط الأوسط):**

«النمط»: الطريقة، أي نحن الطريقة الوسطى، لا إفراط ولا تفريط، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٣).

[١٥] **(لا يدركنا الغالي):**

الغلو: تجاوز الحد، والغلاة رفعوهم عليهم السلام إلى مرتبة الربوبية، فهؤلاء لم يعرفوا الأئمة لذا قالوا فيهم غير الحق، ولا يمكن معرفتهم إلَّا بإنزالهم عن مرتبة الربوبية، واعتبارهم عباداً مكرمين.

[١٦] **(ولا يسبقنا التالي):**

أي التابع لنا لا يتقدم علينا، فلا يمكن أن يصل إلى الحق والأمن إلَّا بالأخذ عنَّا، فلو أخذ من غيرهم لا يكون تابعاً حقيقة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

مُحَمَّدُ[١٧] إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرَ إِلَى عَظَمَةِ رَبِّهِ[١٨] كَانَ فِي هَيْئَةِ[١٩]

وفي دعاء شعبان (المتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق)(١).

الموقف الرابع

[١٧] **(يا محمد):**

ومحمد هنا هو (محمد بن الحسن)، أحد الراويين لهذا الحديث، وهذا هو الموقف الرابع، حيث شرح الإمام عليه السلام معنى الكلام، فقال إنَّ الشاب الموفق كان رسول الله ﷺ والمحرفون زعموا أنَّه كان الله، ومعنى رجلاه في خضرة أنَّ الرسول ﷺ مغموراً بنور أخضر، لا أنَّ الله كان واقفاً على شيء أخضر، تعالى الله عمَّا يزعمون.

ويبدو من هذه الفقرة: أنَّه كانت أحاديث متداولة حول الشاب الموفق، منسوبة إلى الرسول ﷺ أو الأئمة عليهم السلام، والإمام عليه السلام شرح معناها بشكل صحيح.

[١٨] **(إلى عظمة ربه):**

لعلَّه كان ذلك في المعراج، لما مرّ في بعض الأحاديث أنَّ الرسول قال: (لما أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكاناً لم يطأه قط جبرئيل، فكشف له، فأراه الله من نور عظمته ما أحب)(٢)، وقد مرّ تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾(٣).

[١٩] **(كان في هيئة...):**

أي كان الرسول ﷺ في شكل الشاب الكامل ـ جسماً ومعنوياً ـ وفي شكل أبناء الثلاثين، أي مظهر الرسول ﷺ كان مظهر من مضى من عمره ثلاثين سنة، مع أنَّ عمره الشريف كان قد تجاوز الأربعين لأنَّ المعراج كان بعد البعثة.

ويمكن أن تكون رؤيته لعظمة الله تعالى قد سبقت البعثة بعشر سنين، والأول أظهر.

---

(١) مصباح المتهجد: ص٨٢٨.

(٢) الكافي:/باب إبطال الرؤية/الحديث الثامن.

(٣) سورة النجم: الآية ١٨.

الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ وَسِنِّ أَبْنَاءِ ثَلَاثِينَ سَنَةً. يَا مُحَمَّدُ: عَظُمَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ[٢٠] أَنْ يَكُونَ فِي صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ؛ قَالَ قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَنْ كَانَتْ رِجْلَاهُ فِي خُضْرَةٍ؟ قَالَ: ذَاكَ مُحَمَّدٌ كَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى رَبِّهِ بِقَلْبِهِ[٢١] جَعَلَهُ فِي نُورٍ[٢٢] مِثْلِ نُورِ الْحُجُبِ[٢٣] حَتَّى يَسْتَبِينَ لَهُ مَا فِي الْحُجُبِ[٢٤]، إِنَّ نُورَ

---

[٢٠] **(عظم ربِّي عزّ وجَلَّ):**
هذا دليل لهذا الشرح، أي لا يعقل أن يكون الله بهذه الهيئة، إذن فالذي كان بهذه الهيئة هو رسول الله ﷺ.

[٢١] **(نظر إلى ربه بقلبه):**
النظر بالقلب هو المعرفة، وحيث إنَّ المعرفة تختلف من شخص لآخر، فإنَّ الله تعالى جعل لرسول الله ﷺ قابلية أقصى درجات المعرفة التي يمكن أن يصل إليها مخلوق.

[٢٢] **(جعله في نور):**
أي جعل الله محمداً ﷺ في نور، أي جعل له قابلية معنوية، لأنَّ النُّور يستعمل بهذا المعنى أيضاً، كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(١) أي هل من وسَّع الله صدره لقبول الإسلام فهو على نور - أي هداية ويقين - من ربه، كمن ليس كذلك بل كان قلبه قاسياً فلا يدخله نور الإيمان فلا يذكر الله تعالى.

[٢٣] **(مثل نور الحجب):**
أي مثل قابلية تلك المعارف، وإنَّما سميت المعارف بالحجب لأنَّها موانع عن أن يسند من يعرفها إلى لله تعالى ما لا يليق به.

[٢٤] **(حتى يستبين له ما في الحجب):**
أي حتى تستبين له تلك المعارف.
وحاصل المعنى: أنَّ الله تعالى جعل لقلب رسوله ﷺ القابلية الكاملة لتنكشف له المعارف الحقّة بأقصى درجة يمكن أن يصل إليها إنسان، كما

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.

اللَّهِ مِنْهُ أَخْضَرُ[٢٥] وَمِنْهُ أَحْمَرُ وَمِنْهُ أَبْيَضُ وَمِنْهُ غَيْرُ ذَلِكَ. يَا مُحَمَّدُ: مَا شَهِدَ لَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَنَحْنُ الْقَائِلُونَ بِهِ.

روي عنه ﷺ أنّه قال لعلي عليه السلام: (ما عرف الله إلّا أنا وأنت)[١].

فيكون المراد من «رجلاه» في قوله (رجلاه في خضرة): هو المعنى المجازي أي كان ثابتاً في ذلك، كما يقال (ثبتت قدمه) أو (وقف على أرضية صلبة) ونحوها من التعبيرات، فتأمل.

ولا يخفى أنَّ هذا المعنى هو الأنسب لظاهر الكلام وخاصة قوله عليه السلام: «نظر إلى ربه بقلبه» وقوله عليه السلام: «حتى يستبين».

ويمكن حمل الألفاظ على المعنى الحقيقي كما في المرآة[٢]: «ثم اعلم أنّه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها بأن يكون المراد بالحجب أجساماً لطيفة مثل العرش والكرسي يسكنها الملائكة الروحانيون كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار، أي أفاض عليه شبيه نور الحجب ليمكّن له رؤية الحجب كنور الشمس بالنسبة إلى عالمنا. انتهى.

ومقصوده كما أنَّ الرؤية في عالمنا متوقفة على النُّور الساطع من الشمس ونحوها بحيث لو لم يكن هذا النُّور لم تمكن الرؤية في الظلمات، كذلك رؤية ما في الحجب بحاجة إلى نور مخصوص لا يتيسر لكل أحد، فتأمل.

[٢٥] **(إنَّ نور الله منه أخضر... الخ):**

لعلَّ هذا المقطع لإثبات معنى قوله: (رجلاه في خضرة)، ولدفع استبعاد تعدد ألوان النُّور المنسوب إلى الله تعالى.

فيكون المعنى إنَّ النُّور الذي يوجب قابلية إدراك المعارف هو نور أخضر، لذلك كانت رجلا رسول الله ﷺ في خضرة، كما أنَّ لله تعالى أنواراً بسائر الألوان لجهات أخرى.

واعلم أنَّ في تأويل ألوان الأنوار وجوهاً شتى، لكنَّها استحسانات ولا تعتمد على دليل قوي.

---

(١) مدينة المعاجز: ج٢ ص٤٣٩، ح٤٥١.

(٢) المرآة: ج١، ص٣٤٨.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ بَشِيرٍ الْبَرْقِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبَّاسُ بْنُ عَامِرٍ الْقَصَبَانِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ الْجَهْمِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَصِفُوا اللَّهَ بِعَظَمَتِهِ[١] لَمْ يَقْدِرُوا.

٥ ـ سَهْلٌ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمَذَانِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ عليه السلام: أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا مِنْ مَوَالِيكَ قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ[١]، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: جِسْمٌ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ صُورَةٌ[٢]، فَكَتَبَ عليه السلام بِخَطِّهِ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ

الحديث الرابع:

[١] **(يصفوا الله بعظمته):**
أي أن يصفوه كما هو، أو بمعنى يصفوا عظمة الله تعالى، وعدم قدرتهم لعدم إدراكهم كنه ذاته، ولعدم محدودية عظمته تعالى، فكل وصف منهم فهو دون حقيقته، فلذا عليهم أن يكتفوا بما وصف به نفسه، لأنَّه تعالى يعلم كنه ذاته، ويصف نفسه بالأوصاف الصحيحة، وقد مرّ هذا المعنى مراراً.

الحديث الخامس:

[١] **(من مواليك قد اختلفوا في التوحيد):**
لعلَّ سبب اختلافهم، هو أنَّ عامة الناس كانوا من المخالفين، وقد شاعت فيهم هذه الأباطيل، وبما أنَّ الشيعة كانوا قليلين جداً، وكان من الصعوبة أن يصلوا إلى الأئمة عليهم السلام لبعد المسافة ولظروف التقية، فلذا لعلَّ بعضهم تأثر بمقالة المخالفين، أو لأنَّ كثيراً من الشيعة كانوا قبل استبصارهم من المخالفين فلذا بقيت فيهم رواسب المعتقدات السابقة، كما يشاهد حالياً فيمن يبدل دينه أو مذهبه فإنَّ آثار العقائد السابقة تبقى فيه بل قد تكون ظاهرة للعيان.

[٢] **(من يقول صورة):**
أي ذو صورة، ولعلَّ البعض كان يقول إنَّه جسم بلا صورة، وبعضهم كان يقول: جسم مع صورة.

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ـ أَوْ قَالَ الْبَصِيرُ ـ[٣].

٦ ـ سَهْلٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: كَتَبَ أَبُو الْحَسَنِ مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى أَبِي: أَنَّ اللَّهَ أَعْلَى وَأَجَلُّ وَأَعْظَمُ[١] مِنْ أَنْ يُبْلَغَ كُنْهُ صِفَتِهِ[٢]، فَصِفُوهُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ[٣]، وَكُفُّوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ.

٧ ـ سَهْلٌ، عَنِ السِّنْدِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصٍ أَخِي مُرَازِمٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام، عَنْ شَيْءٍ مِنَ الصِّفَةِ؟ فَقَالَ: لَا تَجَاوَزْ مَا فِي الْقُرْآنِ[١].

---

[٣] **(أو قال البصير):**

الترديد من الراوي، والظاهر أنَّ الإمام استشهد بالآية الشريفة فضمنها الكلام فيكون الصحيح هو قوله عليه السلام: (البصير).

الحديث السادس:

[١] **(أعلى وأجلّ وأعظم):**

الكلمات الثلاث متقاربة المعنى، وتشير إلى معنى واحد ولكن باعتبارات مختلفة.

[٢] **(كنه صفته):**

أي حقيقة صفاته، سواء صفات الذات أم صفات الفعل، لأنَّ الأولى عين ذاته ويستحيل معرفة كنه ذاته، والثانية: وإن كانت مخلوقة له لكن تقصر الأفهام عن دركها، لعظمتها وعلوها وجلالها.

[٣] **(بما وصف به نفسه):**

لأنَّه عالم بكنه ذاته وبعظمة نفسه، فوصفها بما تليق بذاته تعالى، وأمرنا بأن ندعوه بأسمائه سبحانه.

الحديث السابع:

[١] **(لا تجاوز ما في القرآن):**

«تجاوز» من باب المفاعلة، أي لا تتعدَ ما في القرآن، ويحتمل أن يكون من

٨ ـ سَهْلٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْقَاسَانِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَيْهِ[١] عليه السلام أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ قَالَ: فَكَتَبَ عليه السلام: سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

٩ ـ سَهْلٌ، عَنْ بِشْرِ بْنِ بَشَّارٍ النَّيْسَابُورِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ عليه السلام: أَنَّ مَنْ قِبَلَنَا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي التَّوْحِيدِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ جِسْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ صُورَةٌ، فَكَتَبَ إِلَيَّ: سُبْحَانَ مَنْ لَا يُحَدُّ وَلَا يُوصَفُ[١] وَلَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

باب التفاعل بحذف إحدى التاءين تخفيفاً وحذف «عن» أي لا تتجاوز عمّا في القرآن.

أما الأوصاف الواردة في الأحاديث فهي ترجع إلى ما في القرآن الكريم، أي إنَّ أُصول الصفات ذكرت في القرآن الكريم وما في الأحاديث مصاديق لتلك الصفات.

الحديث الثامن:

[١] **(كتبت إليه):**

يبدو أنَّ شبهة الجسم والصورة قد انتشرت في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث، فلذا كثر السؤال باللِّسان أو بالكتابة، وقد روى الكليني رضوان الله عليه بعض تلك الروايات ـ مع تقارب ألفاظها بل اتحادها أحياناً ـ لأهمية الموضوع.

الحديث التاسع:

[١] **(ولا يوصف):**

أي لا يمكن الوصول إلى صفاته ـ بالاستقلال ـ لعدم المعرفة بحقيقته تعالى، نعم يمكن العلم بصفاته التي وصف بها نفسه.

١٠ ـ سَهْلٌ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ: قَدِ اخْتَلَفَ يَا سَيِّدِي أَصْحَابُنَا فِي التَّوْحِيدِ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ جِسْمٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ صُورَةٌ، فَإِنْ رَأَيْتَ يَا سَيِّدِي أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقِفُ عَلَيْهِ وَلَا أَجُوزُهُ فَعَلْتَ مُتَطَوِّلاً عَلَى عَبْدِكَ[١]، فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ عليه السلام: سَأَلْتَ عَنِ التَّوْحِيدِ وَهَذَا عَنْكُمْ مَعْزُولٌ[٢]، اللَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

الحديث العاشر:

[١] **(متطولاً على عبدك):**

أي المطيع لك، لأنَّ مادة «ع ب د» تُستعمل في معنى الإطاعة كقوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾(١) أي مطيعون، كما أطلق القرآن على الموالي هذه اللفظة كقوله تعالى: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾(٢)، وقد مرّ نظير ذلك.

[٢] **(وهذا عنكم معزول):**

أي ممنوع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(٣).

وقال الفيض(٤): «إذ ليس لكل أحد أن يخوض في أمر التوحيد لقصور أكثر الناس عن دركه، بل يكفيهم أن يعتقدوا أنَّ الله واحد أحد إلى آخر ما ذكره عليه السلام» انتهى.

وبعبارة أخرى: المرجع لكم هو ما وصف نفسه في القرآن الكريم ولا تتعدوا ذلك لقصوركم.

وربما يؤيد ذلك بأنَّ السائل كان (سهل بن زياد) ولعلَّ الإمام عليه السلام أراد أن يقف عند هذا الحدّ. فتأمل.

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٤٧.
(٢) سورة النور: الآية ٢٣.
(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٢.
(٤) الوافي: ج١، ٣٨٩.

كُفُواً أَحَدٌ، خَالِقٌ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، يَخْلُقُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَجْسَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ[٣] وَلَيْسَ بِجِسْمٍ، وَيُصَوِّرُ مَا يَشَاءُ وَلَيْسَ بِصُورَةٍ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ[٤] وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ[٥] أَنْ يَكُونَ لَهُ شِبْهٌ، هُوَ لَا غَيْرُهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[٦] وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

ثم اعلم أنَّ كثرة روايات الكليني (رضوان الله عليه) عن سهل بن زياد في الكافي الشريف، قرينة على توثيقه واعتماده عليه، فتأمل.

[٣] **(من الأجسام وغير ذلك):**

أي وغير الأجسام، كالقوى الباطنية للإنسان وإدراكه والصور الذهنية ونحوها.

أو المراد الأمور الانتزاعية ونحوها التي تُخلق بخلق منشأ انتزاعها، وهي ليست لها حقائق عينية خارجية، مثل «الزوجية» في الأربعة، فإنَّ الزوجية أمر انتزاعي من منشئه ـ وهو وجودات الأشياء الخارجية ـ، فالزوجية ليست بجسم لكنَّها مخلوقة بتبع خلق مناشئها، فتأمل.

أو المراد أنَّه يتمكن من خلق المجردات، ولكن لم يخلقها لحكمة اقتضت أن تكون جميع الأشياء أجساماً ـ كثيفة أو لطيفة ـ، وقد مرّ أنَّه لا يوجد مجرد سوى الله تعالى، ودلَّت على ذلك بعض الروايات، وما استدل به لوجود المجردات كلام خطابي بل شعري.

[٤] **(جل ثناؤه):**

أي ليس في مدحه نقص أو غلو، بل ثناؤه أجلّ من النقائص.

[٥] **(تقدّست أسماؤه):**

أي طهرت، لأنَّ القدس بمعنى شدة الطهارة.

[٦] **(ليس كمثله شيء).**

أي هو ليس كمثله شيء، وأما غيره ـ مهما يكن ـ فله مثل ولو من بعض الجهات.

١١ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ[١]، وَكَيْفَ يُوصَفُ؟ وَقَدْ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[٢] [الزُّمَر: ٦٧] فَلَا يُوصَفُ بِقَدَرٍ إِلَّا كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ[٣].

١٢ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، وَعَنْ غَيْرِهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ رَفِيعٌ[١]، لَا يَقْدِرُ الْعِبَادُ عَلَى صِفَتِهِ، وَلَا يَبْلُغُونَ كُنْهَ

الحديث الحادي عشر:

[١] **(إنَّ الله لا يوصف):**
أي لا يتمكن أحد من وصفه وصفاً يليق به لعدم إمكان إدراك عظمته.
وقد استدل الإمام عليه السلام لهذا المطلب بالقرآن الكريم.

[٢] **(وما قدروا الله حقَّ قدره):**
أي لم ينزلوه منزلته اللائقة به.

[٣] **(كان أعظم من ذلك):**
وذلك حسب مدلول هذه الآية الكريمة، نعم الله يصف نفسه بما يليق بذاته المقدسة، فلذا على الناس الاقتصار على الأوصاف التي وصف بها نفسه.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(عظيم رفيع):**
(العظمة) في ذاته، و(الرفعة) في صفاته، كقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾(١)
أي ارتفعت درجات جلاله من أن يكون له شريك، ويمكن الترادف بين الكلمتين تأكيداً.

---

(١) سورة غافر: الآية ١٥.

عَظَمَتِهِ[٢]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَلَا يُوصَفُ بِكَيْفٍ وَلَا أَيْنٍ وَحَيْثٍ[٣]، وَكَيْفَ أَصِفُهُ[٤] بِالْكَيْفِ؟! وَهُوَ الَّذِي كَيَّفَ الْكَيْفَ حَتَّى صَارَ كَيْفاً فَعُرِفَتِ الْكَيْفُ[٥] بِمَا كَيَّفَ لَنَا مِنَ الْكَيْفِ، أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِأَيْنٍ؟! وَهُوَ الَّذِي أَيَّنَ الْأَيْنَ حَتَّى صَارَ أَيْناً فَعُرِفَتِ الْأَيْنُ بِمَا أَيَّنَ لَنَا مِنَ الْأَيْنِ، أَمْ كَيْفَ أَصِفُهُ بِحَيْثٍ؟! وَهُوَ الَّذِي حَيَّثَ الْحَيْثَ حَتَّى صَارَ حَيْثاً

---

[٢] **(لا يبلغون كنه عظمته):**

لأنَّ فهم حقيقة عظمته تستلزم معرفة كنه ذاته، وحيث استحالت معرفة كنه الذات، استحالت معرفة حقيقة عظمته.

[٣] **(بكيف ولا أين وحيث):**

قد مرّ أنَّ «الكيف» هو الصفة الزائدة المغايرة للذات أو الكيفيات النفسانية.

و«الأين» للمكان، والمعنى أنَّ الله لا يوصف بأنَّه في مكان.

و«حيث» للزمان، أي لا يوصف الله تعالى بأنَّه في زمان، وكلمة (حيث) وضعت للمكان، لكن قد تُستعمل في الزمان مجازاً.

ويمكن أن يكون بمعنى المكان هنا، ويكون الفرق بينها وبين الأين، أن «أين»: لكون الشيء في المكان و«حيث» اسم لنفس المكان.

[٤] **قوله: (كيف أصفه. . .):**

حاصله أنَّ الكيفيات والمكان والزمان مخلوقات لله تعالى، والخالق لا يوصف بمخلوقاته.

[٥] **(فعرفت الكيف):**

«عرفت» بالمجهول، أي إنَّما أمكن معرفتنا للكيف والمكان والزمان لمّا شاهدناها وأحسسنا بها، ولولا ذلك لم نكن لنعرفها.

والمعنى: كيف أصفه بالكيفيات النفسانية أو الصفات الزائدة، والحال أنَّ الكيف مخلوق فهو الذي أوجد الكيف ولولا ذلك لم يكن كيف ولمّا أوجدها عرفناها، وكذلك في «الأين» و«حيث».

فَعُرِفَتِ الْحَيْثُ بِمَا حَيَّثَ لَنَا مِنَ الْحَيْثِ، فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دَاخِلٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ[٦] وَخَارِجٌ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ[٧]، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ[٨] وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ؟ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ[٩] وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

---

[٦] (داخل في كل مكان):
بمعنى إحاطة علمه وقدرته بكل شيء في كل مكان.

[٧] (خارج من كل شيء):
بمعنى عدم حلوله في مخلوقاته لاستحالة ذلك ـ كما مرّ ـ.

[٨] (لا تدركه الأبصار):
دليل على عدم كونه في المكان، لأنَّ كل شيء له مكان يمكن إدراكه بالعقل أو بالحس، والله لا يمكن إدراكه لا بحس ولا بوهم فلا يكون في مكان.
وهذا دليل نقلي بعد أن ذكر الإمام عليه السلام الدليل العقلي.

[٩] (العلي العظيم):
دليل نقلي على عدم كونه داخلاً في الأشياء، لأنَّه أعلى وأعظم من أن يحوطه شيء أو مكان، والحاصل أنَّ الإمام استدل بالعقل وبالنقل على أنَّ الله ليس في المكان والزمان، فتأمل.

بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ

١ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَرْوِي عَنْكُمْ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ، صَمَدِيٌّ نُورِيٌّ[١]، مَعْرِفَتُهُ ضَرُورَةٌ، يَمُنُّ بِهَا عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَالَ عليه السلام: سُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ كَيْفَ هُوَ إِلَّا هُوَ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، لَا يُحَدُّ، وَلَا يُحَسُّ، وَلَا يُجَسُّ، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَلَا الْحَوَاسُّ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا جِسْمٌ، وَلَا صُورَةٌ، وَلَا تَخْطِيطٌ، وَلَا تَحْدِيدٌ.

الحديث الأول:

[١] (صمدي نوري):

في المرآة(١): وقد يُؤَوّل كلامه بأنَّ مراده:

«بالجسم»: الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا بغيرها.

و«بالصمدي»: ما لا يكون خالياً في ذاته عن شيء، فيستعد أن يدخل هو فيه، أو مشتملاً على شيء يصحّ عليه خروجه عنه.

و«بالنوري»: ما يكون صافياً عن ظُلَم المواد وقابلياتها، بل عن الماهية المغايرة للوجود وقابلياتها). انتهى.

والمعنى: أنَّ مراده من «الجسم» هو أنَّه لا يحتاج في وجوده إلى غيره، عكس الممكنات فإنَّ الأعراض لا وجود لها إلَّا في الأعيان، والأعيان تحتاج في وجودها إلى العلَّة التي توجدها وتبقيها، وهذا المعنى صحيح،

---

(١) المرآة: ج٢، ص١.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ الْجِسْمِ وَالصُّورَةِ فَكَتَبَ: سُبْحَانَ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ[١].

لكن لا يصحّ إطلاق الجسم على هذا المعنى، لأنَّها لغة وعرفاً يُراد منها ما يتشكل من المادة، ولا يصحّ ابتداع اصطلاح من غير ملاحظة فهم الناس ومع عدم الحاجة إليه.

ومراده من «الصمدي» وهو مبالغة في الصمد أنَّ الله سبحانه، لا تكون فيه قابلية للأشياء حتى يكون فاقداً لها ثم يحصلّها، لأنَّ معنى القابلية: هو النقص أو إمكانه، فالنقص حينما يكون مستعداً لكمال فاقده، وإمكان النقص حينما يكون قابلاً لزوال كمال عنه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومراده من «النوري» أنَّه لا مجال للنقص فيه بل كلّه كمال لأنَّ النُّور مظهر الكمال، والظلمة مظهر النقص، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).

وقد مرّ بعض الوجوه في تنزيه هشام رحمه الله من القول بالجسم، ومنها: أنَّ ذلك كان قبل لقائه بالإمام عليه السلام حيث تاب على يده عليه السلام، ومنها: أنَّه لم يكن يقصد المعنى المتبادر بل ما ذكر في هذا التأويل، ومنها إشاعة المخالفين لهذا الكلام عنه، والأئمة عليهم السلام بيّنوا بطلان هذا الكلام من غير تبرئة هشام للتقية أو لمصالح أخرى، ومنها: لغير ذلك، فراجع الحديث الثالث من الباب السابق.

وأما شرح كلمات الإمام فقد مرّت في الأحاديث السابقة فراجع.

الحديث الثاني:

[١] **(لا جسم ولا صورة):**

وهذا نتيجة أنَّه لا يشبهه شيء، لأنَّه لو كان ذا صورة أو كان جسماً فقد كان شبيهاً بمخلوقاته.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الرَّجُلَ[٢].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: جِئْتُ إِلَى الرِّضَا عليه السلام أَسْأَلُهُ عَنِ التَّوْحِيدِ، فَأَمْلَى عَلَيَّ[١]: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْأَشْيَاءِ إِنْشَاءً[٢]، وَمُبْتَدِعِهَا ابْتِدَاعاً[٣]، بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، لَا مِنْ شَيْءٍ فَيَبْطُلَ الِاخْتِرَاعُ[٤]، وَلَا لِعِلَّةٍ[٥] فَلَا يَصِحَّ الِابْتِدَاعُ، خَلَقَ مَا شَاءَ كَيْفَ شَاءَ،

---

[٢] (لم يسمّ الرجل):
أي لم يذكر الراوي.

الحديث الثالث:

[١] (فأملى عليَّ):
أي أمرني بأن أكتب ما يقول، وقد ضمَّن الكليني رضوان الله عليه بعض ما في هذا الحديث في خطبة الكتاب، وقد مرّ شرحها مفصلاً فنختصر ما ذكرناه هناك.

[٢] (فاطر الأشياء إنشاءً):
أي خالقها، و«فطر» و«أنشأ» بمعنى الإيجاد والخلق.

[٣] (مبتدعها ابتداعاً):
«الابتداع»: الإيجاد من العدم من غير أن يكون لها مادة سابقاً.

[٤] (فيبطل الاختراع):
«الاختراع»: إيجاد الشيء من غير تقليد، فمخلوقاته كانت معدومة فأوجدها بهذه الكيفية من غير أن يقلد أحداً.

[٥] (ولا لعلة):
أي لم تكن مادتها موجودة بل خلق المادة من العدم.
لأنَّ المادة لو كانت موجودة وإنَّما التغيير كان في شكلها، لم يكن ابتداعاً وإيجاداً من العدم.

مُتَوَحِّداً بِذَلِكَ، لِإِظْهَارِ حِكْمَتِهِ[٦] وَحَقِيقَةِ رُبُوبِيَّتِهِ[٧]، لَا تَضْبِطُهُ الْعُقُولُ[٨]، وَلَا تَبْلُغُهُ الْأَوْهَامُ[٩]، وَلَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ مِقْدَارٌ[١٠]، عَجَزَتْ دُونَهُ الْعِبَارَةُ[١١]، وَكَلَّتْ دُونَهُ الْأَبْصَارُ[١٢]، وَضَلَّ فِيهِ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ[١٣]، احْتَجَبَ

---

[٦] **(لإظهار حكمته):**

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(١).

[٧] **(حقيقة ربوبيته):**

أي ليستدلوا بذلك على أنَّه الرَّبّ حقيقة.

[٨] **(لا تضبطه العقول):**

أي لا تحيط العقول بكنه ذاته.

[٩] **(لا تبلغه الأوهام):**

أي قوى الإدراك الباطنية كالشعور والخيال والوهم، وقد تشمل العقل ـ توسعاً ـ.

[١٠] **(لا يحيط به مقدار):**

سواء كانت من المقادير المادية كالأوزان والحواس ونحوها، أم كانت من المقادير العقلية أي الحدود العقلية كالجنس والفصل ونحوها.

[١١] **(عجزت دونه العبارة):**

لأنَّ الألفاظ وضعت ـ عادة ـ للماديات التي يأنس بها الإنسان، فلذا تضيق العبارات والألفاظ فيما لا يمكن إحساسه، فتكثر المجازات.

[١٢] **(كلَّت دونه الأبصار):**

أي عجزت عن رؤيته لأنَّه ليس بجسم.

[١٣] **(تصاريف الصفات):**

أي اشتقاق الصفات باطلة بالنسبة إليه تعالى، إلَّا الأوصاف التي وصف بها نفسه.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ١٢.

بِغَيْرِ حِجَابٍ مَحْجُوبٍ[١٤]، وَاسْتَتَرَ بِغَيْرِ سِتْرٍ مَسْتُورٍ[١٥]، عُرِفَ بِغَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَوُصِفَ بِغَيْرِ صُورَةٍ، وَنُعِتَ بِغَيْرِ جِسْمٍ[١٦]؛ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ[١٧].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: وَصَفْتُ لِأَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَوْلَ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ الْجَوَالِيقِيِّ، وَحَكَيْتُ لَهُ: قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ جِسْمٌ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، أَيُّ فُحْشٍ أَوْ خَناً[١] أَعْظَمُ مِنْ

---

[١٤] **(بغير حجاب محجوب)**:

«محجوب» بمعنى اسم الفاعل أي عجزت الناس من رؤيته فهو تعالى محتجب لا بالحجب المادية التي يحتجب بها المخلوقين.

[١٥] **(بغير ستر مستور)**:

أي ستر ساتر، ولعلَّ الفرق أنَّ الاحتجاب عن الأبصار، والستر عن العقول، أو أنَّ الفقرة الثانية تأكيد للأولى.

[١٦] **(نعت بغير جسم)**:

عكس المخلوقات التي تُعرف عادة برؤيتها أو بشكلها لأنَّها أجسام، لكنَّه تعالى لا يعرف بالرؤية ولا بالصورة، لأنَّه ليس بجسم فلا يمكن أن يُرى ولا صورة له.

[١٧] **(الكبير المتعال)**:

فاستحالة رؤيته وعدم كونه جسماً ولا صورة، ليس نقصاً فيه، بل ذلك من كماله تعالى.

الحديث الرابع:

[١] **(فحش أو خنى)**:

«الفحش»: العمل المتجاوز عن حدّ الشرع والعقل، و«الخنى»: الفساد.

قَوْلِ مَنْ يَصِفُ خَالِقَ الْأَشْيَاءِ بِجِسْمٍ أَوْ صُورَةٍ أَوْ بِخِلْقَةٍ[٢] أَوْ بِتَحْدِيدٍ وَأَعْضَاءٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ رَفَعَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَرَجِ الرُّخَّجِيِّ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام أَسْأَلُهُ عَمَّا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ فِي الْجِسْمِ، وَهِشَامُ بْنُ سَالِمٍ فِي الصُّورَةِ، فَكَتَبَ: دَعْ عَنْكَ حَيْرَةَ الْحَيْرَانِ، وَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لَيْسَ الْقَوْلُ مَا قَالَ الْهِشَامَانِ[١].

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ قَالَ: سَمِعْتُ يُونُسَ بْنَ ظَبْيَانَ يَقُولُ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ يَقُولُ قَوْلاً عَظِيماً، إِلَّا أَنِّي أَخْتَصِرُ لَكَ مِنْهُ أَحْرُفاً: فَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ شَيْئَانِ: جِسْمٌ وَفِعْلُ الْجِسْمِ[١]، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّانِعُ بِمَعْنَى الْفِعْلِ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

---

[٢] (أو بخلقة):
«الخلقة» بمعنى أعضاء كأعضاء المخلوقين، وقد مرّ تفصيل ذلك القول في ردّ من زعم أنّه في هيأة الشاب الموفق.

الحديث الخامس:

[١] (ليس القول ما قال الهشامان):
وقد مرّ أنَّ هذه الأقوال كانت قبل رجوعهم إلى الحق وتوبتهم منها، أو لغير ذلك من الوجوه، فراجع.

الحديث السادس:

[١] (جسم وفعل الجسم):
أي زعم أنَّ الأشياء إما جسم وإما عرض يعرض الجسم، وهذا مبني على

بِمَعْنَى الْفَاعِلِ. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٢]: وَيْحَهُ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ

توهم الكثير من الناس بأنَّ لا وجود إلَّا للمحسوسات هي إما الجواهر وإما الأعراض.

[٢] **(فقال أبو عبد الله):**

لقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على أنَّه تعالى ليس بجسم، والجسم هو ما يتشكل من المادة، ولنذكر بعضها حتى يتضح كلام الإمام عليه السلام هنا، اقتبسناها من كفاية الموحدين(١).

منها: أنَّه لو كان جسماً، فإما أن يكون قابلاً للانقسام إلى الأبعاد الثلاثة، أو لا يكون قابلاً.

والأول: يستلزم التركب والاحتياج إلى أجزائه.

والثاني: يستلزم كونه أصغر الأشياء ـ كالجزء الذي لا يتجزأ ـ، وكلا اللازمين باطلان.

ومنها: أنَّ الاحتياج إلى المكان من اللوازم الذاتية للجسم، لعدم إمكان فرض ذي الأبعاد الثلاثة من غير أن يكون في مكان وحيّز، وحينئذٍ فيحتاج إلى المكان، والاحتياج نقص ويتنافى مع وجوب الوجود.

ومنها: جسميته تستلزم تعدد القدماء، إذ الجسم يحتاج إلى المكان فيكون المكان قديماً أيضاً، وقد ثبت في محله بطلان تعدد القدماء.

ومنها: اللازم الذاتي للجسم هو:

أ: الحركة أو السكون.

ب: الاجتماع أو الافتراق.

وهذه اللوازم حادثة قطعاً ـ لأنَّ المكان يسبقها ـ، فلو كان تعالى جسماً فلا يخلو من أحد أمرين:

أحدهما: أن لا تتحقق معه هذه الأمور في الأزل، وهذا باطل، لاستلزامه انفكاك اللازم عن الملزوم.

---

(١) كفاية الموحدين: ج١، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤.

مَحْدُودٌ[٣] مُتَنَاهٍ، وَالصُّورَةَ مَحْدُودَةٌ مُتَنَاهِيَةٌ[٤]، فَإِذَا احْتَمَلَ الْحَدَّ احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ[٥]، وَإِذَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ كَانَ مَخْلُوقاً[٦]. قَالَ:

ثانيهما: أن تتحقّق معه هذه الأمور في الأزل، وهذا أيضاً باطل، لاستلزامه وجود الحادثات في الأزل، وهو تناقض.

أما كون هذه الأمور حادثات:

أ ـ فلأنَّ الحركة هي حصول الشيء في المكان الثاني بعد عدم كونه فيه، فالمكان يسبق المتحرك.

ب ـ ولأنَّ السكون هو الحصول في المكان الواحد في أزمنة متعددة، فالمكان يسبق الساكن.

ج ـ والاجتماع هو حصول جسمين في مكان واحد من غير فاصل بينهما، فسبقهما المكان.

د ـ والافتراق هو حصول جسمين في مكانين مع تخلل شي آخر بينهما، فالمكان يسبقهما أيضاً.

[٣] **(الجسم محدود)**:

لأنَّ له أبعاداً ثلاثة ـ الطول والعرض والعمق ـ ويستحيل كون الأبعاد غير متناهية.

[٤] **(الصورة محدودة متناهية)**:

لأنَّ الصورة عرض على الجسم، فإذا كان الجسم محدوداً كانت الصورة محدودة لا محالة.

[٥] **(إذا احتمل الحدّ احتمل الزيادة والنقصان)**:

لأنَّ الجسم منقسم إلى الأبعاد الثلاثة فيكون مركباً، وإذا كان مركباً احتمل تركيبه من أجزاء أكثر فيكون في زيادة، أو من أجزاء أقل فيكون في نقصان.

[٦] **(كان مخلوقاً)**:

لأنَّه يكون محتاجاً إلى أجزائه، وكل محتاج يريد من يرفع حاجته

قُلْتُ: فَمَا أَقُولُ؟ قَالَ: لَا جِسْمٌ، وَلَا صُورَةٌ، وَهُوَ مُجَسِّمُ الْأَجْسَامِ وَمُصَوِّرُ الصُّوَرِ، لَمْ يَتَجَزَّأْ، وَلَمْ يَتَنَاهَ، وَلَمْ يَتَزَايَدْ، وَلَمْ يَتَنَاقَصْ، لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُونَ[٧]، لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فَرْقٌ، وَلَا بَيْنَ الْمُنْشِيء وَالْمُنْشَإِ، لَكِنْ هُوَ الْمُنْشِيء فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ[٨] وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ، إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً.

ونقصه، ومن يرفع الحاجة لا يكون محتاجاً، فهو أولى بالألوهية ـ لعدم احتياجه ـ فيكون هذا مخلوقاً له.

دليل آخر

[٧] **(لو كان كما يقولون):**

هذا دليل آخر على عدم كونه جسماً وهو دليل يرجع إلى النقل ـ كما أنَّ الدليل السابق راجع إلى العقل ـ.

وحاصل هذا الدليل هو أنَّه لو كان جسماً لكان شبيهاً بسائر المخلوقات، وقد دلَّ القرآن أنَّه تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١).

[٨] **(فرق بين من جسمه):**

كلمة فرق يمكن قراءتها بأنحاء:

١ ـ «فَرْقٌ» بصيغة المصدر، فالمعنى: فرق بينه وبين المخلوقات حيث خلقها أجساماً وهو ليس بجسم.

٢ ـ «فَرَّقَ» بصيغة الماضي من باب الإفعال، فالمعنى: أنَّه جعل فرقاً بين نفسه وبين الأشياء حيث خلقها أجساماً.

٣ ـ «فَرِّقْ» بصيغة الأمر من باب الإفعال، فالمعنى: يجب عليك التفريق بينه وبين مخلوقاته، والاحتمال الأول أقرب للسياق.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمَّانِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[١]، عَالِمٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ، قَادِرٌ، مُتَكَلِّمٌ، نَاطِقٌ، وَالْكَلَامُ وَالْقُدْرَةُ وَالْعِلْمُ يَجْرِي مَجْرَى وَاحِدٍ[٢]، لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مَخْلُوقاً. فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ[٣] أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْجِسْمَ

الحديث السابع:

[١] **(جسم ليس كمثله شيء):**
في المرآة(١): «قوله: ليس كمثله شيء، يومىء إلى أنَّه لم يقل بالجسمية الحقيقية، بل أخطأ في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى، ونفى عنه صفات الأجسام كلها.
ويحتمل أن يكون مراده أنَّه لا يشبهه شيء من الأجسام، بل هو نوع مباين لسائر أنواع الأجسام.
فعلى الأول: نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه» انتهى.
وعلى الثاني: نفى عليه السلام هذا المعنى، وبيّن بطلانه.

[٢] **(يجري مجرى واحد):**
أي كلها من صفات الذات، حيث إنَّها عين ذاته فلا تكون مخلوقة.

[٣] **(فقال قاتله الله):**
الإمام عليه السلام ابتداءً بيّن لازم الجسم ـ وهو التحديد ـ، وحيث إنَّ هذا اللازم منتفٍ عن الله تعالى فلا يكون جسماً.
وأيضاً معنى الجسم ـ لغة وعرفاً ـ هو ما يكون قابلاً للأبعاد الثلاثة ويتكوّن من المادة، فلا يصحّ ابتداع اصطلاح جديد في هذه الكلمة من غير حاجة إليها.
ثم بيّن الإمام عليه السلام أنَّ «الكلام» ليس من صفات الذات، ولم يتعرض عليه السلام لسائر الصفات المذكورة، لصحة الاعتقاد بأنَّها من صفات الذات.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٨.

مَحْدُودٌ، وَالْكَلَامَ غَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ، مَعَاذَ اللَّهِ وَأَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ، لَا جِسْمٌ وَلَا صُورَةٌ وَلَا تَحْدِيدٌ وَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، إِنَّمَا تُكَوَّنُ الْأَشْيَاءُ[٤] بِإِرَادَتِهِ وَمَشِيئَتِهِ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ وَلَا تَرَدُّدٍ فِي نَفَسٍ وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ[٥].

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: وَصَفْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَوْلَ هِشَامٍ الْجَوَالِيقِيِّ وَمَا يَقُولُ فِي الشَّابِّ الْمُوَفَّقِ، وَوَصَفْتُ لَهُ قَوْلَ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ[١].

---

[٤] **(إنّما تكون الأشياء):**
في الوافي[١]:
(إشارة إلى دفع شبهة نشأت من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢]، وهي أنَّ الكلام لو كان مخلوقاً لكان مسبوقاً بكلام آخر، وهو: قوله: «كن»، فيلزم التسلسل.
والجواب: أنَّ المراد منه إرادته ومشيئته) انتهى.
فلفظة «كن»، كناية عن أنَّ جميع الأشياء مسخّرة له وتحت قدرته.

[٥] **(ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان):**
أي إرادته ليست كإرادة المخلوقين حيث تكون واسطة بين المريد والمراد، وسيأتي توضيح ذلك في باب (الإرادة أنّها من صفات الفعل).

الحديث الثامن:

[١] **(لا يشبهه شيء):**
قد مرّ تفصيل الكلام في نسبة هذه الأقوال إلى الهشامين، في الباب السابق، الحديث الثالث، فراجع.

---

(١) الوافي: ج١، ص٣٩١.
(٢) سورة يس: الآية ٨٢.

بَابُ صِفَاتِ الذَّاتِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ

لله تعالى ثلاثة أنواع من الصفات:

صفات سلبية ـ أي تسلب عنه، كعدم كونه مركباً ـ.

وصفات الذات: وهي ما كانت عين ذاته فهي أزلية.

وصفات الفعل: وهي ما كانت مخلوقاً له فهي حادثة.

ويُستفاد من الروايات جملة من الفروق بين صفات الذات وصفات الفعل، ونذكر منها ما في كفاية الموحدين ـ باختصار ـ[1].

الفرق الأول:

صفات الذات: لا يصحّ تقييدها أو تخصيصها بحال أو زمان، كالحياة والعلم والقدرة، فهو تعالى حيٌّ عالم قادر في جميع الأحوال والأزمان بل هي صفات أزلية.

أما صفات الفعل، فإنَّه يصحّ تقييدها بحال دون حال، وإثباتها في زمان دون آخر، مثلاً يقال لم يخلق الأشياء في الأزل ثم خلقها بعد ذلك.

بل تمتنع صفات الفعل في الأزل، لاستلزامه قدم الأشياء، وذلك لأنَّ تلك الصفات إضافية لا تتحقق إلَّا مع تحقّق المضاف إليه، فلا يتحقق رزق زيد إلَّا بعد وجوده، ولا يتحقق الخلق إلَّا حين وجود المخلوق.

الفرق الثاني:

الصفات الذاتية: لا يصحّ اتصافه تعالى بأضدادها، فلا يمكن عليه الموت والجهل والعجز، فتكون الحياة والعلم والقدرة ذاتية له.

---

(١) كفاية الموحدين: ج١، ص٣٠٧ ـ ٣٠٨.

صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا

وأما صفات الفعل فيصحّ اتصافه بأضدادها، كالإرادة والكراهة، والرضا والغضب، والحب والبغض.

الفرق الثالث:

صفات الفعل: مفهومها إضافي، بمعنى أنَّه لا تُطلق عليه ـ عرفاً ـ إلّا إذا تحقّق المضاف إليه، فالرازق لا يطلق عليه إلّا بعد وجود المرزوق، وذلك نظير إطلاق عرف الناس الكرم على الكريم فإنَّهم لا يقولون بأنَّه كريم إلّا بعد صدور الفعل منه.

وأما صفات الذات: فمفهوم بعضها ليس إضافياً، فحياته ووجوده وقدمه كلها غير مضافة إلى شيء، ومفهوم بعضها الآخر وإن كان إضافياً لكن إطلاقها عليه لا يحتاج إلى وجود المضاف، كالعلم فإنَّه يتعلق بالمعلوم قبل وجوده، فلذا هو تعالى عالم إذ لا معلوم.

الفرق الرابع:

صفات الذات: سلبها يوجب النقص، فسلب القدرة والعلم ونحوها نقص، وهو متعال عن النقص.

وأما صفات الفعل: فإنَّ سلبها ـ في الجملة ـ لا يوجب نقصاً فيه تعالى، بل قد يكون دوامها نقصاً ـ إذا كان خلاف الحكمة ـ.

الفرق الخامس:

صفات الذات: يستحيل تعلق القدرة بها وبضدها، فلا يصحّ أن يقال إنَّه تعالى قادر على أن يجعل نفسه جاهلاً أو عاجزاً.

وأما صفات الفعل: فتتعلق القدرة بها وبضدها، كالمحيي، فيصحّ أن يقال إنَّه تعالى يقدر على الإحياء وعلى الإماتة، ويقدر على أن يرحم وعلى أن لا يرحم.

ولا يخفى رجوع كل هذه الفروق إلى شيء واحد أو شيئين، ولكن تعددها من باب الاعتبارات.

عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَبَّنَا وَالْعِلْمُ ذَاتُهُ وَلَا مَعْلُومَ[١]، وَالسَّمْعُ ذَاتُهُ وَلَا مَسْمُوعَ، وَالْبَصَرُ ذَاتُهُ وَلَا مُبْصَرَ، وَالْقُدْرَةُ ذَاتُهُ وَلَا مَقْدُورَ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْأَشْيَاءَ وَكَانَ الْمَعْلُومُ، وَقَعَ الْعِلْمُ مِنْهُ

الحديث الأول:

[١] **(ذاته ولا معلوم):**

لأنَّ المعلوم والمسموع والمبصَر والمقدور كلّها مخلوقات له تعالى فهي حادثة، أما العلم والقدرة فهي عين ذاته، ولا يخفى أنَّ البصر والسمع راجعان إلى العلم أي علمه بالمسموعات وعلمه بالمبصرات.

واعلم أنَّ تخصيص العلم بالمسموعات والمبصرات بالذكر، مع أنَّهما من العلم، لأجل الردّ على من زعم عدم علمه بالجزئيات، أو لأنَّ أكثر أعمال العباد من قبيل المسموعات والمبصرات، فلذكرهما تأثير كبير في الزجر عن المعاصي والترغيب إلى الطاعات.

وفي كفاية الموحدين[١]: إن مرجع جميع صفات الذات وصفات الفعل إلى ثلاثة أوصاف هي العلم والقدرة والحياة.

وذِكْر بعضها بالخصوص: إما لأجل الردّ على المخالفين المنكرين لها، كما في ذكر السمع والبصر، ردّاً على من زعم عدم علمه بالجزئيات، وكما في ذكر الصدق ردّاً على المشركين المكذّبين للقرآن.

وإما لأجل أنَّ ابتناء نبوة الأنبياء ورسالتهم على بعض تلك الصفات، حيث إنَّ مرجعها إلى إثبات صفة الكلام له تعالى، انتهى.

وإما لأجل امتلاء نفوس الناس من هيبته تعالى، وانكشاف عظمته تعالى لهم، ليخشوه ويخشعوا له، وإلّا فالعلم والقدرة والحياة مرجعها إلى ذاته البسيطة غير المركبة.

---

(١) كفاية الموحدين: ج١، ص١٠٩. ـ بتصرّف ـ

عَلَى الْمَعْلُومِ[٢]، وَالسَّمْعُ عَلَى الْمَسْمُوعِ، وَالْبَصَرُ عَلَى الْمُبْصَرِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى الْمَقْدُورِ، قَالَ: قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَحَرِّكاً؟ قَالَ: فَقَالَ: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّ الْحَرَكَةَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ بِالْفِعْلِ[٣]، قَالَ:

---

[٢] **(وقع العلم منه على المعلوم):**

أي تحقّق في الوجود ما كان معلوماً في الأزل، نظير علمنا بطلوع الشمس غداً، فإنَّه أمر معدوم لكنَّه معلوم لنا، فلَّما صار الغد وطلعت الشمس فيه تحقّق ما كان معلوماً لنا.

والتغيّر هنا يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم.

ويحتمل أن يكون معنى (وقع العلم منه على المعلوم) هو استولى عليه، أي إنَّ الله كان عالماً ولم تكن المعلومات موجودة، بل علم الله بها في الأزل على وجه الغيب، وأنَّه سيُوجِد المعلومات بعد ذلك، فلما أوجدها استولى عليها وأحاط بها علمه خارجاً، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾(١) كذا في كفاية الموحدين(٢).

وبتعبير سلس وأكثر اختصاراً: «أو المراد بوقوع العلم على المعلوم: العلم به على أنَّه حاضر موجود، وكان قد تعلّق به العلم قبل ذلك على وجه الغيبة». ـ كذا في المرآة ـ(٣)

[٣] **(إنَّ الحركة صفة محدثة بالفعل):**

أي إنَّ الحركة محدثة بالإيجاد والتأثير، بمعنى أنها لم تكن موجودة ثم وجدت، فهي من الصفات الزائدة على الذات فلا يمكن اتصافه بها.

وقد مرّ بعض الكلام في الحركة والسكون في الحديث السادس من الباب السابق، فراجع.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٤.

(٢) كفاية الموحدين: ج١، ص٢٠١.

(٣) المرآة: ج٢، ص٩.

قُلْتُ: فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُتَكَلِّماً؟ قَالَ: فَقَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ صِفَةٌ مُحْدَثَةٌ[٤] لَيْسَتْ بِأَزَلِيَّةٍ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا مُتَكَلِّمَ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ، وَلَمْ يَزَلْ عَالِماً بِمَا يَكُونُ، فَعِلْمُهُ بِهِ قَبْلَ كَوْنِهِ كَعِلْمِهِ بِهِ بَعْدَ كَوْنِهِ[١].

---

[٤] (إنَّ الكلام صفة محدثة):

فهو مخلوق لله تعالى.

والفرق بين الكلام ـ الذي يمكن اتصافه تعالى به ـ، وبين الحركة حيث يستحيل اتصافه تعالى بها، أنَّ الكلام مخلوق فلا يوجب تغيّر في ذاته تعالى، فلا محذور في خلقه، وأما الحركة فلا بدَّ من قياسها بالمتحرك، فاتصافه بها يوجب تغيّر في الذات مضافاً إلى محذور الوجود في المكان، كما مرّ.

الحديث الثاني:

[١] (كعلمه به بعد كونه):

فلا فرق في علم الله تعالى قبل وجود الشيء وبعد وجود ذلك الشيء، لأنَّ ما يتغيّر هو ذلك الشيء وليس علم الله تعالى.

وقد مثلنا له في الحديث السابق بعلمنا بطلوع الشمس يوم غد فلا فرق في العلم بين قبل الطلوع وبين بعده.

نعم نحن نحكم بأنَّ الشمس لم تطلع الآن، ثم نحكم بأنّها طلعت الآن، وهذا نوع فرق في علمنا، ولكن بما أنَّ الله تعالى خارج الزمان والمكان فلا يصحّ هذا في حقّه، بل هو محيط بكل شيء ويعلم أزلاً بأنَّ كل موجود في زمان معين لا يكون موجوداً في غير ذلك الزمان من الأزمنة التي تكون قبله أو بعده، كذا في الوافي(١).

---

(١) الوافي: باختصار ج١ ص٤٤٩.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْكَاهِلِيِّ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي دُعَاءٍ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْتَهَى عِلْمِهِ. فَكَتَبَ إِلَيَّ: لَا تَقُولَنَّ مُنْتَهَى عِلْمِهِ[١]، فَلَيْسَ لِعِلْمِهِ مُنْتَهَى[٢]، وَلَكِنْ قُلْ مُنْتَهَى رِضَاهُ[٣].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام يَسْأَلُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: أَكَانَ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ أَنْ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَكَوَّنَهَا[١]، أَوْ لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ حَتَّى خَلَقَهَا وَأَرَادَ خَلْقَهَا وَتَكْوِينَهَا، فَعَلِمَ مَا خَلَقَ عِنْدَ مَا خَلَقَ، وَمَا كَوَّنَ عِنْدَ مَا كَوَّنَ[٢]؟

الحديث الثالث:

[١] **(منتهى علمه):**

أي بمقدار علمه.

[٢] **(ليس لعلمه منتهى):**

أي ليس له مقدار، لأنَّ علمه عين ذاته، فلا حدود لعلمه، وما لا حدود له لا يمكن جعل مقدار له، فلا منتهى له أصلاً، وأما حمدنا له فإنَّ له منتهى.

[٣] **(قل منتهى رضاه):**

إذ الرضا ـ كما سيأتي ـ بمعنى الإثابة، والثواب مخلوق له تعالى، فهو محدود بمقدار قابلية الشخص لفضل الله تعالى.

الحديث الرابع:

[١] **(قبل أن خلق الأشياء وكوَّنها):**

الخلق ـ هنا ـ بمعنى التقدير ـ، والتكوين بمعنى الإيجاد، ويمكن القول بترادفها.

[٢] **(فعلم ما خلق عندما خلق وما كوَّن عندما كوَّن):**

زعم البعض أنَّ الله لم يكن عالماً إلَّا بذاته تعالى، ولمَّا خلق الأشياء علم بها، ولعلَّ منشأ هذا الزعم هو التخلص من إشكال قدم الأشياء، لأنَّهم

فَوَقَّعَ بِخَطِّهِ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِماً بِالْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْأَشْيَاءَ كَعِلْمِهِ بِالْأَشْيَاءِ بَعْدَ مَا خَلَقَ الْأَشْيَاءَ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ[١] عليه السلام أَسْأَلُهُ: أَنَّ مَوَالِيكَ اخْتَلَفُوا فِي الْعِلْمِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِماً قَبْلَ فِعْلِ الْأَشْيَاءِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نَقُولُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِماً، لِأَنَّ مَعْنَى يَعْلَمُ يَفْعَلُ[٢]، فَإِنْ

زعموا أنَّ علم الله حضوري، ومعناه حضور الشيء لدى العالم، فأزلية علم الله تعالى تقتضي قدم جميع المخلوقات والحوادث ـ وهو ما يقول به بعض الفلاسفة وقد مرّت الإشارة إليه ـ، فللتخلص من القول بقدم العالم قال بأنَّ علمه تعالى بالأشياء كان حين خلقها!!

وهذا قول فظيع، خلاف ضرورة العقل والشرع.

بل نقول لدفع الإشكال هو أنَّ علم الله ليس بحصولي ولا حضوري، ولأنَّه عين ذاته فإنَّ كنه هذا العلم مجهول لنا.

وقد ردَّ هذا الزعم في كفاية الموحدين، وقد أطال وأجاد في رده(١).

وفي هذا الحديث وسائر أحاديث الباب، كفاية في ردّ هذا الزعم.

الحديث الخامس:

[١] (كتبت إلى الرجل):

يعني الإمام الهادي عليه السلام. فقد كانوا يعبّرون حين التقية ـ عن الأئمة بأمثال هذه الألفاظ، كالعالم، والعبد الصالح، وكثيراً ما كانوا يعبّرون عنهم بالكناية أو بالكنية.

[٢] (لأنَّ معنى يعلم يفعل):

توهموا أنَّ «علم» بمعنى «خلق»، فعلى زعمهم لو كان عالماً في الأزل لكان

---

(١) كفاية الموحدين: ج١ ص١٦٧ فما بعد.

أَثْبَتْنَا الْعِلْمَ فَقَدْ أَثْبَتْنَا فِي الْأَزَلِ مَعَهُ شَيْئاً. فَإِنْ رَأَيْتَ جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِنْ ذَلِكَ مَا أَقِفُ عَلَيْهِ وَلَا أَجُوزُهُ[٣]؟ فَكَتَبَ عليه السلام بِخَطِّهِ[٤]:

خالقاً، وهذا يستلزم تعدد القدماء أي وجود المخلوقات في الأزل، وهذا ما يلتزم به بعض الفلاسفة حيث توهموا أنَّ الله علَّة ولا ينفك المعلول عن العلّة، فلذا ابتدعوا القديم الزماني للمخلوقات ـ كما مرّ ـ.

وهذا الكلام خلط بين العلّة الموجبة ـ أي المضطرة ـ كالنار للإحراق، وبين الفاعل بالاختيار، حيث عدم الانفكاك في الأول لا في الثاني.

ولهذا الكلام ـ أي تفسير العلم بالفعل ـ معنى آخر وهو أنَّ العلم معناه الانكشاف ولا يمكن أن ينكشف المعدوم، فلا بدَّ من كون المكشوف موجوداً، فالعلم الأزلي ـ على هذا التوهم ـ يستلزم قدم الأشياء وهي مخلوقات الله تعالى، فصار العلم فعلاً ـ على هذا الزعم ـ!!!

[٣] **(ولا أجوزه):**

أي لا أتعدّاه، لأنَّ الاعتقاد الذي لم يؤخذ من القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام قد يؤدّي إلى الكفر أو الشرك أو الضلال.

فعلى المؤمن إعمال عقله في إثبات أصل وجود الله تعالى وأصل صفاته الثبوتية والسلبية، وأخذ التفاصيل من النقل أي القرآن والرسول وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

[٤] **(فكتب بخطه):**

الإمام عليه السلام بيّن العقيدة الحقة ـ وهي ما كان يقول به الصنف الأول ـ ولم يتعرض لوجه بطلان الزعم ـ وهو عدم أزلية العلم ـ، وذلك لوضوح بطلانه، لأنَّ العلم ليس معناه العمل لا في اللغة ولا في الاستعمال العرفي، وحقيقة العلم تختلف عن حقيقة العمل بالبداهة.

وأما كون العلم بمعنى الانكشاف وهو يستلزم وجود المنكشف، فواضح البطلان أيضاً:

للنقض بعلمنا بالأمور الماضية التي تقدّم وجودها وانعدمت، كالحوادث التي وقعت من لدن زمان آدم عليه السلام، ولا شك في إطلاق العلم عليها وهي منكشفة

لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِماً تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ[٥].

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ سُكَّرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُعَلِّمَنِي هَلْ كَانَ اللَّهُ ـ جَلَّ وَجْهُهُ ـ يَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَنَّهُ وَحْدَهُ[١]؟ فَقَدِ اخْتَلَفَ مَوَالِيكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ

لدينا مع انعدامها سابقاً، بل قبل وجودنا.

وكذلك النقض بالأمور المستقبلية التي لم تقع لحد الآن كقيام القيامة وقضاياها فإنَّها لم تتحقق لحدّ الآن مع علمنا بها.

لا يقال: نعلم بصورها ـ وتلك الصور موجودة ـ.

فإنَّه يقال: الصور مرآة لها، فبالبداهة نحن نعلم بتلك الأمور الماضية، أو الآتية، وطريق العلم هو انعكاس صورها في الذهن، لا أنَّ المعلوم تلك الصور.

[٥] **(عالماً تبارك وتعالى ذكره):**

ومن أدلة سبق علمه على الفعل، هو أنَّ إيجاد الشيء وإتقان صنعه لا يمكن إلَّا إذا كان مسبوقاً بالعلم به.

وعدم العلم به سابقاً يستلزم عدم كونه مختاراً فيكون فاعلاً بالجبر ـ نظير أية علَّة فاقدة للشعور المجبورة على توليد المعلول كالنار للحرارة ـ.

وحيث ثبت بالضرورة كونه مختاراً، فلا بد من سبق علمه على خلقه.

الحديث السادس:

[١] **(أنَّه وحده):**

فرق هذا السؤال عن السؤال في الحديث السابق:

أنَّ مصبّ هذا السؤال في علم الله بوحدانية ذاته، وأنَّه لا شيء غيره.

ومصبّ ذلك السؤال في علم الله بالمخلوقات قبل خلقها.

نعم مرجع السؤالين إلى شيء واحد.

كَانَ يَعْلَمُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئاً مِنْ خَلْقِهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا مَعْنَى يَعْلَمُ يَفْعَلُ، فَهُوَ الْيَوْمَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا غَيْرُهُ قَبْلَ فِعْلِ الْأَشْيَاءِ[٢] فَقَالُوا: إِنْ أَثْبَتْنَا أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَالِماً بِأَنَّهُ لَا غَيْرُهُ فَقَدْ أَثْبَتْنَا مَعَهُ غَيْرَهُ فِي أَزَلِيَّتِهِ[٣]؟ فَإِنْ رَأَيْتَ يَا سَيِّدِي أَنْ تُعَلِّمَنِي مَا لَا أَعْدُوهُ إِلَى غَيْرِهِ؟ فَكَتَبَ عليه السلام: مَا زَالَ اللَّهُ عَالِماً تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرُهُ.

---

[٢] **(فهو اليوم يعلم أنَّه لا غيره قبل فعل الأشياء):**
«قبل» متعلق بـ«لا غيره» أي لا وجود معه قبل الخلق.
وحاصل المعنى أنَّهم زعموا أنَّه تعالى لم يكن يعلم بوحدانيته لعدم علمه بشيء آخر، وبعد أن خلق الأشياء علم بتلك الأشياء فالتفت إلى أنَّه كان واحداً ولم يكن معه شيء!! تعالى الله عمَّا يقوله المبطلون علوّاً كبيراً.

[٣] **(فقد أثبتنا معه غيره في أزليته):**
فأرادوا أن يفرّوا من محذور تعدد القدماء، فوقعوا في محذور الاعتقاد بجهله تعالى، ومنشأ ذلك هو جهلهم بمعنى العلم ـ كما مرّ توضيحه في الحديث السابق ـ

بَابٌ آخَرُ وَهُوَ مِنَ الْبَابِ الأَوَّلِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي صِفَةِ الْقَدِيمِ[١]: إِنَّهُ وَاحِدٌ، صَمَدٌ، أَحَدِيُّ الْمَعْنَى[٢]، لَيْسَ بِمَعَانِي كَثِيرَةٍ مُخْتَلِفَةٍ[٣]، قَالَ:

الحديث الأول:

[١] **(في صفة القديم):**

أي في معنى القديم، وقد مرّ أنَّه لا عين ولا أثر في الأخبار من عبارة (واجب الوجود) بل يعبّر عن المراد بـ«القديم»، والأولى الالتزام باصطلاحات الأئمة عليهم السلام.

[٢] **(أحدي المعنى):**

«الواحد»: ما لا ثاني له، «الصمد»: الغني المطلق غير المحتاج إلى الغير، «أحدي المعنى»: ليس له أجزاء خارجية أو عقلية.

ومن استجمع هذه الصفات كان وجوده ضرورياً من الأزل، وهو معنى القديم.

لأنَّه إذا كان اثنان فلا بدَّ من تركبهما ممَّا به الامتياز وما به الافتراق فيلزم احتياجهما إلى الأجزاء، والمحتاج لا يمكن أن يكون قديماً، وكذلك إذا لم يكن صمداً، بأن احتاج إلى غيره، وكذا المركب، وقد مرّ تفصيل ذلك في الأحاديث الماضية.

[٣] **(ليس بمعاني كثيرة مختلفة):**

توضيح لـ(أحدي المعنى)، ويمكن رجوعه إلى كل الكلمات الثلاث.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَزْعُمُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ أَنَّهُ يَسْمَعُ بِغَيْرِ الَّذِي يُبْصِرُ، وَيُبْصِرُ بِغَيْرِ الَّذِي يَسْمَعُ[٤]، قَالَ: فَقَالَ: كَذَبُوا وَأَلْحَدُوا[٥] وَشَبَّهُوا[٦] تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ بِمَا يُبْصِرُ، وَيُبْصِرُ بِمَا يَسْمَعُ[٧]، قَالَ: قُلْتُ: يَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَصِيرٌ عَلَى مَا يَعْقِلُونَهُ[٨]، قَالَ: فَقَالَ: تَعَالَى اللَّهُ، إِنَّمَا يُعْقَلُ مَا كَانَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ وَلَيْسَ اللَّهُ كَذَلِكَ.

---

[٤] **(ويبصر بغير الذي يسمع):**
إما كانوا مجسمة، فيزعمون أنَّ له آلة للسمع وآلة أخرى للبصر!!
وإما كانوا يقولون بأنَّ صفاته زائدة على ذاته فكل صفة تغاير الصفة الأخرى ـ كما يراه الأشاعرة أيضاً ـ.

[٥] **(كذبوا وألحدوا):**
«الكذب» ـ هنا ـ بمعنى الكلام الذي لا يطابق الواقع، و«الإلحاد» هو الزيغ والانحراف عن الطريق المستقيم، قال تعالى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾(١) أي يميلون عن الحق.

[٦] **(وشبّهوا):**
المجسّمة شبّهوا الله بخلقه في أنَّ له أعضاءً، وكذا القول بزيادة صفاته على ذاته تشبيه له بخلقه، حيث إنَّ صفات المخلوقات زائدة على ذاتها.

[٧] **(ويبصر بما يسمع):**
أي بذاته، لأنَّ سمعه تعالى هو العلم بالمسموعات، والبصر هو العلم بالمبصرات، وعلمه عين ذاته، فهو يرى ويسمع بذاته.

[٨] **(على ما يعقلونه):**
أي لقصور فهمهم، فإنَّهم يتصورون الله تعالى كسائر المخلوقات في ذاته أو صفاته، لأنَّهم لا يعقلون شيئاً لم يروا نظيره في المخلوقات، وليس الله تعالى كما زعموا، لأنَّه سبحانه منزّه عن مشابهة مخلوقاته.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَتَقُولُ: إِنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: هُوَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، سَمِيعٌ بِغَيْرِ جَارِحَةٍ، وَبَصِيرٌ بِغَيْرِ آلَةٍ، بَلْ يَسْمَعُ بِنَفْسِهِ وَيُبْصِرُ بِنَفْسِهِ. وَلَيْسَ قَوْلِي: إِنَّهُ سَمِيعٌ بِنَفْسِهِ، أَنَّهُ شَيْءٌ وَالنَّفْسُ شَيْءٌ آخَرُ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ عِبَارَةً عَنْ نَفْسِي إِذْ كُنْتُ مَسْؤُولاً وَإِفْهَاماً لَكَ إِذْ كُنْتَ سَائِلاً[١]، فَأَقُولُ يَسْمَعُ بِكُلِّهِ، لا أَنَّ كُلَّهُ لَهُ بَعْضٌ،

الحديث الثاني:

قد مرّ شرح هذا الحديث سابقاً.

وإنّما كرّره ثقة الإسلام الكليني رضوان الله عليه، لمناسبته لهذا الباب حيث فيه دلالة على عدم زيادة صفاته الذاتية بل هي عين ذاته.

[١] **(وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً):**

لا بأس بتكرار ما ذكرناه سابقاً، وهو أنَّ الناس يضعون الألفاظ لما يألفونه من معاني، وكلما كان ارتباط الناس بمعنى أكثر كانت الألفاظ الموضوعة لذلك المعنى أكثر، مثلاً لكثرة ألفة العرب بالسيف والجمل وضعوا لهما ألفاظاً متعددة بتعدد الحالات والأوصاف، وهكذا يقال بالنسبة إلى الثلج عند سكّان القطب حيث له أكثر من أربعين اسماً باختلاف الأنواع والحالات ـ على ما قيل ـ، وهكذا الحال في كل اللغات.

وأما المعاني غير المألوفة عند قوم، فإنّهم لا يضعون لها لفظاً، وإن احتاجوا إليها لاحقاً استعاروا كلمات من لغات أخرى.

وحيث إنَّ إدراك الناس لله تعالى كان إدراكاً سطحياً، والمعارف الدقيقة الإلهية إنّما بُيّنت لهم بعد وضع لغاتهم، وحتى بعد البيان فإنَّ الأكثر لا يفهم تلك المعاني الدقيقة، لعدم وجود نظير وشبيه له تعالى، ولعدم كونه محسوساً، فلذلك استعملت فيه تعالى نفس الألفاظ المتداولة مع بيان المقصود منها، وأنّها لا يُراد بها المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ، ولعلَّ هذا أحد أسباب وجود المتشابه في القرآن الكريم وخاصة فيما يتعلق بصفات الله تعالى.

لِأَنَّ الْكُلَّ لَنَا لَهُ بَعْضٌ، وَلَكِنْ أَرَدْتُ إِفْهَامَكَ، وَالتَّعْبِيرُ عَنْ نَفْسِي، وَلَيْسَ مَرْجِعِي فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا أَنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، بِلَا اخْتِلَافِ الذَّاتِ، وَلَا اخْتِلَافِ مَعْنًى.

فمن المحكم ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾[(١)] و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[(٢)] ومن المتشابه ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[(٣)] ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[(٤)] إلى غيرها من الآيات الكريمات، حيث كان المقصود تقريب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[(٥)].

وهكذا الأمر في الأحاديث الشريفة، كما يصرّح به الإمام عليه السلام في هذا الخبر.

سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

(٣) سورة طه: الآية ٥.

(٤) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ٤.

بَابُ الْإِرَادَةِ أَنَّهَا مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ وَسَائِرِ صِفَاتِ الْفِعْلِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَهْوَازِيِّ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ

نذكر هنا ـ مقدمة ـ ملخص ما في كفاية الموحّدين:

أولاً: الإرادة هي المشيئة ـ لغة وفي الروايات ـ.

ثانياً: الإرادة إما تكوينية ـ وهي محل الكلام ـ وإما تشريعيَّة، ولفظ الإرادة مشترك معنوي بينهما.

ومرجع التكوينية إلى إيجاد الشيء اختياراً.

ومرجع التشريعية إلى الطلب من الغير اختياراً.

ثالثاً: الإرادة التشريعية، محل بحثها في علم أُصول الفقه، حيث يُبحث فيه عن الأحكام الشرعية، ومعانيها، ومداليلها وغير ذلك.

رابعاً: صدور الفعل منّا منوط بأمور:

١ ـ تصور الفعل بما فيه من المصالح والمفاسد.

٢ ـ الشوق المنبعث من هذا التصوّر، أو التنفر المنبعث منه، ويعبّر عنه بالإرادة أو الكراهة.

٣ ـ العزم على إتيان الأمر ـ أي الإرادة الجازمة ـ ويسمَّى العزم والإجماع، وذلك لأنَّه قد يتردد الإنسان في الإتيان بالفعل حتى وإن حصل الأمران الأولان.

٤ ـ تحريك الأعضاء والجوارح نحو الشيء.

خامساً: صدور الفعل منه تعالى، لا يحتاج إلى هذه الأمور، وذلك لامتناع التصور والتخيل فيه تعالى، ولأنَّ الميل والشوق أو التنفر من توابع القوى الحيوانية، ولكونه أحداً بسيطاً فلا معنى لتحريك الأعضاء فيه.

سادساً: اتفق الكل على استحالة تخلّف المراد عن إرادته تعالى، بل إذا أراد أمراً تكوينياً يتحقق ذلك الشيء فوراً، وإذا أراد أمراً تشريعياً يصدر الحكم الشرعي منه.

عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ مُرِيداً[١]؟ قَالَ: إِنَّ الْمُرِيدَ لَا يَكُونُ إِلَّا لِمُرَادٍ مَعَهُ[٢]، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ

معنى الإرادة

اختلفت المتشرعة والفلاسفة في معنى الإرادة:

فقال الحكماء: بأنَّ الإرادة فيه تعالى هي: العلم بالأشياء بأكمل الوجوه وأتمّها من المصالح والمفاسد، فتكون من صفات الذات.

وقالت المتشرعة ـ تبعاً للأحاديث الشريفة ـ: بأنَّ الإرادة فيه تعالى من صفات الفعل، من غير توقفها على تلك المقدمات المذكورة في الأمر الرابع، بل يكفي في إرادته تعالى علمه بالأشياء بدل هذه المقدمات، ويكون صدور الفعل عنه تعالى هو نفس الإيجاد حسب المصلحة والحكمة، لا أنَّ العلم هو العلة ـ عكس قول الفلاسفة ـ، فتكون علة وجود الأشياء هي إيجاده تعالى لها، وهذا الإيجاد قائم بقدرته واختياره تعالى، على نحو القيام الصدوري.

وذلك لأنَّ العلم ـ ولو المقيد منه ـ لو كان علَّة لصدور الأشياء منه تعالى، للزم قدم الأشياء، لأنَّ علمه ـ حتى المقيد منه ـ عين ذاته فعلمه قديم، وكون العلم علَّة معناه قدم المعاليل لاستحالة انفكاك المعلول عن العلة، وللكلام تفصيل موكول إلى محله(١).

الحديث الأول:

[١] **(لم يزل الله مريداً):**

أي هل الإرادة أزلية فتكون عين ذاته تعالى؟

[٢] **(إلا لمراد معه):**

أي لا تنفك الإرادة عن المراد، فإنَّه إذا أراد شيئاً تكوينياً وُجِدَ ذلك الشيء، وإذا أراد أمراً تشريعياً صدر الحكم فيه بلا فصل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ

---

(١) فراجع كفاية الموحدين: ج١ ص٣١١ فما بعد.

(٢) سورة يس: الآية ٨٢.

عَالِماً قَادِراً ثُمَّ أَرَادَ[٣].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: عِلْمُ اللَّهِ وَمَشِيئَتُهُ هُمَا مُخْتَلِفَانِ أَوْ مُتَّفِقَانِ[١]؟ فَقَالَ: الْعِلْمُ لَيْسَ هُوَ الْمَشِيئَةَ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ[٢]: سَأَفْعَلُ

ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾(١).

وحاصل المعنى أنَّ الشخص لا يصدق عليه أنّه مريد إلَّا إذا توجّه نحو المراد، وحيث لم يكن شيء في الأزل، علمنا بأنَّه تعالى لم يكن مريداً في الأزل، ولولا ذلك لكان فاعلاً بالإيجاب والاضطرار لعدم انفكاك الإرادة عنه حينئذٍ.

[٣] **(عالماً قادراً ثم أراد):**

أي منشأ الإرادة فيه تعالى أنَّه علم بالأشياء وقدر عليها، ـ ولا تكون القدرة إلَّا عن اختيار، إذ لولا الاختيار لكان اضطراراً وجبراً لا قدرة ـ.

كسائر صفات الفعل حيث إنَّ منشأها ذاته تعالى بما فيه من الصفات، مثلاً الخلق يرجع إلى العلم والقدرة وهكذا، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل هذا في الحديث الأول من باب حدوث الأسماء.

والذي يدلُّ على أنَّ الإرادة ليست من صفات الذات هو إمكان سلبها أحياناً فنقول لم يرد الله كذا ثم أراده، أو أراده ثم لم يرده، وقد مرّ هذا في الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل.

الحديث الثاني:

[١] **(مختلفان أو متفقان):**

أي هل هما بمعنى واحد، بأن تكون المشيئة نفس العلم، أم أنَّ لهما معنيين؟

[٢] **(ألا ترى أنَّك تقول):**

وجه الاستدلال، إنَّ التعليق يكون على أمر يحتمل تحقّقه ويحتمل عدم تحقّقه،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَا تَقُولُ: سَأَفْعَلُ كَذَا إِنْ عَلِمَ اللَّهُ، فَقَوْلُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَشَأْ[٣]، فَإِذَا شَاءَ كَانَ الَّذِي شَاءَ كَمَا شَاءَ، وَعِلْمُ اللَّهِ السَّابِقُ لِلْمَشِيئَةِ[٤].

أما التعليق على أمر متحقّق قطعاً فلا معنى له ـ إلا على ضرب من المجاز ـ.
وعلم الله تعالى بالأشياء ثابت بالضرورة فلا تعلق عليه الأمور، فلا يقال: سأفعل كذا إنَّ علم الله تعالى، لأنَّ علمه سبحانه بالأشياء ـ وقوعها أم عدم وقوعها ـ أزلي، فهو سبحانه علم بالفعل أو بعدم الفعل ولا يتغيّر علمه سبحانه.
وأما المشيئة فقد تحصل وقد لا تحصل، إذ قد يشاء الله أمراً وقد لا يشاؤه، أي قد يوجد الشيء وقد لا يوجده، فلذا صحّ التعليق بأن يقال سأفعل الشيء إن شاء الله.
ويمكن توضيح العبارة بطريقة أخرى وهي أنَّ الشرط له مفهوم ـ في الجملة ـ فمفهوم «سأفعل إن علم الله» هو «لا أفعل إن لم يعلمه» وهذا المفهوم باطل ـ إلا بضرب من المجاز ـ، ومفهوم «سأفعل إن شاء الله» هو: «لا أفعله إن لم يشأ» وهذا المفهوم صحيح ولا إشكال فيه، فتأمل، قال تعالى: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢).

[٣] **(دليل على أنّه لم يشأ):**
أي لم يكن سابقاً مريداً لذلك الفعل، لكنَّه يمكن أن يريده في المستقبل.
وعلم الله تعالى أزلي، فلو كان العلم عين الإرادة، لزم إما عدم علمه تعالى في الأزل، وإما قدم إرادته للأفعال ولازمه هو قدم الأشياء، وكلاهما معلوم البطلان.

[٤] **(علم الله السابق للمشيئة):**
أي العلم أزلي، والمشيئة حادثة، فلا يمكن اتحادهما.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٩.
(٢) سورة القصص: الآية ٢٧.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِرَادَةِ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ الْخَلْقِ[١]؟ قَالَ: فَقَالَ: الْإِرَادَةُ مِنَ الْخَلْقِ الضَّمِيرُ[٢] وَمَا يَبْدُو لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِعْلِ[٣]، وَأَمَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِرَادَتُهُ إِحْدَاثُهُ[٤] لَا غَيْرُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يُرَوِّي، وَلَا يَهُمُّ، وَلَا يَتَفَكَّرُ[٥]، وَهَذِهِ

ولعلَّ فيه إشعاراً بأنَّ العلم هو من مقدمات الإرادة لأنَّ للإرادة مقدمتين ـ كما مرّ في أول الباب ـ: العلم والاختيار ـ الراجع إلى القدرة ـ.

وفي توحيد الصدوق: «وعلم الله سابق للمشيئة» أي سابق على المشيئة.

الحديث الثالث:

[١] **(ومن الخلق):**

سؤال عن الفرق بين إرادته تعالى وإرادة المخلوقات.

[٢] **(من الخلق الضمير):**

أي ما يدخل في الخاطر والذهن، فلا يكون ظاهراً، وهذا إشارة إلى المقدمات الثلاث لإرادة المخلوق، وهي التصور والشوق والعزم، حيث موطنها الذهن.

[٣] **(لهم بعد ذلك من الفعل):**

يبدو: بمعنى ما يظهر على أعضائهم وجوارحهم، وهذا إشارة إلى المقدمة الرابعة لإرادة المخلوق، وهي تحريك الأعضاء والجوارح نحو الشيء.

[٤] **(فإرادته إحداثه):**

أي إيجاده للشيء، أي فعله وخلقه للشيء، ولا تسبق هذه المرحلة المقدمات التي تسبق إرادة المخلوقين.

[٥] **(لا يهمّ ولا يتفكّر):**

«الرويّة» بمعنى الفكر، «الهمّ» بمعنى العزم على الشيء، ولعلَّ الفرق بين الرويّة وبين التفكر هو الفرق بين الكمِّ والكيف، أي الرويّة هو تقليب

الصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ[٦] وَهِيَ صِفَاتُ الْخَلْقِ[٧]، فَإِرَادَةُ اللَّهِ الْفِعْلُ؛ لَا غَيْرُ ذَلِكَ. يَقُولُ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ، بِلَا لَفْظٍ وَلَا نُطْقٍ بِلِسَانٍ[٨] وَلَا هِمَّةٍ وَلَا تَفَكُّرٍ وَلَا كَيْفَ لِذَلِكَ[٩]، كَمَا أَنَّهُ لَا كَيْفَ لَهُ[١٠].

مختلف الاحتمالات، والتفكير هو التعمق في فكرة واحدة، فتأمل.

وفي نهج البلاغة(١): «أنشأ الخلق إنشاءً، وابتدأه ابتداءً، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا همامة نفس اضطرب فيها».

[٦] **(وهذه الصفات منفية عنه):**

وذلك لامتناع التصور والتخيل فيه، وذلك لاستحالة أن يدخل فيه شيء من المعاني، ولا ذاته يعقل قبولها لشيء زائد عليها، ـ وقد مرّ أول الباب الإشارة إلى هذا وغيره ـ.

[٧] **(وهي صفات الخلق):**

لأنَّ الإرادة فيهم تحتاج إلى هذه المقدمات، والله سبحانه غنيٌّ عن كل شيء.

[٨] **(بلا لفظ ولا نطق بلسان):**

لعدم احتياجه إلى الألفاظ، وهو تعالى أحد لا جزء له، بل معنى قوله تعالى: ﴿كُن﴾ هو إيجاد الشيء وخلقه.

[٩] **(ولا كيف لذلك):**

أي لا كيف لفعله تعالى، حيث إنَّ إرادته تعالى ليست من الكيفيات النفسانية، ولا نعرف حقيقتها، فإنَّا نعلم بوجود هذه الصفات ونشعر ببعض آثارها، ولكن لا يمكننا معرفة كنهها وحقيقتها.

[١٠] **(لا كيف له):**

أي لذاته تعالى، فإنَّها لا تعرضها الكيفيات النفسانية، ولا يمكننا معرفة كنهها.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْمَشِيئَةَ بِنَفْسِهَا ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ بِالْمَشِيئَةِ[١].

الحديث الرابع:

[١] **(ثم خلق الأشياء بالمشيئة):**

لعلَّ المراد بالمشيئة هو أول تقدير أوجده الله تعالى، كالتقدير في اللوح المحفوظ، ثم خلق الله سبحانه سائر الأشياء حسب ما أثبته في اللوح.

فيكون المعنى: أنَّ الله قدَّر الأشياء وأثبتها ثم أوجد تلك الأشياء حسب ذلك التقدير، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾(١).

وفي التبيين(٢): أمُّ الكتاب: أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ فيه كل شيء، وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾(٣) ولعلَّ الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ.

قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه(٤): يحتمل وجوهاً من التأويل، الأول: أن لا يكون المراد بالمشيئة: الإرادة، بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء، كالتقدير في اللوح ـ مثلاً ـ والإثبات فيه، فإنَّ اللوح وما أُثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر في لوح سوى ذلك اللوح، وإنَّما وجد سائر الأشياء بما قدّر في اللوح، وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب العدل، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير».

ثم ذكر العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه محتملات أخرى لشرح هذا الحديث، ثم قال: «والأوفق بأُصولنا هو الوجه الأول، والله يعلم» انتهى.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٢) التبيين: ص٢٦٦.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٤) المرآة: ج٢، ص١٨.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْمَشْرِقِيِّ حَمْزَةَ بْنِ الْمُرْتَفِعِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ[١]﴾ [طه: ٨١] مَا ذَلِكَ الْغَضَبُ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: هُوَ الْعِقَابُ[٢]. يَا عَمْرُو إِنَّهُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ زَالَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ[٣] فَقَدْ وَصَفَهُ صِفَةَ مَخْلُوقٍ

الحديث الخامس:

[١] **(يحلل عليه):**

«يحلل» من الحلول بمعنى الدخول، والمراد هو نزول غضب الله عليه.

[٢] **(هو العقاب):**

لأنَّ الله سبحانه ليس محلاً للحوادث، ولا تعرضه الكيفيات النفسانية.

لأنَّ الحوادث توجب تغيُّراً في الذات وانتقالها من حال إلى حال أخرى.

والباري تعالى قديم، فيستحيل أن تتغيَّر ذاته، لأن القديم غير معلول ـ كما مرّ ـ وعدم كونه معلولاً يقتضي ضرورة وجوده وضرورة صفاته الذاتية، وما كان ضروري الوجود والصفات يستحيل أن تتغيَّر ذاته، لأنَّ ما كان في القدم يستمر إلى الأبد ـ بداهة ـ.

كما أنَّ الكيفيات النفسانية من لوازم القوى الحيوانية، وهو تعالى منزَّه عنها.

وأيضاً الحالة الحادثة هي صفة كمال، أو نقص، أو لا هذا ولا ذاك؟

وعلى الأول يستلزم فقدانه لصفة كمال قبل عروضها، والثاني يستلزم دخول النقص فيه، والثالث يستلزم اللغوية، وكلها محال عليه تعالى، فتأمل.

[٣] **(زال من شيء إلى شيء):**

أي تغيّر من حالة إلى حالة أخرى، كما في الإنسان حيث يتغيَّر من حالة الرضا إلى حالة الغضب وهكذا.

وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَسْتَفِزُّهُ شَيْءٌ فَيُغَيِّرَهُ[٤].

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ فِي حَدِيثِ الزِّنْدِيقِ الَّذِي سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَكَانَ مِنْ سُؤَالِهِ أَنْ قَالَ لَهُ: فَلَهُ رِضاً وَسَخَطٌ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَعَمْ وَلَكِنْ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ الرِّضَا حَالٌ تَدْخُلُ عَلَيْهِ فَتَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ أَجْوَفُ مُعْتَمَلٌ مُرَكَّبٌ[١]،

---

[٤] (لا يستفزه شيء فيغيره):

«الاستفزاز» بمعنى الإزعاج، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾(١)، وقد يكون بمعنى الاستخفاف، ولعلَّ جذره اللغوي من الحركة السريعة.

وحاصل الحديث: أنَّ الغضب من صفات الفعل ـ وهي مخلوقة له تعالى ـ ومعناه العقاب أي يعاقبهم تعالى، وإنَّما سُمِّي العقاب غضباً لأنَّ نتيجة الغضب هي العقاب والانتقام عادة، ويجوز تسمية المسبب بالسبب، وهكذا الرضا فإنَّه ثوابه تعالى.

إن قلت: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٢) حيث عدَّد الله تعالى نِعَم الآخرة ثم بيَّن أنَّ رضى الله أكبر من تلك النعم المادية.

قلت: الثواب قسمان مادي ومعنوي وكلاهما مخلوق له تعالى، والثواب المعنوي أعظم من الثواب المادي، وهذا هو المراد من هذه الآية، فأهل الجنة منعمون بثواب مادي لكن ثوابهم المعنوي أكبر.

الحديث السادس:

[١] (أجوف معتمل مركب):

«الأجوف»: ما له جوف وباطن، فله قابلية لأن يدخل فيه شيء، و«المعتَمَل»

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥.

لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ مَدْخَلٌ[٢]، وَخَالِقُنَا لَا مَدْخَلَ لِلْأَشْيَاءِ فِيهِ لِأَنَّهُ وَاحِدٌ وَاحِدِيُّ الذَّاتِ وَاحِدِيُّ الْمَعْنَى[٣]، فَرِضَاهُ ثَوَابُهُ، وَسَخَطُهُ عِقَابُهُ، مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَتَدَاخَلُهُ فَيُهَيِّجُهُ وَيَنْقُلُهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ الْعَاجِزِينَ الْمُحْتَاجِينَ[٤].

ـ بصيغة المفعول ـ: الذي يعمل فيه غيره بمعنى أنّه يتأثر بغيره، و«المركب»: المتكوّن من أمور مختلفة.

وفي الحديث إشارة إلى عدم تجرد المخلوقات لأنَّ المجردات ـ حسب كلامهم ـ ليست جوفاء معتملة مركبة. والحديث يثبت هذه الأوصاف للمخلوق، فتأمل.

[٢] **(للأشياء فيه مدخل):**

أي تدخل الأشياء فيه فتؤثر.

[٣] **(واحدي الذات، واحدي المعنى):**

جملة «واحدي الذات...» عطف بيان لقوله «لأنَّه واحد»، والمعنى أنّه تعالى لا تركّب فيه بل هو بسيط من كل الجهات، وحيث لا تركّب فيه فيستحيل دخول شيء فيه، فليس رضاه وسخطه بمعنى الرضا والسخط في المخلوقين.

ولعلَّ المراد بقوله «واحدي المعنى» هو أنَّ صفاته الذاتية لا تعدّد فيها ولا تركّب بل هي عين ذاته.

[٤] **(العاجزين المحتاجين):**

لأنَّ المخلوقين يحتاجون إلى الانتقال إلى الحالات المختلفة، حسب المواقف والظروف التي يواجهونها، فلذلك أودع الله تعالى هذه الصفات فيهم ليصلوا بها إلى حوائجهم.

فالقوة الغضبية والشهوية ونحوهما يحتاج إليها الإنسان لرفع حوائجه وهو عاجز عن رفعها بغير تلك القوى.

والله سبحانه وتعالى غني مطلق لا يحتاج إلى شيء ولا يعجزه شيء.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: الْمَشِيئَةُ مُحْدَثَةٌ[١].

جُمْلَةُ الْقَوْلِ فِي صِفَاتِ الذَّاتِ وَصِفَاتِ الْفِعْلِ[٢]

إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ وَصَفْتَ اللَّهَ بِهِمَا وَكَانَا جَمِيعاً فِي الْوُجُودِ فَذَلِكَ صِفَةُ فِعْلٍ؛

الحديث السابع:

[١] **(المشيئة المحدثة):**

فهي من صفات الفعل، فقد تتعلق بشيء وقد لا تتعلق به قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾(١).

[٢] **(جملة القول في صفات الذات وصفات الفعل):**

هذا توضيح من الكليني رضوان الله عليه لبيان الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، وقد ذكر ثلاثة فروق:

الأول: أنَّ صفات الفعل يجوز إثباتها ويجوز نفيها عن شي، يُقال: غضب الله على قوم ثم رضي عنهم، أما صفات الذات فلا يجوز نفيها، فلا يُقال لم يعلم ثم علم.

الثاني: صفات الفعل تكون متعلقة للقدرة، فيُقال إنَّ الله تعالى قادر على الخلق وقادر على عدم الخلق، أما صفات الذات فلا تكون متعلقة للقدرة، فلا يصحّ أن يقال هو قادر على أن يكون جاهلاً ـ مثلاً ـ، لاستحالة الجهل فيه تعالى.

الثالث: صفات الفعل تتعلَّق بها الإرادة، فيقال أراد تعالى أن يرحم زيداً، أو أراد أن لا يرحمه، وأما صفات الذات فلا تتعلق بها الإرادة فلا يقال أراد أن يكون عالماً ـ مثلاً ـ، وذلك لأنَّ الإرادة فرع القدرة فما كان مقدوراً

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٤.

وَتَفْسِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ: أَنَّكَ تُثْبِتُ فِي الْوُجُودِ[٣] مَا يُرِيدُ وَمَا لَا يُرِيدُ، وَمَا يَرْضَاهُ وَمَا يُسْخِطُهُ، وَمَا يُحِبُّ وَمَا يُبْغِضُ، فَلَوْ كَانَتِ الْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ مِثْلِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ كَانَ مَا لَا يُرِيدُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ، وَلَوْ كَانَ مَا يُحِبُّ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ كَانَ مَا يُبْغِضُ نَاقِضاً لِتِلْكَ الصِّفَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّا لَا نَجِدُ فِي الْوُجُودِ مَا لَا يَعْلَمُ وَمَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ صِفَاتُ ذَاتِهِ الْأَزَلِيِّ لَسْنَا نَصِفُهُ بِقُدْرَةٍ وَعَجْزٍ، وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ وَسَفَهٍ وَحِكْمَةٍ وَخَطَإٍ وَعِزٍّ وَذِلَّةٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: يُحِبُّ مَنْ أَطَاعَهُ وَيُبْغِضُ مَنْ عَصَاهُ، وَيُوَالِي مَنْ أَطَاعَهُ وَيُعَادِي مَنْ عَصَاهُ، وَإِنَّهُ يَرْضَى وَيَسْخَطُ، وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِّي وَلَا تَسْخَطْ عَلَيَّ، وَتَوَلَّنِي وَلَا تُعَادِنِي، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ[٤]: يَقْدِرُ أَنْ يَعْلَمَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَعْلَمَ[٥] وَيَقْدِرُ أَنْ يَمْلِكَ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَمْلِكَ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ عَزِيزاً حَكِيماً وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ عَزِيزاً حَكِيماً، وَيَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ جَوَاداً[٦] وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ جَوَاداً، وَيَقْدِرُ أَنْ

قد تتعلق به الإرادة، وما كان محالاً أو ضرورياً ـ بمعنى الوجوب ـ فلا تتعلق به القدرة.

وقد مرّ بيان بعض الفروق الأخرى ـ نقلاً عن كفاية الموحدين ـ.

[٣] **(إنَّك تثبت في الوجود):**

إشارة إلى الفرق الأول.

[٤] **(ولا يجوز أن يقال):**

إشارة إلى الفرق الثاني.

[٥] **(ولا يقدر أن لا يعلم):**

المراد: «ولا يجوز أن يقال يقدر أن لا يعلم»، وكذا المراد في قوله (ولا يقدر أن لا يكون جواداً) إلى آخر الجمل المنفية.

[٦] **(ويقدر أن يكون جواداً):**

لا يخفى أنَّ الجود والغفران من صفات الفعل، ولعلَّ عدّهما في سياق

يَكُونَ غَفُوراً وَلَا يَقْدِرُ أَنْ لَا يَكُونَ غَفُوراً، وَلَا يَجُوزُ أَيْضاً أَنْ يُقَالَ[٧]: أَرَادَ أَنْ يَكُونَ رَبّاً وَقَدِيماً وَعَزِيزاً وَحَكِيماً وَمَالِكاً وَعَالِماً وَقَادِراً، لِأَنَّ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَالْإِرَادَةُ مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ: أَرَادَ هَذَا وَلَمْ يُرِدْ هَذَا، وَصِفَاتُ الذَّاتِ تَنْفِي عَنْهُ بِكُلِّ صِفَةٍ مِنْهَا ضِدَّهَا[٨] يُقَالُ حَيٌّ وَعَالِمٌ وَسَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَعَزِيزٌ وَحَكِيمٌ، غَنِيٌّ، مَلِكٌ، حَلِيمٌ، عَدْلٌ، كَرِيمٌ، فَالْعِلْمُ ضِدُّهُ الْجَهْلُ، وَالْقُدْرَةُ ضِدُّهَا الْعَجْزُ، وَالْحَيَاةُ ضِدُّهَا الْمَوْتُ، وَالْعِزَّةُ ضِدُّهَا الذِّلَّةُ، وَالْحِكْمَةُ ضِدُّهَا الْخَطَأُ، وَضِدُّ الْحِلْمِ الْعَجَلَةُ وَالْجَهْلُ، وَضِدُّ الْعَدْلِ الْجَوْرُ وَالظُّلْمُ.

صفات الذات بتأويل «ذات يليق بها الجود والغفران» فيُراد بهما كماله وقدرته، فتأمل.

[٧] **(ولا يجوز أيضاً أن يقال):**
إشارة إلى الفرق الثالث.

[٨] **(بكل صفة منها ضدّها):**
«صفات الذات» مبتدأ، «تنفي» خبر، «ضدها» مفعول لـ(تنفي) والمعنى: تنفي صفاتُ الذات أضدادَها، فكل صفة منها تنفي ضدّها. وفي الوافي(١): «وملخصه أن ما يختلف من صفاته سبحانه بالنسبة إلى المخلوقات فهو من صفات الفعل، وما لا يختلف بالإضافة إليها ـ بل يشمل كلها على نسق واحد ـ فهو من صفات الذات».

---

(١) الوافي: ج١، ص٤٦١.

بَابُ حُدُوثِ الْأَسْمَاءِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً[١] بِالْحُرُوفِ غَيْرَ

الحديث الأول:

[١] (خلق اسماً):

الاسم ما دلَّ على المعنى، والدلالة كما تكون باللفظ كذلك تكون بغير اللفظ ـ كالكتابة والطبع ونحوها ـ، فالوجودات الخارجية قد تدلُّ على أمور أو معاني وكما قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنَّه واحد

ولعلَّه لذلك سمي نبي الله عيسى عليه السلام بكلمة الله، قال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[١]. أي أوجده بإرادة منه تعالى، فالكلمة كما توجد باللفظ كذلك توجد بالإلقاء الخارجي، وفي التبيين[٢]: (والكلمة معناها الشيء المُلقى، ويُسمَّى الكلام كلاماً لأنَّه يُلقى، وسُمِّي كلمة الله لأنَّه ولد من غير أب، كأنَّ الله ألقاه مباشرة بلا واسطة، أي خلقه).

وفي المرآة[٣]: «ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنَّ أول خلقه كان بالإضافة إلى روح النبي صلى الله عليه وآله وأرواح الأئمة عليهم السلام بغير نطق وصبغ ولون وخط بقلم».

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

(٢) التبيين: ص٦٦.

(٣) المرآة: ج٢، ص٢٥.

مُتَصَوَّتٍ[٢]، وَبِاللَّفْظِ غَيْرَ مُنْطَقٍ[٣]، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّدٍ[٤]، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ[٥]، وَبِاللَّوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ[٦]، مَنْفِيٌّ عَنْهُ الْأَقْطَارُ[٧]، مُبَعَّدٌ عَنْهُ

---

[٢] **(بالحروف غير متصوّت):**

ظاهر السياق هو أنَّ «غير» حال من «اسماً»، وقوله: «بالحروف» متعلق بـ«متصوت» ـ بالبناء على المفعول ـ فالمعنى: خلق اسماً حال كون ذلك الاسم غير متصوَّت بالحروف، فليس ذلك الاسم من جنس الحروف.

[٣] **(وباللفظ غير منطق):**

«منطق» ـ بفتح الطاء ـ بمعنى المنطوق به، أي لم يكن ذلك الاسم منطوقاً بالألفاظ. وحاصل معنى الفقرتين ـ وبه يظهر الفرق بينهما ـ، أنَّ ذلك الاسم لم يكن حرفاً حتى يكون ذا صوت، ولم يكن لفظاً حتى يمكن النطق به، فالأول باعتبار نفس الحرف وأنَّه ليس له صوت، والثاني باعتبار المتكلم حيث لا يمكنه النطق به لعدم كونه لفظاً، والصوت أعمّ من اللفظ، لأنَّ اللفظ هو الصوت الخارج من الفم.

[٤] **(وبالشخص غير مجسَّد):**

أي لم يكن خلقه من المادة الكثيفة حتى يتشخص في قالب كسائر الأجسام الكثيفة، بل هو كالمجرد ـ أي من الأجسام اللطيفة ـ.

[٥] **(وبالتشبيه غير موصوف):**

أي لم يكن من جنس الكلمات المتعارفة حتى يمكن تشبيهه بها.

[٦] **(وباللون غير مصبوغ):**

أي لم يكن بالكتابة، فليس لذلك الاسم وجود كتبي متجسد في خطوط مكتوبة باللون.

[٧] **(منفي عنه الأقطار):**

الأقطار: النواحي، سواء كانت في السماء أو في الأرض كقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]، ولعلَّ المُراد أنَّ هذا الاسم لعظمته لا تحمله سماء ولا أرض.

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

الْحُدُودُ[٨]، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّمٍ[٩]، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُورٍ[١٠]، فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً[١١] عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ[١٢] مَعاً، لَيْسَ مِنْهَا وَاحِدٌ قَبْلَ الْآخَرِ[١٣]،

---

[٨] **(مبعَّد عنه الحدود):**

أي لعظمته لا يمكن بيان حدوده، كما يقال هذا الشيء لا حدّ له، أي عظيم جداً.

[٩] **(حس كل متوهم):**

أي لا يمكن الوصول إلى كنهه بالحواس، فيعجز كل من يريد أن يتصور ذلك الاسم، و«الحس» هنا يشمل الحس الظاهري وقوى الإدراك الباطنية.

[١٠] **(مستتر غير مستور):**

أي ذلك الاسم لم يجعل عليه ساتر بل هو ظاهر، ولكن لا يمكن توهمه لعدم قابلية المتوهمين لإدراكه ـ بكلّ أجزائه ـ كما أنَّ الأعمى لا يرى النُّور، وليست المشكلة في النُّور بل هو ظاهر ولكن فاقد البصر ليست له قابلية الرؤية.

فخلاصة هذه الفقرة وسابقتها، أنَّ كل متوهم منع حسّه عن إدراك ذلك الاسم لا لأنَّ الاسم مستور بل لأجل عدم قابلية المتوهمين.

[١١] **(فجعله كلمة تامة):**

أي هذا الاسم الموصوف بهذه الأوصاف، جعله الله تعالى على أربعة أجزاء.

[١٢] **(أربعة أجزاء):**

ما نذكره إلى آخر الحديث هو على سبيل الاحتمال، ولعلَّ الأجزاء الأربعة هي:

١ ـ ما يدلُّ على كنه ذاته تعالى.

٢ ـ ما يدلُّ على صفات الذات.

٣ ـ ما يدلُّ على تنزيه الذات عن النواقص ـ الصفات السلبية ـ.

٤ ـ ما يدلُّ على صفات الأفعال.

[١٣] **(ليس منها واحد قبل الآخر):**

تفسير لقوله «معاً»، أي خلق الأجزاء دفعة واحدة، بلا تقديم وتأخير فيها.

فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاءٍ[١٤] لِفَاقَةِ الْخَلْقِ إِلَيْهَا[١٥]، وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً[١٦] وَهُوَ الِاسْمُ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ[١٧]، فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الَّتِي

---

[١٤] **(فأظهر منها ثلاثة أسماء):**

هي صفات الذات كالعلم والقدرة، وصفات الفعل كالخلق والصدق، والصفات السلبية كعدم كونه جسماً ولا مركباً.

[١٥] **(لفاقة الخلق إليها):**

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(١) وقال سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٢)، وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(٣).

[١٦] **(حجب منها واحداً):**

وذلك لعدم قابلية الناس لإدراك ذلك الجزء، وذلك لأنَّه دال على كنه ذاته تعالى، وحيث لا يمكن إدراك كنه ذاته لم يمكن إدراك الدال على الكنه أيضاً.

[١٧] **(المكنون المخزون):**

«المكنون» و«المخزون» بمعنى المحفوظ المصون، والفرق بينهما اعتباري، فالمكنون باعتبار الحافظ، والمخزون باعتبار المحفوظ، فهذه الأسماء الثلاثة تحفظ ذلك الاسم، وهو مستتر فيها.

إن قلت: إذا بقي هذا الاسم محفوظاً وظاهراً، فما الفائدة في خلقه؟

قلت: ليس المصلحة تنحصر في خلق الأشياء ليعلمها الإنسان ويستفيد منها، فما أكثر الأشياء التي خلقها الله تعالى لمصالح لا ترتبط بالناس، أو ترتبط بهم لكنهم لا يعلمونها.

ولعلَّ المصلحة اقتضت توسيط الأشياء المختلفة ووجود مراحل متعدّدة في

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٥.

(٣) سورة غافر: الآية ٦٥.

ظَهَرَتْ[١٨]، فَالظَّاهِرُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١٩]، وَسَخَّرَ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ اسْمٍ مِنْ

التوسل. وفي المرآة[١]: «فهذه الثلاثة حُجُب وسائط بين الخلق وبين هذا الاسم المكنون، إذ بها يتوسلون إلى الذات وإلى الاسم المختص بها» انتهى.

ويمكن تفسير قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[٢] بذلك، أي نتوسّل بذلك الاسم الذي هو واسطة بين الله تعالى وبيننا. فتأمل.

[١٨] **(فهذه الأشياء التي ظهرت):**

أي هذه الأسماء الثلاثة هي التي ظهرت للخلق، وأما الاسم المكنون المخزون فلم يظهر لهم، وفي توحيد الصدوق (بهذه الأسماء) فيكون المعنى أنَّ الاسم المكنون هو مكنون في هذه الأسماء.

[١٩] **(فالظاهر هو الله تبارك وتعالى):**

أي خلق الله تعالى هذه الأسماء ليظهر بها على المخلوقات، فالظهور لله يكون بهذه الأسماء، فالمظهِر هو الأسماء، والظاهر هو الله.

وفي بعض نسخ الكافي (هو الله وتبارك وتعالى).

ولعلَّه إشارة إلى الأجزاء الثلاثة التي ظهرت:

١ ـ الله: ما يدلُّ على صفات الذات، لأنَّ لفظ «الله» موضوع للذات المستجمعة لصفات الكمال الذاتية.

٢ ـ تبارك: يدلُّ على صفات الفعل، لأنَّ البركة بمعنى الخير الثابت، فهو تعالى منبع للخيرات، ويرجع إلى «تبارك» كل صفات الفعل كالخلق والرزق والرحمة وغيرها.

٣ ـ تعالى: يدلُّ على الصفات السلبية، فهو يتعالى عن كل أمر يوجب النقص، كالتركّب والجسمية، والرؤية وغيرها.

---

(١) المرآة: ج٢، ص٢٦.

(٢) سورة الحمد: الآية ١.

هَذِهِ الْأَسْمَاءِ أَرْبَعَةَ أَرْكَانٍ[٢٠]، فَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ رُكْناً، ثُمَّ خَلَقَ لِكُلِّ رُكْنٍ مِنْهَا ثَلَاثِينَ اسْماً[٢١] فِعْلاً مَنْسُوباً إِلَيْهَا[٢٢] فَهُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ،

---

[٢٠] **(من هذه الأسماء أربعة أركان)**:

أي كل اسم له أربع دعائم يعتمد عليها ذلك الاسم، وكل الصفات ترجع إلى هذه الدعائم، ونذكرها على سبيل الاحتمال:

١ ـ فما دلَّ على صفات الذات دعائمه: العلم والقدرة والحياة والملك، وكل صفات الذات ترجع إليها، مثلاً السمع والبصر يرجعان إلى العلم، والعلي والمهيمن يرجعان إلى القدرة، والعزيز والمتكبر يرجعان إلى الملك، والأول والآخر يرجعان إلى الحياة وهكذا.

٢ ـ وما دلَّ على صفات الفعل أيضاً دعائمه أربع، هي: الخلق والربوبية والهداية والمجازاة، وكل صفات الفعل ترجع إليها، مثلاً الباري والمصوِّر يرجعان إلى الخلق، والرازق والرحمن يرجعان إلى الربوبية، والديَّان والحاكم يرجعان إلى المجازاة، والمرشد والولي يرجعان إلى الهداية، وهكذا.

٣ ـ وما دلَّ على الصفات السلبية أيضاً دعائمه أربع، هي: تنزيهه عن الشريك، وتنزيهه عن الشبيه، وعن إدراك الحواس والأوهام، وعن العجز والنقص، وكل الصفات السلبية ترجع إليها، فلا ضدّ له ولا ندّ، وليس بجسم ولا جوهر، كما أنَّه ليس بمرئي ولا متوهَّم، وكذلك ليس بمركب ولا ظلَّام.

[٢١] **(ثلاثين اسماً)**:

أي كل واحد من الأركان له فروع ترجع إلى هذه الأركان، وإنَّما تعدّدُ تلك الأسامي يكون بالاعتبارات، مثلاً الرحمن والرحيم من صفات الفعل وإنَّما تعدّدا باعتبار أنَّ هنالك رحمة عامة ورحمة خاصة، فباعتبار العامة سُمِّي الرحمن، وباعتبار الرحمة الخاصة بالمؤمنين سُمِّي الرحيم، وهكذا.

[٢٢] **(فعلاً منسوباً إليها)**:

قوله «فعلاً» لعلَّ المراد به الصفة، فالمعنى: خلق لكل ركن ثلاثين اسماً هي صفات راجعة إلى هذه الأركان.

ثم ذكر الإمام عليه السلام بعض هذه الصفات من باب المثل.

الْخَالِقُ الْبَارِىءُ، الْمُصَوِّرُ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ الْعَلِيمُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكِيمُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْعَلِيُّ، الْعَظِيمُ، الْمُقْتَدِرُ، الْقَادِرُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْبَارِىءُ، الْمُنْشِىءُ، الْبَدِيعُ، الرَّفِيعُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّازِقُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْبَاعِثُ، الْوَارِثُ[٢٣]،

---

[٢٣] (الباعث الوارث):

هذه الأسماء ذكرها الإمام ﷺ من باب المثال، وفيها صفات الذات وصفات الفعل والصفات السلبية.

١ ـ فمن الصفات السلبية: «القدُّوس» أي المنزَّه عمَّا لا يليق به، و«الجليل» أي يجلّ عن النقائص، و«الرفيع»: أي ارتفعت درجات جلاله من أن يكون له شريك، و«السلام»: أي السالم من كل نقص، و«لا تأخذه سنة ولا نوم»، ويمكن إرجاع الرفيع والسلام إلى صفات الذات.

٢ ـ ومن صفات الفعل: «الرحمن»: أي ذو الرحمة العامة لجميع الخلق، و«الرحيم»: أي ذو الرحمة الخاصة للمؤمنين، و«الخالق» أي المُوجِد، و«البارىء»: أي المُوجِد للخصوصيات والكيفيات، و«المصوّر»: أي المعطي للصورة، و«القيُّوم»: أي القائم على جميع الأمور بالعلم والقدرة والرعاية، و«الجبَّار»: أي يقهر الكون حسب إرادته، و«المؤمن»: أي معطي الأمن، و«المهيمن»: أي المسيطر على كل شيء بالعلم والرقابة، و«المنشىء»: أي الخالق للأشياء من العدم من غير أن يكون لها مادة سابقة، و«البديع»: أي خالق الأشياء من غير مثيل سابق، وكذلك «الرازق» و«المحيي» و«المميت» من صفات الفعل، وهكذا «الباعث»: أي للأنبياء أو للحشر.

٣ ـ ومن صفات الذات: «الملك»: أي المالك الحقيقي، و«الحي»، و«العليم»، و«الخبير»: أي العالم بخفايا الأمور، و«السميع»، و«البصير»، و«الحكيم»: أي الذي يضع الأشياء في مواضعها، و«العزيز»: أي له الغلبة في سلطانه، و«المتكبّر»: أي ذو الكبرياء، و«العلي»: أي له العلوّ الذاتي على جميع الأشياء، و«العظيم»: أي ذو العظمة، و«المقتدر»، و«القادر» ولعلَّ الفرق بينهما هو أنَّ القادر ذو القدرة، والمقتدر هو المُظهِر لها،

فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ[٢٤] وَمَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى حَتَّى تَتِمَّ ثَلاثَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ اسْماً فَهِيَ نِسْبَةٌ لِهَذِهِ[٢٥] الْأَسْمَاءِ الثَّلاثَةِ، وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلاثَةُ أَرْكَانٌ، وَحَجَبَ الِاسْمَ الْوَاحِدَ الْمَكْنُونَ الْمَخْزُونَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلاثَةِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى[٢٦]:
﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ[٢٧]﴾ [الإسراء: ١١٠].

و«الكريم»: أي ذو الفضل والكرم، و«الوارث»: أي الباقي فإنَّه يبقى بعد فناء كل شيء.

وقد أخذت معاني أكثر هذه الصفات من مواضع متعدّدة من كتاب تبيين القرآن للسيد الوالد رضوان الله عليه.

[٢٤] **(فهذه الأسماء):**

«هذه الأسماء» مبتدأ، وقوله «فهي نسبة» خبر.

[٢٥] **(فهي نسبة لهذه...):**

أي فهي راجعة إلى تلك الأجزاء الثلاثة للاسم الذي خلقه الله تعالى.

[٢٦] **(وذلك قوله تعالى...):**

هذا استشهاد لما ذكره الإمام عليه السلام في أول الحديث، حيث قال «فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها».

[٢٧] **(فله الأسماء الحسنى):**

في التبيين[(١)] ﴿قُلِ﴾ يا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ٱدۡعُواْ﴾ يا أيُّها المشركون ﴿ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ﴾ فإنَّ اللفظين يشيران إلى ذات واحدة ﴿أَيّٗا﴾ من هذين الاسمين ﴿مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ الحُسنى الدالة على صفات الجلال والجمال.

وفي المرآة[(٢)]: «قيل نزلت الآية، حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا الله يا رحمن، فقالوا إنَّه نهانا أن نعبد إلهين، وهو يدعو إلهاً آخر!، وقالت اليهود: إنَّك لتقلّ ذكر الرحمن، وقد أكثره الله في التوراة؟ فنزلت الآية ردّاً لما توهموا من التعدّد أو عدم الإتيان بذكر الرحمن».

---

(١) التبيين: ص٣٠٥.

(٢) المرآة: ج٢ ص٣٠.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَمُوسَى بْنِ عُمَرَ؛ وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: هَلْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَارِفاً بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: يَرَاهَا وَيَسْمَعُهَا[١]؟ قَالَ: مَا كَانَ مُحْتَاجاً إِلَى ذَلِكَ[٢] لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْأَلُهَا وَلَا يَطْلُبُ مِنْهَا[٣]، هُوَ نَفْسُهُ، وَنَفْسُهُ هُوَ[٤]، قُدْرَتُهُ نَافِذَةٌ فَلَيْسَ

الحديث الثاني:

[١] **(قلت يراها ويسمعها):**

والجواب عن هذا السؤال من وجوه ثلاثة ـ طُولِيّة ـ.

الأول: أنَّ السمع والبصر هو العلم بالمسموعات والمبصرات، أي مرجعهما إلى العلم، والله تعالى كان عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق.

الثاني: أنَّه تعالى ليس من قبيل المسموعات والمبصرات، فالسؤال سالبة بانتفاء الموضوع.

الثالث: ما ذكره الإمام عليه السلام لأنَّ فيه تمهيداً لبيان خلق الأسماء.

[٢] **(ما كان محتاجاً إلى ذلك):**

لأنَّ من يتكلَّم غرضه سماع الغير لصوته، وكان الله ولم يكن معه غيره، وإذا تكلَّم الله تعالى فإنَّما هو لحاجة المخلوقين إلى هذا الكلام، أما هو فلا يحتاج لأنَّ يكلِّم نفسه لأنَّه الغني المطلق.

[٣] **(ولا يطلب منها):**

دليل على عدم حاجته، فلا هو جاهل حتى يحتاج إلى السؤال، ولا هو ناقص كي يطلب سدّ نقصه، بل هو العالم بلا حدود والكمال المطلق.

[٤] **(هو نفسه ونفسه هو):**

هذا المقطع كالتعليل لعدم حاجته إلى الطلب والسؤال، لأنَّهما يكونان من الغير، ولا معنى لسؤال النفس أو الطلب منها ـ إلا على نحو من المجاز ـ.

يَحْتَاجُ أَنْ يُسَمِّيَ نَفْسَهُ[٥]، وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ أَسْمَاءً لِغَيْرِهِ يَدْعُوهُ بِهَا، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يُدْعَ بِاسْمِهِ لَمْ يُعْرَفْ[٦]، فَأَوَّلُ مَا اخْتَارَ لِنَفْسِهِ[٧]: الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ لِأَنَّهُ أَعْلَى

---

[٥] **(أن يسمي نفسه):**

وهذا المقطع أيضاً كالتعليل لعدم حاجته إلى أن يطلب شيئاً، لأنَّ الطالب إنَّما يطلب لعجزه وحاجته.

ولا يخفى أنَّ كلمة «الطلب» استُعملت في القرآن والروايات في مورد الحاجة، ولم تُستعمل بمعنى «الإرادة» كقوله تعالى: ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾(١) فقولهم «إنَّ الله يطلب كذا» خلاف المصطلح القرآني، والصحيح أنَّ يقال «إنَّ الله أراد كذا»، لأنَّ الإرادة التشريعية هي لمصلحة العباد وحاجتهم.

وأما بحثهم في الأُصول حول: اختلاف الطلب والإرادة أو اتحادهما، فهو أيضاً على خلاف الاستعمال القرآني والروائي للكلمتين.

والصحيح ـ كما مرّ ـ أنَّ الله يُوجِد التشريع، فهذا الإيجاد هو الإرادة منه، ومنشأ هذا الإيجاد هو علمه واختياره وهما ليسا طلباً ولا إرادة، فثبت أنَّ لا وجود للطلب.

وإن كان مقصودهم من الطلب إنشاء الحكم، فهو عين الإرادة، لكن استعملوا فيه اصطلاحاً مغايراً للمصطلح القرآني والروائي، فتأمل.

[٦] **(إذا لم يدع باسمه لم يعرف):**

وقد مرّ أنَّ الأسماء توقيفيّة، لقصور عقول الناس عن الوصول إلى كنه ذاته وإلى معرفة صفاته، ولو سمّوه من عند أنفسهم لوقعوا في الشرك، قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢).

[٧] **(فأوَّل ما اختار لنفسه):**

في كونه أولاً احتمالات: ـ جمعاً بين هذا الحديث والحديث السابق ـ.

١ ـ أن يكون الخلق في الحديث السابق بمعنى التقدير، والاختيار في هذا

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤١.

(٢) سورة القصص: الآية ٦٨.

الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا[٨]، فَمَعْنَاهُ اللَّهُ[٩] وَاسْمُهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، هُوَ أَوَّلُ أَسْمَائِهِ، عَلَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ[١٠].

الحديث بمعنى الإيجاد، فقدّر ذلك الاسم الجامع قبل إيجاد الأسماء، ثم أول ما أوجده من الأسماء هو العلي العظيم.

٢ ـ أن يكون الأول نسبيّاً، فخلق الاسم الجامع، ثم أول ما أظهره إلى الخلق هو «العلي العظيم».

٣ ـ أن يكون المراد أنَّ أول اسم منطق باللفظ ومجسَّد بالشخص هو «العلي العظيم»، أما ذلك الاسم الجامع فهو غير منطق ولا مجسد.

[٨] **(لأنَّه أعلى الأشياء كلها):**

أي له العلوّ الذاتي على كل شيء، وكل صفاته الأخرى تشير إلى هذا العلوّ، فهو الأعلى بالذات وبالصفات.

[٩] **(فمعناه الله):**

أي هذه الأسماء تشير إلى ذاته المقدَّسة، فالمسمّى: الذات، والاسم: العلي العظيم.

وفي المرآة[١]: «بل ـ يدلُّ ـ على أنَّه اسم بإزاء الذات لا باعتبار صفة من الصفات» والمقصود أنَّ سائر الأسماء هي اسم للذات المتصفة بصفة، مثلاً الرحمن: اسم لذاته تعالى باعتبار اتصافه بالرحمة، وأما «العلي العظيم» فهما كلفظة «الله» اسم لنفس الذات بلا أخذ اعتبار صفة فيها.

[١٠] **(علا على كل شيء):**

لعلَّ قوله «علا على كل شيء» من قبيل ذكر «سبحانه» و«تعالى» و«عزّ من قائل» بعد ذكر اسم الله.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٣٠.

٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الِاسْمِ مَا هُوَ؟ قَالَ: صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ[١].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: اسْمُ اللَّهِ غَيْرُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ شَيْءٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مَا خَلَا اللَّهَ[١]. فَأَمَّا مَا عَبَرَتْهُ الْأَلْسُنُ[٢]، أَوْ عَمِلَتِ الْأَيْدِي[٣]، فَهُوَ

الحديث الثالث:

[١] **(صفة لموصوف):**

لعلَّ المُراد: أنَّ أسماءه تعالى ليست كأسماء الناس ـ التي تنسلخ عن معناها الوصفي ـ، فحينما يُسمّى شخص بالفضل أو بالأسد، لا يقصد المعنى اللغوي الدال على الوصف ـ حن ندائه ـ، أما الله تعالى فإنَّ أسماءه تعالى باقية على معناها الوصفي.

الحديث الرابع:

[١] **(ما خلا الله):**

«الشيء» هنا بمعنى الموجود، فكل الموجودات مخلوقة سوى الله تعالى.

[٢] **(عبرته الألسن):**

بالتخفيف، من العبارة أي الألفاظ، ومادة «عبر» بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر، ومنه تعبير الرؤيا، والعِبرة بمعنى الاعتبار، والعَبرة بمعنى البكاء، والألفاظ تنقل المعاني إلى السامع أو تنقله إليها.

[٣] **(أو عملت الأيدي):**

بالكتابة.

مَخْلُوقٌ[٤]، وَاللَّهُ غَايَةٌ مِنْ غَايَاتِهِ[٥] وَالْمُغَيَّا غَيْرُ الْغَايَةِ[٦]، وَالْغَايَةُ مَوْصُوفَةٌ[٧]

---

[٤] **(فهو مخلوق):**

فليس الاسم عين المسمّى، كما أنَّ في قوله ﷺ إشارة إلى أنَّ القرآن ليس بقديم، وليس الكلام عين المتكلّم ـ كما زعم هذه الأمور بعض العامة ـ.

[٥] **(والله غاية من غاياته):**

إعلم أنَّ هذه العبارة وما بعدها من مشكلات الأخبار، وسنذكر لها معنى ـ تبعاً للوافي[١] ـ على سبيل الاحتمال، فنقول:

اللفظ والكتابة قنطرة للانتقال إلى المفهوم، فهما يوصلان الإنسان إلى المفهوم منهما ـ بوجوده الذهني ـ، مثلاً حينما نكتب أو نلفظ «زيد» فإنَّ السامع يرتسم في ذهنه مفهوماً لهذه اللفظة أو الكتابة، وذلك المفهوم الذهني يغاير الوجود الخارجي لزيد لكنَّه يشير إليه.

فقوله (والله غاية من غاياته) يعني به: إنَّ المفهوم الذهني لله هو غاية من غايات اللفظ والكتابة، أي هما يوصلان السامع إلى ذلك المفهوم، وذلك المفهوم أيضاً مخلوق ذهني وهو يشير إلى ذلك الوجود الخارجي الذي هو الخالق والصانع حقيقة.

[٦] **(والمغيّى غير الغاية):**

«المغيّا» هو ذو الغاية، مثلاً قولنا (سرت من البصرة إلى الكوفة)، الغاية هي (الكوفة)، والمغيّا هو (السير)، في هذا الحديث، «المغيّا»: اللفظ والكتابة، و«الغاية»: هي المفهوم منهما.

[٧] **(والغاية موصوفة):**

أي ذلك المفهوم الذهني موصوف بالكتابة وباللفظ، والأقرب أن يكون المراد: أنَّه موصوف بحدود معلومة، لأنَّ ما في الذهن محدود قطعاً.

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٦٨.

وَكُلُّ مَوْصُوفٍ مَصْنُوعٌ[٨]، وَصَانِعُ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مَوْصُوفٍ بِحَدٍّ[٩] مُسَمًّى[١٠]، لَمْ يَتَكَوَّنْ فَيُعْرَفَ كَيْنُونِيَّتُهُ بِصُنْعِ غَيْرِهِ[١١]، وَلَمْ يَتَنَاهَ إِلَى غَايَةٍ

---

[٨] **(وكل موصوف مصنوع)**:
لأنَّ الواصف يصنعه في ذهنه، وله حدود ينتهي إليها.

[٩] **(غير موصوف بحدّ)**:
فأوصافه ليست حدوداً له، بل أوصافه الذاتية عين ذاته، وإنَّما الوصف بالاعتبار لا بتغاير الذات والصفة.
وقال أمير المؤمنين عليه السلام[١]: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنَّه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنَّاه، ومن ثنَّاه فقد جزَّأه».
وفي توضيح نهج البلاغة[٢] قال الوالد أعلى الله درجاته («نفي الصفات عنه»: بأن لا يجعل الإنسان ذات الإله شيئاً، وصفاته شيء آخر، كما هو كذلك في لإنسان وصفاته، مثلاً زيد شيء وعلمه شيء آخر ـ وإن اقترنا ـ، . . . إنَّ صفاته عين ذاته، وإنَّما تُنتزع الصفات من الذات باعتبارات، فباعتبار أنَّه يعلم يقال عالم، وباعتبار أنَّه يقدر يقال قادر، لا أنَّ هناك ذات وعلم، وذات وقدرة، وهذا كما يُقال لإنسان واحد: زيد، أبو عمرو، ابن خالد، جد محمود، فإنَّ هذه الأسماء قد انتُزعت عن شي واحد باعتبارات متعدّدة).

[١٠] **(بحدّ مسمّى)**:
أي مسمّى تلك الأسماء ـ وهو مفهومها الذهني ـ ليس حدّاً لله تعالى، لأنَّ الله لا حدّ له، مضافاً إلى أنَّ الوجود الذهني لا يكون حدّاً للوجود الخارجي.

[١١] **(كينونيته بصنع غيره)**:
كما تعرف المعاليل بمعرفة عللها، كما في دليل «الإنّ» ـ الذي هو الانتقال من العلّة إلى المعلول ـ، فهو تعالى ليس بمخلوق حتى نعرف صفاته بمعرفة صفات صانعه.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.
(٢) توضيح نهج البلاغة: ج١ ص١٦.

إِلَّا كَانَتْ غَيْرَهُ[١٢]، لَا يَزِلُّ مَنْ فَهِمَ هَذَا الْحُكْمَ[١٣] أَبَداً، وَهُوَ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ[١٤]، فَارْعَوْهُ وَصَدِّقُوهُ وَتَفَهَّمُوهُ[١٥] ....

ويمكن أن يكون «صنع» بمعنى «مصنوع»، فيكون المعنى: «أنّه غير مصنوع حتى يعرف بالمقايسة إلى مصنوع آخر، كما تُعرف المصنوعات بمقايسة بعضها إلى بعض فيكون «الصنع» بمعنى المصنوع، و«غيره» صفة له ـ كما احتمله في المرآة(١) ـ، واللفظ والكتابة متكوّنة، فالاسم ـ سواء كان لفظاً أم خطّاً ـ لا يمكن أن يكون عين الله تعالى.

[١٢] **(إلا كانت غيره):**

أي ليس له تعالى غاية حتى ينتهي إليها، لأنَّ الغاية حدّ وهو تعالى غير محدود، واللفظ والكتابة ينتهيان إلى غاية ـ وهي المفهوم ـ وذلك المفهوم غير الله تعالى.

[١٣] **(لا يزل من فهم هذا الحكم):**

والحكم هو أنَّ اسم الله غيره، و«يزل» من الزلل، كقوله تعالى: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾(٢)، وفي بعض النسخ «لا يذلّ» من الذُّلّ، لأنَّ الله تعالى يُذِلُّ المنحرف في العقيدة، قال تعالى: ﴿...فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٣).

[١٤] **(وهو التوحيد الخالص):**

الذي لا يشوبه شرك، لأنَّ الكثير من الموحدين، يوحدون لفظاً ولكنَّهم يشركون بالله غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(٤)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه)(٥).

[١٥] **(وصدقوه وتفهموه):**

فإنَّ الإنسان للثبات على الحق يحتاج إلى أمور ثلاثة:

---

(١) المرآة: ج٢ ص٣٣.
(٢) سورة النحل: الآية ٩٤.
(٣) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٤) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة ١.

بِإِذْنِ اللَّهِ[١٦]، مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ اللَّهَ بِحِجَابٍ أَوْ بِصُورَةٍ أَوْ بِمِثَالٍ[١٧] فَهُوَ مُشْرِكٌ، لِأَنَّ حِجَابَهُ وَمِثَالَهُ وَصُورَتَهُ غَيْرُهُ[١٨]، وَإِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ مُتَوَحِّدٌ[١٩]، فَكَيْفَ يُوَحِّدُهُ

---

١ ـ الفهم، فإنَّه مقدمة للاعتقاد وللعمل وللثبات.

٢ ـ التصديق: وهو إظهار هذا المعتقد باللسان والعمل، بأن يتطابق فعله وقوله مع معتقده.

٣ ـ الرعاية: بمعنى الحفظ، أي الاهتمام والمواظبة على الأمر.

[١٦] **(بإذن الله):**

لأنَّ الهداية من الله، يفيضها على من استحقها، بأن لم يقصّر في المقدمات، كما أنَّ الإضلال منه يعاقب به من قصَّر فيها.

[١٧] **(بحجاب أو صورة أو بمثال):**

أي زعم أنَّ الله تعالى عين تلك الأسماء، بل تلك الأسماء وسائط بين الله وبين الخلق يتوسلون بها إليه تعالى ويدعونه بها قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾(١) فكأنَّها حاجب بينه وبينهم، كما أنَّ تلك الأسماء لها صورة وشبه في اللفظ والكتابة، فلا يمكن أن تكون عين الله تعالى الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٢).

[١٨] **(ومثاله وصورته غيره):**

إذ هي غير الله تعالى، فمن زعمها عين الله فقد أشرك بالله غيره، كما أنَّها مركَّبة ولها أجزاء والتركّب يستلزم التعدّد وهو شرك.

[١٩] **(واحد متوحد):**

«الواحد»: ما لا ثاني له، و«المتوحّد»: المتفرّد الذي لا يشاركه غيره في ذاته أو فعله.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ بِغَيْرِهِ[٢٠]، وَإِنَّمَا عَرَفَ اللَّهَ مَنْ عَرَفَهُ بِاللَّهِ[٢١]، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْهُ بِهِ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ، إِنَّمَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ[٢٢]، لَيْسَ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ شَيْءٌ[٢٣]،

---

[٢٠] **(أنَّه عرفه بغيره)**:
أي زعم أنَّ الله هو عين تلك الأسماء، فتكون معرفته لله بتلك الأسماء.

[٢١] **(من عرفه بالله)**:
قد مرّ بعض الكلام في قوله: (اعرفوا الله بالله)، والحاصل أنَّه يجب أن يعرف الإنسان الله تعالى مسلوباً عنه جميع ما يغايره، فلا يعتقد بأنَّه عين الاسم المخلوق.

[٢٢] **(إنَّما يعرف غيره)**:
لأنَّ المتحد مع الأسماء ليس هو الله تعالى، بل غير الله.
وفي المرآة[١]: ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنَّه لا يمكن الوصول إلى حقيقته بوجه من الوجوه، لا بحجاب ورسول يبيّن ذلك، ولا بصورة عقلية ولا خيالية، إذ لا بدَّ بين المعرِّف والمعرَّف من مماثلة وجهة الاتحاد، وإلا ليس ذلك الشيء معرِّفاً أصلاً، والله تعالى مجرَّد الذات عن كل ما سواه، فحجابه ومثاله وصورته غيره من كل وجه، إذ لا مشاركة بينه وبين غيره في جنس أو فصل أو مادة أو موضوع أو عارض، إنَّما هو واحد موحّد فرد عمَّا سواه، فإنَّما يعرف الله بالله إذا نفى عنه جميع ما سواه وكلَّ ما وصل إليه عقله. انتهى.

[٢٣] **(ليس بين الخالق والمخلوق شيء)**:
أي لا يوجد ارتباط بينه تعالى وبين الأسماء المخلوقة، فلا تكون عينه، وكيف يعقل أن يكون المخلوق عين الخالق!
وفي المرآة[٢]: أي ليس بينه تعالى وبين خلقه حقيقة، أو مادة مشتركة حتى يمكنهم معرفته من تلك الجهة، بل أوجدهم لا من شيء كان. انتهى.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٣٤.
(٢) المرآة: ج٢ ص٣٥.

وَاللَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ[٢٤]، وَاللَّهُ يُسَمَّى بِأَسْمَائِهِ[٢٥]، وَهُوَ غَيْرُ أَسْمَائِهِ وَالْأَسْمَاءُ غَيْرُهُ.

---

[٢٤] **(خالق الأشياء لا من شيء كان):**

لعلَّ المراد، أنَّ الله أزلي، والأسماء مخلوقة، فإن كانت عين ذاته لزم أن تكون مادتها أزلية ـ أي ذاته تعالى ـ! وهل يعقل أن يكون الله تعالى مادة المخلوقات؟ وهل يلتزم عاقل بذلك.

وفي هذا المقطع ردّ على من زعم وحدة الوجود أو وحدة الموجود.

[٢٥] **(والله يُسمّى بأسمائه):**

هذه الفقرة كالخلاصة لكل الحديث، فإنَّه عليه السلام بعد أن بيَّن الأدلة على أنَّ الأسماء مخلوقة، لخَّص الكلام في هذا السطر، والحمد لله ربّ العالمين.

بَابُ مَعَانِي الْأَسْمَاءِ وَاشْتِقَاقِهَا

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ؛ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى؛ عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ تَفْسِيرِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ قَالَ[١]: الْبَاءُ بَهَاءُ

الحديث الأول:

[١] (قال):

في توضيح كلام الإمام عليه السلام احتمالان:

الأول: أنّه عليه السلام فسّر الكلمة طبقاً لعلم الحروف، فإنّه يظهر من الأخبار أنّ الحروف لها معاني متعدّدة وهي رموز لعلوم جمّة، وقد خصّ الله تعالى هذا العلم بحججه عليهم السلام.

وقد روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام فسّر لابن عباس معنى نقطة الباء في (بسم الله)، طوال ليلة كاملة.

الثاني: أنّ هذا التفسير مبنيّ على الاشتقاق الكبير، فإنّهم ذكروا أنّ الاشتقاق قسمان: صغير وكبير، أما الصغير فهو تطابق فاء الفعل وعين الفعل ولامه في كل الاشتقاقات مثل (ن ص ر) في نصر، ينصر، انصر، ناصر، منصور، استنصر. . .الخ، وأما الكبير فهو على أقسام مختلفة منها وجود جميع الحروف في كلمتين من غير ترتيب مثل «حمل» و«محل» ومثل «حرب» و«رحب»، ومنها التطابق في بعض الحروف لا في كلها سواء كان التطابق في حرفين مثل «ضرب» و«رضّ» أم كان في حرف واحد.

والاشتقاق الكبير محل خلاف بين الصرفيين، وليس له قواعد خاصة، لكن يمكن معرفة بعض منه بالممارسة الكثيرة في اللغة، ولعلّ علم

اللَّهِ[٢]، وَالسِّينُ سَنَاءُ اللَّهِ[٣]، وَالْمِيمُ مَجْدُ اللَّهِ[٤]، ـ وَرَوَى بَعْضُهُمْ: الْمِيمُ مُلْكُ اللَّهِ[٥] ـ، ....

اللغات وأُصولها يكشف عن جانب من هذا الاشتقاق الكبير، فإنَّ الصحيح أنَّه ليس للّغات واضع معيّن، وإنَّما تطوّرت اللغات بالوضع التعيُّني تدريجاً وحسب حاجة الناس، وكلَّما احتاجوا إلى التعبير عن معنى ـ لم يكونوا ألفوه سابقاً ـ استعملوا فيه لفظاً يستعمل لمعنى قريب من ذلك المعنى مع تغيير بسيط في تركيبته من تأخير الحروف أو تقديمها أو تبديل بعضها أو حذف البعض وهكذا.

وفي كتاب (علل الشرائع) روايات متعدّدة في معاني الكلمات لا يمكن تفسيرها إلَّا على القول بالاشتقاق الكبير، فتأمل.

[٢] **(الباء بهاء الله):**

«البهاء»: الحُسن، وفيه ظلال[1] الهيبة أيضاً، أي حسن مع هيبة.

[٣] **(السين سناء الله):**

«السناء»: الرفعة، لأنَّ العلوّ الذاتي هو لله سبحانه وتعالى، وفيه ظِلال الظهور أيضاً، أي ارتفاع ظاهر للعيان.

[٤] **(الميم مجد الله):**

«المجد»: الرفعة، وفيه ظِلال العظمة أيضاً، أي ارتفاع بعظمة، وقيل «المجد» هو الشرف والكرم، ولعلَّه تفسير باللازم، لأنَّ الارتفاع بعظمة لازمه شرف الأصل وكرم الذات.

[٥] **(الميم ملك الله):**

هذا المقطع استطراد في وسط الرواية، ثم يرجع إلى الرواية بقوله (والله إله كل شيء).

والحاصل أنَّ هذا الحديث روي بسندين وبألفاظ مشتركة إلَّا أنَّ في أحدهما

---

(١) المقصود من (الظّلال) هو إشراب الكلمة هذا المعنى ـ أو تضمينها ـ

وَاللَّهُ إِلَهُ كُلِّ شَيْءٍ[٦]، الرَّحْمَنُ بِجَمِيعِ خَلْقِهِ وَالرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً[٧].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ أَنَّهُ سَأَلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ

«والميم مجد الله» وفي الآخر «والميم ملك الله».

[٦] **(الله إله كل شيء):**
أي معبود كل شيء، وقد مرّ اشتقاق كلمة الله في حديث سابق.

[٧] **(بالمؤمنين خاصة):**
زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى، و«الرحمن» أكثر حروفاً من «الرحيم»، فلذا كان معناه أوسع، فالرحمن يدلُّ على الرحمة العامة للجميع، والرحيم على الرحمة الخاصة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[١].

إن قلت: ورد في الدعاء: (يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) فكيف تكون الرحمة العامة في الآخرة، مع أنَّها مخصوصة بالمؤمنين؟

قلت: لعلَّه إشارة إلى تخفيف العذاب عن بعض الكفار في الآخرة لحسن عملهم في الدنيا، كما قيل بالنسبة إلى حاتم الطائي، وتخفيف العذاب أيضاً رحمة، وأما الرحمة الخاصة بالمؤمنين فهي الجنة ونعيمها ونحوها. فتأمل.

الحديث الثاني:

قد مرّ هذا الحديث بهذا النص في باب المعبود الحديث الثاني، وشرحناه

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٦.

وَاشْتِقَاقِهَا: اللَّهُ مِمَّا هُوَ مُشْتَقٌّ؟ فَقَالَ: يَا هِشَامُ: اللَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ إِلَهٍ وَإِلَهٌ يَقْتَضِي مَأْلُوهاً، وَالِاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، فَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ دُونَ الْمَعْنَى فَقَدْ كَفَرَ وَلَمْ يَعْبُدْ شَيْئاً، وَمَنْ عَبَدَ الِاسْمَ وَالْمَعْنَى فَقَدْ أَشْرَكَ وَعَبَدَ اثْنَيْنِ، وَمَنْ عَبَدَ الْمَعْنَى دُونَ الِاسْمِ فَذَاكَ التَّوْحِيدُ، أَفَهِمْتَ يَا هِشَامُ؟ قَالَ: قُلْتُ: زِدْنِي. قَالَ: لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْماً فَلَوْ كَانَ الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى لَكَانَ كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا إِلَهاً، وَلَكِنَّ اللَّهَ مَعْنًى يُدَلُّ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَكُلُّهَا غَيْرُهُ، يَا هِشَامُ: الْخُبْزُ اسْمٌ لِلْمَأْكُولِ، وَالْمَاءُ اسْمٌ لِلْمَشْرُوبِ، وَالثَّوْبُ اسْمٌ لِلْمَلْبُوسِ، وَالنَّارُ اسْمٌ لِلْمُحْرِقِ، أَفَهِمْتَ يَا هِشَامُ فَهْماً تَدْفَعُ بِهِ وَتُنَاضِلُ بِهِ أَعْدَاءَنَا الْمُتَّخِذِينَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرَهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: نَفَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَثَبَّتَكَ يَا هِشَامُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي أَحَدٌ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى قُمْتُ مَقَامِي هَذَا.

هناك ونشير هنا إلى ملخص ما ورد في الحديث الشريف:

إنَّ الاسم غير المسمّى، فلذا لا يجوز عبادة الاسم، لأنّه ليس الخالق، بل هو اسم له، والدليل على ذلك ثلاثة:

١ ـ أنَّ هذه الألفاظ ليس لها بقاء واستمرار، بل هي أعراض في الأوراق أو الأذهان أو اللسان، فمن عَبَدها فقد عَبَد غير الله تعالى، ومَن عَبَدها وعَبَد الله فقد أشرك.

٢ ـ أن الأسماء متعدّدة، فلو كان الاسم غير المسمّى، لزم تعدّد المسمّى، أي لازم ذلك هو تعدّد الآلهة.

٣ ـ أن الأثر هو للمسمّى، والاسم لا يصدر منه أثر المسمّى، فالذي يُشْبِع ليس اسم الخبز، بل هو الوجود الخارجي له. وكذلك الذي له الأمر والخلق والرزق ونحوها ليس هو الاسم بل المسمّى.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ جَدِّهِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنْ مَعْنَى اللَّهِ فَقَالَ: اسْتَوْلَى عَلَى مَا دَقَّ وَجَلَّ[١].

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ[١]﴾ [النُّور: ٣٥] فَقَالَ: هَادٍ لِأَهْلِ السَّمَاءِ وَهَادٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبَرْقِيِّ: هَدَى مَنْ فِي السَّمَاءِ وَهَدَى مَنْ فِي الْأَرْضِ.

الحديث الثالث:

[١] (استولى على ما دقّ وجلّ):

هذا تفسير باللازم، أي إنَّ الله هو المعبود، ولازم كونه معبوداً أن يكون مستولياً على كل شيء، وإلّا فمن لا يستولي على الأشياء لا يكون مستحقاً للعبادة وذلك للعجز الظاهر فيه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾(٢). وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٣).

الحديث الرابع:

[١] (الله نور السّماوات والأرض):

النُّور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، والله سبحانه وتعالى هكذا، ولذا ضرب النُّور مثلاً له.

---

(١) سورة هود: الآية ١٢٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٧٦.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ [الحديد: ٣] وَقُلْتُ: أَمَّا الْأَوَّلُ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ، وَأَمَّا الْآخِرُ فَبَيِّنْ لَنَا تَفْسِيرَهُ. فَقَالَ[١]: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا يَبِيدُ أَوْ يَتَغَيَّرُ، أَوْ يَدْخُلُهُ التَّغَيُّرُ وَالزَّوَالُ، أَوْ يَنْتَقِلُ مِنْ لَوْنٍ إِلَى لَوْنٍ، وَمِنْ هَيْأَةٍ إِلَى هَيْأَةٍ، وَمِنْ

ففي مجال التكوين: الله خالق الأشياء أي مظهرها من العدم إلى الوجود.

وفي مجال التشريع: الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم سواء كان المهتدي من أهل الأرض أم من أهل السماء وهذا الحديث تفسير بالمصداق ـ كما هو واضح ـ، وفي رأس الآية (أي في تتمتها) ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ﴾(١).

الحديث الخامس:

[١] **(فبيّن لنا تفسيره، فقال):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام: أنَّ كل شيء يتغيَّر، فالحالة التي عليها الأشياء الآن ليست الحالة النهائية لها، بل تتغيّر عنها إلى غيرها، إما تغيّراً في أصل الوجود بأن تفنى، أو في الأوصاف، فلا يكون ما عليه آخراً لتغيّره، سوى الله سبحانه وتعالى فإنَّه الآخر بمعنى أنَّ ما هو عليه غير قابل للتغيّر، بل هو أبدي.

وهذا المعنى من الإمام عليه السلام تفسير بأحد المعاني.

وقد فسر الآخر بمعاني أخرى ـ وكل هذه المعاني مصاديق للمعنى الجامع ـ، منها: ما في الحديث الآتي. ومنها: أنّه تعالى يُفني جميع الأشياء قبل القيامة ثم يعيدها، كما يدلُّ عليه ظواهر بعض الآيات وصريح بعض الأخبار. كما في المرآة(٢)، وقد مرّ القول في ذلك.

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) المرآة: ج٢ ص٤١.

صِفَةٍ إِلَى صِفَةٍ، وَمِنْ زِيَادَةٍ إِلَى نُقْصَانٍ[٢]، وَمِنْ نُقْصَانٍ إِلَى زِيَادَةٍ، إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ بِحَالَةٍ وَاحِدَةٍ، هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْآخِرُ عَلَى مَا لَمْ يَزَلْ، وَلَا تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ[٣] كَمَا تَخْتَلِفُ عَلَى غَيْرِهِ مِثْلُ

---

[٢] **(ومن نقصان إلى زيادة):**

لعلَّ الفرق بين هذه الفقرات السبع هو أنَّ:

١ ـ «يبيد»، من (باد، يبيد) بمعنى هلك، ويكون ذلك بزوال حقيقته، وانعدامه.

٢ ـ «يتغيَّر» بزوال فرد وحصول فرد آخر، كأفراد الحرارة والبرودة، حيث إنَّ استمرار الحرارة إنّما هو بزوال الحرارة الأولى وتوليد حرارة ثانية وهكذا.

٣ ـ «يدخله التغيّر والزوال» كالمادة التي لها صورة، وعند تبدل الصورة يدخل في تلك المادة التغيّر وزوال صورتها إلى صورة أخرى.

٤ ـ «ينتقل من لون إلى لون» كالانتقال من نوع إلى نوع آخر، كالفحم يتحول إلى نار.

٥ ـ «هيئة إلى أخرى» كالانتقال من كيفية إلى أخرى.

٦ ـ «صفة إلى صفة» كالانتقال من حالة اعتبارية إلى أخرى كالعزوبة إلى الزوجية.

٧ ـ «زيادة إلى نقصان ونقصان إلى زيادة» كالتغيّر في الكم المتصل والكم المنفصل، مثل السمنة والضعف أو الكثرة والقلَّة.

هذا حسب ما في حاشية الوافي(١).

والأقرب أنَّ هذه الألفاظ توضيحية، ذُكرت كأمثلة لبيان زوال أصل الوجود أو التغيّر في الصفات.

[٣] **(لا تختلف عليه الصفات والأسماء):**

«اختلاف الصفات» فيما بقي الشيء ـ عرفاً ـ وتغيَّرت صفاته، ويمثّل له الإمام عليه السلام بمراحل التمر المختلفة.

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٧١. ـ بتصرف ـ

الْإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ تُرَاباً مَرَّةً، وَمَرَّةً لَحْماً وَدَماً، وَمَرَّةً رُفَاتاً وَرَمِيماً[٤]،

و«اختلاف الأسماء» مع زوال حقيقة الشيء ـ عرفاً ـ وبقاء مادته مستحيلة من حال إلى حال، ويمثل له الإمام عليه السلام بمراحل الإنسان.

[٤] **(رفاتاً ورميماً):**

«الرفات» المتكسر من الأشياء اليابسة كفتات الطعام، وغلب إطلاقه في متكسر العظام، و«الرميم»: هو العظام البالي.

فذلكة: اشتهر متأخراً أنَّ بعض الأجساد لا تبلى كرامة من الله لأصحابها، وكثر نقل وجدان أجساد بعض الصلحاء سالمة لم ترم بعد مرور سنوات طوال على دفنهم.

ولكن خلو الروايات وكتب الأصحاب وتواريخهم من ذلك، يثير علامة استفهام على هذه النقول، وقد ذكر بعض العامة ذلك في كتبهم ونسبوه إلى بعض كبارهم، لكن ذلك مما يعلم بطلانه وكذبه.

ثم إنَّ رميم الأجساد ليس نقصاً كي ينزّه عنه الأتقياء الورعون، فإنَّ الجميع يمرّ بمراحل التراب والنطفة والصغر والهرم وغيرها من المراحل من غير أن يكون ذلك نقصاً، فكذلك لا نقص في أن يمرّ بمرحلة التحلل والرميم والرفات والتراب.

هذا، مع إمكان أن يكون الله تعالى قد أكرم بعض الصالحين بذلك، لكن خلّو الروايات وكتب الأصحاب المتقدمين منه، وذكر بعض العامة ذلك، ممَّا يثير الشُّبهة في ذلك، والله العالم بحقيقة الحال.

نعم، المقدار المتيقن هو أنَّ أجساد الأنبياء والأئمة عليهم السلام تُرفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام من دفنهم كما وردت بذلك صحاح الروايات، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من نبيّ ولا وصي نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتى يُرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنّما يُؤتى مواضع آثارهم، ويبلّغونهم من بعيد السلام، ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب»[١].

---

(١) البحار: ج١١، ص٦٧، والوافي: ج١٤، ص١٣٣٧ عن الكافي والفقيه والتهذيب.

وَكَالْبُسْرِ الَّذِي يَكُونُ مَرَّةً بَلَحاً، وَمَرَّةً بُسْراً، وَمَرَّةً رُطَباً، وَمَرَّةً تَمْراً[٥]، فَتَتَبَدَّلُ عَلَيْهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ مَيْمُونٍ الْبَانِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَقَدْ سُئِلَ عَنِ «الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ» فَقَالَ: الْأَوَّلُ لَا عَنْ أَوَّلٍ قَبْلَهُ[١]، وَلَا عَنْ بَدْءٍ سَبَقَهُ[٢]،

وفي رواية أخرى عن الصادق عليه السلام «لا تمكث جثة نبيّ ولا وصيّ نبيّ في الأرض أكثر من أربعين يوماً»(١).

قال في الوافي: ولا منافاة بين الخبرين، لأنّها إذا لم تبق أكثر من ثلاثة صدق أنها لم تبق أكثر من أربعين.

أقول: ولعلَّ الأصل هو الثلاثة، ولكن قد يتأخّر الرفع إلى أربعين يوماً لمصالح أخرى كما في رأس الحسين عليه السلام حيث أُلحق بالجسد الشريف في يوم الأربعين، فلعلّه بعد ذلك رُفع، لا قبله، فتأمّل.

[٥] **(ومرَّة تمراً):**

مراحل ثمرة النخل هي: «الطلع»: وهو أول ظهور الثمرة، ثم «الخِلال» إذا اخضرَّ واستدار، ثم «البَلَح» إذا كبر قليلاً، ثم «بُسر» إذا صار بحجمه الطبيعي قبل النضج، ثم «الرطب» إذا كمل نضجه، ثم «التمر» إذا جفّ الرطب ويبس، ثم «الحَشَف» إذا بُلي التمر فلم يعد صالحاً للأكل.

الحديث السادس:

[١] **(لا عن أول قبله):**

أي لم يسبقه شيء، فيكون ذلك الشيء علَّة له.

[٢] **(عن بدء سبقه):**

أي ليس مسبوقاً بالعدم، فالفقرة الأولى إشارة إلى أنَّه لم يسبقه وجود، وهذه

---

(١) الوافي: ج١٤، ص١٣٣٩ عن التهذيب.

وَالْآخِرُ لَا عَنْ نِهَايَةٍ كَمَا يُعْقَلُ مِنْ صِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ[٣]، وَلَكِنْ قَدِيمٌ أَوَّلٌ، آخِرٌ[٤]، لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ، بِلَا بَدْءٍ وَلَا نِهَايَةٍ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ الْحُدُوثُ[٥] وَلَا يَحُولُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ[٦]، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[٧].

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ

الفقرة إشارة إلى أنَّه لم يسبقه عدم، لأنَّ ابتداء الشيء معناه مسبوقيته بالعدم وحينئذٍ التعبير بـ(سبق الابتداء) مجازي.

[٣] **(كما يعقل في صفة المخلوقين):**

فإنَّ أهل الجنة وأهل النار وإن كانوا خالدين فيهما، ولكن تعقل فيهم النهاية، إذ من الممكن زوالهم وعدم خلودهم لولا مشيئة الله تعالى، والأبدية صفة ذاتية للباري تعالى لا يعقل عدم اتصافه بها.

[٤] **(أول آخر):**

في الوافي(١) «بدون عطف، إشارة إلى أنَّ أوليته عين آخريته، ليدلَّ على أنَّ كونه قديماً ليس بمعنى القدم الزماني... نسبته إلى الأزل كنسبته إلى الأبد» فتأمل.

[٥] **(لا يقع عليه الحدوث):**

تأكيد لمعنى «الأول».

[٦] **(من حال إلى حال):**

تأكيد لمعنى «الآخر».

[٧] **(خالق كل شيء):**

إشارة إلى أنَّ الأول والآخر صفتان خاصتان به، لأنَّ ما سواه مخلوق فليس بأول ولا بآخر ـ كما اتضح ممَّا سبق ـ.

الحديث السابع:

في الحديث موضوعان سأل عنهما سائل:

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٧٢.

أَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام فَسَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ أَسْمَاءٌ وَصِفَاتٌ[١] فِي كِتَابِهِ؟ وَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ هِيَ هُوَ[٢]؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنَّ لِهَذَا الْكَلَامِ وَجْهَيْنِ[٣] إِنْ كُنْتَ تَقُولُ: هِيَ هُوَ أَيْ إِنَّهُ ذُو عَدَدٍ وَكَثْرَةٍ[٤]

الأول: في تغاير الذات والأسماء.

الثاني: في معنى بعض الصفات.

الموضوع الأول

[١] **(أسماء وصفات)**:

«الأسماء»: ما دلَّ على الذات مع قطع النظر عن الصفات مثل «الله»، و«الصفات»: ما دلَّ على الذات متصفة بصفة مثل (العالم)، ويحتمل أن تكون «الأسماء» و«الصفات» بمعنى واحد، والواو عطف تفسير.

[٢] **(وصفاته هي هو)**:

أي هل أسمائه وصفاته عين ذاته؟

[٣] **(لهذا الكلام وجهين)**:

حاصل الكلام أنَّ مقصودك أحد أمرين:

الأول: أنَّ الأسماء عين ذاته تعالى، وهذا محال لاستلزامه تعدّد الآلهة، لأنَّ الأسماء متعدّدة فلو كانت عين المسمّى لتعدّد المسمّى بتعدّدها.

الثاني: أنَّ الأسماء كانت في الأزل:

فإن كان المراد: أنَّ الله كان عالماً بها قبل إيجادها، فهو حق، لأنَّ الله عالم بكل شيء قبل خلقه وعلمه من الأزل.

وإن كان المراد: أنَّ هذه الأسماء كانت موجودة خارجاً في الأزل بهجائها وحروفها، فهذا باطل لأنَّه يستلزم تعدّد القدماء ووجود شيء في الأزل غير الله تعالى.

[٤] **قوله: (إنَّه ذو عدد وكثرة)**:

أي إن كنت تقول بأنَّ الأسماء عين ذاته، فذلك يستلزم كثرة ذاته لتعدّد الأسماء.

فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ: هَذِهِ الصِّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَمْ تَزَلْ، فَإِنَّ «لَمْ تَزَلْ» مُحْتَمِلٌ مَعْنَيَيْنِ، فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ وَهُوَ مُسْتَحِقُّهَا[٥]، فَنَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ: لَمْ يَزَلْ تَصْوِيرُهَا وَهِجَاؤُهَا وَتَقْطِيعُ حُرُوفِهَا[٦] فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، بَلْ كَانَ اللَّهُ وَلَا خَلْقَ، ثُمَّ خَلَقَهَا وَسِيلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ[٧]

---

[٥] **قوله: (في علمه وهو مستحقها):**

«كونها في علمه» بمعنى أنَّه كان ـ ومن الأزل ـ عالماً بأنَّه سيخلق هذه الأسماء، و«استحقاقه لها» بمعنى أنَّ من حقه إطلاق تلك الأسماء عليه، لأنَّه الكمال المطلق، وكل لفظ يعبِّر بشكل صحيح عن ذلك الكمال فهو من حقه تعالى، وأما كون هذا الاستحقاق من الأزل، فلأنَّ منشأ هذا الحق هو نفس ذاته تعالى فاستحقاقه أزلي، لكن وجود هذه الأسماء متأخر، خلقها الله تعالى لحاجة الخلق إليها.

[٦] **قوله: (وتقطيع حروفها):**

«التصوير»: وجودها الكتبي، و«الهجاء»: وجودها اللفظي، و«تقطيع الحروف» تفسير للهجاء، لأنَّ الهجاء هو تقطيع الحروف كما حكاه المرآة عن القاموس(١).

ويحتمل أن يكون التصوير في الذهن، والهجاء باللفظ، والتقطيع بالكتابة، فتأمل.

[٧] **(وسيلة بينه وبين خلقه):**

لأنَّ الحكمة اقتضت أن يتقرب الناس إلى الله تعالى، ولعدم استطاعة الناس من التقرب بشكل مباشر ـ عادة ـ، جعل الله تعالى لهم الوسائل التي تقرّبهم إليه، فمنها هذه الأسماء يدعون الله تعالى بها، ومنها الأعمال الصالحة، ومنها الأنبياء والأوصياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾(٣).

---

(١) المرآة: ج٢ ص٤٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٧.

يَتَضَرَّعُونَ بِهَا إِلَيْهِ وَيَعْبُدُونَهُ[٨]، وَهِيَ ذِكْرُهُ[٩]، وَكَانَ اللَّهُ وَلَا ذِكْرَ، وَالْمَذْكُورُ بِالذِّكْرِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ[١٠]. وَالْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ مَخْلُوقَاتٌ وَالْمَعَانِي[١١]، وَالْمَعْنِيُّ بِهَا هُوَ اللَّهُ، الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ الِاخْتِلَافُ وَلَا

---

[٨] **(يتضرعون بها إليه ويعبدونه):**

«التضرع»: التذلل والاستكانة، و«العبادة» هي الخضوع مع تأليه، فليس كل خضوع عبادة، وإنَّما خضوع مع الاعتقاد بالألوهية.

[٩] **(وهي ذكره):**

أي يذكر بها الله تعالى، فلا ينساه الإنسان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾(٢).

[١٠] **(الذي لم يزل):**

أي إنَّ الأسماء لذكره، والمذكور هو ذاته تعالى الأزلية، فالذكر حادث والمذكور قديم.

[١١] **(مخلوقات والمعاني):**

أي الأسماء مخلوقات، والصفات معاني تلك الأسماء، والمعنيّ بتلك الأسماء والصفات هي الذات الإلهية، وهذا من اللّف والنشر المرتب كما يقال «زيد وعمرو أبٌ وابن» أي زيد أب وعمرو ابن.

فيكون حاصل المعنى أنَّ الأسماء ـ التي هي ألفاظ ـ مخلوقات، والصفات معاني تلك الأسماء، والمقصود هي الذات الإلهيّة، مثلاً لفظ (العالِم) هو اسم له تعالى، ومعناه صفة لله تعالى، والمقصود بهذا اللفظ وهذا المعنى هي الذات الإلهية.

هذا أقرب الاحتمالات في إعراب هذه العبارة، وهناك احتمالات أخرى ذكرها العلامة المجلسي في المرآة(٣) فراجع.

---

(١) سورة الحديد: الآية ١٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ١٨.

(٣) المرآة: ج٢ ص٤٣ والفيض الكاشاني في الوافي: ج١ ص٤٧٤.

الِائْتِلَافُ[١٢]، وَإِنَّمَا يَخْتَلِفُ وَيَأْتَلِفُ الْمُتَجَزِّىءُ[١٣]، فَلَا يُقَالُ: اللَّهُ مُؤْتَلِفٌ، وَلَا اللَّهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ[١٤]، وَلَكِنَّهُ الْقَدِيمُ فِي ذَاتِهِ[١٥]، لِأَنَّ مَا سِوَى الْوَاحِدِ

---

[١٢] **(الاختلاف والائتلاف):**

فذات الله تعالى واحد حقيقي، فوحدته من كل الجهات، فلا يعقل أن يكون عين الأسماء وهي مختلفة متعدّدة، فلا هو متعدّد ولا هو مركّب من هذه الأسماء.

والحاصل إن قيل إنَّ كل اسم عينه فقد لزم تعدّده، وإن قيل إنَّ كل اسم جزئه لزم تركّبه، وكلاهما باطل.

[١٣] **(المتجزىء):**

أي الذي له أجزاء مختلفة يتركَّب منها.

[١٤] **(قليل ولا كثير):**

لأنَّ كل مركَّب تعقل فيه القلة والكثرة باعتبار الأجزاء، فكلما كانت الأجزاء أكثر كان اتصافه بالكثرة أشدّ، وكلما كانت الأجزاء أقلّ كان اتصافه بالقلة أوضح.

[١٥] **(ولكنَّه القديم في ذاته):**

هذا كالنتيجة لما قبله، أي كل متجزىء ليس واحداً حقيقياً، فيتوهم فيه القلة والكثرة، فلا يكون واجب الوجود، أما الواحد الحقيقي فهو ليس بمتجزىء ولا قابل لتوهُّم القلة والكثرة فيه فيكون قديماً.

وفي المرآة[١] «إنَّ الواحد لا يصحّ عليه الائتلاف والاختلاف، لأنَّ كل متجزىء أو متوهَّم بالقلة والكثرة مخلوق، ولا شيء من المخلوق بواحد حقيقي، لمغايرة: الوجود والماهية، والتحلل إلى: الماهية والتشخص، فلا شيء من الواحد بمتجزىء ولا شيء من المتجزىء بواحد».

---

(١) المرآة: ج١ ص٤٣.

مُتَجَزِّئٍ، وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا مُتَجَزِّئٌ. وَلَا مُتَوَهَّمٌ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ، وَكُلُّ مُتَجَزِّئٍ أَوْ مُتَوَهَّمٍ بِالْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ[١٦] دَالٌّ عَلَى خَالِقٍ لَهُ[١٧]. فَقَوْلُكَ: إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ[١٨]، خَبَّرْتَ أَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، فَنَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْعَجْزَ وَجَعَلْتَ الْعَجْزَ سِوَاهُ[١٩]؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُكَ: عَالِمٌ إِنَّمَا نَفَيْتَ بِالْكَلِمَةِ الْجَهْلَ وَجَعَلْتَ الْجَهْلَ

---

[١٦] **(فهو مخلوق):**

أما «المتجزىء» فهو مركَّب يحتاج إلى أجزائه، والمحتاج لا يكون واجب الوجود، لأنَّ معنى واجب الوجود بالذات هو أن يكون تحققه ووجوده بذاته لا بغيره، والكل يغاير الجزء ـ لصحّة السلب فيقال الجزء ليس بكلٍّ ـ.

أما احتياج المركب إلى أجزائه فهو واضح، لتوقف وجود الكل على وجود الأجزاء.

وفي كفاية الموحدين عدّة أدلة على استحالة التركّب عليه تعالى فراجع(١).

وأما «المتوهم بالقلة والكثرة» فهو قابل للحد، وكلّ ما يقبل الحد لا يكون خالقاً، للنقص والعجز الظاهر فيه ـ وقد مرّ سابقاً أيضاً تفصيل ذلك ـ.

[١٧] **(دال على خالقه):**

لأنَّ كل شيء يدلُّ على صانع له، كما قال الشاعر:

فـي كـل شـيء لـه آيـة ... تـدلُّ عـلـى أنَّـه واحـد

[١٨] **(فقولك إنَّ الله قدير):**

بيان لمغايرة الأسماء له تعالى، ولعلَّ المراد أنَّ تلك الأسماء والصفات أخبار، والخبر يتوقف على المخبر، فإذا أفنى الله جميع الأشياء فلا لفظ ولا كتابة ولا صورة.

[١٩] **(وجعلت العجز سواه):**

يُستفاد من هذه الجملة من قوله عليه السلام في العلم «نفيت بالكلمة الجهل»، أن تعقلّنا للصفات الثبوتية لا يمكن إلّا عبر إرجاعها إلى الصفات السلبية،

---

(١) كفاية الموحدين: ج١ ص٣٣٥ ـ ص٣٤٢.

سِوَاهُ، وَإِذَا أَفْنَى اللَّهُ الْأَشْيَاءَ[٢٠] أَفْنَى الصُّورَةَ وَالْهِجَاءَ وَالتَّقْطِيعَ، وَلَا يَزَالُ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَالِماً[٢١].

وذلك لأنَّا لا يمكن أن نتعقل كنه ذاته، وحيث إنَّ صفات الذات هي عين ذاته، فلا يمكن معرفة تلك الصفات، والمقدار الممكن تعقله هو سلب النقص عنه، فالقادر نتعقل منه: عدم العاجز، والعالم: غير الجاهل، وهكذا.

والحاصل أنَّ اتصاف المخلوقات بالصفات مشوبة بأنواع العجز والنقص، والله تعالى متَّصف بالصفات خالياً عن جهات النقص والعجز.

وفي المرآة[١]: «وأيضاً ليس علمنا من ذاتنا، لعجزنا، وعلمنا حادث لحدوثنا، وليس علمنا محيطاً بحقائق ما نسمعه كما هي، لقصورنا عن الإحاطة، وكل هذه النقائص شابت ذلك الكمال، فلذا أثبتنا له سبحانه ما هو الكمال وهو أصل العلم، ونفينا عنه جميع تلك الجهات التي هي سمات النقص والعجز، ولما كان علمه سبحانه غير متصوّر لنا بالكنه ورأينا الجهل فينا نقصاً، فنفيناه عنه، فكأنَّا لم نتصوَّر من علمه تعالى إلَّا عدم الجهل، فإثباتنا العلم له تعالى إنَّما يرجع إلى نفي الجهل لأنَّا لم نتصوَّر علمه تعالى إلَّا بهذا الوجه» انتهى.

[٢٠] **قوله: (وإذا أفنى الله الأشياء):**

هذا نتيجة الاستدلال، وحاصله: أنَّك تخبر أنَّه قادر عالم، فإذا أفنى الله الأشياء فنيت الألفاظ والكتابات والمفاهيم، وحينئذٍ لا يوجد اسم، وتبقى ذات الله تعالى كما هي من غير تغيّر كما كان من الأزل، فقد زال الاسم وبقيت الذات، وهذا دليل على تغاير الذات والاسم، وأنَّ الاسم مخلوق، له مبدأ ومنتهى، والذات لا بداية ولا نهاية لها.

[٢١] **قوله: (من لم يزل عالماً):**

أي إنَّ الذات بأوصافها الذاتية ـ التي هي عين الذات ـ باقية ويفنى كل شيء حتى الاسم.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٤٥.

فَقَالَ الرَّجُلُ: فَكَيْفَ سَمَّيْنَا رَبَّنَا سَمِيعاً[٢٢]؟ فَقَالَ: لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يُدْرَكُ بِالْأَسْمَاعِ[٢٣]، وَلَمْ نَصِفْهُ بِالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ فِي الرَّأْسِ[٢٤]، وَكَذَلِكَ سَمَّيْنَاهُ بَصِيراً لِأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا يُدْرَكُ بِالْأَبْصَارِ[٢٥]، مِنْ لَوْنٍ أَوْ شَخْصٍ أَوْ غَيْرِ

وليس اتصافه بتلك الصفات متوقف على التكلّم بها، أو كتابتها، أو تعقّل مفهومها، فسواء كانت تلك الأسماء أم لم تكن فإنَّ ذاته متصفة بصفات الكمال من الأزل وإلى الأبد.

وفي هذا الحديث دلالة على أنَّ الأشياء كلها يعدمها الله تعالى قبل يوم القيامة ثم يُرجعها إلى الوجود مرَّة أخرى، وقد مرَّت الإشارة إليه سابقاً.

الموضوع الثاني: معنى بعض الصفات

معنى السميع

[٢٢] **(فكيف سمّينا ربنا سميعاً)**:

لما ذكر الإمام عليه السلام معنى القدير والعالم ليستدلّ على تغاير الذات والاسم، سأل السائل عن معنى صفات أخرى أيضاً.

[٢٣] **(ما يُدرك بالأسماع)**:

يعني أنَّ السمع فيه تعالى هو العلم بالمسموعات، وليس كالسمع فينا.

[٢٤] **(المعقول في الرأس)**:

أي السمع الذي نتعقله وهو ما يكون في الرأس وعبر الأذن، أو «المعقول» بمعنى المحبوس، فالمعنى السمع الذي يكون عبر الرأس لا عن طريق غيره من الأعضاء.

[٢٥] **(ما يُدرك بالأبصار)**:

فرجع البصير إلى العالم بالمبصرات، فنحن ندرك المبصرات بالعين والمسموعات بالأذن، والله تعالى عالم بها جميعاً، وعلمه فوق إدراكنا فلا نعلم كيفيته.

ذَلِكَ[٢٦]، وَلَمْ نَصِفْهُ بِبَصَرِ لَحْظَةِ الْعَيْنِ[٢٧]، وَكَذَلِكَ سَمَّيْنَاهُ لَطِيفاً[٢٨] لِعِلْمِهِ بِالشَّيْءِ اللَّطِيفِ[٢٩] مِثْلِ الْبَعُوضَةِ وَأَخْفَى مِنْ ذَلِكَ، وَمَوْضِعِ النُّشُوءِ

---

[٢٦] **(لون أو شخص أو غير ذلك):**

لعلَّ المراد أنَّ ما يُدرك بالعين قد يكون عرضاً كاللون، وقد يكون جوهراً كالشخص، وقد تكون مفاهيم ومعاني كإدراك الحالات النفسية لمن نراه، مثلاً ندرك أنَّه خائف أم آمن ونحو ذلك فنحن ندرك أنَّ نظرة زيد هي نظرة يأس أم رجاء أم شهوة أم رحمة، وفي واقعة الطف رووا «فنظر إليه نظر آيس»، وقال سبحانه: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾(١) أي بهجتها فإذا نظرت إلى وجوههم ترى فيها آثار النعمة.

[٢٧] **(لحظة العين):**

اللحاظ هو النظر بالتفات، فقد يرى الإنسان الأشياء من غير التفات إليها، وقد يلتفت إليها.

معنى اللطيف

[٢٨] **(سميناه لطيفاً):**

«اللطف» قد يكون بمعنى الصغر وقد يكون بمعنى البِرّ.

ومعنى اللَّطيف في الله تعالى هو علمه بالأشياء الصغيرة وأيضاً بِرّه بعباده، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾(٢)، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾(٣)، وفي هذا الحديث تفسيره حسب المعنى الأول، وفي أحاديث آتية حسب المعنى الثاني أيضاً.

[٢٩] **(لعلمه بالشيء اللطيف):**

كما يُقال فلان دقيق، بمعنى العالم بالمطلب الدقيق.

---

(١) سورة المطففين: الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الشورى: الآية ١٩.

مِنْهَا[٣٠]، وَالْعَقْلِ وَالشَّهْوَةِ لِلسَّفَادِ[٣١] وَالْحَدَبِ عَلَى نَسْلِهَا[٣٢]، وَإِقَامِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ[٣٣]، وَنَقْلِهَا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ إِلَى أَوْلَادِهَا فِي الْجِبَالِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْأَوْدِيَةِ وَالْقِفَارِ[٣٤]، فَعَلِمْنَا أَنَّ خَالِقَهَا لَطِيفٌ[٣٥] بِلَا

---

[٣٠] **(موضع النشوء منها):**

النشوء بمعنى النماء، فكل عضو ينمو بالمقدار الطبيعي له فلا يخرج عن التناسب في الجسم.

[٣١] **(والعقل والشهوة للسفاد):**

لعلَّ المراد بالعقل هنا الروح، أو الغريزة، أو أنَّ للحيوانات شيئاً من العقل لكن لا بمقدار يوجب التكليف. وهذه الكلمة وما بعدها عطف على (النشوء)، أي موضع العقل والشهوة والحدب... الخ.

«السفا»د: النزو، أي شهوة الاقتران بين الذكر والأنثى.

[٣٢] **(الحدب على نسلها):**

«الحَدَب» بالتحريك: العطف والشفقة.

[٣٣] **(إقام بعضها على بعض):**

«الإقام» أصله: الإقامة، حُذفت التاء منه ـ تخفيفاً ـ، ومعناه: القيام بالأمور وحفظ الأحوال.

[٣٤] **(...الأودية والقفار):**

«المفاوز» جمع مفازة: وهي الصحراء الواسعة الكبيرة، وسُمِّيت بذلك لتفاؤل النجاة في عبورها، لكثرة الموت في الصحارى بالعطش أو الضياع.

«القفار» جمع قَفْر، وهي الصحراء لا ماء فيها ولا نبات، وبين المفازة والقفر عموم من وجه.

«الأودية» جمع وادي، وهي المنحدرات الواقعة في وسط الجبال.

[٣٥] **(خالقها لطيف):**

أي عالم بالأشياء الصغيرة، لأنَّ العلم بالشيء يتقدَّم على صنعه، فلا يعقل صنع شيء بدقة متناهية من غير علم به.

كَيْفٍ[٣٦]، وَإِنَّمَا الْكَيْفِيَّةُ لِلْمَخْلُوقِ الْمُكَيَّفِ؛ وَكَذَلِكَ سَمَّيْنَا رَبَّنَا قَوِيّاً[٣٧] لَا بِقُوَّةِ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ[٣٨]، وَلَوْ كَانَتْ قُوَّتُهُ قُوَّةَ الْبَطْشِ الْمَعْرُوفِ مِنَ الْمَخْلُوقِ لَوَقَعَ التَّشْبِيهُ[٣٩] ....

---

[٣٦] (بلا كيف . . .):

جملة معترضة، أي ليس علمُهُ كيفيةً نفسانيةً، لأنَّ الكيفيات النفسانية صفات المخلوقين ـ حيث توجب التغيّر في الذات ـ.

أو بمعنى أنَّه ليس لعلمه كيفية معلومة لنا.

معنى القوي

[٣٧] (سمّينا ربنا قوياً):

القوة فيه تعالى بمعنى عدم عجزه عن شيء ونفوذ قدرته في كل شيء، فيتمكن من إيجاد ما ليس بموجود ومن التصرف في الأشياء كما يشاء، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

[٣٨] (بقوة البطش المعروف من المخلوق):

«البطش» هو الأخذ بشدَّة، وبطش المخلوق يكون بأعضائه أو بالآلات، فهو يحتاج إليها لكي ينتقم ويأخذ بشدَّة قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾(٢) أي فلما أراد أن يضربه أو يقتله بيده أو رجله.

وأما بطش الله تعالى فهو انتقامه من المجرمين العصاة من غير احتياج إلى آلة أو شيء آخر قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾(٣).

[٣٩] (لوقع التشبيه):

استدل الإمام عليه السلام بأمرين لإثبات أنَّ معنى القوة فيه تعالى ليست بمعنى البطش المعروف بين المخلوقين.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢١.

(٢) سورة القصص: الآية ١٩.

(٣) سورة البروج: الآية ١٢.

وَلَاحْتَمَلَ الزِّيَادَةَ[٤٠]، وَمَا احْتَمَلَ الزِّيَادَةَ احْتَمَلَ النُّقْصَانَ[٤١]، وَمَا كَانَ نَاقِصاً كَانَ غَيْرَ قَدِيمٍ[٤٢]، ....

الأول: أنَّه لو كان بذاك المعنى لزم التشبيه بين الخالق والمخلوق، حيث إنَّ المخلوق يبطش بالأعضاء والآلات، ولو كان بطشه تعالى بهذا المعنى استلزم التشبيه بتركّبه واحتياجه، تعالى الله عن ذلك.

[٤٠] **(لاحتمل الزيادة):**

هذا الدليل الثاني، وحاصله:

أنَّ البطش بالأعضاء والآلات يحتمل الزيادة والنقصان، فكلَّما كانت الأعضاء أقوى والآلات أكثر كان البطش أشدّ، وكلما كانت أضعف وأقلّ كان البطش أخف.

وكل موصوف بما هو قابل للزيادة والنقصان، يكون ناقصاً بالنسبة إلى المرتبة الأعلى، فمهما أوتي من قوة تكون تلك القوة ناقصة بالنسبة إلى ما هو الأقوى منها، وما كان ناقصاً بالنسبة إلى غيره لا يكون قديماً واجب الوجوب لذاته.

[٤١] **(احتمل النقصان):**

أي أمكن النقصان في حقه، والناقص محتاج، ولا يعقل احتياج واجب الوجوب القديم.

[٤٢] **(ما كان ناقصاً كان غير قديم):**

قد مرّ سابقاً أنَّه لا يعقل وجود الأشياء بالصدفة، لسخافة القول بوجود العالم بالصدفة، إذن لا بدَّ من وجود قديم، وهذا القديم لا علَّة له،وكون الشيء قديماً يقتضي بأن لا يكون محتاجاً أصلاً، لأنَّ الاحتياج يقتضي من يرفع ذلك الاحتياج، ولا يعقل أن يكون رافع ذلك الاحتياج مخلوق لهذا القديم لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه فلا محيص من القول بعدم احتياج هذا القديم.

وكل ما كان ناقصاً كان محتاجاً إلى الغير لرفع النقص، فلا يكون قديماً.

وَمَا كَانَ غَيْرَ قَدِيمٍ كَانَ عَاجِزاً[٤٣]؛ فَرَبُّنَا تَبَارَكَ[٤٤] وَتَعَالَى لَا شِبْهَ لَهُ[٤٥] وَلَا ضِدَّ وَلَا نِدَّ[٤٦] ....

وحتى الماديين الجُدُد لعلمهم بسخافة القول بوجود العالم صدفة اضطروا إلى القول بقدم المادة، لكن القول بقدم المادة يصطدم بتغيُّرها والتغيُّر لا يجتمع مع القدم ـ كما مرّ ـ، وأيضاً يصطدم بالنظم الحاكم على كل ذرَّات العالم.

فتحصل أنَّ ذلك القديم هو الخالق الجامع لكلّ الكمالات غير المحتاج إلى شيء ـ فراجع البحوث السابقة في إثبات الخالق تعالى في أول كتاب التوحيد ـ.

[٤٣] **(كان عاجزاً):**

لاحتياجه إلى الصانع، وإلى رفع حوائجه ونقائصه ـ التي تلازم الممكن ـ.

[٤٤] **(فربنا تبارك...):**

هذا المقطع في آخر الحديث، كأنَّه الخاتمة والنهاية للبحث بين الإمام عليه السلام وبين ذلك السائل، ولعلَّ المجلس كان مطولاً وأبو هاشم الجعفري نقل بعضاً منه.

[٤٥] **(لا شبه له):**

لأنَّ كل الأشياء ممكنات، والممكن لا يشبه القديم في أي شيء، وبعبارة أخرى: شبيه الممكن ممكن أيضاً.

[٤٦] **(ولا ضد ولا ند):**

«الضد» العدو من الشركاء، و«الند» المماثل من الشركاء، فليس لله تعالى شريك يعاديه ولا شريك يماثله، وفي المرآة[١] «لا ضد له: لأنَّ الشيء لا يضاد علّته... ولا ندّ له: لأنَّ المثل المقاوم لا يكون معلولاً...»الخ، وما ذكرناه أقرب.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٤٧.

وَلَا كَيْفَ[٤٧] وَلَا نِهَايَةَ[٤٨] وَلَا تَبْصَارَ بَصَرٍ[٤٩]؛ وَمُحَرَّمٌ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ تُمَثِّلَهُ[٥٠]، وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ[٥١]، وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُكَوِّنَهُ[٥٢]، جَلَّ وَعَزَّ

---

[٤٧] **(ولا كيف)**:

لأنَّ الكيفيات النفسانية صفة المخلوق المحتاج، وهو تعالى كامل في ذاته.

[٤٨] **(ولا نهاية له)**:

لأنَّ ما كان في القدم استحال عليه التغيّر والزوال ـ كما مرّ ـ.

[٤٩] **(ولا تبصار بصر)**:

«التبصار» مصدر على وزن تفعال، والمعنى لا رؤية بالعين، لأنَّ الرؤية فرع الجسمية، وهو منزّه عنها ـ كما مرّ ـ.

[٥٠] **(أنَّ تمثله)**:

أي محرم على العقول أن تتصوره إذ لا يمكن التصوّر إلَّا عبر تشبيهه بالغير بجعل مثال له كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[١].

[٥١] **(والأوهام أن تحدّه)**:

«الأوهام» بمعنى القوى الباطنية كلّها، أو هي باستثناء العقل، وذلك لأنَّ كلّ ما في الوهم محدود.

[٥٢] **(وعلى الضمائر أن تكوّنه)**:

«الضمائر» الأذهان، أي محرّم على الأذهان أن تصنعه، لأنَّ كلّ موجود بالوجود الذهني إنَّما هو مصنوع لذهن الإنسان.

وحاصل هذه المقاطع الثلاث هو امتناع حصوله تعالى في العقول والأوهام، لأنَّ ما يكون كذلك إنَّما هو مصنوع لذهن الإنسان، والله سبحانه يتعالى عن ذلك.

---

(١) سورة مريم: الآية ١٧.

عَنْ أَدَاةِ خَلْقِهِ[٥٣]، وَسِمَاتِ بَرِيَّتِهِ[٥٤]، وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَهُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ[١]؟ فَقَالَ: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: حَدَّدْتَهُ[٢]، فَقَالَ

---

[٥٣] (عن أداة خلقه):

«الأداة» بمعنى الآلة أي الوسيلة التي يستفيد منها الخلق، ويُراد بها هنا الأذهان، أي هو أجلّ وأعز من أن ينال بأذهان المخلوقات، وهذا كالدليل للعبارات السابقة.

[٥٤] (سمات بريته):

«سمات» جمع سمة بمعنى العلامة، و«البرية» بمعنى الخليقة، والمعنى ليس له تعالى صفات المخلوقات حتى يمكن تصوّره في الأذهان.

والحاصل أنَّه تعالى لا يمكن تصويره في العقول، ولا تحديده في الأوهام، ولا تكوينه في الأذهان، لأنَّه تعالى أجلّ وأعزّ من أن ينال بالأذهان ومن أن يتَّصف بصفات المخلوقين.

الحديث الثامن:

[١] (الله أكبر من أي شيء؟):

هذا الاستعلام مقدمة لبيان المعنى الصحيح في «الله أكبر»، حيث إنَّ عامة الناس يتصورون أنَّه أكبر من سائر الأشياء، بمعنى اتِّصافه بالزيادة في الكِبَر والأشياء بالقلة فيه.

[٢] (حددته):

لأنَّ (المُفَضَّل)، و(المُفَضَّل عليه) مشتركان في أصل الصفة، فمثل (زيد أحسن من عمرو) معناه اشتراكهما في أصل الحسن مع تفضيل زيد على عمرو.

ولا يعقل اشتراكه تعالى مع خلقه في صفة من الصفات وزيادة تلك الصفة فيه!

الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ قَالَ: قُلْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ[٣].

٩ ـ وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مَرْوَكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ جُمَيْعِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَيُّ شَيْءٍ اللَّهُ أَكْبَرُ، فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: وَكَانَ ثَمَّ شَيْءٌ فَيَكُونُ أَكْبَرَ مِنْهُ[١]؟ فَقُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ.

لأنَّ صفات المخلوقين صفات محدودة، والمتّصف بصفات الخلق محدود بحدودهم وهو في مرتبتهم وشبيه لهم، والله سبحانه متعال عن ذلك.

[٣] **(أكبر من أن يوصف)**:
أي أجلّ من أن يوصف بصفات المخلوقين، بل صفاته تخالف صفاتهم، ولا يمكن لهم أن يصفوه، وقد مرّ أنَّ صفاته تعالى استعملت فيه باعتبار لوازمها، لعدم إمكان إدراكنا كُنْهَ صفاته تعالى، فالمقدار المعقول لنا من إدراك قدرته تعالى هو نفي العجز عنه تعالى، ومن علمه سبحانه هو نفي الجهل، وهكذا هنا في «الله أكبر» استعمل (أكبر) لنفي اتِّصافه بصفات المخلوقين.
ويمكن أن يستدلّ بهذا الحديث وبالذي بعده على توقيفية أسمائه تعالى.

الحديث التاسع:

[١] **(وكان ثم شيء فيكون أكبر منه؟)**:
استفهام إنكاري، أي لا وجه للمقايسة بينه وبين غيره، إذ لا يوجد في مرتبته شيء، بل كل الأشياء مخلوقات له تعالى فهي كالعدم أمام عظمته وجلاله فكيف تُقاس الأشياء به.
ويمكن أن يكون المعنى أنَّ الله تعالى كان «أكبر» من الأزل حيث لم يكن مخلوق أصلاً حتى يُقاس به، فمنذ الأزل هو أكبر من صفات المخلوقين فتأمل.

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ سُبْحَانَ اللَّهِ[١] فَقَالَ: أَنَفَةٌ لِلَّهِ[٢].

١١ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ مَوْلَى طِرْبَالٍ[١]، عَنْ هِشَامِ الْجَوَالِيقِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «سُبْحَانَ اللَّهِ» مَا يُعْنَى بِهِ؟ قَالَ: تَنْزِيهُهُ[٢].

الحديث العاشر:

[١] (سبحان الله):

«سبحان» مفعول مُطلق منصوب بفعل مقدّر، أي أُسبّحه سبحاناً، فلّما حذف الفعل أضيف سبحان إلى الله، ومادة (س ب ح) بمعنى التنزيه والطهارة.

[٢] (أنفة الله):

«الأنفة»: الاستنكاف والكراهة عن شي، والمعنى هنا: هو تنزّه الله تعالى عن الشريك وصفات المخلوقين وكل نقص.

الحديث الحادي عشر:

[١] (طربال):

«طربال» الخيمة من خوص النخل، وتصغيره (طريبيل)، وقيل غير ذلك.

[٢] (تنزيهه):

وباستقراء موارد استعمال «سبحان الله» في القرآن الكريم نجد أنَّها استُعملت في موارد متعدّدة، ومنها: .

١ ـ في تنزيهه عمَّا نسبوا لله تعالى من الشريك، كقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

٢ ـ وعن الولد، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾(٢).

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٦.

(٢) سورة يونس: الآية ١٨.

١٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، جَمِيعاً، عَنْ أَبِي هَاشِمٍ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ الثَّانِيَ عليه السلام: مَا مَعْنَى الْوَاحِدِ؟ فَقَالَ: إِجْمَاعُ الْأَلْسُنِ[١] عَلَيْهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ[٢] كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ

٣ ـ عن النقص، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾(١) وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾(٢) فلا يظلم ولا يخلف وعده.
٤ ـ وكذلك في تنزيهه عن صفات المخلوقين كقوله تعالى: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٣) حتى لا يتوهّم أحد أنَّ الله كان في النار وحولها بل الذي كان مشارفاً للنار ـ فكأنَّه فيها ـ موسى عليه السلام، والذي حولها هم الملائكة وليس الله، لأنّه تعالى المنزَّه عن المكان.
٥ ـ وكذلك حين المعاجز ينزّه الله تعالى عن قدرة تقابل قدرته، بل تلك الأمور ترجع إلى قدرته وإرادته، وكقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾(٤) فلا يمكن للرسول صلى الله عليه وآله أن يأتي بالمعجزة من نفسه بل الأمر كلّه يرجع إلى الله تعالى.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(إجماع الألسن):**
أي فطرة جميع الخلق على وحدانيته تعالى، فإنَّ الإنسان إذا رجع إلى نفسه وبعّدها عن الهوى والمصالح فإنّه يجد التوحيد فيها.

[٢] **(بالوحدانية):**
أي المتفرد في الخالقية.
والحاصل أنَّ الواحد فيه ليس بمعنى الواحد العددي الذي يقابله اثنان وثلاثة

(١) سورة القلم: الآية ٢٩.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٠٨.
(٣) سورة النمل: الآية ٨.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٩٣.

لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ[٣]﴾ [الزخرف: ٨٧].

وهكذا، بل بمعنى ما لا ثاني له فهو المتفرد في الألوهية والخالقية.

[٣] (ليقولنَّ الله):

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي سألت المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لأنَّهم يعلمون أنَّ ما سواه من الأصنام ونحوها ليست خالقاً ﴿فَأَنَّىٰ﴾ إلى أين ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون من عبادة الله تعالى.

والفطرة تُظْهِرُ نفسها في الأزمات، حينما ينقطع الإنسان عن الأسباب الظاهرية، فيلتجىء حينئذٍ إلى الله الواحد القهار.

وفي الوافي[١]: روي أنَّ زنديقاً دخل على الصادق عليه السلام فسأله عن الدليل على إثبات الصانع، فأعرض عليه السلام عنه، ثم التفت إليه وسأله: من أين أقبلت وما قصتك؟ فقال الزنديق: إنِّي كنت مسافراً في البحر، فعصفت علينا الريح، وتقلَّبت بنا الأمواج، فانكسرت سفينتنا، فتعلَّقت بساجة منها، ولم يزل الموج يقلبها حتى قذفت بي إلى الساحل، فنجوت عليها، فقال عليه السلام: أرأيت الذي كان قلبك إذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم الأمواج فزعاً عليه مخلصاً له في التضرُّع طالباً منه النجاة فهو إلهك، فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢].

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٧٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦٧.

بَابٌ آخَرُ وَهُوَ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ زِيَادَةً وَهُوَ: الْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْمَعَانِي الَّتِي تَحْتَ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَأَسْمَاءِ الْمَخْلُوقِينَ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ الْهَمْدَانِيِّ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ، جَمِيعاً، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَهُوَ اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْوَاحِدُ، الْأَحَدُ، الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ[١]، لَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ الْمُشَبِّهَةُ لَمْ يُعْرَفِ الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ[٢]، وَلَا

الحديث الأول:

[١] (كفواً أحد):

قد مرّ معنى هذه الأسماء ولا بأس بالإشارة إليها:

«اللطيف»: العالم بالأشياء الدقيقة، وأيضاً البار بعباده، «الخبير»: العالم بالتفاصيل، «السميع»: العالم بالمسموعات، «البصير»: العالم بالمبصرات، «الواحد»: المتفرّد بالألوهية ولا ثاني له، «الأحد»: لا جزء له، «الصمد»: السيد المقصود إليه، الغنى، «ولم يكن له كفواً أحد» أي ليس له مثيل.

[٢] (الخالق من المخلوق):

لأنَّ المشبّهة أجروا صفات المخلوق على الله تعالى.

ولو كانت للخالق صفات المخلوق، فما الذي جعله خالقاً ورجَّحه على المخلوقات؟ ولماذا لم تكن المخلوقات قديمة مثله ما دامت تتَّصف بصفاته؟ وكيف يمكن إبطال ألوهية الأرباب البشرية كفرعون وأضرابه؟

الْمُنْشِيءُ مِنَ الْمُنْشَإِ[٣]، لَكِنَّهُ الْمُنْشِيءُ[٤]، فَرْقٌ[٥] بَيْنَ مَنْ جَسَّمَهُ وَصَوَّرَهُ وَأَنْشَأَهُ[٦]، إِذْ كَانَ لَا يُشْبِهُهُ[٧] شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُ هُوَ شَيْئاً. قُلْتُ: أَجَلْ[٨] جَعَلَنِيَ

---

[٣] **(ولا المنشيء من المُنشإ):**

«الإنشاء»: الإيجاد، و«التنشئة»: التربية، وهذا المقطع: إمّا تأكيد لقوله: (الخالق من المخلوق)، وإمّا الخلق بمعنى التقدير والإنشاء بمعنى الإيجاد، وإمّا الخلق والإنشاء من التنشئة بمعنى التربية كقوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾(١)، وإمّا الخلق للإيجاد والإنشاء لإعادة الحياة كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾(٢).

[٤] **(لكنه المنشيء):**

أي لكن الله هو الخالق، وهو الذي أنشأ الأجسام والصور، وليس هو جسماً ولا صورة، لأنّه لا يشبه الأشياء.

[٥] **(فرق بين من...):**

«فَرْق» اسم بمعنى التفاوت والافتراق، فالمعنى: لكن الله هو الخالق، إذن هنالك فرق بينه وبين المخلوقات التي جسّمها وصوّرها.

[٦] **(وأنشأه):**

«أنشأه» تأكيد لقوله: «جسَّمه وصوره» أو المراد أحد الاحتمالات السابقة التي ذكرناها في قوله (المنشيء من المنشأ).

[٧] **(إذ كان لا يشبهه...):**

تعليل للفرق، أي سبب فرقه عن المخلوقات: هو عدم شباهته لهم ولا شباهتهم له، وذلك لاستحالة اتّصاف القديم بصفات الحادثات.

[٨] **(قلت أجل):**

«أجل» بمعنى (نعم)، إلّا أنَّ الأحسن استعمال «نعم» في التصديق، و«أجل» في الاستفهام.

---

(١) سورة الزخرف: ١٨.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.

اللَّهُ فِدَاكَ، لَكِنَّكَ قُلْتَ: الْأَحَدُ الصَّمَدُ[٩]، وَقُلْتَ: لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ[١٠]، وَاللَّهُ وَاحِدٌ وَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ، أَلَيْسَ قَدْ تَشَابَهَتِ الْوَحْدَانِيَّةُ؟ قَالَ: يَا فَتْحُ، أَحَلْتَ[١١] ـ ثَبَّتَكَ اللَّهُ ـ إِنَّمَا التَّشْبِيهُ فِي الْمَعَانِي[١٢]، فَأَمَّا فِي الْأَسْمَاءِ فَهِيَ وَاحِدَةٌ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى الْمُسَمَّى[١٣]، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَإِنْ قِيلَ وَاحِدٌ فَإِنَّهُ يُخْبَرُ أَنَّهُ[١٤] جُثَّةٌ

---

[٩] **(قلت الأحد الصمد):**
السؤال عن (الواحد)، والراوي أو السائل ذكر مقطعاً من كلام الإمام عليه السلام لبيان موضع السؤال في كلامه عليه السلام حيث قال عليه السلام: (... البصير الواحد الأحد الصمد...).

[١٠] **(وقلت لا يشبهه شيء):**
أي كيف نجمع بين قولك (الواحد) وبين قولك (لا يشبهه شيء)، والحال أنَّه يصحُّ أن يقال «الله واحد» و«الإنسان واحد».

[١١] **(أحلت):**
أي ذكرت شيئاً محالاً، حيث يستحيل التشابه في الوحدانية.

[١٢] **(إنَّما التشبيه في المعاني):**
أي التشبيه الباطل الممنوع هو توهّم شبه ذاته تعالى مع المخلوقات.
وأما الألفاظ فإنَّها لا توجب شبه شيء بشيء، فقد يكون اللفظ مشترك لفظي بين شيئين، أو يستعمل في لغتين لمعنيين، ومجرد الاشتراك أو الاستعمال لا يُوجب شبهاً بين الشيئين أو المعنيين.

[١٣] **(وهي دالة على المسمّى):**
فالأسماء ليست عين المسميات، وإنَّما وضعت للدلالة على المعنى، ومجرد الدلالة لا توجب شبهاً.

[١٤] **(فإنه يخبر أنَّه...):**
أي الوحدة في الإنسان تختلف عن الوحدة في الله تعالى من جهتين:
الأولى: أنَّ الإنسان واحد عددي، والله واحد بمعنى ما لا ثاني له.

وَاحِدَةٌ وَلَيس بِاثْنَيْنِ[١٥]، وَالْإِنْسَانُ نَفْسُهُ[١٦] لَيْسَ بِوَاحِدٍ، لِأَنَّ أَعْضَاءَهُ مُخْتَلِفَةٌ وَأَلْوَانَهُ مُخْتَلِفَةٌ، وَمَنْ أَلْوَانُهُ مُخْتَلِفَةٌ غَيْرُ وَاحِدٍ[١٧]، وَهُوَ أَجْزَاءٌ مُجَزَّاةٌ[١٨] لَيْسَتْ بِسَوَاءٍ، دَمُهُ غَيْرُ لَحْمِهِ، وَلَحْمُهُ غَيْرُ دَمِهِ، وَعَصَبُهُ غَيْرُ عُرُوقِهِ، وَشَعْرُهُ غَيْرُ بَشَرِهِ، وَسَوَادُهُ غَيْرُ بَيَاضِهِ، وَكَذلِكَ سَائِرُ جَمِيعِ الْخَلْقِ[١٩]، فَالْإِنْسَانُ وَاحِدٌ فِي الِاسْمِ وَلَا وَاحِدٌ فِي الْمَعْنَى، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ وَاحِدٌ لَا وَاحِدَ غَيْرُهُ، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا تَفَاوُتَ[٢٠] وَلَا زِيَادَةَ

الثاني: أنَّ الإنسان مركَّب من أجزاء مختلفة فهو واحد شخصي، والله تعالى ليس بمركَّب فهو واحد حقيقي.

[١٥] **(وليس باثنين)**:

فهو واحد عددي، أي واحد يقابله واحد آخر، فيُقال: واحد اثنان ثلاثة وهكذا، والله ليس واحد عددي بل الوحدة فيه بمعنى لا ثاني له.

[١٦] **(والإنسان نفسه)**:

إشارة إلى الجهة الثانية من الافتراق.

[١٧] **(ومن ألوانه مختلفة غير واحد)**:

لأنَّ كل لون عرض، ولا يعقل قبول الشيء الواحد الحقيقي لعرضين متضادين، لاستلزامه اجتماع الضدين.

[١٨] **(وهو أجزاء مجزأة)**:

فالجوهر متعدّد فيه، كما كان العرض متعدّداً فيه.

[١٩] **(سائر جميع الخلق)**:

أي سائر أجزاء وأعراض جميع المخلوقات، فإنَّها جواهر شتى وأعراض شتى.

[٢٠] **(لا اختلاف فيه ولا تفاوت)**:

لعلَّ «الاختلاف» في الأجزاء، و«التفاوت» في الأعراض كالألوان.

وَلَا نُقْصَانَ[٢١]، فَأَمَّا الْإِنْسَانُ[٢٢] الْمَخْلُوقُ الْمَصْنُوعُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ أَجْزَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَجَوَاهِرَ شَتَّى، غَيْرَ أَنَّهُ[٢٣] بِالِاجْتِمَاعِ شَيْءٌ وَاحِدٌ. قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَرَّجْتَ عَنِّي فَرَّجَ اللَّهُ عَنْكَ، فَقَوْلَكَ: اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فَسِّرْهُ لِي كَمَا فَسَّرْتَ الْوَاحِدَ، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لُطْفَهُ عَلَى خِلَافِ لُطْفِ خَلْقِهِ، لِلْفَصْلِ[٢٤]، غَيْرَ أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَشْرَحَ ذَلِكَ لِي. فَقَالَ: يَا فَتْحُ، إِنَّمَا قُلْنَا اللَّطِيفُ، لِلْخَلْقِ اللَّطِيفِ[٢٥]، وَلِعِلْمِهِ بِالشَّيْءِ اللَّطِيفِ[٢٦]، أَوَ لَا تَرَى ـ وَفَّقَكَ اللَّهُ وَثَبَّتَكَ ـ

---

[٢١] **(لا زيادة ولا نقصان):**
لأنَّ الزيادة والنقصان بسبب اتساع الجسم أو عدم اتِّساعه، وذلك يكون بكثرة الأجزاء أو قلَّتها.

[٢٢] **(فأما الإنسان):**
خبره محذوف لكونه معلوماً ممَّا سبق، أي والله جلَّ جلاله هو واحد...الخ، وأما الإنسان فليس كذلك، فهو غير واحد، وفيه الاختلاف والتفاوت والزيادة والنقصان.

[٢٣] **(غير أنَّه...):**
أي أما الإنسان فليس بواحد لكن وحدته باجتماع الأجزاء المختلفة.

[٢٤] **(على خلاف لطف خلقه للفصل):**
لعلَّ المراد: للتفصيل الذي ذكرته لي، أي بهذا البيان علمت أنَّ معاني أسمائه تختلف عن معاني أسماء المخلوقين.

[٢٥] **(للخلق اللطيف):**
أي سُمِّي لطيفاً لأنَّه خلق الشيء الصغير الدقيق، فإنَّ اللطيف هو الشيء الصغير الدقيق، ثم استعمل فيما هو السبب، وقوله عليه السلام «الخلق» مصدر.

[٢٦] **(ولعلمه...):**
«ولعلمه» تعليل ثانٍ، أي هو لطيف لجهتين: لخلقه الأشياء الصغيرة الدقيقة، ولأجل علمه بها.

إِلَى أَثَرِ صُنْعِهِ فِي النَّبَاتِ اللَّطِيفِ وَغَيْرِ اللَّطِيفِ، وَمِنَ الْخَلْقِ اللَّطِيفِ[٢٧] وَمِنَ الْحَيَوَانِ الصِّغَارِ، وَمِنَ الْبَعُوضِ وَالْجِرْجِسِ[٢٨]، وَمَا هُوَ أَصْغَرُ مِنْهَا مَا لَا يَكَادُ تَسْتَبِينُهُ الْعُيُونُ، بَلْ لَا يَكَادُ يُسْتَبَانُ لِصِغَرِهِ الذَّكَرُ مِنَ الْأُنْثَى، وَالْحَدِثُ الْمَوْلُودُ[٢٩] مِنَ الْقَدِيمِ، فَلَمَّا رَأَيْنَا صِغَرَ ذَلِكَ فِي لُطْفِهِ[٣٠]، وَاهْتِدَاءَهُ لِلسَّفَادِ[٣١]، وَالْهَرَبَ مِنَ الْمَوْتِ، وَالْجَمْعَ لِمَا يُصْلِحُهُ، وَمَا فِي

وفي بعض النسخ بغير واو، فيكون تعليلاً واحداً، أي سُمِّي لطيفاً لأنَّه خلق الشيء اللطيف حيث لا يمكن ذلك الخلق إلَّا بالعلم به.

فالعالم بالشيء اللطيف سُمِّي لطيفاً، كما يقال (فلان دقيق) أي عالم بالشيء الدقيق.

[٢٧] **(ومن الخلق اللطيف):**

لعلَّ معنى الجملة هو: ألا ترى الآثار اللطيفة ـ في النباتات الصغيرة والكبيرة ـ وكذلك أصل خلق النباتات اللطيفة، فقوله (أثر صنعه) إشارة إلى التفاصيل الجزئية الصغيرة في عامة النباتات ـ صغيرها وكبيرها ـ وقوله (ومن الخلق اللطيف) إشارة إلى أصل خلق النباتات الصغيرة.

[٢٨] **(الجرجس):**

بكسر الجيمين، البعوض الصغار، فهو من عطف الخاص على العام.

[٢٩] **(الحدث المولود):**

«الحدث» بفتح الحاء وكسر الدال، بمعنى الوليد الجديد.

[٣٠] **(في لطفه):**

لعلَّ المراد باللطف هنا الدقة والتناسب في خلقه، أي رأينا صغره مع تناسب أعضائه.

[٣١] **(للسفاد):**

أي اقتران الذكر بالأنثى ـ كما مرّ ـ.

لُجَجِ الْبِحَارِ[٣٢]، وَمَا فِي لِحَاءِ الْأَشْجَارِ[٣٣] وَالْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ[٣٤]، وَإِفْهَامَ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ مَنْطِقَهَا، وَمَا يَفْهَمُ بِهِ أَوْلَادُهَا عَنْهَا، وَنَقْلَهَا الْغِذَاءَ إِلَيْهَا، ثُمَّ تَأْلِيفَ أَلْوَانِهَا حُمْرَةٍ مَعَ صُفْرَةٍ، وَبَيَاضٍ مَعَ حُمْرَةٍ، وَأَنَّهُ مَا لَا تَكَادُ عُيُونُنَا تَسْتَبِينُهُ لِدَمَامَةِ خَلْقِهَا[٣٥]، لَا تَرَاهُ عُيُونُنَا، وَلَا تَلْمِسُهُ أَيْدِينَا، عَلِمْنَا أَنَّ

---

[٣٢] **(وما في لجج البحار):**

عطف على «ذلك» في قوله (فلما صغر ذلك)، والمعنى فلما رأينا صغر البعوض ونحوه ممَّا يعيش في محيط الإنسان ورأينا سائر الحيوانات الصغيرة التي لا تعيش في محيط الإنسان بل تعيش في البحار أو الأشجار أو الصحارى. . . الخ.

وفي بعض النسخ كما في الوافي(١): (والجمع لما يصلحه ممَّا في اللجج. . .) الخ، فيكون «ممَّا» بيان لما يصلحه، أي الجمع لما يصلحه سواء كان في اللجج أو اللحاء أو المفاوز أو القفار.

«لجج» جمع لجَّة، وهي الماء الغامر العميق كقوله تعالى: ﴿حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَاۚ﴾(٢) أي ظنته ماءً غامراً فرفعت ثوبها كي لا يبتل، وكقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾(٣) أي عميق.

[٣٣] **(لحاء الأشجار):**

«اللحاء» قشر الشجر.

[٣٤] **(المفاوز والقفار):**

«المفازة» الصحراء الواسعة، و«القفر» الصحراء التي لا ماء ولا نبات فيها ـ كما مرّ ـ.

[٣٥] **(لدمامة خلقها):**

«الدمامة»: الحقارة، ويقال «دميم» لقصير القامة وكذلك لقبيح الوجه.

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٨٤.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٤.

(٣) سورة النور: الآية ٤٠.

خَالِقَ[٣٦] هَذَا الْخَلْقِ لَطِيفٌ، لَطُفَ بِخَلْقِ مَا سَمَّيْنَاهُ، بِلَا عِلَاجٍ وَلَا أَدَاةٍ وَلَا آلَةٍ[٣٧]، وَأَنَّ كُلَّ صَانِعِ شَيْءٍ[٣٨] فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ، وَاللَّهُ الْخَالِقُ اللَّطِيفُ الْجَلِيلُ خَلَقَ وَصَنَعَ لَا مِنْ شَيْءٍ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ مُرْسَلاً عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قَالَ: اعْلَمْ ـ عَلَّمَكَ اللَّهُ الْخَيْرَ ـ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدِيمٌ[١]، وَالْقِدَمُ صِفَتُهُ الَّتِي دَلَّتِ

---

[٣٦] **(علمنا أنَّ خالق. . .):**

«علمنا» جزاء قوله عليه السلام «لما رأينا صغر ذلك في لطفه. . .» الخ.

[٣٧] **(بلا علاج ولا أداة ولا آلة):**

إنَّما ذكر الإمام عليه السلام هذا الكلام حتى لا يتوهَّم أنَّ اللطف بهذا المعنى يُطلق على المخلوق أيضاً فيقال فلان صانع لطيف، فما الفرق؟

والجواب هو أنَّ صنع الله تعالى يختلف عن صنع المخلوق من جهتين:

الأولى: أنَّه تعالى يصنع بلا علاج ولا أداة ولا آلة، و«العلاج» هو مزاولة الشيء بالأعضاء، و«الأداة» الوسيلة التي يتوصَّل بها الإنسان إلى مقصوده من غير أن تكون مصنوعة لذلك المقصود كالرمي بالحجر، و«الآلة» الوسيلة المصنوعة للتوصّل إلى غرض كالرمي بالقوس، وقد يُستعمل أحدهما مكان الآخر.

[٣٨] **(وأنَّ كل صانع شيء):**

هذه الجهة الثانية في اختلاف صنعه تعالى عن صنع المخلوق، وهي أنَّ صنع المخلوق إنَّما هو بتغيير الصورة فقط، أما الله تعالى فإنَّ صنعه هو إيجاد المادة بعد أن كانت معدومة.

الحديث الثاني:

[١] **(تبارك وتعالى قديم):**

القديم ما لا علَّة له وكان وجوده ضرورياً، ويصطلح عليه في الكلام بواجب الوجود، وقد مرّ أنَّ الالتزام باصطلاح الأئمة عليهم السلام خير من استعمال اصطلاح غيرهم.

الْعَاقِلَ[٢] عَلَى أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فِي دَيْمُومِيَّتِهِ[٣]، فَقَدْ بَانَ لَنَا[٤] بِإِقْرَارِ الْعَامَّةِ[٥] مُعْجِزَةَ الصِّفَةِ[٦] أَنَّهُ لَا شَيْءَ قَبْلَ اللَّهِ وَلَا شَيْءَ مَعَ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ، وَبَطَلَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَهُ أَوْ كَانَ مَعَهُ شَيْءٌ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ

---

[٢] **(التي دلت العاقل):**

أي أرشدت من استعمل عقله على أنَّ لا قديم سواه تعالى ولا شيء يسبقه.

وذلك لأنَّه لو سبقه شيء لم يكن هو قديماً، فيكون مخلوقاً لاستحالة وجود الشيء من العدم بلا علَّة، ويكون ذلك الشيء هو القديم.

ولو كان شيء معه من الأزل، تعدّد القدماء ـ إذ لا يمكن أن يكون المخلوق قديماً لأنَّ المخلوق مسبوق بالعدم، والقديم غير مسبوق بالعدم ـ، وتعدّد القدماء محال، كما مرّ في برهان الفرجة وغيره.

[٣] **(في ديمومته):**

أي في أزليَّته.

[٤] **(فقد بان. . .):**

أي بإقرار عامة العقلاء أنَّ المخلوقات ليست قديمة، ظهر لنا أنَّ القدم صفة منحصرة في الله تعالى. وقوله: (أنّه لا شيء. . .) فاعل «بان».

[٥] **(بإقرار العامة):**

«الإقرار» إما بمعنى: الإثبات فـ«معجزة» مفعول له، وإما بمعنى الاعتراف فـ«معجزة» منصوب بنزع الخافض فالمعنى اعترافهم بمعجزة الصفة.

[٦] **(معجزة الصفة):**

أي الصفة المعجزة، ـ من إضافة الصفة إلى الموصوف ـ، لأنَّ الخلق عاجزون عن الاتصاف بصفة القدم.

وفي تركيب الكلمة احتمالات أخرى فراجع المرآة(١).

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام «مع معجزة الصفة».

---

(١) المرآة: ج٢ ص٥٤. والوافي: ج٢ ص٤٨٧.

مَعَهُ شَيْءٌ فِي بَقَائِهِ لَمْ يَجُزْ[٧] أَنْ يَكُونَ خَالِقاً لَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ، فَكَيْفَ يَكُونُ خَالِقاً لِمَنْ لَمْ يَزَلْ مَعَهُ. وَلَوْ كَانَ قَبْلَهُ شَيْءٌ[٨] كَانَ الْأَوَّلَ ذَلِكَ الشَّيْءُ لَا هَذَا، وَكَانَ الْأَوَّلُ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ خَالِقاً لِلْأَوَّلِ[٩]. ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَسْمَاءٍ[١٠]، دَعَا الْخَلْقَ ـ إِذْ خَلَقَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ وَابْتَلَاهُمْ[١١] ـ إِلَى أَنْ

---

[٧] **(في بقائه لم يجز):**

أي لو كان معه في الأزل شيء، كان ذلك الشيء غير مخلوق ـ إذ لا يعقل أن يكون القديم مخلوقاً ـ فاستلزم تعدُّد القدماء وهو محال ـ كما أشرنا إليه ـ.

[٨] **(ولو كان قبله شيء):**

أي لو كان قبله شيء، لم يكن هو قديماً، لأنَّه يكون مسبوقاً بالعدم.

[٩] **(خالقاً للأول):**

لعلَّ المعنى: وكان الأوَّل أولى بأن يكون خالقاً وذلك لكونه أوَّل، فقوله (للأوَّل) تعليل لأولويته في الخلق.

وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام (للثاني)، فالمعنى لو كان الخالق مسبوقاً بشيء كان ذلك الشيء أولى بأن يكون خالقاً لهذا الخالق الذي هو ثاني ـ أي متأخر في الوجود ـ.

[١٠] **(ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء):**

شروع لبيان أنَّ أسمائه ليست قديمة بل هي مخلوقة، وأنَّ معاني تلك الأسماء تختلف عن معاني أسماء المخلوقات.

[١١] **(خلقهم وتعبدهم وابتلاهم):**

أي الخلق يحتاجون إلى دعائه أو يجب عليهم دعاؤه لثلاثة أمور:

١ ـ أنَّه خلقهم، فوجب عليهم عقلاً دعاؤه، لأنَّ شكر المنعم واجب، وأصل النِّعم هي خلقهم.

٢ ـ أنَّه أمرهم بدعائه، فوجبت عليهم إطاعته.

يَدْعُوهُ[١٢] بِهَا، فَسَمَّى نَفْسَهُ سَمِيعاً، بَصِيراً، قَادِراً، قَائِماً، نَاطِقاً، ظَاهِراً، بَاطِناً، لَطِيفاً، خَبِيراً، قَوِيّاً، عَزِيزاً، حَكِيماً، عَلِيماً، وَمَا أَشْبَهَ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ أَسْمَائِهِ الْقَالُونَ[١٣] الْمُكَذِّبُونَ، وَقَدْ سَمِعُونَا نُحَدِّثُ عَنِ اللَّهِ: أَنَّهُ لَا شَيْءَ مِثْلُهُ وَلَا شَيْءَ مِنَ الْخَلْقِ فِي حَالِهِ، قَالُوا: أَخْبِرُونَا ـ إِذَا زَعَمْتُمْ أَنَّهُ لَا مِثْلَ لِلَّهِ وَلَا شِبْهَ لَهُ ـ كَيْفَ شَارَكْتُمُوهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَتَسَمَّيْتُمْ بِجَمِيعِهَا[١٤]؟ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّكُمْ مِثْلُهُ فِي حَالَاتِهِ كُلِّهَا أَوْ فِي بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ، إِذْ جَمَعْتُمُ الْأَسْمَاءَ الطَّيِّبَةَ؟.

---

٣ ـ أنَّه ابتلاهم بالنوائب، فاحتاجوا إلى دعائه، ليكشف عنهم المصائب.
قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾(٣).

[١٢] **(إلى أن يدعوه...):**
«إلى» متعلِّق بقوله «دعا الخلق» وقوله «إذ خلقهم وتعبّدهم وابتلاهم» جملة معترضة.

[١٣] **(القالون):**
أي المبغضون، من «قلى» إذا أبغض، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ﴾(٤).

[١٤] **(فتسمّيتم بجميعها):**
تعبيرهم بالجميع للتهويل، أو معنى (بجميعها) بأكثرها، لأنَّ بعض أسمائه خاصة لا يجوز التسمية بها لغيره كالرحمن والخالق، ولكن أكثرها يجوز إطلاقها على المخلوقات، كالرحيم والرؤوف والمحسن والملك...الخ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.
(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.
(٣) سورة النمل: الآية ٦٢.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٦٨.

قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَلْزَمَ الْعِبَادَ أَسْمَاءً مِنْ أَسْمَائِهِ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَعَانِي[١٥]، وَذَلِكَ كَمَا يَجْمَعُ الِاسْمُ الْوَاحِدُ مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ[١٦]. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ النَّاسِ الْجَائِزُ عِنْدَهُمُ الشَّائِعُ، وَهُوَ الَّذِي خَاطَبَ اللَّهُ بِهِ الْخَلْقَ[١٧] فَكَلَّمَهُمْ بِمَا يَعْقِلُونَ، لِيَكُونَ عَلَيْهِمْ حُجَّةً[١٨] فِي تَضْيِيعِ مَا ضَيَّعُوا.

---

[١٥] **(على اختلاف المعاني)**:

أي مجرد إطلاق الأسماء لا يوجب تشبيهاً، فإنَّ التشبيه في المعاني لا في الألفاظ.

[١٦] **(معنيين مختلفين)**:

سواء في الاشتراك اللفظي، أو في الحقيقة والمجاز، أو في الأسامي المنقولة أو المرتجلة، حيث لفظ واحد استعمل لمعنيين مختلفين، وذلك لا يوجب شباهة بينهما.

[١٧] **(وهو الذي خاطب الله به الخلق)**:

أي إنَّ هذا القول الجائز الشائع عند الناس، قد استعمله الله تعالى في كلامه أيضاً، أو المُراد أعمّ أي إنَّ الله خاطب الناس بلغتهم واصطلاحاتهم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١).

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾(٢)، وقوله سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾(٣).

[١٨] **(ليكون عليهم حجة)**:

إذ لو لم يفهموا كلامه، لاحتجُّوا بعدم فهمهم، فأراد الله تعالى أن تكون له الحجَّة البالغة، فخاطبهم بما يفهمونه، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(٥).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٥.

(٤) سورة الشعراء: الآية ١٩٥.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

فَقَدْ يُقَالُ لِلرَّجُلِ: كَلْبٌ وَحِمَارٌ وَثَوْرٌ وَسُكَّرَةٌ وَعَلْقَمَةٌ[١٩] وَأَسَدٌ، كُلُّ ذَلِكَ عَلَى خِلَافِهِ وَحَالَاتِهِ[٢٠]، لَمْ تَقَعِ الْأَسَامِي عَلَى مَعَانِيهَا الَّتِي كَانَتْ بُنِيَتْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِأَسَدٍ وَلَا كَلْبٍ، فَافْهَمْ ذَلِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعِلْمِ[٢١] بِغَيْرِ عِلْمٍ حَادِثٍ عَلِمَ بِهِ الْأَشْيَاءَ[٢٢]،

---

[١٩] **(علقمة):**

«العلقم» شجر مُرٌّ، ويطلق على الحنظل، وعلى كل شيء مُرٍّ.

[٢٠] **(على خلافه وحالاته):**

أي كلّ هذه الأسامي على خلاف الرجل، بل إطلاق هذه الأسامي لأجل حالات الرجل، فضمير (خلافه) يرجع إلى الرجل، وقوله (حالاته) عطف على (خلافه)، أي على خلافه وعلى حالاته، والمعنى: كل هذه الأسامي على خلاف الرجل، بل إطلاق هذه الأسامي لأجل حالات الرجل من الشجاعة والجهل وحسن الخلق. . . الخ.

الفرق بين علم الله وعلم المخلوقات

[٢١] **(سمّي الله تعالى بالعلم):**

أي وصف بالعلم.

فالفرق بين علمه تعالى وعلم الخلق، هو أنَّ علمهم حادث وعلمه قديم، ويحتاجون لعلمهم للاستعانة على أمورهم المقبلة، والله لا يحتاج إلى شيء بل العلم عين ذاته، وحينما يريدون أمراً يفكرون ليستحضروا علمهم أو ليطبقوه على الخارج، وليس الله كذلك، ولو نسي أو غفل المخلوق عن علمه صار جاهلاً والله تعالى لا يغفل ولا ينسى، وغير ذلك.

[٢٢] **(علم حادث):**

هذا الفرق الأول، وهو عدم حدوث علمه وحدوث علم المخلوقات.

اسْتَعَانَ بِهِ[٢٣] عَلَى حِفْظِ مَا يُسْتَقْبَلُ مِنْ أَمْرِهِ، وَالرَّوِيَّةِ[٢٤] فِيمَا يَخْلُقُ مِنْ خَلْقِهِ وَيُفْسِدُ مَا مَضَى[٢٥] مِمَّا أَفْنَى مِنْ خَلْقِهِ، مِمَّا لَوْ لَمْ يَحْضُرْهُ[٢٦] ذَلِكَ الْعِلْمُ وَيَغِيبُهُ[٢٧] كَانَ جَاهِلاً ضَعِيفاً، كَمَا أَنَّا لَوْ رَأَيْنَا عُلَمَاءَ الْخَلْقِ إِنَّمَا سُمُّوا بِالْعِلْمِ لِعِلْمٍ حَادِثٍ إِذْ كَانُوا فِيهِ جَهَلَةً، وَرُبَّمَا فَارَقَهُمُ الْعِلْمُ بِالْأَشْيَاءِ فَعَادُوا إِلَى

---

[٢٣] **(استعان به. . .):**

هذا الفرق الثاني، فهو لا يحتاج إلى شيء، والمخلوقات تحتاج إلى علمها.

[٢٤] **(والرويَّة. . .):**

هذا الفرق الثالث، و«الرويَّة» الفكر والتأمُّل، وفي نهج البلاغة: (بلا روية أجالها)(١) فإنَّ الإنسان إذا أراد شيئاً قلّب وجوه الرأي في ذهنه حتى يستقر على كيفية خاصة، والله سبحانه إنَّما يخلق بلا فكر ولا ترديد(٢)، و(الرويَّة) عطف على قوله (علم حادث) أي بغير علم حادث وبغير الرويَّة فيما يخلق.

[٢٥] **(ويفسد ما مضى):**

«يفسد» عطف على قوله: «فيما يخلق» أي بغير الرويَّة فيما يوجد وفيما يعدم، وحاصل المعنى أنَّه تعالى لا يفكّر في الإيجاد والإعدام، بل المخلوق هو الذي يفكر في أموره.

[٢٦] **(ممَّا لو لم يحضره):**

هذا الفرق الرابع، فالمخلوق لو نسي علمه أو غفل عنه فلم تحضر المعلومة في ذهنه كان جاهلاً حائراً، والله تعالى لا يغفل ولا ينسى.

[٢٧] **(ذلك العلم ويغيبه):**

«يغيبه» عطف على (لم يحضره)، أي لو يغيبه ذلك العلم كان جاهلاً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) توضيح نهج البلاغة: ج١ ص٢٠.

الْجَهْلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ اللَّهُ عَالِماً لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئاً[٢٨]، فَقَدْ جَمَعَ الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ اسْمُ الْعَالِمِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى عَلَى مَا رَأَيْتَ.

وَسُمِّيَ رَبُّنَا سَمِيعاً لَا بِخُرُتٍ[٢٩] فِيهِ يَسْمَعُ بِهِ الصَّوْتَ وَلَا يُبْصِرُ بِهِ، كَمَا أَنَّ خُرُتَنَا الَّذِي بِهِ نَسْمَعُ لَا نَقْوَى بِهِ عَلَى الْبَصَرِ، وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ[٣٠]، لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا سُمِّينَا نَحْنُ، فَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ بِالسَّمْعِ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

وَهَكَذَا الْبَصَرُ لَا بِخُرُتٍ مِنْهُ أَبْصَرَ، كَمَا أَنَّا نُبْصِرُ بِخُرُتٍ مِنَّا لَا نَنْتَفِعُ بِهِ فِي غَيْرِهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ لَا يَحْتَمِلُ شَخْصاً مَنْظُوراً إِلَيْهِ[٣١]، فَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

---

[٢٨] **(لأنَّه لا يجهل شيئاً):**
فالمقدار الممكن لنا فهمه من معنى علمه: أنَّه ليس بجاهل، ولا يمكننا معرفة كنه علمه لأنَّ علمه عين ذاته ويستحيل معرفة كنه ذاته تعالى.

معنى السميع والبصير

[٢٩] **(بخرت):**
«خرت» بضم الخاء والراء، وهو صماخ الأذن وثقب الإبرة ونحوها، ويجوز فتح الخاء.

[٣٠] **(لا يخفى عليه شيء من الأصوات):**
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(١)، فمعنى السميع هو العالم بالمسموعات.

[٣١] **(لا يحتمل شخصاً منظوراً إليه):**
أي ليس بصره بمعنى انعكاس صورة الشيء إليه، كما في إبصارنا للأشياء بل بصر الله تعالى هو العلم بالمبصرات.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥.

وَهُوَ قَائِمٌ[٣٢]، لَيْسَ عَلَى مَعْنَى انْتِصَابٍ وَقِيَامٍ عَلَى سَاقٍ فِي كَبَدٍ[٣٣]، كَمَا قَامَتِ الْأَشْيَاءُ، وَلَكِنْ قَائِمٌ[٣٤] يُخْبِرُ[٣٥] أَنَّهُ حَافِظٌ كَقَوْلِ الرَّجُلِ: الْقَائِمُ بِأَمْرِنَا

وفي المرآة[١] (فيدلُّ على أنَّ الإبصار بالانطباع لا بخروج الشعاع).
عكس ما كان يتصوَّر القدماء من أنَّ الرؤية تكون بخروج نور من البصر ووقوعه على الأشياء، وقد أثبت العلم الحديث أنَّ الإبصار هو إصابة النُّور للشيء وانعكاس ذلك النُّور ودخوله في العين.

معنى القائم

[٣٢] (وهو قائم):
قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٢]، فهو تعالى قائم بالعلم والتدبير على كلّ نفس.

[٣٣] (في كبد):
«الكَبَد»: المشقة، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[٣]، فالإنسان يكابد الأتعاب والصعوبات.

[٣٤] (ولكن قائم):
أي للقائم معاني أخرى هي مرادة في وصف الله تعالى، فالقائم بمعنى الحافظ والباقي والكافي، وهذه الأمور وإن كانت في الخلق أيضاً لكن اتِّصاف الله تعالى بها يختلف عن اتِّصافهم بها، لأنَّ اتِّصافه تعالى بها على الحقيقة واتِّصافهم بها على غير الحقيقة، نظير قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾[٤].

[٣٥] (يُخبر):
المقصود أنَّ معنى قائم كذا، فكأنَّ اللفظ يُخبر عن معناه.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٥٣.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٣.
(٣) سورة البلد: الآية ٤.
(٤) سورة الواقعة: الآيتان ٦٣ ـ ٦٤.

فُلَانٌ، وَاللَّهُ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَالْقَائِمُ أَيْضاً فِي كَلَامِ النَّاسِ: الْبَاقِي، وَالْقَائِمُ أَيْضاً يُخْبِرُ عَنِ الْكِفَايَةِ كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: قُمْ بِأَمْرِ بَنِي فُلَانٍ، أَيِ اكْفِهِمْ، وَالْقَائِمُ مِنَّا قَائِمٌ عَلَى سَاقٍ، فَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ وَلَمْ نَجْمَعِ الْمَعْنَى.

وَأَمَّا اللَّطِيفُ فَلَيْسَ عَلَى قِلَّةٍ وَقَضَافَةٍ[٣٦] وَصِغَرٍ، وَلَكِنْ ذَلِكَ عَلَى النَّفَاذِ فِي الْأَشْيَاءِ وَالِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُدْرَكَ[٣٧]، كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: لَطُفَ عَنِّي هَذَا الْأَمْرُ وَلَطُفَ فُلَانٌ فِي مَذْهَبِهِ. وَقَوْلِهِ يُخْبِرُكَ[٣٨] أَنَّهُ غَمَضَ فِيهِ الْعَقْلُ[٣٩]، وَفَاتَ

معنى اللطيف

[٣٦] **(قضافة):**

«القضافة»: النحافة.

[٣٧] **(الامتناع من أن يُدرك):**

أي اللُّطف فيه بمعنيين:

١ ـ نفاذ علمه وقدرته في الأشياء فلا تخفى عليه البواطن.

٢ ـ وأيضاً عدم تمكُّن المخلوقات من إدراكه تعالى. ـ هذا مضافاً إلى ما مرّ في الأحاديث السابقة من علمه بالشيء اللطيف، ومن بَرّه بمخلوقاته فصارت معاني اللطيف أربعة ـ.

[٣٨] **(وقوله يخبرك):**

«قوله» مبتدأ، و«يخبرك» خبر، أي معنى (لطف فلان في مذهبه)، هو أنَّ كلامه عميق بحيث لا نفهمه، فكأنَّ كلامه أخبرنا بعمقه.

[٣٩] **(غمض فيه العقل):**

«الغمض» بمعنى الخفاء، ومنه «غمّض عينه» إذا أغلقها و«كلام غامض» إذا لم يكن واضحاً.

الطَّلَبُ[٤٠]، وَعَادَ مُتَعَمِّقاً[٤١] مُتَلَطِّفاً لَا يُدْرِكُهُ الْوَهْمُ، فَكَذَلِكَ لَطُفَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُدْرَكَ بِحَدٍّ[٤٢]، أَوْ يُحَدَّ بِوَصْفٍ[٤٣]، وَاللَّطَافَةُ مِنَّا الصِّغَرُ وَالْقِلَّةُ، فَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

وَأَمَّا الْخَبِيرُ[٤٤]، فَالَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ[٤٥] وَلَا يَفُوتُهُ، لَيْسَ لِلتَّجْرِبَةِ

---

[٤٠] **(فات الطلب):**

أي ضاع طلبه وذهب سدى، فلم يكن ذلك الطلب مجدياً.

[٤١] **(وعاد متعمقاً):**

أي عاد ذلك القول عميقاً غير مدرك.

[٤٢] **(يُدرك بحدّ):**

إذ إدراكنا يكون للأشياء المحدودة، إمّا إدراك بالحواس كالرؤية، وإما إدراك بالقوى الباطنة التي تتوقف على تصوُّر الشيء، ولا يمكن تصوُّره إلَّا بجعل حدود له، والله يتعالى عن الحدّ.

[٤٣] **(أو يُحَدّ بوصف):**

فأوصافه تعالى لا تحدّه، لأنَّ صفات الذات هي عين ذاته لا فرق بينها وبينه، وأوصاف الفعل هي مخلوقات له، والمخلوق لا يحدّ الخالق.

معنى الخبير

[٤٤] **(أما الخبير):**

كقوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾(١) فهو عالم بالتفاصيل لا بالتجربة أو بكسب العلم، عكس سائر الخبراء فإنَّهم كانوا جاهلين واكتسبوا الخبرة بالتجربة أو بالتعلُّم.

[٤٥] **(لا يعزب عنه شيء):**

أي لا يغيب عنه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

وَلَا لِلِاعْتِبَارِ[٤٦] بِالْأَشْيَاءِ، فَعِنْدَ التَّجْرِبَةِ وَالِاعْتِبَارِ عِلْمَانِ وَلَوْلَاهُمَا مَا عُلِمَ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ جَاهِلاً، وَاللَّهُ لَمْ يَزَلْ خَبِيراً بِمَا يَخْلُقُ، وَالْخَبِيرُ مِنَ النَّاسِ الْمُسْتَخْبِرُ عَنْ جَهْلٍ، الْمُتَعَلِّمُ، فَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

وَأَمَّا الظَّاهِرُ[٤٧]، فَلَيْسَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَلَا الْأَشْيَاءَ بِرُكُوبٍ فَوْقَهَا وَقُعُودٍ عَلَيْهَا وَتَسَنُّمٍ لِذُرَاهَا[٤٨]، وَلَكِنْ ذَلِكَ لِقَهْرِهِ وَلِغَلَبَتِهِ الْأَشْيَاءَ وَقُدْرَتِهِ عَلَيْهَا، كَقَوْلِ الرَّجُلِ: ظَهَرْتُ عَلَى أَعْدَائِي وَأَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى خَصْمِي، يُخْبِرُ عَنِ الْفَلْجِ

وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)].

[٤٦] (للتجربة ولا للاعتبار):

«التجربة» مزاولة الشيء حتى حصول العلم والخبرة، و«الاعتبار» النظر والتفكُّر في الشيء حتى حصوله.

معنى الظاهر والباطن

[٤٧] (وأما الظاهر):

كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[(٢)]، فمعنى الظاهر فيه أمران:

١ ـ قدرته على الأشياء.

٢ ـ وعدم خفائه على أي أحد، لأنَّه يظهر لمن يريده، وآثار صنعه موجودة في كل مكان فتدلُّ عليه.

[٤٨] (تسنّم لذراها):

أي ارتفاع لأعلاها، «التسنم» الارتفاع من السنام وهو أعلى كل شيء، «الذرى» جمع ذروة وهي أيضاً أعلى الشيء.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

(٢) سورة الحديد: الآية ٣.

وَالْغَلَبَةِ[٤٩]، فَهَكَذَا ظُهُورُ اللَّهِ عَلَى الْأَشْيَاءِ. وَوَجْهٌ آخَرُ أَنَّهُ الظَّاهِرُ لِمَنْ أَرَادَهُ ـ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ[٥٠]، وَأَنَّهُ مُدَبِّرٌ لِكُلِّ مَا بَرَأَ[٥١] ـ فَأَيُّ ظَاهِرٍ أَظْهَرُ وَأَوْضَحُ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِأَنَّكَ لَا تَعْدَمُ صَنْعَتَهُ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَفِيكَ مِنْ

---

[٤٩] **(الفلج والغلبة):**

«الفلج»: الظفر، ومنه قولهم للمشلول «أُبتلي بالفالج» إما تفأّل لينجو من المرض، أو بمعنى غلبه المرض.

ومن الظهور بمعنى الغلبة قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾(١) وقوله: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾(٢).

[٥٠] **(ولا يخفى عليه شيء):**

في الوافي(٣) «لما كان سبحانه محيطاً بالأشياء وله ألمعيَّة مع كل شيء فعدم خفاء شيء عليه يستلزم ظهوره للأشياء، وكذا تدبيره لها يستلزم ظهوره لديهم».

أقول: ولعلَّ ذكره عليه السلام لهذه الجملة اتباع لما في القرآن الكريم، حيث يقول تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾(٤) فهو تعالى ظاهر بحيث يقرّ به كل إنسان فيجازيهم على أعمالهم لأنَّه شهيد عليهم ولا يخفى عليه شيء.

[٥١] **(لكل ما برأ):**

«برأ» بمعنى خَلَق وأعطاه الخصوصيات، وحيث إنَّه تعالى مدبّر لكل شيء فإنَّه لا يخفى على الأشياء، لأنَّ الأشياء ترتبط بمدبرها وتشعر به.

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨.

(٣) الوافي: ج١ ص٤٨٨.

(٤) سورة فصلت: الآية ٥٣.

آثَارِهِ مَا يُغْنِيكَ[٥٢]، وَالظَّاهِرُ مِنَّا الْبَارِزُ بِنَفْسِهِ وَالْمَعْلُومُ بِحَدِّهِ، فَقَدْ جَمَعَنَا الِاسْمُ وَلَمْ يَجْمَعْنَا الْمَعْنَى.

وَأَمَّا الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ عَلَى مَعْنَى الِاسْتِبْطَانِ لِلْأَشْيَاءِ بِأَنْ يَغُورَ فِيهَا[٥٣]، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى اسْتِبْطَانِهِ لِلْأَشْيَاءِ عِلْماً وَحِفْظاً وَتَدْبِيراً، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: أَبْطَنْتُهُ[٥٤] يَعْنِي خَبَّرْتُهُ وَعَلِمْتُ مَكْتُومَ سِرِّهِ، وَالْبَاطِنُ مِنَّا الْغَائِبُ فِي الشَّيْءِ الْمُسْتَتِرُ، وَقَدْ جَمَعْنَا الِاسْمَ وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى.

وَأَمَّا الْقَاهِرُ[٥٥]، فَلَيْسَ عَلَى مَعْنَى عِلَاجٍ وَنَصَبٍ وَاحْتِيَالٍ وَمُدَارَاةٍ وَمَكْرٍ[٥٦]، كَمَا يَقْهَرُ الْعِبَادُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَالْمَقْهُورُ مِنْهُمْ يَعُودُ قَاهِراً، وَالْقَاهِرُ

---

[٥٢] **(من آثاره ما يغنيك):**

فآثاره في الآفاق وفي الأنفس لا تعدُّ ولا تحصى.

[٥٣] **(بأن يغور فيها):**

«الغور» الدخول في الشيء، ومنه (ماء غائر) إذا نزل في الأرض فجفّت البئر ونحوها، و(الغار) الثقب في الجبل.

[٥٤] **(كقول القائل: أبطنته):**

و«أبطنت» بمعنى (بطنت) وهو من (بطنت الأمر) إذا عرفت باطنه.

معنى القاهر

[٥٥] **(وأما القاهر):**

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(١) أي يقهر عباده ويجبرهم كما يشاء، وفوقيته بالقدرة والغلبة، ولكن هذا القهر حسب الحكمة والخبرة لا اعتباطاً.

[٥٦] **(ومداراة ومكر):**

«العلاج» مزاولة الأشياء بالأعضاء، ومنه قولهم: (يعالج سكرات الموت) إذا

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٨.

يَعُودُ مَقْهُوراً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَا خَلَقَ مُلَبَّسٌ بِهِ الذُّلُّ لِفَاعِلِهِ[٥٧]، وَقِلَّةُ الامْتِنَاعِ لِمَا أَرَادَ بِهِ[٥٨]، لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ[٥٩] أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. وَالْقَاهِرُ مِنَّا عَلَى مَا ذَكَرْتُ وَوَصَفْتُ، فَقَدْ جَمَعْنَا الاِسْمَ

حرّك المحتضر يديه ورجليه.

و«النصب» بفتح النون والصاد: التعب كقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾(١)، وبضم النون وسكون الصاد: أيضاً بنفس المعنى كقوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾(٢).

و«الاحتيال» من الحيلة، بمعنى علاج الأمر سواء كان بحقٍّ أو باطل.

و«المداراة» هو المعالجة برفق.

و«المكر» هو العلاج الخفي.

والحاصل أنَّ غلبة الناس تكون بهذه الأمور، والله تعالى هو غالب وقاهر من غير احتياج إلى أي شيء، بل جميع المخلوقات أذلّاء أمامه، لا قدرة لهم أمام قدرته.

[٥٧] **(ملبس به الذلّ لفاعله):**

أي غلبته جميع الأشياء بالإيجاد والفاعلية، فالله تعالى أوجدها من غير اختيار منها، وهذه الجهة الأولى في قاهريته.

[٥٨] **(وقلة الامتناع لما أراد به):**

وهذه الجهة الثانية في قاهريته تعالى، فهو يتصرف في الأشياء كما يشاء، وهي لا تتمكن من الامتناع عمَّا أراد، والمراد من «القلَّة»: العدم.

[٥٩] **(لم يخرج منه طرفة عين):**

أي لم يخرج ما خلق من الذلّ والامتناع طرفة عين.

ولعلَّه يدلُّ على أنَّ الممكنات هالكة في حدِّ نفسها، فما دام الله تعالى يفيض عليها الوجود ويقول لها «كن» فهي متحقّقة، فإذا أمسك إفاضته عنها رجعت إلى هلاكها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٨.

(٢) سورة ص: الآية ٤١.

وَاخْتَلَفَ الْمَعْنَى؛ وَهَكَذَا جَمِيعُ الْأَسْمَاءِ، وَإِنْ كُنَّا لَمْ نَسْتَجْمِعْهَا كُلَّهَا، فَقَدْ يَكْتَفِي الِاعْتِبَارُ بِمَا أَلْقَيْنَا إِلَيْكَ وَاللَّهُ عَوْنُكَ وَعَوْنُنَا فِي إِرْشَادِنَا وَتَوْفِيقِنَا.

إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِۦٓ﴾[1]، كما أنَّ ضوء الشمس إذا زالت عن الشيء المستضيء بها عاد إلى ظلمته الأصلية، كذا في الوافي والمرآة[2].

---

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

(٢) الوافي: ج١ ص٤٨٩ والمرآة: ج٢ ص٦٠.

بَابُ تَأْوِيلِ الصَّمَدِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَلَقَبُهُ شَبَابُ الصَّيْرَفِيُّ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ الْقَاسِمِ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا الصَّمَدُ؟ قَالَ: السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ[١] فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ السَّرِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام، عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ[١] الَّتِي يُدْعَا بِهَا، وَتَعَالَى فِي عُلُوِّ كُنْهِهِ[٢] ـ وَاحِدٌ تَوَحَّدَ

الحديث الأول:

[١] **(المصمود إليه):**

أي المقصود في الحوائج كلها، ولازم ذلك أنّه الغني المطلق، لذا الكل يتوجّهون إليه.

الحديث الثاني:

[١] **(تباركت أسماءه):**

أي دام خيرها، من البركة بمعنى ثبوت الخير، كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(١) أي دام ذا خير كثير.

[٢] **(تعالى في علو كنهه):**

أي ارتفع عن مشابهة المخلوقين وذلك لعلوّ ذاته، و«في» تعليلية، وقوله

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

بِالتَّوْحِيدِ فِي تَوَحُّدِهِ[٣]، ثُمَّ أَجْرَاهُ عَلَى خَلْقِهِ[٤]، فَهُوَ وَاحِدٌ[٥]، صَمَدٌ، قُدُّوسٌ[٦]، يَعْبُدُهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَصْمُدُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً.

فَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ[٧] فِي تَأْوِيلِ الصَّمَدِ، لَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُشَبِّهَةُ

(تباركت... كنهه) جملتان معترضتان.

[٣] **(واحد توحّد بالتوحيد في توحّده):**

خبر «إنَّ الله».

أي كان من الأزل متفرداً بالتوحيد، فحيث لم يكن مخلوق كان الله تعالى واحداً أحداً لا واحد غيره.

فحاصل المعنى أنَّه تعالى تفرَّد بالتوحيد حيث كان في الأزل ولا شيء معه.

[٤] **(ثم أجراه على خلقه):**

أي: ثم لمَّا خلق الخلق عرَّفهم توحيده، وأمرهم بالاعتقاد به، فالخلق عرفوا توحيد الله بما أفاض عليهم من الفطرة والعلم.

[٥] **(فهو واحد...):**

هذا نتيجة توحّده في الأزل، إذ القديم ما كان واجب الوجوب، وحيث إنَّه لا علَّة له يلزم أن يكون جامعاً لكل الكمالات منزَّهاً عن كل النقائص، حتى لا يحتاج إلى غيره لأنَّ الاحتياج ينافي القدم ـ كما مرّ تفصيله ـ.

والحاصل أنَّ القديم واحد لاستحالة تعدّده، مقصود إليه في الحوائج لأنَّه الغني المطلق فهو صمد، منزّه عن كل نقص فهو قدّوس، ولازم ذلك لزوم عبادته، وسعة علمه وشموله لكل شيء.

[٦] **(قدُّوس):**

أي المنزّه من النقائص، وقَدُس بمعنى طهر، و«قدّس» ـ من باب التفعيل ـ أي ذكر طهارته، أو طهَّره.

كلام ثقة الإسلام الكليني

[٧] **(فهذا هو المعنى الصحيح...):**

هذا من كلام الكليني رضوان الله عليه، وفيه ردّ تفسير الصمد بما لا جوف

أَنَّ تَأْوِيلَ الصَّمَدِ: الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ صِفَةِ الْجِسْمِ، وَاللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ مُتَعَالٍ عَنْ ذَلِكَ، هُوَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ تَقَعَ الْأَوْهَامُ عَلَى صِفَتِهِ أَوْ تُدْرِكَ كُنْهَ عَظَمَتِهِ. وَلَوْ كَانَ تَأْوِيلُ الصَّمَدِ فِي صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُصْمَتَ، لَكَانَ مُخَالِفاً لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]**. لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ صِفَةِ الْأَجْسَامِ الْمُصْمَتَةِ الَّتِي لَا أَجْوَافَ لَهَا، مِثْلِ الْحَجَرِ وَالْحَدِيدِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْمُصْمَتَةِ الَّتِي لَا أَجْوَافَ لَهَا، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوّاً كَبِيراً.**

له، حيث إنّه مخالف لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١] فالروايات الواردة بهذا المعنى متعارضة مع القرآن فيلزم تأويلها!!

لأنَّ معنى الصمد لغة هو الشيء المتكوّن من عنصر واحد متراكم فلا يدخله شيء، كقطعة من الحديد ونحوها، ولذا عن بعض اللغويين «الصمد هو الأملس من الحجر لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء».

لكن قد مرّ سابقاً أنَّ معنى «ما لا جوف له» في الله تعالى يختلف عن معناه في المخلوقات، فلا تشبيه، كما مرّ قول الإمام الصادق عليه السلام (لأنَّ المخلوق أجوف معتمل مركب للأشياء فيه مدخل، وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه، لأنَّه واحد ـ واحديَّ الذات، واحديَّ المعنى ـ فرضاه ثوابه وسخطه عقابه، من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال، لأنَّ ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين)[٢].

ثم إنَّ هنالك أخباراً كثيرة في تفسير «الصمد» بما لا جوف له، نقل بعضها في الوافي[٣].

وقال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه[٤] (وقد روى الصدوق في التوحيد ومعاني الأخبار خبراً طويلاً مشتملاً على معاني كثيرة للصمد، وقد نقل

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) الكافي، باب الإرادة أنَّها صفة الفعل، الحديث السادس.

(٣) الوافي: ج١ ص٣٦٥ ـ ٣٦٨.

(٤) المرآة: ج٢ ص٦١.

فَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ ذَلِكَ فَالْعَالِمُ عليه السلام أَعْلَمُ بِمَا قَالَ[٨]، وَهَذَا الَّذِي قَالَ عليه السلام: إِنَّ الصَّمَدَ هُوَ السَّيِّدُ الْمَصْمُودُ إِلَيْهِ هُوَ مَعْنًى صَحِيحٌ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وَالْمَصْمُودُ إِلَيْهِ: الْمَقْصُودُ فِي اللُّغَةِ. قَالَ أَبُو طَالِبٍ فِي بَعْضِ مَا كَانَ يَمْدَحُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله مِنْ شِعْرِهِ:

وَبِالْجَمْرَةِ الْقُصْوَى إِذَا صَمَدُوا لَهَا   يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

يَعْنِي قَصَدُوا نَحْوَهَا يَرْمُونَهَا بِالْجَنَادِلِ، يَعْنِي الْحَصَى الصِّغَارَ الَّتِي تُسَمَّى بِالْجِمَارِ، وَقَالَ بَعْضُ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ شِعْراً:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ بَيْتاً ظَاهِراً   لِلَّهِ فِي أَكْنَافِ مَكَّةَ يُصْمَدُ

بعض المفسرين عن الصحابة والتابعين والأئمة اللغويين قريباً من عشرين معنى، ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول ـ يعني السيِّد المقصود إليه في الحوائج ـ لأنَّه لاشتماله على الوجوب الذاتي يدلُّ على جميع السلوب، ولدلالته على كونه مبدأ للكل يدلُّ على اتِّصافه بجميع الصفات الكمالية، وبه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى) انتهى.

[٨] **(فالعالم عليه السلام أعلم بما قال)**:
هذا من كمال التأدُّب مع الروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام، حيث إنَّ الكليني رضوان الله عليه حينما لم يقبل حديثاً لتصوره مخالفاً للقرآن، لم يقل هذا موضوعٌ أو كذبٌ أو كذا وكذا، كما هو دأب بعض أدعياء العلم، بل اتَّهم فهم نفسه وأرجع العلم بما في الحديث إلى الإمام عليه السلام، وبذلك وردت بعض الروايات، فعلى الإنسان إذا رجّح حديثاً على آخر في التعارض بين الأخبار أو تصوَّر مخالفة رواية للقرآن، عليه أن يردَّ علمها إلى أهلها، فهو لا حجة له في العمل بها، لكن مع السكوت عنها من غير تكذيبها فلعلَّ لها وجهاً صحيحاً لم يفهمه.

يَعْنِي يُقْصَدُ.

وَقَالَ ابْنُ الزِّبْرِقَانِ:

وَلَا رُهَيْبَةَ إِلَّا سَيِّدٌ صَمَدٌ.

وَقَالَ شَدَّادُ بْنُ مُعَاوِيَةَ فِي حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ:

عَلَوْتُهُ بِحُسَامٍ ثُمَّ قُلْتُ لَهُ خُذْهَا حُذَيْفُ فَأَنْتَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ. وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي جَمِيعُ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَيْهِ يَصْمُدُونَ فِي الْحَوَائِجِ، وَإِلَيْهِ يَلْجَؤُونَ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَمِنْهُ يَرْجُونَ الرَّخَاءَ وَدَوَامَ النَّعْمَاءِ، لِيَدْفَعَ عَنْهُمُ الشَّدَائِدَ.

بَابُ الْحَرَكَةِ وَالِانْتِقَالِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبَرْمَكِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ الْخَرَاذِينِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَهُ قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا[١]، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِلُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ[٢]، إِنَّمَا

الحديث الأول:

يتضمن الحديث خمسة أدلّة لإبطال وصفه بالنزول الحقيقي:

[١] **(ينزل إلى السماء الدنيا):**

حيث يزعمون أنَّ نزوله بالمعنى الحقيقي المستلزم للانتقال من مكان إلى مكان، وهذا محال في حقه تبارك وتعالى.

وفي الوافي[١]: «إشارة إلى ما رواه جماعة من المحدِّثين أنَّ الله ينزل في الثلث الأخير أو النصف الأخير من كل ليلة، وفي ليلة الجمعة في أول الليل، إلى السماء الدنيا»... الخ.

[٢] **(ولا يحتاج إلى النزول):**

إشارة إلى دليلين لعدم صحّة وصفه بالنزول:

١ ـ استحالة النزول الحقيقي بالنسبة إليه تعالى كما قال عليه السلام (لا ينزل).

٢ ـ عدم حاجته إلى النزول، كما قال (ولا يحتاج إلى النزول)، ـ والدليلان طُوليان كما لا يخفى ـ.

---

(١) الوافي: ج١ ص٣٩٦.

مَنْظَرُهُ فِي[٣] الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ سَوَاءٌ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَرِيبٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَلَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَيْءٍ[٤]، بَلْ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ[٥]، وَهُوَ ذُو الطَّوْلِ[٦] لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، أَمَّا قَوْلُ الْوَاصِفِينَ: إِنَّهُ يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَإِنَّمَا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَنْسُبُهُ إِلَى نَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ[٧]، وَكُلُّ مُتَحَرِّكٍ مُحْتَاجٌ إِلَى

---

[٣] **(إنَّما منظره في...)**:

هذا بيان للدليل الأول، وحاصله أنَّ الله يتعالى عن المكان، والقرب والبعد إنَّما هما بالنسبة إلى الشيء المكاني، أما الله فهو ليس في المكان، بل هو خالق المكان، ويستحيل إحاطة المخلوق بالخالق، فنسبته تعالى إلى جميع الأشياء واحدة، فليس هو ينتقل من مكان إلى آخر حتى يقرب إليه ما كان بعيداً عنه، أو يبعد عنه ما كان قريباً إليه.

و«المنظر» مصدر ميمي من النظر بمعنى العلم، أي علمه محيط بالقريب والبعيد على حدّ سواء.

[٤] **(ولم يحتج إلى شيء)**:

بيان للدليل الثاني، وحاصله أنَّه تعالى لا يحتاج إلى النزول، بل علمه وقدرته محيطة بالأشياء أجمع بنسبة واحدة، كما أنَّه لا يحتاج إلى المكان.

[٥] **(بل يحتاج إليه)**:

استطراد، لبيان عدم حاجته إلى الأشياء، بل الأشياء كلها تحتاج إليه.

[٦] **(وهو ذو الطول)**:

«الطول» بمعنى التفضل والإنعام، وهذا تكميل للاستطراد، أي احتياج الأشياء إليه اقترنت بتفضُّله عليها كلها، لأنَّه كريم لا بخل فيه وهو ذو الطول، قال تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾(١).

[٧] **(إلى نقص أو زيادة)**:

بيان لدليل آخر ـ وهو الدليل الثالث ـ لبطلان النزول، وحاصله أنَّ النزول

---

(١) سورة غافر: الآية ٣.

مَنْ يُحَرِّكُهُ أَوْ يَتَحَرَّكُ بِهِ[٨]، فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ الظُّنُونَ هَلَكَ[٩]، فَاحْذَرُوا فِي صِفَاتِهِ مِنْ أَنْ تَقِفُوا لَهُ[١٠] عَلَى حَدٍّ تَحُدُّونَهُ، بِنَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ، أَوْ تَحْرِيكٍ

المكاني إنَّما يكون للمتحيّز - أي القابل للوجود في الحيّز - وما كان في الحيّز يكون مقدراً بالمقدار، فإذا كثرت أجزاءه صار أزيد وإذا نقصت أجزاءه صار أنقص، وقد مرّ أنَّ الخالق تعالى ليست له أجزاء. أو هو ردّ على المجسّمة الذين يزعمون أنَّ الله في جهة الفوق، وحيث إنَّ الأرض مدوّرة، فكونه فوق كلهم يكون بمعنى أنّه محيط مكاناً بكلّ الأرض والسماوات، فإذا أراد النزول فلا بدّ أن ينكمش ويتقلّص حتى ينزل!! تعالى الله عما يزعم الظالمون علوّاً كبيراً بل هو محيط علماً وقدرة بكل الموجودات.

[٨] **(من يحركه أو يتحرك به):**

بيان لدليل آخر - وهو الرابع - لبطلان النزول، وحاصله: أنَّ المتحرك، إما حركته قسرية أو اختيارية، والله منزَّه عن أن يكون مجبوراً على فعل شيء، والحركة الاختيارية منشؤها الاحتياج، كما أنَّها تستلزم التغيّر والله هو الغني المطلق.

[٩] **(الظنون هلك):**

لأنَّ سوء الاعتقاد بالله يوجب الكفر أو الجرأة عليه، قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[١] فإنَّ من يظن جهل الله تعالى يتجرأ عليه، وهكذا كل من لم يعرف الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[٢].

[١٠] **(أن تقفوا له):**

«تقفوا» من (قفا يقفو) بمعنى الاتّباع كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[٣]، أو من (وقف يقف) أي لا تقفوا على هذا الاعتقاد.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٣.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٤.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

أَوْ تَحَرُّكٍ، أَوْ زَوَالٍ[١١] أَوِ اسْتِنْزَالٍ، أَوْ نُهُوضٍ أَوْ قُعُودٍ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ صِفَةِ الْوَاصِفِينَ[١٢]، وَنَعْتِ النَّاعِتِينَ[١٣]، وَتَوَهُّمِ الْمُتَوَهِّمِينَ؛ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ[١٤] الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ.

---

[١١] **(أو زوال):**

أي زوال من مكان إلى مكان آخر.

[١٢] **(جلّ وعزّ عن صفة الواصفين):**

أي هو تعالى أرفع وأعلى من وصف من وصفه، وهذا المقطع دليل على أنَّه لا يجوز وصفه إلّا بما وصفه به نفسه، قال تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١).

[١٣] **(ونعت الناعتين):**

«النعت»: هو الوصف المتغيّر، وفي نهج البلاغة(٢) (الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود).

[١٤] **(وتوكل على العزيز...):**

هذا الدليل الخامس على عدم نزوله تعالى، وهو استدلال بالقرآن الكريم، وحاصله: أنَّ الله تعالى مطّلع على أحوال عبيده ويسمع دعاؤهم في أية حالة كانوا، فلذا لا معنى لنزوله لسماع دعاء عبيده أو دعوتهم لاستغفاره!!

في التبيين(٣): ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ فوّض أمرك ﴿عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالأمر، ويرى ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ تحركك ﴿فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ في جملة المؤمنين، والحاصل أنَّه يرى قيامك وحركتك في طائفة من المؤمنين وهو مطّلع على كلِّ أحوالك، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالك، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾(٤) بأحوالك.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

(٣) التبيين: ص٣٨٨.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ٢١٧ ـ ٢٢٠.

٢ ـ وَعَنْهُ، رَفَعَهُ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَا أَقُولُ: إِنَّهُ قَائِمٌ فَأُزِيلُهُ عَنْ مَكَانِهِ[١]، وَلَا أَحُدُّهُ بِمَكَانٍ يَكُونُ فِيهِ[٢]، وَلَا أَحُدُّهُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَرْكَانِ وَالْجَوَارِحِ[٣]، وَلَا أَحُدُّهُ بِلَفْظِ شَقِّ فَمٍ[٤]، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البَقَرَة:

الحديث الثاني:

[١] **(فأزيله عن مكانه):**
أي ليس قيامه بمعنى تحركه فينتقل من مكان إلى آخر، وكل متحرك يزول عن المكان الأول إلى المكان الثاني ـ بكلّه أو ببعضه ـ، بل معنى القائم فيه تعالى هو أنَّه قائم على كل نفس بالعلم والتدبير.

[٢] **(ولا أحدّه بمكان يكون فيه):**
والحركة تلازم الوجود في المكان، لأنَّها انتقال من مكان إلى آخر، والتحيّز محال في حقه تعالى، لأنَّ المكان مخلوق، وكل مخلوق محدود بحدود، فيكون ما في المكان محدوداً.
وكذا المكان أوسع من الأشياء التي فيه أو مساوياً لما فيه، فيكون المتحيّز أصغر من المكان أو مساوياً له، فيكون محدوداً.

[٣] **(من الأركان والجوارح):**
أي لا أقول إنَّه يتحرك بكلّه أو يتحرك ببعضه، وقوله (في شيء) «في» بمعنى «الباء»، وقوله «الأركان» بمعنى الأركان البدنية، إشارة إلى التحرك بكلّه، و«الجوارح»: الأعضاء، إشارة إلى التحرك ببعضه أي تحريك بعض أعضائه، وكل ذلك محال في حقه تعالى.

[٤] **(بلفظ شق فم):**
أي بلفظ من شقٍ هو الفم، والمعنى ليس كلامه بتحريك فم، إذ لا معنى للحركة فيه تعالى، مضافاً إلى أنَّه ليس له فم ولا يشبه المخلوقات، بل كلامه بإيجاد الصوت.

١١٧] **بِمَشِيئَتِهِ[٥]، مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ فِي نَفَسٍ[٦]، صَمَداً فَرْداً[٧]، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى شَرِيكٍ يَذْكُرُ لَهُ مُلْكَهُ[٨]، وَلَا يَفْتَحُ لَهُ أَبْوَابَ عِلْمِهِ.**

٣ ـ وَعَنْهُ ـ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ[١] ـ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عِيسَى بْنِ يُونُسَ قَالَ:

---

[٥] **(كن فيكون بمشيئته):**

أي كلامه بخلق الألفاظ لا عن طريق فم، بل بإيجادها مباشرة.

[٦] **(تردد في نفس):**

«نَفَس» بتحريك الفاء: الهواء الخارج من الفم، لأنَّ كلام المخلوق يكون بهذه الكيفية، أي يخرج الهواء من الرئة ثم يقطّع ذلك الهواء بالحلق واللِّسان، فتحدث أمواجٌ خاصة تُسمع بشكل حروف.

[٧] **(صمداً فرداً):**

أي هو «صمد» فلا يحتاج إلى شيء من الحركة والأركان والجوارح والفم والنَّفَس، وهو «فرد» فليس يشبه أحداً من خلقه، وهو منزّه عن كل ذلك.

[٨] **(لم يحتج إلى شريك يذكر له ملكه):**

هذا بيان آخر لعدم حاجته إلى الفم والتلفظ عبر النَّفَس، وحاصله أنَّ الله تعالى لا يحتاج إلى الكلام أصلاً، فلا شريك له حتى يتكلم مع ذلك الشريك سواء، كان الكلام حول ما يملكه أو حول مختلف علومه، وضميره «يذكر» راجع إلى الله تعالى، أي لم يحتج الله إلى شريك يذكر الله لذلك الشريك ما يملك، فليس هو كالناس حيث يحتاج بعضهم للبعض الآخر في الكلام عمَّا يملكون أو عن سائر ما يعلمون.

الحديث الثالث:

[١] **(وعنه عن محمد بن أبي عبد الله):**

الضمير في (عنه) راجع إلى محمد بن أبي عبد الله، فقوله «عن محمد...» بدل جيء به للتأكيد.

ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي بَعْضِ مَا كَانَ يُحَاوِرُهُ: ذَكَرْتَ اللَّهَ فَأَحَلْتَ عَلَى غَائِبٍ[٢]، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَيْلَكَ كَيْفَ يَكُونُ غَائِباً مَنْ هُوَ مَعَ خَلْقِهِ شَاهِدٌ[٣]، وَإِلَيْهِمْ أَقْرَبُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ[٤]، يَسْمَعُ كَلَامَهُمْ، وَيَرَى أَشْخَاصَهُمْ، وَيَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ. فَقَالَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ: أَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؟[٥] أَلَيْسَ إِذَا كَانَ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَكُونُ فِي الْأَرْضِ؟ وَإِذَا كَانَ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ يَكُونُ فِي السَّمَاءِ؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّمَا وَصَفْتَ الْمَخْلُوقَ الَّذِي إِذَا انْتَقَلَ عَنْ مَكَانٍ اشْتَغَلَ بِهِ مَكَانٌ، وَخَلَا مِنْهُ مَكَانٌ، فَلَا يَدْرِي فِي الْمَكَانِ الَّذِي صَارَ إِلَيْهِ مَا يَحْدُثُ فِي الْمَكَانِ

---

[٢] **(فأحلت على غائب):**

«أحلت» من الحوالة.

[٣] **(مع خلقه شاهد):**

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[٢].

[٤] **(أقرب من حبل الوريد):**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٣] وفي التبيين[٤]: عرق العنق، والإضافة بيانية، وفي طرفي العنق عِرقان كل واحد وريد، فإنَّه قد يريد شيئاً بقلبه فنحول دون أن ينفذ إرادته بعينه أو أذنه أو لسانه، وقد يتكلم بشيء أو يرى ويسمع ونحول دون أن يصل ذلك الشيء إلى قلبه، كما في حالات الغفلة. انتهى.

[٥] **(أهو في كل مكان):**

استفهام إنكاري! أي كيف يكون في كل مكان.

---

(١) سورة البروج: الآية ٩.

(٢) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٣) سورة ق: الآية ١٦.

(٤) التبيين: ص٥٣٢.

الَّذِي كَانَ فِيهِ، فَأَمَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّأْنِ الْمَلِكُ الدَّيَّانُ[٦] فَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ، وَلَا يَشْتَغِلُ بِهِ مَكَانٌ[٧]، وَلَا يَكُونُ إِلَى مَكَانٍ أَقْرَبَ مِنْهُ إِلَى مَكَانٍ[٨].

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام: جَعَلَنِيَ اللَّهُ فِدَاكَ يَا سَيِّدِي، قَدْ رُوِيَ لَنَا: أَنَّ اللَّهَ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَأَنَّهُ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَرُوِيَ: أَنَّهُ يَنْزِلُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْضِعِهِ، فَقَالَ بَعْضُ مَوَالِيكَ فِي ذَلِكَ: إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعٍ دُونَ مَوْضِعٍ فَقَدْ يُلَاقِيهِ الْهَوَاءُ وَيَتَكَنَّفُ عَلَيْهِ[١] وَالْهَوَاءُ جِسْمٌ رَقِيقٌ يَتَكَنَّفُ عَلَى كُلِّ

---

[٦] (الملك الديان):

وصف الله تعالى بهذه الأوصاف في وسط الحوار يُراد به تنبيه السائل، فبقوله «العظيم الشأن» يبيّن أنّ الله أعظم شأناً من أن يوصف بالمكان وهو كالمقدمة والتمهيد لبيان عدم حلوله في المكان وقوله: «الملك الديان» لتنبيه ابن أبي العرجاء الملحد بأنّ الله مالك كل شيء وأنّه يجازي العباد على معتقدهم وأفعالهم، فإنكارك له لا يضرّه شيئاً بل يضرّك.

[٧] (ولا يشتغل به مكان):

أي ليس هو في مكان حتى يخلو منه مكان كان فيه وانتقل عنه، وحتى يشتغل به مكان حلَّ فيه وانتقل إليه، وذلك لأنَّ الخلوّ والاشتغال إنَّما يصحّ بالنسبة إلى المتحيّز، والله تعالى خالق المكان وليس في مكان.

[٨] (أقرب منه إلى مكان):

لأنَّ القرب والبعد المكاني أيضاً صفة المتحيّز في المكان، والله تعالى أعظم شأناً من ذلك، فهو قديم وليس كمثله شيء، فلا يعقل اتصافه بالمكان، بل كل الأمكنة بالنسبة إليه سواء، فهو محيط بالأمكنة كلها بعلمه وقدرته.

الحديث الرابع:

[١] (يلاقيه الهواء ويتكنف عليه):

«يتكنف» من كنفه بمعنى أحاط به، ومنه قولهم «يكتنف به» بمعنى يحيط به،

شَيْءٍ بِقَدْرِهِ، فَكَيْفَ يَتَكَنَّفُ عَلَيْهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى هَذَا الْمِثَالِ؟ فَوَقَّعَ عليه السلام[٢]: عِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَهُ[٣]، وَهُوَ الْمُقَدِّرُ لَهُ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ تَقْدِيراً[٤]، وَاعْلَمْ[٥] أَنَّهُ إِذَا كَانَ

ولعلَّ المراد أنَّ الوجود في موضع دون موضع يستلزم التحيّز في المكان، وذلك يستلزم الحدّ، فقوله (يلاقيه الهواء ويتكنف عليه) يُراد به التحيّز.

أو المراد إنَّ النزول إلى السماء الدُّنيا مستلزم لإحاطة الهواء به ومعنى ذلك إحاطة المخلوق بالخالق، والله محيط بكل شيء لا أنَّه محاط ببعض الأشياء قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾(١).

[٢] **(فوقع عليه السلام)**:

الإمام عليه السلام ذكر أموراً ثلاثة:

١ ـ أنَّ العلم بمعنى النزول مرفوع عن الخلق، بمعنى أنَّه لا ضرر في عدم معرفتهم به، فإنَّ المعارف قسمان: قسم لا يُعذر أحد في جهلها كالتوحيد والعدل، وقسم: العلم بها زيادة فضل ولا ضير في عدم معرفتها ومنها معرفة معنى النزول.

٢ ـ أنَّ لهذه الأحاديث تأويلاً صحيحاً، ولا يصحّ حمل كل شيء على ظاهره، فإنَّ الأحاديث كالقرآن فيها المحكم والمتشابه، ويُرَدُّ المتشابه إلى المحكم، ويؤخذ التأويل من الراسخين في العلم.

٣ ـ بيان أنَّ الله ليس في المكان ولا يحدّه شيء، بل هو محيط بكل شيء علماً وقدرة، فلا يتكنف عليه الهواء وليس نزوله بمعنى النزول المكاني.

[٣] **(علم ذلك عنده)**:

إشارة إلى الأمر الأول.

[٤] **(بما هو أحسن تقديراً)**:

إشارة إلى الأمر الثاني، أي إنَّ الله تعالى قدَّر النزول، ولكن ليس على ما توهمته المجسمة، بل هو أحسن أنواع التقدير، وذلك بنزول الرحمة، أو نزول ملك مأمور من قبل الله تعالى، أو أمثال ذلك.

[٥] **(واعلم)**:

إشارة إلى الأمر الثالث.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٤.

فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَمَا هُوَ عَلَى الْعَرْشِ[٦]، وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا لَهُ سَوَاءٌ، عِلْماً وَقُدْرَةً وَمُلْكاً وَإِحَاطَةً[٧].

وَعَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْكُوفِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى مِثْلَهُ.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

٥ ـ عَنْهُ، عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

---

[٦] **(فهو كما هو على العرش):**

أي لا يصحّ أن يُقال إنَّه في موضع دون موضع، بل السماء الدُّنيا والعرش بالنسبة له سواء لأنَّ كلها قد أحاط الله تعالى بها بعلمه وقدرته.

[٧] **(وملكاً وإحاطة):**

أي هو تعالى يعلم بكل شيء، وقادر على كل شيء، ومالك لكل شيء، من غير تفاوت في علمه وقدرته وملكه، عكس المخلوق الذي يتفاوت علمه وقدرته حسب اختلاف الأشياء.

وقوله (إحاطة) تأكيد لما سبق، لأنَّ الإحاطة هي بالعلم والقدرة، وإنَّما كرّرها لبيان أنَّ الهواء لا يتكنف عليه بل هو محيط بكل شيء حتى الهواء.

الحديث الخامس:

[١] **(في قوله تعالى):**

لعلَّ وجه السؤال هو كيفية التوفيق بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾(١)، حيث دلَّت الآية على كفر من أدخل الله تعالى في العدد، في حين أنَّ هذه الآية دلَّت على أنَّه ضمن العدد؟

---

(١) سورة المائدة: الآية ٧٣.

سَادِسُهُمْ[٢]﴾ [المجادلة: ٧] فَقَالَ: هُوَ وَاحِدٌ[٣] ....

والجواب: بالفرق إذ في تلك الآية يُراد ردّ من زعم أنَّ الله ثالث من جنس الثلاثة وفي عدادهم فكلهم آلهة، وهذا كفر، أمّا آية النجوى فسياقها يدلُّ على أنَّ المراد علمه بالنجوى لا أنَّه في عداد المتناجين.

وفي الوافي[1]: «هناك أضيف الثالث إلى ثلاثة، وههنا لم يضف الرابع إلى الأربعة بل أضيف إلى الثلاثة، فالأول صريح في أنَّ الثالث من جنس الثلاثة وفي عدادهم، غير قابل للتأويل، بخلاف الأخير، فإنَّ رابع الثلاثة لا يلزم أن يكون من جنس الثلاثة وفي عدادهم بل يجوز أن يكون على نحو آخر» فتأمل.

[٢] **(إلَّا وهو سادسهم):**

تفسير الآية: ﴿مَا يَكُونُ﴾ أي لا يقع ﴿مِن نَّجْوَىٰ﴾ مصدر بمعنى التناجي، وهو الكلام الخفي ﴿ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ باطلاعه على ما يتناجون، أي يجعلهم أربعة باطلاعه، ﴿وَلَا﴾ يكون من نجوى ﴿خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ بعلمه بهم ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ﴾ أقلّ من الثلاثة والخمسة كالاثنين والأربعة ﴿وَلَآ أَكْثَرَ﴾ كما لو تناجى ستة ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أي الله ﴿مَعَهُمْ﴾ بالعلم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ أي يخبرهم ليجازيهم بما عملوا يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فلا يخفى عليه شيء.

وفي المرآة[2]: وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة، أو لأنَّ الله وِتر يحب الوتر، والثلاثة أول الأوتار، أو لأنَّ التشاور لا بدَّ له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما. انتهى.

[٣] **(فقال هو واحد):**

كلام الإمام عليه السلام في جهتين:

الأولى: أنَّه تعالى واحد لكن لا بالوحدة العددية ـ كما مرّ تفصيله ـ فلا يكون في عداد الأشياء، فقوله تعالى: ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ و﴿سَادِسُهُمْ﴾ لا يُراد بهما

---

(١) الوافي: ج١ ص٤٠٢.

(٢) المرآة: ج٢ ص٦٧.

وَاحِدِيُّ الذَّاتِ[٤]، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ[٥]، وَبِذَاكَ وَصَفَ نَفْسَهُ[٦]، ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُۢ[٧]﴾ [فُصِّلَت: ٥٤] **بِالْإِشْرَافِ وَالْإِحَاطَةِ وَالْقُدْرَةِ[٨]** ....

أنَّه تعالى معدود مع الخلق واقع في جملتهم، كما أنَّ معيته للمخلوقات ليست معيَّة مكانية.

الثانية: بيان معنى الآية، وأنَّ المُراد أنَّه معهم بالعلم، أي مطّلع على أقوالهم غير ناسٍ لها، فلذا يخبرهم ويجازيهم في القيامة.

[٤] **(واحدي الذات)**:

«الواحدي» مبالغة في الواحد، وفيه إشارة إلى أنَّه تعالى بسيط من كل الجهات لا كثرة فيه، فلا يشارك خلقه في أي جهة تتعلق بذاته المقدَّسة، فهو لا ثاني له كي يعدّ مع ذلك الثاني.

[٥] **(بائن من خلقه)**:

أي لا يشبههم، فلا يكون واحداً منهم ولا معدوداً فيهم.

[٦] **(وبذلك وصف نفسه)**:

في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(١)، وهنا استدلال نقلي كما أنَّ ما قبله استدلال عقلي.

[٧] **(إنَّه بكلِّ شيء محيط)**:

هذا شروع للجهة الثانية، فإحاطته تعالى للأشياء بالعلم والقدرة، وليست بالذات.

[٨] **(بالإشراف والإحاطة والقدرة)**:

«بالإشراف» إشارة إلى عدم اشتماله للأشياء، بمعنى عدم كونه ظرفاً وحيّزاً لها، «الإحاطة» أي الإحاطة العلميَّة كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢)، «القدرة» أي كل الأشياء تحت قدرته تعالى.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ[٩]﴾ [سبإ: ٣] بِالْإِحَاطَةِ وَالْعِلْمِ لَا بِالذَّاتِ[١٠]، لِأَنَّ الْأَمَاكِنَ مَحْدُودَةٌ تَحْوِيهَا حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ[١١] فَإِذَا كَانَ بِالذَّاتِ لَزِمَهَا الْحَوَايَةُ[١٢].

---

[٩] **(ولا أصغر من ذلك ولا أكبر):**

في تفسير الآية كما في التبيين[١]: ﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ تأتيكم ﴿وَرَبِّي﴾ قسماً بالله ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة، ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ صفة لربِّي، والغيب ما غاب عن الحواس كالرُّوح والعقل، ﴿لَا يَعْزُبُ﴾ لا يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ ثقل ﴿ذَرَّةٍ﴾ هباءة تُرى في النُّور الداخل من الكوَّة في الغرفة المظلمة ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾ من مثقال ذرة ﴿وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ كتبه الله سبحانه وهو اللوح المحفوظ أو غيره ﴿مُّبِينٍ﴾ ظاهر.

[١٠] **(لا بالذات):**

أي ليست الإحاطة بالذات، لأنَّ الأماكن محدودة، فإن كانت الإحاطة بدخوله في الأماكن كان العكس أي إحاطة المكان به تعالى وهو يستلزم كونه محدوداً، وإن كانت الإحاطة بمعنى اشتماله على الأشياء لزم كونه تعالى ظرفاً مكانياً للأشياء وكونه أجوف وغير ذلك من اللوازم الفاسدة، تعالى الله عن كل ذلك.

[١١] **(حدود أربعة):**

الفوق والتحت والأمام والخلف، ويدخل اليمين واليسار في الأمام والخلف.

[١٢] **(لزمها الحواية):**

«الحواية»: الظرفية، أي لزم أن تكون الذات ظرفاً للأشياء، وذلك مُحال في حقه تعالى.

---

(١) التبيين: ص٤٤٠.

فِي قَوْلِهِ:
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١] فَقَالَ: اسْتَوَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ.

الحديث السادس:

[١] (الرَّحمٰن على العرش استوى):

«الاستواء» له معان متعدّدة:

١ ـ **منها**: الاستقرار على الشيء، كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾(١)، وتتعدى بـ«على».

٢ ـ **ومنها**: التوجّه إلى الشيء وقصده، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾(٢) أي توجّه إليها بقدرته تعالى، وتتعدّى بـ«إلى».

٣ ـ **ومنها**: الاعتدال، وهو فعل لازم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾(٣).

٤ ـ **ومنها**: الاستيلاء والسيطرة على الشيء، وتتعدّى بـ«على» كما يقال استوى الملك على الرعية أي سيطر عليهم.

٥ ـ **ومنها**: المساواة في النسبة، كقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾(٤) وهو فعل لازم.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ففي هذه الروايات وغيرها(٥)

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢٨.
(٢) سورة فصلت: الآية ١١.
(٣) سورة القصص: الآية ١٤.
(٤) سورة الرعد: الآية ١٦.
(٥) كما في البرهان: ج٦ ص٣٨٥ ـ ٣٩٣.

٧ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ سَهْلٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَارِدٍ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فَقَالَ: اسْتَوَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ.

٨ ـ وَعَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فَقَالَ: اسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ[١] فَلَيْسَ

تفسيرها بالمساواة في النسبة، وتفسير «العرش» بكل شيء مخلوق، وتعدية الاستواء بـ«على» يكون بتضمين الاستواء معنى الإشراف والاستيلاء، فالمعنى: استوت نسبته إلى كل شيء حال كونه مستولياً على الكل.

وأما قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فلعلَّ اختيار هذا الاسم دون غيره، لأجل الدلالة على أنَّ سلطته على الأشياء إنَّما هي بالرحمة لا بالظلم، و«الرحمن» يدلُّ على عموم رحمته ـ كما مرّ ـ.

ثم اعلم أنَّ الاستواء في هذه الأحاديث الثلاث تعدّى بـ«على» وبـ«من» وبـ«في».

فاستوى «على كل شيء» باعتبار تضمين الاستواء معنى الاستيلاء، و«من كل شيء» باعتبار الموجودات التي استوى منها كما نقول تساوت نسبتي من زيد وعمرو، و«في كل شيء» باعتبار الأوصاف التي يستوي فيها بالنسبة إلى الأشياء كالعلم والقدرة فقدرته لا تختلف بالنسبة إلى الأشياء وكذا علمه وسائر صفاته الذاتية، فتأمل.

الحديث الثامن:

[١] **(استوى في كل شيء):**
أي علمه وقدرته وسائر صفاته الذاتية نسبتها إلى الأشياء واحدة، فلا اختلاف في علمه، كما أنَّ الكبير والحقير وكل الأشياء تحت قدرته بنسبة واحدة.

شَيْءٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ بَعِيدٌ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْهُ قَرِيبٌ[٢]، اسْتَوَى فِي كُلِّ شَيْءٍ.

٩ ـ وَعَنْهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ[١] أَوْ فِي شَيْءٍ[٢] أَوْ عَلَى شَيْءٍ[٣] فَقَدْ كَفَرَ[٤]، ....

---

[٢] **(ولم يقرب منه قريب):**

أي ليس القرب والبعد المكاني متصور فيه تعالى، نعم القرب بمعنى قرب علمه وقدرته أي شمولهما لكل الأشياء فهو متحقّق قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(١) أي قريب بالعلم والقدرة، وكذلك القرب من رحمته تعالى أو البعد عنها قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

الحديث التاسع:

[١] **(من شيء):**

أي متكوّن من شيء فيكون ذلك الشيء سابقاً عليه.

[٢] **(أو في شيء):**

فيكون ذلك الشيء، ظرفاً له، كمن يزعم أنَّه في السماء السابعة أو ينزل إلى السماء الدنيا، فتحويه السماء أو الأرض أو سائر الأماكن.

[٣] **(أو على شيء):**

فيكون محمولاً على شيء، كمن يزعم أنَّه جالس على العرش، تعالى عن ذلك.

[٤] **(فقد كفر):**

لأنَّه يعبد صنماً صنعه بوهمه، لأنَّ هذه الأمور مستحيلة على الله تعالى، وكل من يعبد صنماً فهو كافر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

قُلْتُ: فَسِّرْ لِي؟ قَالَ: أَعْنِي بِالْحَوَايَةِ[٥] مِنَ الشَّيْءِ لَهُ، أَوْ بِإِمْسَاكٍ لَهُ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ سَبَقَهُ.

١٠ ـ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مُحْدَثاً، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْصُوراً، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَهُ مَحْمُولاً.

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]

١١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ أَبُو شَاكِرٍ الدَّيَصَانِيُّ[١]: إِنَّ فِي الْقُرْآنِ آيَةً هِيَ قَوْلُنَا: قُلْتُ: مَا

نعم من يتشهد الشهادتين يكون محكوماً ظاهراً بالإسلام، وذلك لتسهيل الأمر على المؤمنين، مِنَّة من الله عليهم، وقد ورد في بعض الأحاديث أنَّ المنافقين يعاملونه في الدنيا معاملة المؤمنين وفي الآخرة معاملة الكافرين وهو تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(١)، وكذا قيل بالنسبة إلى المخالفين.

[٥] **(قال أعني بالحواية...)**:

«بالحواية من الشيء» تفسير لقوله (في شيء) أي الظرفية، وقوله «أو بإمساك له» تفسير لـ(على شيء) لأنَّ الحامل يمسك المحمول، وقوله «من شيء سبقه» تفسير لـ(من شيء).

الحديث الحادي عشر:

[١] **(قال أبو شاكر الديصاني)**:

قد مرّ أنَّ (عبد الله الديصاني) كان ملحداً لا يعتقد بالخالق، فلعلَّ (أبو شاكر) غيره، إذ يظهر من هذا الحديث أنَّ أبا شاكر كان ثنوياً يعتقد بإلهين اثنين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥.

هِيَ؟ فَقَالَ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فَلَمْ أَدْرِ بِمَا أُجِيبُهُ[٢]، فَحَجَجْتُ، فَخَبَّرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالَ: هَذَا كَلَامُ زِنْدِيقٍ خَبِيثٍ، إِذَا رَجَعْتَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: مَا اسْمُكَ بِالْكُوفَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ فُلَانٌ، فَقُلْ لَهُ: مَا اسْمُكَ بِالْبَصْرَةِ؟ فَإِنَّهُ يَقُولُ: فُلَانٌ، فَقُلْ: كَذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا[٣]، فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ، وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ، وَفِي الْبِحَارِ إِلَهٌ، وَفِي الْقِفَارِ إِلَهٌ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَهٌ. قَالَ: فَقَدِمْتُ فَأَتَيْتُ أَبَا شَاكِرٍ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: هَذِهِ نُقِلَتْ مِنَ الْحِجَازِ.

وعلى فرض الاتحاد فلعلَّه تنقَّل من دين إلى آخر فكان ثنوياً ثم ألحد، أو بالعكس، وتاب آخر أمره على يد الإمام الصادق عليه السلام ـ كما مرّ في باب حدوث العالم وإثبات المحدث الحديث الخامس ـ.

أو إنَّ كلامه هنا أو هناك كان للجدل، فكان يستشكل على العقيدة الحقَّة حتى بالإشكالات التي لا يعتقد بها.

[٢] (فلم أدر بما أجيبه):

لعلَّ أبا شاكر توهَّم أنَّ هناك وقفاً على قوله (في السماء إله) ثم تستأنف الجملة بقوله (وفي الأرض إله) فيكون المعنى حسب تصوره المغلوط هو: «والله في السماء إله وهناك إله آخر في الأرض»!!

[٣] (فقل كذلك الله ربنا):

كان يمكن للإمام عليه السلام أن يجيبه بأنَّ «إله» بمعنى معبود فهو تعالى معبود في كل مكان سواء في السماء أم في الأرض أم في غيرهما، ولعلَّ الإمام أراد إلزامه وقطع الجدال عليه فأجابه بما هو أقرب إلى فهمه فقال إنَّه تعالى يسمى إله في كل مكان كما أنَّ أبا شاكر يسمى باسمه سواء في البصرة أم في الكوفة. فتأمل.

بَابُ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، الْبَرْقِيِّ رَفَعَهُ، قَالَ: سَأَلَ الْجَاثَلِيقُ[١] أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِلُ الْعَرْشَ أَمِ الْعَرْشُ يَحْمِلُهُ[٢]؟ ....

اعلم أنَّ للعرش معاني متعدِّدة حسب ما يظهر من الروايات منها:

١ ـ الجسم المحيط بكل الأجسام وهو المحل الذي تصدر منه الأوامر والنواهي ونحوها، فهو شيء عظيم خاص بالله تشريفاً كما أنَّ الكعبة بيت الله تشريفاً لها.

٢ ـ السلطة والملك ـ وهو معنى مجازي ومرجعه إلى قدرته تعالى ـ.

٣ ـ العلم الذي حمَّله الله تعالى لبعض أوليائه ـ وهو تأويل للكلمة ـ، وغير ذلك.

وأما الكرسي فهو بمعنى الملك كقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾(١)، وفسّر في الروايات أيضاً بالعلم، وأيضاً الجسم الذي هو تحت العرش وغير ذلك.

الحديث الأول:

[١] **(الجاثليق):**

وهو كبير النصارى.

[٢] **(أم العرش يحمله):**

فإن كان الجواب أنَّه تعالى يحمل العرش فهو يخالف كتابكم: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾(٢)، وإن كان الجواب أنَّ العرش يحمله فهذا ما لا تعتقدون به بل تقولون بأنَّه تعالى حامل كل شيء؟

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٧.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٣]: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَامِلُ الْعَرْشِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَهُمَا[٤] وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا[٥]﴾ [فاطر: ٤١]

---

[٣] **(فقال أمير المؤمنين عليه السلام):**

حاصل الجواب: أنَّ الله أمر حملة العرش بحمله، وأعطاهم القدرة على ذلك، فحمل هؤلاء للعرش هو بإذن الله ـ أي بأمره وإقداره إياهم ـ فهم في طول الله تعالى لا في عرضه.

[٤] **(وما فيهما وما بينهما):**

«وما فيهما» من النُّجوم والكواكب والأجرام السماوية وغيرها، وكذلك ما على الأرض وتحت الثرى.

«وما بينهما» أي بين السموات والأرض من الهواء والسحاب والأغلفة الجوية ونحوها.

[٥] **(إنَّه كان حليماً غفوراً):**

فيكون معنى الحمل هو الإمساك والحفظ.

وأمّا معنى الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ﴾ أي يحفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ أي كراهية زوالهما أو لكي لا تزولا ﴿وَلَئِن زَالَتَآ﴾ أي تركهما الله تعالى حتى زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ أي لا يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ﴾ أي بعد الله أو بعد الزوال.

و«من» في (من أحد) للتأكيد، أي لا يتمكن أحد، و«من» في (من بعده) ابتدائية، أي: أحد يكون بعده.

وفي الآية دلالة على أنَّ السموات والأرض كما تحتاج إلى علَّة محدثة كذلك تحتاج إلى علَّة مبقية، وفيه ردّ على زعم اليهود بأنَّ يد الله مغلولة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ فلا يعاجل الكفار بالعقوبة، ويغفر الذُّنوب أي يسترها فلا يعاقب عليها، لأنَّ الغفران بمعنى الستر.

وفي الآية إشارة لطيفة إلى أنَّ بعض الذُّنوب توجب الزوال لولا حلم الله

قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِهِ[٦]: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ[٧]﴾ [الحاقّة: ١٧] فَكَيْفَ قَالَ ذَلِكَ؟ وَقُلْتَ: إِنَّهُ يَحْمِلُ الْعَرْشَ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:[٨] إِنَّ الْعَرْشَ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَارٍ أَرْبَعَةٍ[٩]: نُورٍ أَحْمَرَ مِنْهُ احْمَرَّتِ الْحُمْرَةُ، وَنُورٍ أَخْضَرَ مِنْهُ اخْضَرَّتِ الْخُضْرَةُ، وَنُورٍ أَصْفَرَ مِنْهُ اصْفَرَّتِ

وغفرانه قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾(١).

[٦] **(قال فأخبرني عن قوله):**

لأنَّه توهم أنَّ معنى الآية أنَّ الله جالس على العرش، وحيث إنَّ الثمانية يحملون عرش الله فهم يحملونه أيضاً؟ فكيف قلت إنَّ الله حامل وهذه الآية تدلُّ على أنَّه محمول؟!!

[٧] **(يومئذٍ ثمانية):**

أي في يوم القيامة حملة العرش ثمانية، وسيأتي في الحديث اللاحق أنَّ حملهم هو من عبادتهم لله تعالى، كطواف بني آدم حول الكعبة فإنَّه من عبادتهم.

[٨] **(فقال أمير المؤمنين عليه السلام):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام هو أنَّ العرش ليس موضع لاستقرار الله، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، بل هو العلم، وهذا العلم له حملة، وهم حملوا ذلك العلم بإرادة من الله تعالى وأمره، فالله ليس بمحمول بل هو الممسك لكل شيء.

[٩] **(من أنوار أربعة):**

تفاصيل تلك الأنوار لم تُبيَّن في الروايات، وما ذكر لها من معاني إنَّما هي احتمالات، وقد مرّ بعض الكلام في (باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى) الحديث الثالث.

---

(١) سورة النحل: الآية ٦١.

الصُّفْرَةُ، وَنُورٍ أَبْيَضَ مِنْهُ ابْيَضَّ الْبَيَاضُ. وَهُوَ الْعِلْمُ[١٠] الَّذِي حَمَّلَهُ اللَّهُ الْحَمَلَةَ، وَذَلِكَ نُورٌ مِنْ عَظَمَتِهِ[١١]، فَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ أَبْصَرَ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ[١٢]، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَاهُ الْجَاهِلُونَ[١٣]، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ خَلَائِقِهِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ[١٤]، بِالْأَعْمَالِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَدْيَانِ

---

[١٠] **(وهو العلم):**

أي العرش هو العلم، فالله تعالى كلّف بعض خلقه بحمل ذلك العلم.

[١١] **(وذلك نور من عظمته):**

أي ذلك العلم هو نور ناشىء من عظمة الله تعالى، أو ذلك النُّور بعض عظمته تعالى فـ(من) إما ابتدائية ـ نشويَّة ـ أو تبعيضيَّة.

[١٢] **(أبصر قلوب المؤمنين):**

«قلوب» فاعل «أبصر»، والمعنى ذلك العلم صار سبباً لمعرفة المؤمنين، أي إنَّ الله تعالى عرَّف نفسه عبر ذلك العلم الذي كلَّف الحملة بحمله، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌ بَيِّنَـٰتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾(١).

[١٣] **(عاداه الجاهلون):**

أي البعض لم يستفد من ذلك العلم، فهو يعلم بالله تعالى لكنَّه يعاديه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾(٢) فهو يعلم الحق ومع ذلك ينكره.

وبعبارة أخرى: الإنسان لا يعادي من لا يعلم بوجوده، لكنَّه يعادي من يعلم به، فهؤلاء يعلمون بوجوده تعالى لكنَّهم يعادونه! فتأمل.

[١٤] **(إليه الوسيلة):**

أي جميع الخلائق لأنَّهم حُمِّلوا العلم بوجوده ـ حيث جعله الله تعالى في فطرتهم ـ فإنَّهم يريدون التقرُّب إليه ويطلبونه.

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٣.

الْمُشْتَبِهَةِ[١٥]، فَكُلٌّ مَحْمُولٍ يَحْمِلُهُ اللَّهُ بِنُورِهِ وَعَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ[١٦]، لَا يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً[١٧]، فَكُلُّ شَيْءٍ مَحْمُولٌ[١٨]، وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُمْسِكُ لَهُمَا أَنْ تَزُولَا[١٩] وَالْمُحِيطُ بِهِمَا مِنْ شَيْءٍ[٢٠] وَهُوَ

---

[١٥] **(بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة):**

أي بالأعمال والمعتقدات يريدون التقرب إليه، لما علموا وجوده بفطرتهم. ولكن الأكثر أخطأ في المعتقد وفي العمل، ولذا قال ﷺ: (والأديان المشتبهة).

[١٦] **(بنوره وعظمته وقدرته):**

أي منشأ إمساكه للأشياء وسيطرته عليها هو علوّه الذاتي، وذلك العلو ينشأ من وجوده وصفاته الذاتية.

[١٧] **(ولا حياة ولا نشوراً):**

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾(١) و«النشور» البعث بعد الموت، فإذا كان هذا شأن الآلهة من دون الله تعالى، فكيف بسائر المخلوقات؟

[١٨] **(فكل شيء محمول):**

تكرار للتأكيد بأنَّ كل الأشياء محمولة، والله تعالى هو الممسك، وليس بمحمول.

[١٩] **(لهما أن تزولا):**

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢) وقد مرّ قبل قليل تفسير الآية.

[٢٠] **(والمحيط بهما من شيء):**

قال تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(٣)، إحاطة علم وقدرة، وقوله:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤١.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٨.

حَيَاةُ كُلِّ شَيْءٍ[٢١] وَنُورُ كُلِّ شَيْءٍ[٢٢]، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

قَالَ لَهُ: فَأَخْبِرْنِي[٢٣] عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَيْنَ هُوَ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢٤]: ....

(المحيط بهما) عطف على قوله (الممسك لهما). و«من» بيان لضمير (بهما). والغرض هو بيان أنَّ السموات والأرض احتوت على كل شيء مخلوق، فحينما يقال إنَّ الله محيط بالسموات والأرض فإنَّ معناه هو إحاطته بكل المخلوقات.

[٢١] **(وهو حياة كل شيء):**

أي بقاء كل شيء مرتبط بالله تعالى، فيكون هذا المقطع توضيح لمعنى «الممسك لهما».

[٢٢] **(ونور كل شيء):**

أي سبب وجود كل شيء بعد أن كان عدماً، قال سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾(١)، وهذا إشارة إلى أصل الإيجاد، كما أنَّ قوله (حياة كل شيء) إشارة إلى الاستمرار في الوجود، أو أنَّهما بمعنى واحد تأكيداً وتوضيحاً لمعنى «الممسك لهما».

[٢٣] **(قال له فأخبرني):**

لما أثبت الإمام عليه السلام أنَّ الله تعالى ليس على العرش ولا هو محمول، سأل الجاثليق عن مكان وجوده، زعماً منه أنَّ الله في المكان!

[٢٤] **(فقال أمير المؤمنين عليه السلام):**

حاصل جواب الإمام عليه السلام أنَّ الله موجود في كل مكان، لكن لا بمعنى الحلول في المكان، ولكن بمعنى أنَّ سلطته وقدرته أحاطت بكل شيء، ولذا ذكر الإمام عليه السلام الكرسي واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(٢)، لأنَّ الكرسي هو ملك الله وسلطته، كما أنَّه تعالى محيط بكل

---

(١) سورة النور: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

هُوَ هَاهُنَا وَهَاهُنَا[٢٥] **وَفَوْقٌ وَتَحْتٌ وَمُحِيطٌ بِنَا وَمَعَنَا وَهُوَ قَوْلُهُ:** ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجَادلة: ٧]. **فَالْكُرْسِيُّ مُحِيطٌ بِالسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**[٢٦]، ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى[٢٧]﴾ [طه:٧]، **وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ[٢٨] حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]. **فَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ**[٢٩] **هُمُ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ**

شيء علماً واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾(١).

[٢٥] **(هو هاهنا وهاهنا):**

لعلَّ الإمام عليه السلام أشار إلى الأمام والخلف، أو أشار إلى مكانين كان الجاثليق يراهما.

[٢٦] **(وما تحت الثّرى):**

«الثرى»: التراب، وقيل التراب الرطب، والمُراد أنَّ الكرسي ـ وهو ملك الله وسلطته ـ محيط بكل شيء، لأنَّ كل الأشياء تضمَّنتها السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

[٢٧] **(السِّرَّ وأخفى):**

«السر» ما أسررت إلى غيرك فهو ملفوظ عادة، وأخفى من السر ما يكون في القلب بدون ألفاظ.

[٢٨] **(ولا يؤوده):**

«لا يؤوده» أي لا يشقّ عليه.

[٢٩] **(فالذين يحملون العرش):**

رجع الإمام عليه السلام إلى جواب السؤال الأول حول العرش وحامليه، تأكيداً للجواب وترسيخاً له، حيث كان هو أصل الكلام، والسؤال عن مكان الله كان ثانوياً كالجملة المعترضة.

---

(١) سورة طه: الآية ٦.

حَمَّلَهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ[٣٠]، وَلَيْسَ يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الأَرْبَعَةِ[٣١] شَيْءٌ خَلَقَ اللَّهُ[٣٢] فِي مَلَكُوتِهِ[٣٣] الَّذِي أَرَاهُ اللَّهُ أَصْفِيَاءَهُ، وَأَرَاهُ خَلِيلَهُ عليه السلام فَقَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]. وَكَيْفَ يَحْمِلُ حَمَلَةُ[٣٤] الْعَرْشِ اللَّهَ، وَبِحَيَاتِهِ حَيِيَتْ قُلُوبُهُمْ، وَبِنُورِهِ اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَتِهِ؟!.

---

[٣٠] **(العلماء الذين حملهم الله علمه):**

وسيأتي أنَّ هؤلاء ثمانية أربعة من الأوَّلين هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين هم رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي والحسن والحسين عليهم السلام.

[٣١] **(عن هذه الأربعة):**

أي السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فيكون حاصل كلام الإمام عليه السلام أنَّ كل ما خلقه الله تعالى هو ضمن هذه الأربعة، والعرش هو العلم بها الذي كلَّف الله تعالى بعض أوليائه بحمل ذلك العلم، ومنهم إبراهيم عليه السلام الذي علَّمه الله تعالى، حيث أراه ملكوت السموات والأرض، والله تعالى مالك ومسلط على كل هذه الأربعة ـ لأنَّ الكرسي هنا بمعنى الملك والسلطة ـ.

[٣٢] **(شيء خلق الله):**

أي كل المخلوقات هي ضمن هذه الأربعة ـ السماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى ـ وهذه الكلمة قرينة على أنَّ المراد بالأربعة هذه المذكورات.

[٣٣] **(في ملكوته):**

«الملكوت» مبالغة في الملك، والمراد: الملك العظيم.

[٣٤] **(وكيف يحمل حملة...):**

تكرار لما سبق تأكيداً، ومن أساليب التأثير على المستمع هو ختم الكلام بما يتضمَّن المقصود ملخصاً، لأنَّ آخر الكلمات تعلق في الأذهان أكثر من غيرها، كما أنَّ ذلك أيضاً من البلاغة.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: سَأَلَنِي أَبُو قُرَّةَ الْمُحَدِّثُ أَنْ أُدْخِلَهُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام، فَاسْتَأْذَنْتُهُ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَفَتُقِرُّ أَنَّ اللَّهَ مَحْمُولٌ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام[١]: كُلُّ مَحْمُولٍ مَفْعُولٌ بِهِ، مُضَافٌ إِلَى غَيْرِهِ، مُحْتَاجٌ[٢]، ....

الحديث الثاني:

وهذا الحديث الشريف يتضمَّن ثلاثة مباحث:

الأول: استدلال الإمام عليه السلام بثلاثة أدلة لإثبات أنَّ الله تعالى غير محمول على العرش.

الثاني: بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ...﴾(١) وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾(٢).

الثالث: ردَّ معنى الرواية التي استدلّ بها أبو قرة على أنَّ الله فوق العرش، وبيان معنى غضبه تعالى.

[١] **(فقال أبو الحسن عليه السلام):**

شروع في المبحث الأوَّل، وحاصله: ثلاثة أدلَّة على بطلان استقراره على العرش، دليل عقلي، ولفظي، ونقلي.

الدليل الأول

[٢] **(إلى غيره محتاج):**

وهو الدليل العقلي، وحاصله: أنَّه لا يعقل أن يكون الله تعالى متأثراً بالأشياء، لأنَّ معنى التأثّر: هو التغيّر والاحتياج إلى المؤثّر، والتأثُّر يلازم التغيُّر، لأنَّ معناه هو أنَّ المؤثّر أوجب تغييراً في المتأثر.

و«مفعول به» أي متأثر من غيره بحيث وقع عليه فعل الغير.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ١٧.

(٢) سورة غافر: الآية ٧.

وَالْمَحْمُولُ اسْمُ نَقْصٍ فِي اللَّفْظِ[٣]، وَالْحَامِلُ فَاعِلٌ وَهُوَ فِي اللَّفْظِ مِدْحَةٌ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ: فَوْقَ وَتَحْتَ وَأَعْلَى وَأَسْفَلَ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

و«مضاف إلى غيره» أي منسوب إلى الغير، والله تعالى غير منسوب إلى شيء بل كل الأشياء منسوبة إليه.

و«محتاج» أي يحتاج إلى غيره في حمله!!، ولا يخفى أن مؤدي هذه العبارات الثلاث هو واحد، وفرقها اعتباري. فتأمل.

الدليل الثاني

[٣] **(المحمول اسم نقص في اللفظ):**

هذا الدليل اللفظي، وحاصله: أنّه كما لا يُعقل وجود نقص في الله تعالى، كذلك لا يجوز إطلاق ألفاظ تدلُّ على النقص عليه، بل إنَّما تُطلق عليه الأسماء الحسنى فقط.

وفي الوافي[١] «اعلم أنَّ كل لفظ ليس هو من الألفاظ الكمالية ـ فيما نعقله ونتصوَّره ـ فإنَّه لا يجوز إطلاقه عليه سبحانه بوجه من الوجوه أصلاً.

وأما الألفاظ الكمالية: فإن لم يرد فيه من جهة الشرع إذن بالتسمية ـ كواجب الوجود ـ فذلك إنَّما يجوز إطلاقه عليه سبحانه توصيفاً لا تسمية.

وإن ورد فيه الإذن في التسمية ساغ الإطلاق توصيفاً وتسميته، كالحي والعالم». انتهى.

أقول: في أسماء الله تعالى لا فرق بين التوصيف والتسمية، فالصحيح هو القول بأنَّ ما كان من ألفاظ الكمال ولم يرد إذن من الشرع فيه فلا يجوز التوصيف و«التسمية به»، نعم تجوز الإشارة به.

فمثل «واجب الوجود» ليس وصفاً ولا اسماً بل هو مشير إليه تعالى، نظير (خاصف النعل) فهو ليس اسماً ولا وصفاً لأمير المؤمنين عليه السلام، بل هو مشير إليه، فتأمل!.

---

(١) الوافي: ج١ ص٥٠٠.

ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وَلَمْ يَقُلْ فِي كُتُبِهِ: إِنَّهُ الْمَحْمُولُ[٤]، بَلْ قَالَ: إِنَّهُ الْحَامِلُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[٥]، وَالْمُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا[٦]، وَالْمَحْمُولُ مَا سِوَى اللَّهِ. وَلَمْ يُسْمَعْ أَحَدٌ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَظَمَتِهِ قَطُّ قَالَ فِي دُعَائِهِ: يَا مَحْمُولُ!! قَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] وَقَالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧]. فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: الْعَرْشُ لَيْسَ هُوَ اللَّهَ[٧]، وَالْعَرْشُ اسْمُ عِلْمٍ، وَقُدْرَةٍ، وَعَرْشٍ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ[٨]. ثُمَّ أَضَافَ الْحَمْلَ

الدليل الثالث

[٤] (ولم يقل في كتبه إنّه محمول):

وهذا دليل نقلي، وحاصله أنَّ أسماء الله وصفاته توقيفية، وهو تعالى لم يصف نفسه بأنّه محمول.

[٥] (الحامل في البر والبحر):

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(١).

[٦] (والأرض أن تزولا):

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾(٢).

المبحث الثاني

[٧] (العرش ليس هو الله):

حاصل كلام الإمام عليه السلام: أنَّ المحمول هو العرش، والعرش ليس هو الله تعالى، وحاملو العرش إنّما حملوه بالقدرة التي أعطاهم، حيث إنّه خلقهم وأقدرهم على ذلك الحمل.

[٨] (وعرش فيه كل شي):

أي للعرش ثلاثة معان:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) سورة النحل: الآية ٦١.

إِلَى غَيْرِهِ[٩]: خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ[١٠]، لِأَنَّهُ اسْتَعْبَدَ خَلْقَهُ[١١] بِحَمْلِ عَرْشِهِ وَهُمْ حَمَلَةُ عِلْمِهِ، وَخَلْقاً يُسَبِّحُونَ حَوْلَ عَرْشِهِ وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِعِلْمِهِ، وَمَلَائِكَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَ

---

١ ـ العلم.

٢ ـ القدرة.

٣ ـ ما فيه كل شي، وهو إما بمعنى كتاب مكتوب فيه الأشياء، وإمّا بمعنى الجسم المحيط بكل الأشياء وهذا ما أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله: «وعرش فيه كل شيء» الواو عاطفة على (علم) أي اسم علم واسم قدرة واسم عرش فيه كل شيء.

[٩] **(ثم أضاف الحمل إلى غيره):**

المعنى: إنَّ حمل هؤلاء للعرش ـ بمعانيه الثلاثة ـ بسبب أنَّ الله تعالى أمر عباده بعبادته، لحاجتهم إليها لا لحاجته تعالى، وأمرهم بكيفية تلك العبادة، فبعض مخلوقاته من عبادتهم حمل العلم، وبعضهم من عبادتهم التسبيح، وبعضهم عبادتهم كتابة أعمال العباد، وبعضهم من عبادتهم الطواف حول الكعبة.

وكل أولئك الخلق محتاجون إليه فهو الحافظ لهم، الممسك لهم من الزوال، القائم عليهم.

[١٠] **(خلقٍ من خلقه):**

«خلقٍ» عطف بيان على «غيره»، فالمعنى ثم أضاف ـ أي نسب ـ الحمل إلى خلق من خلقه.

[١١] **(لأنَّه استعبد خلقه):**

لعلَّ المراد أنَّ كل معنى من معاني العرش تتعلَّق به نوع طاعة، فبعض الخلق أمروا بحمل العلم ـ وهو المعنى الأول للعرش ـ، وبعضهم أعطاهم الله القدرة ـ وهو المعنى الثاني للعرش ـ ليعملوا بذلك العلم، وبعضهم تكليفهم يتعلَّق بالعرش الذي معناه «عرش فيه كل شيء» فهؤلاء يكتبون أعمال العباد، فكل شيء يصدر من العباد يُسجّل في ذلك الشي الذي فيه كل شيء.

عِبَادِهِ. وَاسْتَعْبَدَ أَهْلَ الْأَرْضِ[١٢] بِالطَّوَافِ حَوْلَ بَيْتِهِ، وَاللَّهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ـ كَمَا قَالَ ـ[١٣]، وَالْعَرْشُ وَمَنْ يَحْمِلُهُ[١٤] وَمَنْ حَوْلَ الْعَرْشِ. . وَاللَّهُ الْحَامِلُ لَهُمُ، الْحَافِظُ لَهُمْ، الْمُمْسِكُ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ[١٥]، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ[١٦]. ....

---

[١٢] **(واستعبد أهل الأرض):**
ذكر عبادة أهل الأرض بالطواف، لتقريب المقصود إلى الذهن، فكما أنَّ أهل الأرض يعبدون الله بالطواف، كذلك بعض خلقه يعبدونه بحمل العرش أو العمل بالعلم أو بالكتابة.

[١٣] **(استوى كما قال):**
الظاهر أنَّ الواو حالية في قوله: «والله على العرش...»، والمعنى أنَّ الله استعبد أهل الأرض بالطواف حول الكعبة مع أنَّه ليس في الكعبة ـ بل على العرش استوى ـ، كذلك الله استعبد حملة العرش بحمله وهو ليس فوق العرش، ومعنى استوائه على العرش هو استيلائه وقدرته وملكه أو استواء نسبته إلى الأشياء ـ كما مرّ ـ.

[١٤] **(والعرش ومن يحمله. . .):**
«العرش» وما عطف عليه، مبتدأ، والخبر محذوف لوجود قرينة عليه وهو (محمول)، أي العرش ومن يحمله ومن حول العرش كلهم محمولون، والحامل هو الله تعالى.

[١٥] **(وفوق كل شيء):**
قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾(٢).

[١٦] **(وعلى كل شي):**
«على» أما حرف بمعنى فوق، أو فعل من العلو والتعالي، والفوقية والعلو

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٣.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٨.

وَلَا يُقَالُ: مَحْمُولٌ وَلَا أَسْفَلُ قَوْلاً مُفْرَداً لَا يُوصَلُ بِشَيْءٍ[١٧] فَيَفْسُدُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى[١٨]. قَالَ أَبُو قُرَّةَ: فَتُكَذِّبُ[١٩] بِالرِّوَايَةِ الَّتِي جَاءَتْ أَنَّ اللَّهَ إِذَا غَضِبَ إِنَّمَا يُعْرَفُ غَضَبُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يَجِدُونَ ثِقْلَهُ عَلَى

ليست بالمعنى المكاني بل العلو الذاتي ـ كما مرّ مراراً ـ.

[١٧] **(مفرداً لا يوصل بشيء):**

أي بدون ضميمة لفظ آخر كي يكون المجموع جملة صحيحة، أمَّا لو ضمَّ إليه ممَّا يصحِّح المعنى فلا بأس به كما لو قيل (إنَّ الله فوق وتحت ويمين ويسار وفي كل مكان بعلمه وقدرته) أو قيل «إن الله محمول عرشه» فيكون الوصف بحال المتعلق، فهذا صحيح.

أمَّا لو قيل (الله أسفل)، أو قيل (الله محمول)، وتوقف الكلام، كان اللفظ باطلاً، والمعنى باطلاً.

[١٨] **(فيفسد اللفظ والمعنى):**

أما فساد اللفظ: فلعدم الإذن الشرعي فيه وأسماء الله توقيفية، وأما فساد المعنى: فلأنَّه يوجب العجز والنقص والحاجة كما مرَّ في صدر الحديث.

المبحث الثالث

[١٩] **(قال أبو قرة: فتكذب...):**

لمَّا لم يتمكَّن أبو قرة من الاستدلال بالقرآن لإثبات أنَّ الله محمول، التجأ إلى الاستدلال بالمروي عن رسول الله ﷺ، حيث رووا أنَّ الله إذا غضب تبيّن الثقل على العرش، وهذا لازمه جلوس الله تعالى على العرش، كما أنَّ من يغضب منَّا يزداد ثقلاً وذلك لتفريغ طاقة زائدة من جسمه، كالذي يقف على الميزان ويضغط على رجليه فإنَّ الوزن يزداد بسبب تفريغ الطاقة التي تزيد الإنسان ثقلاً على ثقله!!

والإمام عليه السلام يبيّن بطلان هذه الرواية، ومخالفتها للأدلة العقلية والنقلية حيث أثبتت هذه الرواية التغيُّر على الله تعالى وهو منه منزَّه.

كَوَاهِلِهِمْ، فَيَخِرُّونَ سُجَّداً، فَإِذَا ذَهَبَ الْغَضَبُ، خَفَّ، وَرَجَعُوا إِلَى مَوَاقِفِهِمْ؟ فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنِ اللَّهِ[٢٠] تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُنْذُ لَعَنَ إِبْلِيسَ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا هُوَ غَضْبَانُ عَلَيْهِ، فَمَتَى رَضِيَ[٢١]؟ وَهُوَ فِي صِفَتِكَ[٢٢] لَمْ يَزَلْ غَضْبَانَ عَلَيْهِ وَعَلَى

---

[٢٠] **(فقال أبو الحسن عليه السلام أخبرني عن الله...):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام هو ردّ رواية أبي قرة من جهتين:

الأولى: تعارض الرواية مع الأدلّة المعتبرة المقبولة لدى كل المسلمين من أنَّ الله غضبان على إبليس من يوم استكباره إلى يوم الدِّين، في حين أنَّ هذه الرواية دلَّت على أنَّ الملائكة الحملة يرجعون إلى مواقفهم إذا زال الغضب، فكيف يزول الغضب ولا زال تعالى غاضباً على إبليس وكذا على أوليائه؟

الثانية: إذا كان ثقل العرش بسبب غضب الله الجالس عليه، فإنَّ معنى ذلك هو تغيّر الله بسبب الغضب والرضا!! والله تعالى منزَّه عن الكيفيات النفسانية ـ التي منها التغيُّر ـ.

(أخبرني عن الله):

بيان للجهة الأولى.

[٢١] **(فمتى رضي):**

أي إذا كانت حاله في الغضب تختلف عن حاله في الرضا، وقد غضب على إبليس في كل هذه المدَّة، فمعنى ذلك هو عدم وجود حال رضا فيه أصلاً طوال هذه المدة!! ولازم ذلك هو عدم الخفة في العرش وعدم رجوع الملائكة إلى مواقفهم!

[٢٢] **(وهو في صفتك):**

أي وصفك إياه بالثقل على كواهل الملائكة الحملة حين الغضب وزوال الثقل حين الرضا.

ومعنى قوله: (لم يزل غضبان عليه...) هو: لم يزل ثقيلاً ـ حسب زعمك ـ لأنَّه لم يزل غضبان!! فأقام الإمام الرضا عليه السلام العلَّة مكان المعلول، هذا ما ظهر لي في معنى العبارة، والله العالم.

أَوْلِيَائِهِ وَعَلَى أَتْبَاعِهِ[٢٣]، كَيْفَ تَجْتَرِيءُ[٢٤] أَنْ تَصِفَ رَبَّكَ بِالتَّغْيِيرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَأَنَّهُ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقِينَ[٢٥]؟! سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَمْ يَزُلْ مَعَ الزَّائِلِينَ[٢٦]، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ مَعَ الْمُتَغَيِّرِينَ، وَلَمْ يَتَبَدَّلْ مَعَ الْمُتَبَدِّلِينَ[٢٧]، وَمَنْ دُونَهُ

---

[٢٣] **(وعلى أوليائه وعلى أتباعه):**
«الأولياء»: الأصدقاء قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾(١)، و«الأتباع»: السائرون على نهج المتبوع، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢)، وبينهما عموم من وجه.

[٢٤] **(كيف تجترىء...):**
بيان للجهة الثانية.

[٢٥] **(ما يجري على المخلوقين):**
أي التغيّر بالثقل والخفة، وأنّه تجري عليه الكيفيات النفسانية التي تجري على المخلوقين؟، والله تعالى يستحيل عليه التغيّر، لأنَّ ذلك دليل الاحتياج إلى الحالة الجديدة لذا زال عن الحالة السابقة، مضافاً إلى ما مرّ من أنَّ القديم ما كان وجوده وصفاته ضرورية ـ أي واجبة ـ، وما كان واجباً فإنّه لا يتغيّر ـ فراجع ـ.

[٢٦] **(لم يزل مع الزائلين):**
من (زال يزول زوالاً) أي لا يُعْدَم لأنّه واجب الوجود، بعكس الممكنات فإنّها تعدم ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٣).

[٢٧] **(ولم يتبدل مع المتبدلين):**
«التغيّر»: هو الاختلاف في الوصف كقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ﴾(٤)، و«التبدل» هو تحول الشيء إلى حقيقة أخرى كقوله تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٦.
(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٢٧.
(٤) سورة محمد: الآية ١٥.

فِي يَدِهِ وَتَدْبِيرِهِ[٢٨]، وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ وَهُوَ غَنِيٌّ عَمَّنْ سِوَاهُ[٢٩].

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَقَالَ: يَا فُضَيْلُ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ[١]، السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ.

﴿يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١)، وقد يستعمل أحدهما بمعنى الآخر أيضاً.

[٢٨] **(في يده وتدبيره):**
قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾(٣).

[٢٩] **(وهو غني عمّا سواه):**
فلا يحتاج إلى من يحمله، كما لا يحتاج إلى الجلوس على العرش، ولا إلى أي أمر أو مخلوق آخر، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾(٤).

الحديث الثالث:

[١] **(وكل شيء في الكرسي):**
«الكرسي» بمعنى السلطة والملك، فكل شيء في قبضته تعالى، وهو مالك كل شيء، والمسيطر على كل شي.
ويمكن أن يكون المراد الكرسي: العلم، فكل شيء معلوم لله تعالى، فقد روى الصدوق في التوحيد بإسناده عن حفص (قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟ قال: علمه)(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٨.
(٢) سورة يس: الآية ٨٣.
(٣) سورة السجدة: الآية ٥.
(٤) سورة محمد: الآية ٣٨.
(٥) الوافي: ج١ ص٥٠٤.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ[١]: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَسِعْنَ الْكُرْسِيَّ أَمِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالَ: بَلِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَالْعَرْشَ[٢]، وَكُلَّ شَيْءٍ وَسِعَ الْكُرْسِيُّ[٣].

الحديث الرابع:

[١] **(سألت أبا عبد الله عليه السلام):**

لعلَّ سؤاله كان عن القراءة والإعراب، فهل «الكرسيّ» مرفوع، و«السموات والأرض منصوبان»، أم العكس أي «الكرسي» منصوب وهما مرفوعان؟

[٢] **(والأرض والعرش):**

«العرش» منصوب، والمعنى أنَّ الكرسي ـ وهو ملكه تعالى ـ وسع كل شيء حتى العرش، فإنَّ الله تعالى مالك ومسلط على العرش كما أنَّه مالك ومسيطر على السماوات والأرض وعلى كل شيء.

[٣] **(وكل شيء وسع الكرسي):**

«الكرسي» مرفوع، وهذا المقطع إمّا تأكيد لما سبق، أو ليدخل ما بين السموات والأرض في الكرسي أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾(١).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥] السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَسِعْنَ الْكُرْسِيَّ أَوِ الْكُرْسِيُّ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَقَالَ: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ[١].

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ ـ وَالْعَرْشُ: الْعِلْمُ[١] ـ ثَمَانِيَةٌ: أَرْبَعَةٌ مِنَّا وَأَرْبَعَةٌ مِمَّنْ شَاءَ اللَّهُ[٢].

الحديث الخامس:

[١] (إن كل شيء في الكرسي):
أي في ملكه تعالى أو في علمه ـ كما مرّ ـ.

الحديث السادس:

[١] (والعرش العلم):
قوله «والعرش العلم» جملة معترضة، لتفسير معنى العرش.

[٢] (وأربعة ممّن شاء الله):
أي أربعة من أهل البيت عليهم السلام وأربعة من الأوّلين هم سائر الأنبياء أولي العزم.
وفي الوافي[١] (عن الكاظم عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة كان حملة العرش ثمانية، أربعة من الأولين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين: محمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام.

---

(١) الوافي: ج١ ص٥٠٣. وقريب منه المرآة: ج٢ ص٨٠.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِّيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] فَقَالَ مَا يَقُولُونَ؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَرْشَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ وَالرَّبُّ فَوْقَهُ، فَقَالَ: كَذَبُوا، مَنْ زَعَمَ هَذَا فَقَدْ[١] صَيَّرَ اللَّهَ مَحْمُولاً، وَوَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِ، وَلَزِمَهُ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَقْوَى مِنْهُ، قُلْتُ: بَيِّنْ لِي جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَمَّلَ دِينَهُ وَعِلْمَهُ

وفي اعتقادات الشيخ الصدوق قدس سره: فأما العرش الذي هو جملة الخلق، فحَمَلَتُهُ أربعة من الملائكة... (إلى أن قال)... فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة من الآخرين فمحمَّد وعلي والحسن والحسين، هكذا رُوي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته، انتهى كلام الشيخ الصدوق).

الحديث السابع:

[١] (من زعم هذا فقد...):

استدلَّ الإمام عليه السلام على بطلان كلامهم بثلاثة أدلَّة:

١ ـ من زعم أنَّ الله فوق العرش فقد جعله محمولاً، وقد مرّ في الحديث الثاني من هذا الباب أنَّ المحمول صفة نقص ولازمه التأثر بالغير.

٢ ـ جعله تعالى متّصفاً بصفات المخلوقات، أي الفوقية الحيَّة صفة الأجسام والله تعالى منزَّه عنها قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(١).

٣ ـ لازم ذلك كون العرش أقوى منه، حيث إنَّ كل حامل أقوى من المحمول ولذا يتحمل وزنه، ولولا ذلك لانهار الحامل، كما يشاهد في

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٦.

الْمَاءَ[٢]، قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَرْضٌ أَوْ سَمَاءٌ أَوْ جِنٌّ أَوْ إِنْسٌ أَوْ شَمْسٌ أَوْ قَمَرٌ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ[٣] أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ نَثَرَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ رَبُّكُمْ؟ فَأَوَّلُ مَنْ نَطَقَ رَسُولُ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: أَنْتَ رَبُّنَا، فَحَمَّلَهُمُ الْعِلْمَ وَالدِّينَ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: هَؤُلَاءِ حَمَلَةُ دِينِي وَعِلْمِي وَأُمَنَائِي فِي خَلْقِي وَهُمُ الْمَسْؤُولُونَ[٤]، ثُمَّ قَالَ لِبَنِي آدَمَ: أَقِرُّوا لِلَّهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ

الماديات حيث إنَّ لكل حامل طاقة خاصة لو زاد المحمول وزن المحمول عنها لانحنت أو تكسَّرت.

[٢] **(دينه وعلمه الماء)**:

فمعنى العرش هنا هو العلم، ـ والدِّين من العلم، وإنَّما ذكره بالخصوص لأهميته ـ فقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[١] أي كان علمه على الماء، ومعنى تحميل الماء العلم: إما جعل القابلية في ذلك الماء ليحمل العلم لأنَّ الله تعالى خلق الأنبياء والأوصياء وكل شيء من الماء، وإما بالمعنى الحقيقي أي جعل الماء مدركاً ثم أفاض عليه العلم.

[٣] **(فلمَّا أراد الله)**:

هذا إلى آخر الحديث نتيجة لتحميل الماء العلم، فالمعنى أنَّ الله خلق الماء وحمَّله العلم، ثم خلق الناس من ذلك الماء، فصار ذلك العلم إلى بعض من خلقهم من ذلك الماء، وهم رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام، وصار إلى سائر الناس العلم بربوبية الله تعالى والعلم بالولاية والطاعة لهؤلاء فأخذ الله تعالى منهم الإقرار والميثاق بذلك في عالم الذر.

[٤] **(وهم المسؤولون)**:

أي يلزم على الخلق سؤالهم قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، لأنَّ حامل العلم والدِّين والأمين في الخلق هو الذي يُسأل، لا غيره.

---

(١) سورة هود: الآية ٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٤٣.

وَلِهَؤُلَاءِ النَّفَرِ بِالْوَلَايَةِ وَالطَّاعَةِ، فَقَالُوا: نَعَمْ رَبَّنَا أَقْرَرْنَا، فَقَالَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا. فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ شَهِدْنَا، عَلَى أَنْ لَا يَقُولُوا غداً: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ[٥] ۝١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣] يَا دَاوُدُ: وَلَايَتُنَا مُؤَكَّدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ[٦].

---

[٥] (أفتهلكنا بما فعل المبطلون):

هذا تأويل الآية ـ كما في مستفيض الروايات وستأتي إن شاء الله تعالى ـ وأمّا تفسيرها فبالفطرة، ففي التبيين(١): ﴿وَإِذْ﴾ اذكر يا رسول الله زمان ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أخرج بني آدم من ظهورهم، إذ الظهر محل النطفة ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إذ الفطرة شاهدة على الإنسان ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ﴾ فإنَّ فطرة كل إنسان تشهد بالتوحيد ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ وإنَّما أودع فيهم هذه الفطرة، لئلّا تقولوا أيها البشر ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ أي التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ﴾، وفي الروايات تأويل الآية بعالم الذر، ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟﴾ عذراً على شرككم ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فأتبعناهم تقليداً ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ يا رب ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي الآباء الذين أتوا بالباطل.

[٦] (عليهم في الميثاق):

«الميثاق»: العهد الشديد، وذلك في عالم الذر.

---

(١) التبيين: ص١٨٥.

بَابُ الرُّوحِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ أَبِي

الغرض من عقد هذا الباب هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٢]، وبيان أنَّ هذه الرُّوح مخلوقة، ونسبتها إلى الله تعالى نسبة تشريفية، مثل قوله: ﴿بَيْتِيَ﴾[٣] في الكعبة حيث نسبها إلى نفسه تشريفاً لها.

ثم اعلم أنَّ الرُّوح جسم رقيق ـ كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام[٤] ـ بها حياة الإنسان والحيوان، وادّعاء تجردها خال عن الدليل، بل الدليل على خلافه.

والموت هو انفصالها عن الجسم بشكل كامل، وأما إذا كان بشكل مؤقت فهو النوم قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾[٥] واستعملت كلمة الرُّوح في القرآن في موارد متعدّدة.

منها: المعنى الحقيقي لها وهي الروح البشرية، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٦].

ومنها: اسم جبرئيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٧] وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٨].

(١) سورة الحجر: الآية ٢٩.
(٢) سورة النساء: الآية ١٧١.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٤) الاحتجاج: ص٣٤٩ ـ ٣٥٠.
(٥) سورة الزمر: الآية ٤٢.
(٦) سورة الإسراء: الآية ٨٥.
(٧) سورة المعارج: الآية ٤.
(٨) سورة مريم: الآية ١٩.

عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنِ الْأَحْوَلِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الرُّوحِ الَّتِي فِي آدَمَ عليه السلام، قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾[١] قَالَ: هَذِهِ رُوحٌ مَخْلُوقَةٌ[٢]، وَالرُّوحُ الَّتِي فِي عِيسَى مَخْلُوقَةٌ[٣].

ومنها: الإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(١) قوله سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾(٢)، لأنَّ الناس أموات من غير إيمان.

ومنها: الوحي، كقوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾(٣)، سُمّي الوحي روحاً لأنَّ قوام الاجتماع الصالح به.

ومنها: القرآن كقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾(٤)، لأنَّ القرآن نظام الحياة، والعالم بلا نظام صحيح كالميت.

ومرجع الثلاثة الأواخر إلى معنى واحد.

ثم إنَّ حقيقة الرُّوح مجهولة لنا وإن كنّا نعرف أثرها ـ وهو الحياة ـ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

الحديث الأول:

[١] **(فإذا سوّيته ونفختُ فيه من روحي)**:

أي فإذا جعلته سوياً معتدلاً كاملاً، والنفخ كناية عن الإحياء، تشبيهاً للروح بالريح التي تنفخ في الزق ونحوه ـ كما سيأتي في الحديث الثالث ـ.

[٢] **(هذه روح مخلوقة)**:

فليس المعنى أنَّ لله روحاً، وأنَّها أو جزء منها حلَّ في آدم عليه السلام، بل المعنى أنَّ هذه الرُّوح مخلوقة كسائر الأرواح، ولكن الله شرّف هذه الروح بأن نسبها إلى نفسه.

[٣] **(والروح التي في عيسى مخلوقة)**:

هذه التكملة من الإمام عليه السلام، لأنَّ الروح نُسبت إلى الله تعالى في القرآن في

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٢.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٥٢.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ، عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[١] [النساء: ١٧١] قَالَ: هِيَ رُوحُ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ خَلَقَهَا اللَّهُ فِي آدَمَ وَعِيسَى.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ الطَّائِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ كَيْفَ هَذَا النَّفْخُ؟ فَقَالَ[١]: إِنَّ الرُّوحَ مُتَحَرِّكٌ كَالرِّيحِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ رُوحاً لِأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنَ

موضعين ـ آدم وعيسى عليهما السلام ـ فأراد الإمام تكميل الجواب وإزالة الشُّبهة من كل الجهات، كما أنَّ الحديث اللاحق سؤال عن روح عيسى عليه السلام وجواب الإمام عليه السلام عن روحه وروح آدم عليه السلام ليكمل الجواب أيضاً.

الحديث الثاني:

[١] (وروحٌ منه):
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾(١) وسياق الآية في نفي الغلو فمعنى «روح منه» في الآية ظاهر، أي روح مخلوقة من قبل الله تعالى.

الحديث الثالث:

[١] (كيف هذا النفخ، فقال):
حاصل الجواب أنَّه ليس المراد من النفخ معناه الحقيقي، وهو إخراج الهواء بشدَّة من الفم، بل هو استعارة، حيث شبهت الرُّوح ـ للطافتها وتحرّكها ـ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٧١.

الرِّيحِ[٢]، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ عَنْ لَفْظَةِ الرِّيحِ[٣]، لِأَنَّ الْأَرْوَاحَ مُجَانِسَةٌ لِلرِّيحِ[٤]، وَإِنَّمَا أَضَافَهُ[٥] إِلَى نَفْسِهِ لِأَنَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَى سَائِرِ الْأَرْوَاحِ[٦]، كَمَا قَالَ لِبَيْتٍ مِنَ

بالهواء وشبَّه الجسم بالزق ـ الجرَّة الجلدية ـ، فكما ينفخ الإنسان في الزق فيدخل فيه الهواء، كذلك أحيى الله تعالى آدم عليه السلام بإدخال الرُّوح في جسمه.

[٢] **(لأنَّه اشتقَّ اسمه من الريح):**

قد مرَّ بحث الاشتقاق الكبير، وأنَّه كثيراً ما تكون الألفاظ المتقاربة الحروف ـ كاشتراكها في كل الحروف مع تغيير في الترتيب، أو اشتراكها في أكثر الحروف بترتيب أو بغير ترتيب ـ متقاربةً في المعنى، ومادة (ر و ح) و(ر ي ح) مشتركة في حرفين مرتبة ـ فاء الفعل ولام الفعل ـ، فالمعنى أيضاً متقارب حسب الاشتقاق الكبير.

[٣] **(إنَّما أخرجه عن لفظة الريح):**

أي بدَّل لفظ الريح إلى لفظ الروح، لأنَّ الروح تختلف عن الريح وإنَّما هي شبيهة به من بعض الجهات.

وفي الوافي «أخرجه على لفظة الريح» فيكون المعنى إنَّما كان لفظ الروح مقارب للفظ الريح لأنَّهما متجانسان.

[٤] **(مجانسة للريح):**

أي مشابهة فكأنَّهما من جنس واحد.

[٥] **(أضافه):**

الروح مؤنث سماعي، وتذكير الضمير الراجع إليها وكذا تذكير وصفها لبعض الاعتبارات.

وفي جامع الشواهد[١] «رُوح ـ بالواو والحاء المهملة كقُفْل ـ التي بمعنى النفس فمؤنثة، والذي بمعنى المهجة ـ أي الدمَّ ـ فمذكر».

[٦] **(لأنَّه اصطفاه على سائر الأرواح):**

«الاصطفاء» هو الاختيار، وأصله من (الصفو) و(الصفاء)، فتوحي اللفظة بأنَّ

---

(١) جامع الشواهد: ج٣ ص٣٨٥.

الْبُيُوتِ: بَيْتِي[٧]، وَلِرَسُولٍ مِنَ الرُّسُلِ: خَلِيلِي[٨]، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَخْلُوقٌ مَصْنُوعٌ مُحْدَثٌ مَرْبُوبٌ مُدَبَّرٌ[٩].

الاختيار لم يكن عبثاً، وإنَّما لخلوص في الذات ورفعة في الجوهر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢)، و«سائر» بمعنى جميع، واصطفاؤه على سائر الأرواح لا ينافي وجود أرواح أخرى مصطفاة، خرجت بالتخصيص.

وقوله: (على سائر الأرواح) إنَّما جاء «على» لأنَّ الاصطفاء يتضمَّن معنى التفضيل فهو اصطفاء وتفضيل على سائر الأرواح كقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٣).

[٧] **(لبيت من البيوت بيتي):**

قال تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(٤)، وقوله: ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾(٥).

[٨] **(لرسول من الرسل خليلي):**

قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾(٦)، والمعنى يحبُّه كما يحبُّ الخليل خليله، وليس المعنى الخلَّة بمعناها الحقيقي.

[٩] **(مربوب مدبّر):**

كلُّ هذه الألفاظ لتأكيد أنَّ النسبة تشريفيَّة، فإنَّ كل ما نُسب إلى الله من الروح والبيت والخليل ونحوها مخلوق، والفرق بين هذه الألفاظ بالاعتبارات، فـ«الخلق»: التقدير، و«الصنع»: الإيجاد، و«الإحداث» إخراج

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.
(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٥) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.
(٦) سورة النساء: الآية ١٢٥.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَحْرٍ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخَزَّازِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَمَّا يَرْوُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ[١]، فَقَالَ: هِيَ صُورَةٌ، مُحْدَثَةٌ[٢]، ....

من العدم إلى الوجود، و«التربية» الإنماء و«التدبير» تقدير الأمور المرتبطة بالشيء.

الحديث الرابع:

[١] **(خلق آدم على صورته):**

روى الصدوق رضوان الله عليه في العيون، بإسناده عن الحسين بن خالد (قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، إنَّ الناس يروون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنَّ الله خلق آدم على صورته؟ فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث، إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله مرَّ برجلين يتسابّان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح الله وجهك ووجه من يشبهك! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإنَّ الله عز وجل خلق آدم على صورته)(١).

[٢] **(فقال هي صورة محدثة. . .):**

لم يتعرَّض الإمام الباقر عليه السلام في هذا الحديث إلى تحريفهم فيه بحذف صدره، وإنَّما بيَّن أنَّ صورة آدم عليه السلام صورة مخلوقة، وأنَّ الله شرَّف تلك الصورة بأن نسبها إلى نفسه كما نسب البيت والروح إلى نفسه.

ولعلَّ الغرض كان تعليم محمد بن مسلم الاحتجاج على المشبَّهة حينما يستدلُّون بهذه الرواية على أنَّ لله صورة وأنَّها تشبه صورة آدم، متناسين قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢)، حيث لا يمكن بيان تحريفهم في الحديث لتقية ـ مثلاً ـ

---

(١) المرآة: ج٢ ص٨٤.

(٢) سورة الشورى: الآية ١١.

مَخْلُوقَةٌ، وَاصْطَفَاهَا اللَّهُ وَاخْتَارَهَا[٣] عَلَى سَائِرِ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، فَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ[٤]، كَمَا أَضَافَ الْكَعْبَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَالرُّوحَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿بَيْتِيَ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥]، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾.

وكان من دأب الأئمة عليهم السلام تعليم أصحابهم الجواب عن شبهات العامة بالطرق المختلفة.

[٣] **(اصطفاها الله واختارها):**

قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(٢).

[٤] **(فأضافها إلى نفسه):**

أي نسبها إلى نفسه.

والظاهر أنَّ هذا ليس شرحاً لقوله: (خلق آدم على صورته) ـ بقرينة خبر العيون الذي مرَّ قبل قليل ـ، بل هو بيان الواقع مع قطع النظر عن ما رووه، وأنَّ الله تعالى كما نسب الروح إلى نفسه كذلك نسب الصورة إليها، فآدم عليه السلام شرَّفه الله بأن خلق روحه وخلق جسمه بأحسن الصور ثم نسبها إلى نفسه تشريفاً.

---

(١) سورة غافر: الآية ٦٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

بَابُ جَوَامِعِ التَّوْحِيدِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ـ جَمِيعاً ـ، رَفَعَاهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اسْتَنْهَضَ النَّاسَ فِي حَرْبِ مُعَاوِيَةَ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ[١]، فَلَمَّا حَشَدَ النَّاسُ[٢] قَامَ خَطِيباً، فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ الصَّمَدِ الْمُتَفَرِّدِ[٣]، الَّذِي لَا مِنْ شَيْءٍ

الحديث الأول:

[١] **(في المرة الثانية):**

بعد صفِّين، وقد كان عزم أن يرجع إليها لمحاربة معاوية، وفي نهج البلاغة(١): (ثم نادى بأعلى صوته «الجهاد الجهاد؛ عباد الله! ألا وإنِّي معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج، قال نوف وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد رحمه الله في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر، فكنَّا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان).

[٢] **(فلما حشد الناس):**

«الحشد» الجمع إذا كان متراكماً، أو المجتمعين على أمر واحد، وقيل غير ذلك.

[٣] **(الواحد الأحد الصمد المتفرد):**

قد مرَّ أنَّ «الواحد» ما لا ثاني له، و«الأحد» ما لا جزء له، و«الصمد» السيِّد

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٨٣.

كَانَ[٤]، وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ[٥]، ....

المقصود إليه في الحوائج أي الغني و«المتفرد» في الخلق والتدبير.
فالواحد الأحد يرتبط بذاته، والصمد المتفرد نسبته إلى خلقه.

١ ـ نفي حدوثه تعالى

[٤] (الذي لا من شيء كان):
فهو غير مسبوق بالعدم، فليس هو متكوّن من مادة أو أجزاء تسبقه، ولا هو مخلوق كي يحتاج إلى من أوجده، بل هو قديم لا بداية له.
وقد مرَّ بداهة عدم إمكان وجود العالم صدفة لاستحالة خروج الشيء من العدم إلى الوجود بلا علَّة، فلا بدَّ من شيء قديم، وهذا القديم يستحيل أن يكون المادة ـ كما زعم الماديون ـ لتغيُّرها، فلا بد من وجود شيء غير مادي جامع للكمالات كالعلم والقدرة، خلق الأشياء، وذلك هو الله تعالى ـ كما مرّ تفصيله في المجلد السابق ـ.

٢ ـ حدوث مخلوقاته

[٥] (ولا من شيء خلق ما كان):
أي جميع المخلوقات نشأت من شيء غيرها، فالمادة الأولى أوجدها الله تعالى مباشرة، ثم أوجد سائر الأشياء منها بتغيير تلك المادة.
وفي الحديث عن الباقر عليه السلام: (وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه ـ وهو الماء الذي خلق الأشياء منه ـ، فجعل نسب كل شيء إلى الماء، ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه، وخلق الريح من الماء ثم سلَّط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء، حتى ثار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً. . .» الحديث[١].
وفي فقه العقائد[٢] قال الوالد ـ رضوان الله عليه ـ: (أي إنَّ كل شيء يرجع

(١) الكافي، الروضة، ج٨ ص٩٤.
(٢) فقه العقائد: ص١٢.

قُدْرَةً[٦] بَانَ بِهَا مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ[٧]، فَلَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ[٨]،

إلى الماء، فكأنَّ الماء نسب كل شيء وأصله. . . لم يكن الماء من شيء سابق، وإنَّما الله سبحانه وتعالى خلق الماء ابتداءً من لا شيء، فلا مادة أزليَّة، ولا قديم إلَّا الله) انتهى.

[٦] **(قدرة):**

«قدرة» منصوب على التمييز، أي خلق ما كان قدرةً، قال تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢)، وقيل «قدرة» منصوب بنزع الخافض، أي خلق الأشياء بقدرة، أو مرفوع على أنَّه خبر أي هو قدرة، أو على أنَّه مبتدأ أي له قدرة.

[٧] **(وبانت الأشياء منه):**

أي بالقدرة بان من الأشياء وبانت منه، وذلك لأنَّ الأشياء كلّها محتاجة، والحاجة سبب إمكانها وعدم قدمها، أما الله تعالى فهو الغني المطلق، فلا يحتاج إلى شيء، فلذا كان قديماً.

والحاصل أنَّ القدرة المطلقة هي بمعنى الغني المطلق ـ أو تستلزم الغنى ـ، فلا يحتاج إلى موجد، ولا إلى من يعطيه الكمالات لرفع الحاجة، فلذا كان قديماً، عكس سائر الأشياء فإنَّها تحتاج إلى من يوجدها ويرفع حاجتها، فلذا كان الاحتياج لازمها الذاتي، فبالقدرة بان منها وبانت منه.

٣ ـ نفي التشبيه

[٨] **(فليست له صفة تنال):**

«تنال» من (النَّيْل) أي الوصول إلى الشيء، والمعنى أنَّه لا يمكن إدراك حقيقة صفاته.

ويمكن أن يكون النفي راجع إلى «صفة» أي ليس له صفة ـ مغايرة لذاته ـ

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

وَلَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ[٩]، كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ[١٠]، وَضَلَّ هُنَاكَ تَصَارِيفُ الصِّفَاتِ[١١]، ....

حتى يمكن الوصول إليها، كما قال عليه السلام[١]: «وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل موصوف أنَّه غيَّر الصفة وشهادة كل صفة أنَّها غير الموصوف».

[٩] **(ولا حدّ تضرب له فيه الأمثال):**

أي ليس له حدود حتى يكون له شبيه كي يقال هذا مثل الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنَّ كل الممكنات محدودة بحدود جسمانية وحدود عقلية، والله تعالى غير محدود فلا يُشبه مخلوقاً، ولا يُشبهه مخلوق، قال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] حيث جعلوا له أشباهاً في الألوهية من الأصنام ونحوها، وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[٣].

[١٠] **(تحبير اللغات):**

«كلّ»: الإعياء، وهو العجز المصاحب للتعب، «دون صفاته» أي قبل الوصول إليها، «تحبير» أي تزيين، و(الحبرة) المبالغة فيما وصف بالجمال، ومنه الحبرة لقماش يماني، والمعنى أنَّ الكلام مهما كان جميلاً وفيه أنواع التحسينات البلاغية فإنَّه لا يمكنه الوصول إلى وصف كنه ذاته.

وفي هذا المقطع دلالة على توقيفية صفاته، لأنَّه لا يعلم ما هو إلَّا هو، سبحانه وتعالى.

[١١] **(تصاريف الصفات):**

«ضلّ» أي لم يهتد وضاع، «هنالك» أي في صفاته، «تصاريف» جمع تصريف وهو تغيير شكل اللفظ وصرف اللفظ من هيأة إلى أخرى بالاشتقاق، والمعنى أنَّ أنحاء التعبيرات المختلفة لا تصل إلى وصفه.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١.

(٢) سورة النحل: الآية ٧٤.

(٣) سورة الشورى: الآية ١١.

وَحَارَ فِي مَلَكُوتِهِ عَمِيقَاتُ مَذَاهِبِ التَّفْكِيرِ[١٢]، وَانْقَطَعَ دُونَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمِهِ جَوَامِعُ التَّفْسِيرِ[١٣]، ....

---

[١٢] (عميقات مذاهب التفكير):

أي الأفكار العميقة مهما سلكت الطرق المختلفة، فإنَّها تبقى حائرة في ملكوته، فكيف بذاته وسائر صفاته؟ أما هو تعالى فإنَّه عالم بكل شيء و«الحيرة» عدم الاهتداء للطريق، كقوله تعالى: ﴿كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[١]، و«الملكوت» مبالغة في الملك، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢]، وقال: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[٣]، ويُراد به ـ عادةً ـ الملك العظيم، ويستعمل غالباً في الغيب، كما أنَّ (الملك) يُستعمل غالباً في عالم الماديات، و«مذاهب» الطرق التي يذهب إليها الفكر للوصول إلى النتيجة، «عميقات» صفة لمذاهب التفكير، فيكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

[١٣] (جوامع التفسير):

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[٤]، «انقطع» القطع بمعنى الانفصال ويُراد به هنا العجز، و«الرسوخ»: الثبوت، و«التفسير»: كشف القناع عن الشيء، أي مهما حاول الناس الوصول إلى علمه والكشف عنه فإنَّهم يعجزون عن ذلك وينقطعون عنه.

وإنَّما قال (الرسوخ) لأنَّ الناس يعلمون ظاهر بعض الأمور دون واقعها قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٥].

قيل: هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٦]، فالمعنى أنَّ لا أحد يتمكن من الرسوخ في تفسير القرآن ـ وهو من

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٥.
(٣) سورة يس: الآية ٨٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.
(٥) سورة الروم: الآية ٧.
(٦) سورة آل عمران: الآية ٧.

وَحَالَ دُونَ غَيْبِهِ الْمَكْنُونِ حُجُبٌ مِنَ الْغُيُوبِ[١٤]، تَاهَتْ فِي أَدْنَى أَدَانِيهَا طَامِحَاتُ الْعُقُولِ فِي لَطِيفَاتِ الْأُمُورِ[١٥]. فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ

معلوماته تعالى ـ إلّا حسب مشيئته، تعالى كما في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

[١٤] **(حجب من الغيوب)**:

«غيبه» الغيب: ما غاب عن الحواس، أضاف الغيب إلى الله تعالى باعتبار أنَّ ما غاب عن الحواس يرتبط بالله تعالى:

فإن كان علمه فهو عين ذاته، وكذا سائر صفاته الذاتية.

وإن كان أشياء أخرى فهي مخلوقاته تعالى، كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(١) و«المكنون» المستور المحفوظ و«حجب» جمع حجاب وهو ما يحتجب به ـ مثل إزار لما يؤتزر به ـ أي ما يمنع من الرؤية ونحوها.

والمعنى أنَّ هنالك غيباً خاصّاً بالله تعالى ـ ولعلَّه هو العلم الذي استأثره لنفسه ولم يطلع أحداً عليه كما يظهر من بعض الروايات ـ وقد حالت غيوب متعدّدة بين المخلوقات وبين الوصول إلى ذلك الغيب فكانت حاجباً.

ولعلَّ تلك الحجب الغيبيَّة هي كمالاته تعالى ونقصان المخلوقات، فإنَّ تلك الكمالات مع هذه النقائص صارت حاجباً بين المخلوقات وبين ذلك الغيب المكنون، فلذا لم يكن للمخلوقات قابلية الوصول إلى ذلك الغيب المكنون.

بلى هنالك غيب غير مكنون، وهذا الغيب أطلع الله تعالى بعض رُسله عليه، وقد أخبرنا ببعضه في كتابه العزيز أو بواسطة أوليائه.

والحاصل أنَّ المخلوقات محدودة فلا يمكنهم الإحاطة بما خرج عن حواسهم ـ الظاهرة أو الباطنة ـ، لكنَّه تعالى ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(٢).

[١٥] **(في لطيفات الأمور)**:

أي تحيَّرت العقول المرتفعة التي تطمح في الوصول إلى الأمور الدقيقة

---

(١) سورة الجن: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

الْهِمَمِ[١٦]، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ[١٧]، وَتَعَالَى الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْدُودٌ[١٨]،

تحيّرت في أدنى تلك الحُجب، فالمعنى أنَّ أرفع العقول تحيَّرت عند أدنى تلك الحجب و«تاهت» من التيه وهو التحيُّر، «طامحات» من الطموح وهو الارتفاع، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي العقول الطامحة وقوله: (في لطيفات الأمور) حرف الجرّ متعلِّق بـ«طامحات» و«في» بمعنى (إلى)، كما في قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾(١).

[١٦] **(لا يبلغه بعد الهمم):**

«تبارك» أي دام خيره «الهمم» جمع همَّة وهي بمعنى العزم الأكيد، و«بُعد الهمة» هو تعلُّق العزم بالأمور العالية دون محقراتها.

فالمعنى أنَّ الهمم العالية التي تريد الوصول إلى الحقائق المختلفة، لا يمكنها الوصول إلى معرفة كنه ذاته وكنه صفاته، لعدم قابلية المحدّد لإدراك غير المحدود.

[١٧] **(غوص الفطن):**

«الفطنة» كما مرّ هي إدراك بواطن الأمور، فكأنَّ هذه العقول تغوص في أعماق بحار المعارف للوصول إلى كنوز المعرفة، لكنَّها تعجز عن إدراك حقيقته تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(٢).

٤ ـ نفي صفات الأعراض والأجسام

وقد ذكرها عليه السلام في عدّة نقاط:

أولاً: خارج عن الزمان

[١٨] **(الذي ليس له وقت معدود):**

أي ليس له زمان داخل في العدّ، فيعدّ ذلك الزمان فينتهي، لأنَّ كل معدود متّناه.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٩.

(٢) سورة طه: الآية ١١٠.

وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ[١٩] وَلَا نَعْتٌ مَحْدُودٌ[٢٠]، سُبْحَانَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ أَوَّلٌ مُبْتَدَأٌ، وَلَا غَايَةٌ مُنْتَهًى[٢١] وَلَا آخِرٌ يَفْنَى[٢٢]، سُبْحَانَهُ، هُوَ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ،

---

[١٩] **(ولا أجل ممدود):**

«الأجل» نهاية الوقت، أي ليس له تعالى نهاية، حتى وإن كانت بعيدة وبعدها لأجل امتداد الوقت.

والحاصل أنَّه تعالى خارج عن الزمان ـ لأنَّه خالق له ـ فلا يُعدّ وقت له، ولا نهاية له، بل هو الآخر الباقي بعد فناء الأشياء.

ثانياً: لا حدّ لصفاته

[٢٠] **(ولا نعت محدود):**

«النعت» الصفة، ويستعمل في الصفة الزائدة على الذات ـ عادة ـ كما في نهج البلاغة[١] (الذي ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود).

ثالثاً: لا بداية ولا نهاية له

[٢١] **(ليس له أول مبتدأ ولا غاية منتهى):**

أي ليس له بداية، فهو أوّل لكن ليس بمعنى الابتداء بل بمعنى أنَّه كان قبل الأشياء، أزليّاً بلا بداية.

وليس له غاية حتى ينتهي عند تلك الغاية، و«الغاية» هي الغرض الذي ينتهي الشيء عند الوصول إليه، وليس لوجود الله غرض بل وجوده لذاته.

وبعبارة أخرى كل الموجودات وجدت لتعلُّق غرض بإيجادها، فكان ذلك الغرض هو الباعث لإيجادها، ولكن الله تعالى موجود لذاته.

[٢٢] **(ولا آخر يفنى):**

أي ليس كونه آخراً بمعنى أنَّه ينتهي، بل آخريته بمعنى بقائه بعد فناء الأشياء كلّها.

فهو تعالى الأوّل والآخر بمعنى الأزليَّة والأبديَّة.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١.

وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَهُ، وَحَدَّ الْأَشْيَاءَ[٢٣] كُلَّهَا عِنْدَ خَلْقِهِ، إِبَانَةً لَهَا مِنْ شِبْهِهِ، وَإِبَانَةً لَهُ مِنْ شِبْهِهَا، لَمْ يَحْلُلْ فِيهَا فَيُقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ[٢٤]، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ[٢٥]، ....

رابعاً: لا حدّ لذاته

[٢٣] **(وحدّ الأشياء):**

أي جعل لها حدوداً عندما قدَّرها أو عندما أوجدها، ونتيجة كونها ذا حدود هي عدم شباهتها له تعالى، وذلك لأنَّ المحدود يختلف عن غير المحدود في كل شيء، وإنَّما قدَّرها محدودة لعدم قابليتها لأن تكون غير محدودة.

ومفعول «خَلْقِه» مقدَّر وهو (إيَّاها)، وقوله «إبانةً» منصوب بنزع الخافض أي لإبانة، واللّام هي لام العاقبة، فحاصل المعنى أنَّه تعالى قدَّر أو أوجد الأشياء بحدود، ونتيجة كونها محدودة أنَّها لا تشبهه تعالى، و«من شبهه» أي من أن تشبهه.

[٢٤] **(هو فيها كائن):**

إحاطة الله تعالى بالأشياء هو إحاط علم وقدرة، وليس بمعنى أنَّ له حلولاً في الأشياء حتى تحيط تلك الأشياء به، وذلك لاستحالة أن يحتوي المحدود على اللامحدود، مضافاً إلى أنَّ الله خالق المكان ويستحيل أن يحيط المخلوق بالخالق، بل هو تعالى المحيط بكل شيء كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾(١)، وقد مرّ تفصيل الكلام في ذلك.

[٢٥] **(هو منها بائن):**

أي ليس هو بعيداً عنها بالبعد المكاني، وذلك لأنَّه ليس في المكان حتى يصحّ أن يقال: قريب مكاني أو بعيد مكاني، ولذا لا يصحّ أن يقال إنَّ الله داخل في مخلوقاته أو خارج عنها، بمعنى الدخول والخروج المكاني، لأنَّها من الملكة وعدمها ـ كالأعمى والبصير ـ لأنَّ الشيء الذي له قابلية المكان

(١) سورة النساء: الآية ١٢٦.

وَلَمْ يَخْلُ مِنْهَا فَيُقَالَ لَهُ: أَيْنَ[٢٦]، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ، وَأَتْقَنَهَا صُنْعُهُ، وَأَحْصَاهَا حِفْظُهُ[٢٧]، ....

يُقال له خارج عنه أو داخل فيه، أمَّا ما لا يكون قابلاً للمكان فلا يصحّ أن يُقال فيه إنَّه خارج أو داخل، كما لا يصحُّ أن يُقال إنَّ الحجر أعمى أو بصير، لأنَّهما يحتاجان إلى المحلّ القابل للبصر كالإنسان.

أمَّا إذا كان معنى الخروج هو عدم الحلول في المخلوقات فذلك صحيح، لأنَّه مع كل شيء بعلمه وقدرته، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾(١).

[٢٦] **(فيقال له أين):**

أي ليس يحتويه مكان دون مكان، حتى إذا كان في بعض المكان كان مفقوداً في بعضه الآخر، شأن المخلوقات، أمَّا الله فعلمه وقدرته أحاطتا بكل مكان.

خامساً: عليم بكل شيء

[٢٧] **(وأحصاها حفظه):**

«أحاط» بالإحاطة العلمية كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾(٢).

و«الإتقان» هو صنع الشيء من غير خلل فيه وبصورة كاملة قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٣) وهذا من إحاطة قدرته بكل الأشياء.

والاحصاء» كما قال سبحانه: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾(٤)، ومرجع إحصاء الحفظ هو الإحاطة العلمية، وإنَّما تكرَّر للدلالة على أنَّ علمه بالأشياء لا يزول فإنَّه تعالى لا ينسى، قال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾(٥).

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.
(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.
(٣) سورة النمل: الآية ٨٨.
(٤) سورة الجن: الآية ٢٨.
(٥) سورة المجادلة: الآية ٦.

لَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ خَفِيَّاتُ غُيُوبِ الْهَوَاءِ[٢٨]، وَلَا غَوَامِضُ مَكْنُونِ ظُلَمِ الدُّجَى[٢٩]، وَلَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى إِلَى الْأَرَضِينَ السُّفْلَى[٣٠]، لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا حَافِظٌ

والحاصل أنَّه تعالى محيط بكل شيء قدرة لذا أتقن الصنع، وأنَّه محيط بكل شيء علماً فلا يجهل شيئاً، وأنَّه لا ينسى فلذا هو يحصي كل شيء.

[٢٨] **(غيوب الهواء):**

«لم يعزب» أي لا يغيب، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

و«خفيات غيوب الهواء» المراد إمَّا الذرة أو الأصغر منها ـ كما في الآية ـ لأنَّها تختفي فلا ترى إلَّا إذا كان إشعاع من النُّور في ثقب الجدار، وإمّا كل ما يختفي في الفضاء فيشمل حتى مثل الجن والملك والعناصر الطبيعية المخفية في الهواء مثل الغازات ونحوها.

[٢٩] **(ظلم الدجى):**

أي لا يُخفى عليه ما استتر في الظلمات، «الغوامض» جمع غامضة، وأصله من غمض العين فلا ترى، ثم استعمل في كل خفيّ ـ حتى إذا كان في الفكر فيقال كتاب غامض لخفاء مقصود مؤلفه مثلاً ـ، «المكنون»: المستور، «ظُلَم»: جمع ظلمة، «دُجى»: جمع دُجية وهي الظلمة، وإضافة (ظُلَم) إلى (الدُّجى) من إضافة الشيء إلى نفسه تأكيداً كما يقال (علم يقيني) قال تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٢).

[٣٠] **(والأرضين السفلى):**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾(٣).

---

(١) سورة يونس: الآية ٦١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣.

وَرَقِيبٌ[٣١]، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْهَا بِشَيْءٍ مُحِيطٌ[٣٢]، وَالْمُحِيطُ بِمَا أَحَاطَ مِنْهَا الْوَاحِدُ

---

[٣١] **(حافظ ورقيب):**

أي هو تعالى لكل شيء حافظ، وعلى كل شيء رقيب، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾(٢).

ويحتمل أن يكون المعنى أنَّ الله جعل ملائكة للحفظ وللرقابة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٤).

والحفظ إما من العلم، وإما من المحافظة من الأخطار، كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٥)، والأول أقرب إلى السياق.

[٣٢] **(وكل شيء منها بشيء محيط):**

أي كل شيء من السماوات والأرضين وما فيهما، والمعنى أنَّ كل مخلوق محيط بمخلوق آخر إحاطة جسمية أو إحاطة سببية.

فالأول: كما يشاهد من إحاطة كل شيء صغير بشيء أكبر منه، حتى ينتهي الأمر إلى الكرسي حيث يحيط بكل المخلوقات، كما قال سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(٦)، ثم العرش حيث يحيط بالكرسي ـ كما مرّ تفصيل ذلك ـ.

والثاني: بمعنى ترتّب الموجودات، وكون بعضها سبباً للبعض الآخر، بجعل الله تعالى لتلك السببيَّة.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٢١.
(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٢.
(٣) سورة الانفطار: الآيتان ١٠ ـ ١١.
(٤) سورة ق: الآية ١٨.
(٥) سورة الرعد: الآية ١١.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

الْأَحَدُ الصَّمَدُ[٣٣]**، الَّذِي لَا يُغَيِّرُهُ صُرُوفُ الْأَزْمَانِ**[٣٤]**، وَلَا يَتَكَأَّدُهُ صُنْعُ شَيْءٍ كَانَ**[٣٥]**، إِنَّمَا قَالَ لِمَا شَاءَ: كُنْ، فَكَانَ؛ ابْتَدَعَ مَا خَلَقَ بِلَا مِثَالٍ سَبَقَ وَلَا تَعَبٍ وَلَا نَصَبٍ**[٣٦]**، ....**

سادساً: محيط بكل شيء

[٣٣] **(والمحيط بما أحاط منها الواحد الأحد الصمد):**

«المحيط» مبتدأ، خبره «الواحد الأحد الصمد»، والمعنى أنَّ الله تعالى هو المحيط بكل الموجودات، إحاطة علم وقدرة، وأنَّه مسبِّب الأسباب فكل سبب إنَّما كان سبباً لأنَّ الله تعالى أراد ذلك.

فالحاصل أنَّ كل موجود محيط بموجود آخر، والله تعالى محيط بالمحيط من تلك الموجودات.

وقوله «الواحد الأحد الصمد» إشارة إلى عِلَّة كونه تعالى محيطاً بها لأنَّه القديم وغير المحتاج إلى شيء، ولذلك كان سبباً للمخلوقات ومحيطاً بها علماً وقدرة.

سابعاً: لا يتغيَّر

[٣٤] **(صروف الأزمان):**

أي تغيُّرات الأزمان، من الصرف بمعنى الانتقال من حال إلى حال.

[٣٥] **(ولا يتكأده صنع شيء كان):**

أي لا يثقل عليه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَئُودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)، و«كان» بمعنى وجد بتكوين من الله تعالى.

[٣٦] **(ولا تعب ولا نصب):**

«النصب» شدَّة التعب، والمعنى أنَّ الله تعالى خلق الأشياء لا من شيء ولا تقليداً لشيء، ولا تعب في خلقه للأشياء، عكس المخلوقين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٨.

وَكُلُّ صَانِعِ شَيْءٍ فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ[٣٧] وَاللَّهُ لَا مِنْ شَيْءٍ صَنَعَ مَا خَلَقَ، وَكُلُّ عَالِمٍ فَمِنْ بَعْدِ جَهْلٍ تَعَلَّمَ وَاللَّهُ لَمْ يَجْهَلْ وَلَمْ يَتَعَلَّمْ، أَحَاطَ بِالْأَشْيَاءِ عِلْماً قَبْلَ كَوْنِهَا[٣٨]، فَلَمْ يَزْدَدَ بِكَوْنِهَا عِلْماً، عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ أَنْ يُكَوِّنَهَا كَعِلْمِهِ بَعْدَ تَكْوِينِهَا[٣٩]، لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى ضِدٍّ مُنَاوٍ، وَلَا نِدٍّ مُكَاثِرٍ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَابِرٍ[٤٠]، ....

---

[٣٧] (فمن شيء صنع):
لأنَّ المادة موجودة وإنَّما الصانع يغيِّر صورتها فقط.

[٣٨] (علماً قبل كونها):
لأنَّه عالم إذ لا معلوم، وبهذا يتبين الإشكال في قولهم إنَّ علم الله حضوري، وذلك لعدم حضور الأشياء قبل خلقها بل لم تكن شيئاً حتى تحضر، وقد مرّ أنَّ سنخ علمه مجهول لنا.

[٣٩] (كعلمه بعد تكوينها):
فكان يعلم بالشيء قبل وجوده، وبعد وجوده لا يتغيَّر علمه، وذلك لأنَّه تعالى ليس في الزمان، وهذا عكس المخلوقين، فإنَّ علمهم بالشيء قبل وجوده يختلف عن علمهم بعد وجوده ـ كما مرّ تفصيله ـ.

[٤٠] (ولا شريك مكابر):
«مناو» أي معادي، و«الند»: المثل، و«المكابر»: أي ينكر حقَّه أو يتكبَّر عليه.
والحاصل أنَّه تعالى ليس له ضد يعاديه، وأعداؤه إنَّما هم مخلوقاته لا حول ولا قوَّة لهم أمامه، وليس له مِثْل يريد السبق عليه بالكثرة كما يفعل النظراء بعضهم أمام البعض، وليس له شريك ينكر حقَّه كما يحدث في الشركاء في كثير من الأحيان.

لَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ[٤١]. فَسُبْحَانَ الَّذِي لَا يَؤُودُهُ[٤٢] خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، وَلَا تَدْبِيرُ مَا بَرَأَ[٤٣]، وَلَا مِنْ عَجْزٍ وَلَا مِنْ فَتْرَةٍ[٤٤] بِمَا خَلَقَ اكْتَفَى، عَلِمَ مَا خَلَقَ وَخَلَقَ مَا عَلِمَ[٤٥]، ....

---

[٤١] **(عباد داخرون):**

أي صاغرون أذلاء أمام الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾(١).

[٤٢] **(الذي لا يؤوده):**

أي لا يثقل عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾(٢).

[٤٣] **(ولا تدبير ما برأ):**

فلا أصل الإيجاد يصعب عليه، ولا تدبير الموجودات التي برأها تثقل عليه.

[٤٤] **(ولا من فترة):**

«العجز»: عدم القدرة، و«الفترة» من الفتور بمعنى ضعف القدرة، والمعنى أنَّ الاكتفاء بهذا المقدار ممَّا خلق ـ مع قدرته على الزيادة ـ ليس لأجل عجزه أو ضعفه، بل لعدم وجود مصلحة في الأزيد، لأنَّه تعالى لا يعبث ولا يلعب، بل لحكمةٍ خلق ما خلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾(٣)، كلَّما اقتضت الحكمة زاد الله في الخلق، كما قال سبحانه: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾(٥).

[٤٥] **(علم ما خلق، وخلق ما علم):**

أي كان عالماً بما خلقه قبل خلقه وبعد أن خلقه، أي إنّه تعالى يخلق ما علم أزلاً بأنَّه سيخلقه، لاستحالة أن يكون علم الله جهلاً، تعالى عن ذلك،

---

(١) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣٨.

(٤) سورة فاطر: الآية ١.

(٥) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

لَا بِالتَّفْكِيرِ فِي عِلْمٍ حَادِثٍ[٤٦] أَصَابَ مَا خَلَقَ، وَلَا شُبْهَةٍ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فِيمَا لَمْ يَخْلُقْ[٤٧]، لَكِنْ قَضَاءٌ مُبْرَمٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُتْقَنٌ[٤٨]، ....

أو بمعنى أنَّه تعالى يخلق ما علم أنَّ الصلاح في خلقه.

ثم إنَّ التعبير بـ«خَلَق» بصيغة الماضي، مع أنَّ بعض المخلوقات لم تخلق بعد، إنّما هو لأجل التغليب أو لأنَّ ما سيُخلق هو مستقبل متحقّق الوقوع.

[٤٦] **(بالتفكير في علم حادث):**

كما هو شأن المخلوقين، حيث يحصل لهم العلم بشيء، ثم يفكرون فيما علموه، ثم يعزمون على الفعل.

أمَّا الله تعالى فلم يفكر في علم حادث حصل له، لأنَّ علمه قديم وهو تعالى لا يحتاج إلى التفكير.

[٤٧] **(فيما لم يخلق):**

كما هو شأن المخلوقين، حيث لا يقررون عند الشك والشُّبهة فلا يعزمون، أما الله تعالى فلم يخلق ما لم يخلقه لعدم وجود مصلحة فيه.

[٤٨] **(وأمر متقن):**

أي خلقه للأشياء إنَّما هو للمصلحة وإحاطة منه تعالى بالأصلح، لأنَّ علمه لا شكَّ فيه، وأمره تعالى دقيق ليس ككثير من المخلوقين حيث يقدمون بلا اتّقان فيظهر الخلل في عملهم.

«مبرم» الإبرام ضد النقض وهو إحكام الأمر حتى لا يكون فيه خلل كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾[١]، و«محكم» من الإحكام وهو بمعنى عدم الخلل كقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[٢]، و«متّقن» من الإتقان وهو بمعنى الدِّقة كقوله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[٣].

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٧٩.

(٢) سورة هود: الآية ١.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٨.

تَوَحَّدَ بِالرُّبُوبِيَّةِ[٤٩] وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ[٥٠]، وَاسْتَخْلَصَ بِالْمَجْدِ وَالثَّنَاءِ[٥١]،

ثامناً: توحيده

أ ـ توحيد الأفعال

[٤٩] (توحّد بالربوبية):

هذا في توحيد الأفعال، لأنَّه تعالى المربِّي للموجودات كلها، لا رب غيره، قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾(٢).

ب ـ توحيد الذات

[٥٠] (خصّ نفسه بالوحدانية):

هذا في توحيد الذات، و«الوحدانية»: نسبة إلى الوحدة، وأُضيفت الألف والنون على غير قياس، مثل ربَّاني نسبة إلى الرب، والوحدة الحقيقية خاصة بالله تعالى لأنَّه ليس كمثله شيء، أما سائر الأشياء فوحدتها اعتباريَّة إذ هي تشترك مع غيرها في بعض الذاتيات أو الأعراض.

ج ـ توحيد الصفات

[٥١] (بالمجد والثناء):

هذا في توحيد الصفات، «استخلص» أي جعلهما خاصين خالصين له تعالى و«المجد»: الرفعة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾(٣) فالمجد الذاتي خاص به تعالى، وكل رفيع فإنَّ رفعته ترجع إليه تعالى لأنَّه سببها.

و«الثناء»: المدح، فالثناء الحقيقي خاص به، وكل ثناء لغيره فإنَّما سببه هو تعالى لأنَّ المتفضِّل بكل شيء.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٣) سورة هود: الآية ٧٣.

وَتَفَرَّدَ بِالتَّوْحِيدِ[٥٢] وَالْمَجْدِ وَالسَّنَاءِ[٥٣]، وَتَوَحَّدَ بِالتَّحْمِيدِ[٥٤]، وَتَمَجَّدَ

د ـ توحّده بالكمالات

[٥٢] **(تفرَّد بالتوحيد):**

المراد بهذه الفقرة إلى قوله (تمجَّد بالتمجيد) هو إثبات أنَّ كل الكمالات له تعالى لا لغيره، وإن كان لغيره كمال فإنَّما هو من الله سبحانه وتعالى، وقد ذكرنا في (التفكُّر في القرآن) في بحث الشفاعة أنَّ الشفاعة ككل كمال هي خاصة بالله تعالى، وقد يأذن الله لمن ارتضى هذا الكمال.

فتكرار بعض المقاطع لاختلاف الغرض من ذكرها، مثلاً المجد قد ينظر إليه من زاوية توحيد الصفات لذا قال: (واستخلص بالمجد. . .)، وقد ينظر إليه من زاوية أنَّ الله أمر به ولذا قال: (وتمجَّد بالتمجيد).

[٥٣] **(والمجد والسناء):**

«السناء»: العلو، أو الضوء كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾[١].

والمعنى أنَّ لا إله غيره ليشاركه في توحيده، وفي رفعته، وفي نوره أو علوِّه.

هـ ـ توحيد العبادة

[٥٤] **(توحَّد بالتحميد):**

أي توحد باستحقاق الحمد من عباده، قال سبحانه: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾[٢]، أو بمعنى أنَّه أمر بأن يُحمد هو لا غيره، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٤]، فجنس الحمد له تعالى، ولا يجوز حمد الأصنام ونحوها.

---

(١) سورة النور: الآية ٤٣.

(٢) سورة التغابن: الآية ١.

(٣) سورة غافر: الآية ٦٥.

(٤) سورة النمل: الآية ٩٣.

بِالتَّمْجِيدِ[٥٥]، وَعَلَا عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ[٥٦]، وَتَطَهَّرَ وَتَقَدَّسَ[٥٧] عَنْ

---

[٥٥] **(تمجّد بالتمجيد):**

أي أظهر عظمته بأن أمر أن يمجّد ـ أي يُوصف بالرفعة والعظمة ـ، أو بمعنى أنَّه المستحق للتمجيد لا غيره، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾(١) والحاصل أنَّ الكمالات الذاتية كلّها له لا لغيره.

و ـ تنزهّه عن الشركاء

[٥٦] **(عن اتّخاذ الأبناء):**

كما قال سبحانه: ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢).

فيستحيل أن يكون لله ابن حقيقي، لأنَّه قطعة منفصلة من الأب، والله غير مركّب وذاته لا تتجزأ.

كما يستحيل في حقّه تعالى التبنّي، لعدم المصلحة في ذلك، ولعدم قابلية المخلوق ليرتفع عن درجة العبودية، فلذا كانت العبودية فخر لأولياء الله، وهي درجة لهم قبل النبوّة، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾(٣).

وفي تشهد الصلاة تتقدم الشهادة بعبودية الرسول ﷺ على رسالته: (وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾(٤).

[٥٧] **(وتطهّر وتقدّس):**

«القدس» شدَّة الطهر، ويُستعمل «الطهر» عادة في الطهارة من القذارات المادية، ويُستعمل «القدس» عادة من الرذائل أو النقائص المعنوية، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾(٥) أي ارتفعت عظمته.

---

(١) سورة البروج: الآيتان ١٤ ـ ١٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٣) سورة مريم: الآية ٣٠.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٦.

(٥) سورة الجن: الآية ٣.

مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ، وَعَزَّ وَجَلَّ عَنْ مُجَاوَرَةِ الشُّرَكَاءِ، فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا خَلَقَ ضِدٌّ[٥٨]، وَلَا لَهُ فِيمَا مَلَكَ نِدٌّ[٥٩]، وَلَمْ يَشْرَكْهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ[٦٠]، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الْمُبِيدُ لِلْأَبَدِ[٦١]، وَالْوَارِثُ لِلْأَمَدِ[٦٢]، الَّذِي لَمْ

---

[٥٨] **(فيما خلق ضدّ)**:

«الضد» هو الشبيه المضاد، أي ليس في المخلوقات من هو شبيه مضاد له تعالى.

[٥٩] **(ولا فيما ملك ندّ)**:

«الند»: المثل، وهو الشبيه الذي لا يضاد.

[٦٠] **(ولم يشركه في ملكه أحد)**:

أي ليس له شريك فيما يملك، والفرق بين هذه الفقرة، والفقرتين السابقتين، أنَّ «الضد» و«الند» لنفي الشبيه، والشبيه قد لا يكون شريكاً، وهذه الفقرة لنفي الشريك، والشريك قد لا يكون شبيهاً.

تاسعاً: سرمديته

[٦١] **(المبيد للأبد)**:

أي الذي يُفني الزمان والزمانيات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾(١).

[٦٢] **(الوارث للأمد)**:

أي الباقي بعد فناء الأمد، و«الأمد» إما بمعنى الغاية والنهاية، أو بمعنى امتداد الزمان، فإنَّ الله يبقى بعد انتهاء الغايات وانتهاء الزمان، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢٣.

يَزَلْ وَلَا يَزَالُ وَحْدَانِيّاً أَزَلِيّاً، قَبْلَ بَدْءِ الدُّهُورِ[٦٣] وَبَعْدَ صُرُوفِ الْأُمُورِ[٦٤]، الَّذِي لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْفَدُ[٦٥]، بِذَلِكَ أَصِفُ رَبِّي، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مِنْ عَظِيمٍ مَا أَعْظَمَهُ! وَمِنْ جَلِيلٍ مَا أَجَلَّهُ! وَمِنْ عَزِيزٍ مَا أَعَزَّهُ! وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوّاً كَبِيراً.

وَهَذِهِ الْخُطْبَةُ مِنْ مَشْهُورَاتِ خُطَبِهِ عليه السلام حَتَّى لَقَدِ ابْتَذَلَهَا الْعَامَّةُ[٦٦]، وَهِيَ كَافِيَةٌ لِمَنْ طَلَبَ عِلْمَ التَّوْحِيدِ إِذَا تَدَبَّرَهَا وَفَهِمَ مَا فِيهَا، فَلَوِ اجْتَمَعَ أَلْسِنَةُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ـ لَيْسَ فِيهَا لِسَانُ نَبِيٍّ ـ عَلَى أَنْ يُبَيِّنُوا التَّوْحِيدَ بِمِثْلِ مَا أَتَى بِهِ ـ بِأَبِي وَأُمِّي ـ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْلَا إِبَانَتُهُ عليه السلام مَا عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ يَسْلُكُونَ سَبِيلَ التَّوْحِيدِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ وَلَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ»، فَنَفَى

---

[٦٣] **(قبل بدء الدهور):**

أي لم يزل وحدانياً أزلياً قبل ابتداء الزمان، لأنَّ وحدته وأزليّته لا ترتبط بالزمان، لأنَّه ليس في الزمان بل خالقه.

[٦٤] **(وبعد صروف الأمور):**

أي لم يزال وحدانياً أزليّاً بعد تغيُّر أو فناء الأمور، «صروف» من الصرف بمعنى التغيُّر أو الزوال.

[٦٥] **(لا يبيد ولا ينفد):**

«لا يبيد»: لا يهلك، «لا ينفد»: لا تنتهي صفاته أو عطاياه، قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾(٢).

[٦٦] **(ابتذلتها العامة):**

الابتذال من البذل، والمراد أنَّها في متناول عامة الناس لشهرتها.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٦.

(٢) سورة ص: الآية ٥٤.

بِقَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ» مَعْنَى الْحُدُوثِ، وَكَيْفَ أَوْقَعَ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ صِفَةَ الْخَلْقِ وَالِاخْتِرَاعِ بِلَا أَصْلٍ وَلَا مِثَالٍ، نَفْياً لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا مُحْدَثَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَإِبْطَالاً لِقَوْلِ الثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُ لَا يُحْدِثُ شَيْئاً إِلَّا مِنْ أَصْلٍ وَلَا يُدَبِّرُ إِلَّا بِاحْتِذَاءِ مِثَالٍ.

فَدَفَعَ عليه السلام بِقَوْلِهِ: «لَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ» جَمِيعَ حُجَجِ الثَّنَوِيَّةِ وَشُبَهِهِمْ، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَعْتَمِدُ الثَّنَوِيَّةُ فِي حُدُوثِ الْعَالَمِ أَنْ يَقُولُوا: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ الْخَالِقُ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ مِنْ شَيْءٍ أَوْ مِنْ لَا شَيْءٍ، فَقَوْلُهُمْ: «مِنْ شَيْءٍ» خَطَأٌ وَقَوْلُهُمْ «مِنْ لَا شَيْءٍ» مُنَاقَضَةٌ وَإِحَالَةٌ، لِأَنَّ «مِنْ» تُوجِبُ شَيْئاً، «وَلَا شَيْءٍ» تَنْفِيهِ، فَأَخْرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام هَذِهِ اللَّفْظَةَ عَلَى أَبْلَغِ الْأَلْفَاظِ وَأَصَحِّهَا، فَقَالَ: لَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَ مَا كَانَ، فَنَفَى «مِنْ» إِذْ كَانَتْ تُوجِبُ شَيْئاً، وَنَفَى «الشَّيْءَ» إِذْ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقاً مُحْدَثاً لَا مِنْ أَصْلٍ أَحْدَثَهُ الْخَالِقُ، كَمَا قَالَتِ الثَّنَوِيَّةُ: إِنَّهُ خَلَقَ مِنْ أَصْلٍ قَدِيمٍ، فَلَا يَكُونُ تَدْبِيرٌ إِلَّا بِاحْتِذَاءِ مِثَالٍ.

ثُمَّ قَوْلُهُ عليه السلام «لَيْسَتْ لَهُ صِفَةٌ تُنَالُ وَلَا حَدٌّ تُضْرَبُ لَهُ فِيهِ الْأَمْثَالُ، كَلَّ دُونَ صِفَاتِهِ تَحْبِيرُ اللُّغَاتِ» فَنَفَى عليه السلام أَقَاوِيلَ الْمُشَبِّهَةِ حِينَ شَبَّهُوهُ بِالسَّبِيكَةِ وَالْبِلَّوْرَةِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَقَاوِيلِهِمْ مِنَ الطُّولِ وَالِاسْتِوَاءِ. وَقَوْلَهُمْ: «مَتَى مَا لَمْ تَعْقِدِ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى إِثْبَاتِ هَيْئَةٍ لَمْ تَعْقِلْ شَيْئاً فَلَمْ تُثْبِتْ صَانِعاً» فَفَسَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ وَاحِدٌ بِلَا كَيْفِيَّةٍ وَأَنَّ الْقُلُوبَ تَعْرِفُهُ بِلَا تَصْوِيرٍ وَلَا إِحَاطَةٍ.

ثُمَّ قَوْلُهُ عليه السلام: «الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، وَتَعَالَى الَّذِي لَيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْدُودٌ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، وَلَا نَعْتٌ مَحْدُودٌ»؛ ثُمَّ قَوْلُهُ عليه السلام: «لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالَ: هُوَ فِيهَا كَائِنٌ، وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالَ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ»، فَنَفَى عليه السلام بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ صِفَةَ الْأَعْرَاضِ وَالْأَجْسَامِ، لِأَنَّ مِنْ

صِفَةِ الْأَجْسَامِ التَّبَاعُدَ وَالْمُبَايَنَةَ، وَمِنْ صِفَةِ الْأَعْرَاضِ الْكَوْنَ فِي الْأَجْسَامِ بِالْحُلُولِ عَلَى غَيْرِ مُمَاسَّةٍ، وَمُبَايَنَةُ الْأَجْسَامِ عَلَى تَرَاخِي الْمَسَافَةِ.

ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «لَكِنْ أَحَاطَ بِهَا عِلْمُهُ وَأَتْقَنَهَا صُنْعُهُ» أَيْ هُوَ فِي الْأَشْيَاءِ بِالْإِحَاطَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَعَلَى غَيْرِ مُلَامَسَةٍ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ اسْمُهُ[١] وَتَعَالَى ذِكْرُهُ[٢] وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ[٣]، سُبْحَانَهُ وَتَقَدَّسَ وَتَفَرَّدَ

الحديث الثاني:

الحديث الشريف يمكنه تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توصيف الله تعالى بما وصف نفسه.

الثاني: بيان عظمة أفعاله ومخلوقاته.

الثالث: بيان عجز الواصفين عن وصفه الصحيح.

«١»

[١] **(تبارك اسمه):**

«تبارك» دام خيره، أي اسمه تعالى ذو خير دائم، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾(١).

[٢] **(تعالى ذكره):**

أي تعالى ذكره عن الأوصاف التي لا تليق به، كوصفه بالشريك والولد والصاحبة، قال: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢).

[٣] **(جلّ ثناؤه):**

أي لا يتمكَّن أحد من ثنائه كما هو أهل له، وذلك لعدم تناهي كمالاته،

---

(١) سورة الرحمن: الآية ٧٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

وَتَوَحَّدَ[٤]، وَلَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ[٥]، وَهُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ[٦]، فَلَا أَوَّلَ لِأَوَّلِيَّتِهِ[٧]، رَفِيعاً فِي أَعْلَى عُلُوِّهِ[٨]. ....

وعدم تمكُّننا من إحصاء نعمه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾(١).

[٤] (توحّد):

«سبحانه» أصله (أسبِّحه سبحاناً) ثم حذف الفعل وأضيف سبحان إلى الضمير الراجع إلى الله عوضاً عن المحذوف وهو بمعنى التنزيه، و«تقدَّس» أي تطهر عن الاتِّصاف بالنقائص وصفات الممكنات، و«تفرَّد» في الخلق والتدبير و«توحَّد» فلا شريك ولا صاحبة ولا ولد له.

[٥] (لم يزل ولا يزال)

أي وجوده أزلي وأبدي، قبل خلق الزمان وبعد فنائه.

[٦] (والظاهر والباطن):

«الأول» لا شيء قبله، و«الآخر» الباقي بعد فناء الأشياء.

و«الظاهر» بآثاره والغالب على كل شيء بقدرته، و«الباطن» بذاته فلا يُرى ولا تدركه العقول والأوهام.

[٧] (فلا أوَّل لأوَّليته):

فليس معنى «الأول»: الابتداء بأن يكون مسبوقاً بالعدم، بل معناه أنَّه أزلي لا شيء قبله.

[٨] (رفيعاً في أعلى علوه):

من إضافة الوصف للموصوف، فالمعنى رفيعاً في علوِّه الأعلى، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾(٣).

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٢) سورة غافر: الآية ١٥.

(٣) سورة الأعلى: الآية ١.

شَامِخُ الْأَرْكَانِ[٩]، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ[١٠] عَظِيمُ السُّلْطَانِ، مُنِيفُ الْآلَاءِ[١١]، سَنِيُّ الْعَلْيَاءِ[١٢]، الَّذِي عَجَزَ الْوَاصِفُونَ عَنْ كُنْهِ صِفَتِهِ، وَلَا يُطِيقُونَ حَمْلَ مَعْرِفَةِ

ولعلَّ المراد أنَّ الله هو الأعلى بالذات، لا كبعض حكام الدنيا حيث علوّهم بالمنصب فقط ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١).

«٢»

[٩] **(شامخ الأركان):**

«الشموخ» الاستطالة والعلو كقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾(٢)، و«الركن» المُراد به ـ هنا ـ علوّ مخلوقات الله تعالى التي أمرها بتدبير أمور الخلق ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(٣)، أو بمعنى علوّ صفاته، أو إحاطة قدرته بكل شيء.

[١٠] **(رفيع البنيان):**

أي له المخلوقات العظيمة، قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾(٤).

[١١] **(منيف الآلاء):**

و«نيف» بمعنى الزيادة وبمعنى الإشراف، فالمعنى ـ هنا ـ هو كثير النِّعم أو أنَّ نعمه غمرت الخلق.

[١٢] **(سني العلياء):**

«السناء» ـ هنا ـ الرفعة، وفي المرآة(٥): «العلياء»: السماء، ورأس الجبل، والمكان المرتفع، وكل ما علا من شيء، ولعلَّ المراد هنا: كل مرتفع يليق أن يُنسب إليه.

---

(١) سورة القصص: الآية ٤.
(٢) سورة المرسلات: الآية ٢٧.
(٣) سورة النازعات: الآية ٥.
(٤) سورة النبأ: الآية ١٢.
(٥) المرآة: ج٢ ص٩٢.

إِلَهِيَّتِهِ[١٣]، وَلَا يَحُدُّونَ حُدُودَهُ[١٤]، لِأَنَّهُ بِالْكَيْفِيَّةِ لَا يُتَنَاهَى إِلَيْهِ[١٥].

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُخْتَارِ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ ـ جَمِيعاً ـ، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ قَالَ: ضَمَّنِي وَأَبَا الْحَسَنِ عليه السلام[١] الطَّرِيقُ فِي مُنْصَرَفِي مِنْ مَكَّةَ إِلَى

«٣»

[١٣] **(حمل معرفة إلهيته):**
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله «يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت»(١).

[١٤] **(ولا يحدُّون حدوده):**
المعنى أنَّ الله تعالى ليس له حدود حتى يتمكن أحد من حدّه بها.
فالمنفي في الحقيقة هو الحدود، وبتبعه يُنفى التحديد.
أو بمعنى أنَّ الواصفين لا يقدرون على تحديده.

[١٥] **(لا يتناهى إليه):**
دليل عجز الواصفين عن كنه صفته، وعن حمل معرفة إلهيته، وعن تحديد حدوده.
وحاصله أنَّ الواصفين محدودون محاطون بالكيفيات، فلا يمكنهم المعرفة الكاملة لشيء خارج عن الكيفية، لعدم امتلاكهم أداة معرفة الوجود اللامتناهي.
وفي المرآة(٢): أي لا يقدرون تحديده، لأنَّهم إنَّما يقدرون على التحديد بالكيفيات وأشباهها، وهو سبحانه متعالٍ عن الكيفيات والصفات الزائدة. انتهى.

الحديث الثالث:

[١] **(أبا الحسن)**
الإمام الرضا عليه السلام ـ كما عن العيون ـ، أو الإمام الهادي عليه السلام ـ كما عن كشف الغمَّة ـ.

---

(١) مختصر بصائر الدرجات: ص١٣٥.
(٢) المرآة: ج٢ ص٩٢.

خُرَاسَانَ، وَهُوَ سَائِرٌ إِلَى الْعِرَاقِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنِ اتَّقَى اللَّهَ يُتَّقَى[٢]، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاعُ، فَتَلَطَّفْتُ فِي الْوُصُولِ[٣] إِلَيْهِ، فَوَصَلْتُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: يَا فَتْحُ: مَنْ أَرْضَى الْخَالِقَ لَمْ يُبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ[٤]، وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَقَمِنٌ[٥] أَنْ يُسَلِّطَ اللَّهُ[٦] عَلَيْهِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِ، وَإِنَّ

---

[٢] (من اتَّقى الله يُتقى):

وذلك من باب المقتضي، لا العلَّة التامة، أو المراد: الغالب، فإن الغالب أنَّ المؤمن يُطاع ويُتَّقى لهيبته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾(١)، ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(٢).

[٣] (فتلطَّفت في الوصول):

أي وصلت إليه برفق كقوله: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾(٣)، أو بمعنى وصلت إليه بحيلة لطيفة.

[٤] (لم يبال بسخط المخلوق):

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٤)، وفي الحديث (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)(٥).

[٥] (فقمن):

«قَمِن» و«قمين» بمعنى جدير.

[٦] (أن يسلِّط الله...):

وذلك من باب المقتضي، لأنَّ سخط الله في المعاصي، والمعصية هي خلاف الموازين الطبيعية، فلذا توجب الظلم والجور ممَّا يؤدِّي إلى سخط المخلوق، وهذا لا ينافي سخط بعض الناس من الأنبياء والصلحاء ـ أحياناً ـ،

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٤.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٤) سورة التوبة: الآية ٦٢.

(٥) أمالي الصدوق، المجلسي: ٥٩، ص٤٥٢.

الْخَالِقَ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَأَنَّى يُوصَفُ[٧] الَّذِي تَعْجِزُ الْحَوَاسُّ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَالْأَوْهَامُ أَنْ تَنَالَهُ[٨]، وَالْخَطَرَاتُ أَنْ تَحُدَّهُ، وَالْأَبْصَارُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهِ[٩]، ....

أو المراد السخط في الآخرة، فأهل النار يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً.

[٧] **(أنى يوصف):**

الوصف الصحيح يكون عبر أمرين:

الأول: المعرفة الصحيحة بالموصوف عبر أدوات المعرفة.

الثاني: إحاطة الواصف بالموصوف.

وكلا الأمرين لا يمتلكهما الإنسان لكي يعرف الله تعالى، فعليه الاقتصار بما وصف الله به نفسه.

أما الأول: فإنَّ أدوات المعرفة عند الإنسان الحواس والفكر، وهما يعجزان عن معرفته تعالى، وإنَّما هما أدوات لمعرفة المخلوقات.

وأما الثاني: فلاستحالة إحاطة الإنسان بالخالق تعالى، لأنَّ الإنسان قد يحيط بالمحدودات، والله تعالى غير محدود.

[٨] **(والأوهام أن تناله):**

إشارة إلى الأمر الأول، و«الأوهام» جمع (وهم) وهو أقوى قوى الإدراك الباطنة.

[٩] **(عن الإحاطة به):**

إشارة إلى الأمر الثاني، و«الخطرات» الأفكار لأنَّها تخطر في الذهن، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(١) وقال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾(٣).

---

(١) سورة طه: الآية ١١٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

جَلَّ عَمَّا وَصَفَهُ الْوَاصِفُونَ[١٠]، وَتَعَالَى عَمَّا يَنْعَتُهُ النَّاعِتُونَ، نَأَى فِي قُرْبِهِ وَقَرُبَ فِي نَأْيِهِ[١١]، فَهُوَ فِي نَأْيِهِ قَرِيبٌ، وَفِي قُرْبِهِ بَعِيدٌ، كَيَّفَ الْكَيْفَ فَلَا يُقَالُ: كَيْفَ[١٢]؟ وَأَيَّنَ الْأَيْنَ فَلَا يُقَالُ: أَيْنَ[١٣]؟ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعُ الْكَيْفُوفِيَّةِ وَالْأَيْنُونِيَّةِ[١٤].

---

[١٠] (جل عمّا وصفه الواصفون):

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(١).

والوصف والنعت مترادفان، ولعلَّ الفرق أنَّ النعت في الأوصاف الزائدة على الذات، والوصف أعم، أو أنَّ الوصف في الصفات السلبية والنعت في الثبوتية.

[١١] (وقرب في نأيه):

«قريب» لإحاطة علمه وقدرته بكل شيء، قال سبحانه: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾(٢)، «بعيد» لعلوّه الذاتي وارتفاع جلاله.

[١٢] (كيف الكيف فلا يقال كيف):

أي الكيفيات مخلوقة له تعالى، وهو لا يتَّصف بها، لأنَّ الكيف وصف للأجسام، كما أنَّ الكيفيات النفسانية تستلزم الاحتياج والتغيُّر.

[١٣] (وأين الأين فلا يقال أين):

أي خلق المكان، وهو ليس في مكان، لأنَّ المكان يحيط بالمتمكِّن، وهو تعالى لا يُحاط به، وكذا المتمكِّن يحتاج إلى المكان وهو سبحانه الغني المطلق ـ وقد مرّ تفصيل ذلك ـ.

[١٤] (منقطع الكيفوفية والأينونية):

«منقطع»: وصف بحال المتعلق، أي الأين والكيف منقطعان عنه تعالى لتعالي ذاته عنهما. أو أنَّ عنده ينقطع الكيف والأين.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، رَفَعَهُ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: بَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١] يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ، إِذْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ذِعْلِبٌ، ذُو لِسَانٍ بَلِيغٍ فِي الْخُطَبِ، شُجَاعُ الْقَلْبِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ، قَالَ: وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ، مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ. فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ، لَمْ تَرَهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ[٢] وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ[٣]. وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ: إِنَّ رَبِّي لَطِيفُ اللَّطَافَةِ[٤] لَا

الحديث الرابع:

[١] **(بينا أمير المؤمنين عليه السلام):**

«بينا» ظرف زمان، وأصله (بينما)، أو هو «بَيْنَ» أُشبعت الفتحة فصارت ألفاً، وأما المفاجأة فهي مستفادة من (إذ) لا من (بينا)[١].

[٢] **(بمشاهدة الأبصار):**

«شهد» بمعنى حضر، وسُمِّي الشاهد شاهداً لحضوره الواقعة وتحمُّله إيّاها، ولا يمكن الإحساس بشيء إلّا بحضوره فيراه ويسمعه، ولذا قيل للرائي شاهد لحضوره الواقعة، وضد الشهادة: (الغيب).

[٣] **(بحقائق الإيمان):**

الإضافة بيانية، أي حقائق هي الإيمان، أو الحقائق هي الإفاضات والأنوار التي حصلت في القلب بسبب الإيمان، وهناك احتمالات أخرى مرَّت سابقاً.

[٤] **(لطيف اللطافة):**

إما بمعنى أنَّ لطافته خفيَّة لا تصل إليها العقول، أو إضافة اللَّطيف إلى اللَّطافة: للمبالغة في اللطف.

و«اللَّطيف» بمعنى الذي لا يمكن إدراكه مع نفوذ علمه وقدرته في الأشياء،

---

(١) راجع المغني: ج١ ص١١٥.

يُوصَفُ بِاللُّطْفِ[٥]، عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالْعِظَمِ، كَبِيرُ الْكِبْرِيَاءِ لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ[٦]، جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالغِلَظِ، قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَالُ شَيْءٌ قَبْلَهُ[٧]، وَبَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ لَا يُقَالُ لَهُ بَعْدٌ[٨]، شَاءَ الْأَشْيَاءَ لَا بِهِمَّةٍ[٩]، دَرَّاكٌ لَا

وبمعنى العالم بالأشياء الصغيرة اللطيفة، وبمعنى البار، وغير ذلك، وقد مرّ تفصيل ذلك.

[٥] **(لا يوصف باللطف):**
أي باللُّطف الجسماني، وهو الصغر، والدقة، والنحافة ونحوها.
قوله: (لا يوصف بالعظم) أي الجسماني، كالضخامة والطول ونحوهما، لأنّها صفة الممكنات وهو تعالى منزَّه عنها.

[٦] **(لا يوصف بالكبر):**
«الكبرياء»: السلطان القاهر، ولا يوصف تعالى بالكبر الجسماني.
وكذا لا يوصف بالغلظة الجسمانية ـ وهي الكبر في الجثة ـ.

[٧] **(لا يقال شيء قبله):**
أمّا أنّه قبل كل شيء فلأنّه: الأول، ولكونه علّة الأشياء.
وأمّا لا شيء يسبق وجوده، لأنَّ ذاك صفة الحادث، ولا بدَّ للحادث من موجد فلا يكون خالقاً.

[٨] **(لا يقال له بعد):**
أي تفنى الأشياء كلّها وهو باق بعد فنائها، وليس له بعد حيث إنّ معنى ذلك انتهاء الوجود بحيث يبقى شيء بعده، وذلك مستحيل عليه، لأنَّه قديم ضروري الوجود، وضروري الوجود يستحيل عليه العدم.

[٩] **(شاء الأشياء لا بهمة):**
أي أراد إيجاد الأشياء، وليس إرادته بخطور في البال، كما في إرادة المخلوقين حيث لها مقدمات، منها العزم والجزم والشوق المؤكَّد، أما الباري تعالى فلا يحتاج إلى هذه الأمور.

بِخَدِيعَةٍ[١٠]، فِي الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا[١١]، وَلَا بَائِنٌ مِنْهَا[١٢]، ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ الْمُبَاشَرَةِ[١٣]، مُتَجَلٍّ لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ[١٤]، نَاءٍ لَا بِمَسَافَةٍ، قَرِيبٌ لَا

وقيل: «شاء» اسم فاعل، وهو في الأصل «شائي» تحذف الياء في الرفع والجر.

[١٠] **(دراك لا بخديعة):**
أي هو عالم بكل شيء من غير حاجة إلى الاحتيال لكشف خفيات الأمور، كما يفعله بعض الناس.

[١١] **(غير متمازج بها):**
بأن يَحُلَّ فيها أو يجاورها في المكان، لأنَّه محيط بكل شيء، ولاستحالة إحاطة المخلوق بالخالق.

[١٢] **(ولا بائن منها):**
وذلك لإحاطة علمه وقدرته بالأشياء كلها.

[١٣] **(لا بتأويل المباشرة):**
«ظاهر»: بيّن واضح، و«تأويل»: مآل ومرجع الكلمة، و«المباشرة» ـ يُراد بها هنا ـ: الإحساس، فالمعنى أنَّ الله بيّن واضح وليس مرجع وضوحه إلى الوضوح بالإحساس كرؤيته، بل المراد أنَّ العلم به حاصل وبكل سهولة، لوجود هذا العلم في الفطرة، ويدلُّ عليه العقل، ولظهور آثاره.
وقيل المعنى هو ظاهر ـ أي غالب ـ، ولكن ليست غلبته بأن يسيطر على الأشياء بالمباشرة بالفوقية الجسمانية.

[١٤] **(باستهلال رؤية):**
أي ليس تجليه بمعنى ظهوره للأبصار، لأنَّه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(١)، بل بمعنى ظهور آياته وآثاره، و«هلّ» بمعنى أول الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾(٢)، أي أوّل صوت ذكر عند ذبحه كان اسم غير الله

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

بِـمُـدَانَـاةٍ[١٥]، لَـطِـيـفٌ لَا بِـتَـجَـسُّـمٍ[١٦]، مَـوْجُـودٌ لَا بَـعْـدَ عَـدَمٍ، فَـاعِـلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ[١٧]، مُقَدِّرٌ لَا بِحَرَكَةٍ[١٨]، مُرِيدٌ لَا بِهَمَامَةٍ[١٩]، سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ، بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ، لَا تَحْوِيهِ الْأَمَاكِنُ، وَلَا تَضْمَنُهُ الْأَوْقَاتُ، وَلَا تَحُدُّهُ الصِّفَاتُ[٢٠]،

تعالى، وسُمِّي (الهلال) هلالاً لأنَّه أول القمر أو لأنَّه يظهر أول الشهر، وأُهِلَّ وأُستُهِلَّ الهلال: إذا ظهر للبصر.

[١٥] **(لا بمداناة):**

أي بعيد عن الأشياء لعلوّه الذاتي ولعدم معرفتها لحقيقته، وقريب منها لإحاطته بها علماً وقدرةً، وليس هذا القرب والبعد بالمكان لأنَّه ليس في المكان بل خالق له.

[١٦] **(لطيف لا بتجسّم):**

أي ليس لطفه بمعنى رِقة قوامه، بل بمعنى نفوذ علمه في الأشياء الدقيقة، وبمعنى عدم إدراكها له، وبمعنى بِرّه ـ كما مرّ ـ.

[١٧] **(فاعل لا باضطرار):**

كما توهمَّه بعض بأنَّه علَّة ولا تنفكُّ العلَّة عن المعلول ولذا توهموا قدم الأشياء زماناً!! بل هو مختار، خلق الأشياء حينما أراد.

[١٨] **(مقدر لا بحركة):**

«التقدير» هو القضاء في الأشياء بتحديدها بحدودها، وتقديره ليس كتقدير المخلوقين بحركتهم أو حركة أعضائهم أو أذهانهم.

[١٩] **(مريد لا بهمامة):**

«الهمامة» من «الهمّ» بمعنى القصد والاهتمام، فإرادته ليس لها مقدمات، بل علمه بالصلاح واختياره سبب لخلقه.

[٢٠] **(لا تحدّه الصفات):**

لأنَّ صفاته الذاتية هي عين ذاته اللامتناهية لا فرق بينها وبينه فلا تكون حدوداً له، كما أنَّ صفات الفعل كالخلق والرزق معلولات لذاته، ولا

وَلَا تَأْخُذُهُ السِّنَاتُ[٢١]، سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ[٢٢]، وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ[٢٣]، وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ[٢٤]، ....

تحدّه، وعدم خلق الخلق أكثر ممّا خلق ليس لعدم قدرته بل لعدم المصلحة.

[٢١] **(لا تأخذه السنات):**

«السِّنة»: مبدأ النوم، وهي برزخ بين النوم وبين اليقظة، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(١).

[٢٢] **(سبق الأوقات كونه):**

بتقديم المفعول على الفاعل في الفقرات الثلاث، ولعلّه لرعاية السجع كما في الوافي(٢).

[٢٣] **(والعدم وجوده):**

لعلَّ المراد أنَّه تعالى خلق الأشياء واجدة لأمور وفاقدة لأمور أخرى، فكما أنَّ وجوده تعالى سابق على ما هي واجدة له، كذلك وجوده سابق على ما هي فاقدة له.

مثلاً: خلق الله الإنسان جاهلاً ـ والجهل هو عدم العلم ـ فكما أنَّ وجود الله سابق على الإنسان وعلى علمه، كذلك وجوده سبحانه سابق على جهل الإنسان أيضاً.

وبعبارة أخرى: لعلَّ المراد بالعدم هنا هو العدم الخاص، لا العدم المطلق.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ عدم خلقه للأشياء ـ قبل الخلق ـ كان بسبب عدم إرادته تعالى، فاستند العدم إليه، كما يستند الوجود إليه، فتأمل.

وهنا احتمالات أخرى ذكرها في المرآة فراجع(٣).

[٢٤] **(والابتداء أزله):**

أي كان في الأزل قبل أن تُبتَدأ الأشياء، فوجوده الأزلي سبق ابتداء الأشياء.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٢) الوافي: ج١ ص٤٣٥.

(٣) مرآة العقول: ج٢ ص٩٥.

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ[٢٥]، وَبِتَجْهِيرِهِ الْجَوَاهِرَ عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ[٢٦]، وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ[٢٧]، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ[٢٨]، ....

---

[٢٥] **(عرف أنَّ لا مشعر له):**
لأنَّ الممكنات تتَّصف بالمشاعر، فلا يعقل أن يتَّصف الباري بصفة الممكنات، بل له الكمالات التي تليق بالقديم الواجب.
وكلَّما شاهدنا صفة تطلق عليه تعالى وعلى المخلوقات، كالعلم والقدرة، فإنَّ معناها فيه سبحانه يختلف عن معناها في المخلوقات اختلافاً ذاتياً، مثلاً المقدار الذي ندركه من علمه هو عدم جهله، وإلا فحقيقة علمه مجهولة لنا، وكذا سائر صفاته الذاتية، فإنَّ كنهها غير معلوم لنا لأنَّها عين ذاته، وكما يستحيل إحاطتنا بذاته كذلك يستحيل إحاطتنا بصفاته الذاتية. نعم المقدار الذي يمكننا إدراكه هو سلب النقص عنه.

[٢٦] **(عرف أنَّ لا جوهر له):**
«التجهير» من الجهر بمعنى الإظهار، والمعنى بإيجاده الجواهر علمنا أنَّ (الجوهر) أمر ممكن، ولذا احتاج إلى خالق.
و«الجوهر» هو الجسم ـ أي المادة ـ، ويقابله «العرض» وهو حالة الجسم كالطول واللون ونحوهما.

[٢٧] **(عرف أنَّ لا ضد له):**
«الضد» هو المساوي في القوَّة، والمعنى أنَّه لما ضادّ بين الأشياء علمنا أنَّ المضادة صفةٌ للممكنات، هذا مضافاً إلى استحالة وجود مساوي في القوة لله تعالى لاستلزامه تعدُّد القدماء وهو محال ـ كما مرّ ـ.

[٢٨] **(عرف أنَّ لا قرين له):**
لأنَّ التقارن صفة الأجسام الموجودة في مكان واحد، وهو منزَّه عن المكان، ولأنَّ المتقارنين متشابهان من بعض الجهات، وهو تعالى ﴿لَيْسَ

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ[٢٩]، وَالْيُبْسَ بِالْبَلَلِ، وَالْخَشِنَ بِاللَّيِّنِ، وَالصَّرْدَ بِالْحَرُورِ[٣٠]، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، وَمُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[٣١]، دَالَّةً بِتَفْرِيقِهَا عَلَى مُفَرِّقِهَا،

كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾(١)، ولأنَّ التقارن يستلزم حدوداً لكل واحد من المقارنين وهو تعالى لا حدّ له.

[٢٩] (ضاد النُّور بالظلمة):

بيان لأمثلة للمضادة والمقارنة بين الأشياء، حتى يتَّضح أنَّ المتضادِّين والمتقارنين إنَّما هما ممكنان ولا يمكن اتِّصاف القديم بهما.

[٣٠] (الصرد بالحرور):

«الصرد»: البرد، معرب سرد، و«الحرور» الريح الحارة.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾(٢).

والظلمة واليبس: عدم ملكة، كالعمى(٣)، بل البرد هو عدم الحرارة، وقد ثبت أنَّ الصفر المطلق هو البرد الذي لا حرارة فيه ويبلغ أقلّ من ٢٧٠ درجة مئوية تحت الصفر، فإذا وُجدت حرارة ارتفعت الدرجة إلى أن تبلغ درجات فوق الصفر يشعر بحرّها الإنسان.

كما يمكن ادِّعاء أنَّ النعومة أيضاً عدم ملكة، فتأمل.

والحاصل أنَّ هذه الصفات ـ وجودية أو عدمية ـ هي صفات الممكنات فلا يتَّصف بها الباري عز وجل.

[٣١] (مفرق بين متدانياتها):

«المتعاديات» يُراد به المختلفات، كجسد الإنسان حيث يركَّب من مختلف

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة فاطر: الآيتان ١٩ ـ ٢١.

(٣) الملكة وعدمها، هو اصطلاح، ويُراد بالملكة وجود الشيء في المحل القابل، وكذا عدم الملكة في المحل القابل مثلاً: «العمى» هو عدم البصر، ويطلقان في المحل القابل مثل الإنسان فيقال هو بصير أو أعمى، ولا يطلق على الجدار، فلا يقال الجدار أعمى.

وَبِتَأْلِيفِهَا عَلَى مُؤَلِّفِهَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى[٣٢]: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. فَفَرَّقَ بَيْنَ قَبْلٍ وَبَعْدٍ، لِيُعْلَمَ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ[٣٣] وَلَا بَعْدَ لَهُ،

العناصر، ثم بعد موته يتحلَّل الجسد فتتفرق تلك العناصر.

والتفريق والتأليف صفات حادثة تدلُّ على فاعل كان سبباً لهما، أو إنَّهما خلاف طبائع الأشياء، وذلك يدلُّ على قاسر أجبر الأشياء على التفريق أو التأليف.

[٣٢] **(وذلك قوله تعالى...):**

أي إنَّ المضادة والمقارنة بين الأشياء، وكذا تأليفها وتفريقها، دليل على أنَّه فرد، وهذا المعنى هو مدلول هذه الآية الكريمة ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأشياء ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي كل واحد مزدوج بالآخر كالذكر والأنثى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي فتعلمون أنَّ خالق الأزواج فرد لا شريك له، لأنَّه منزَّه عن صفات الممكنات.

[٣٣] **(ليعلم أن لا قبل له...):**

اللام: إما للعاقبة، والمعنى أنَّه خلق الزمان وللزمان قبل وله بعد، والنتيجة أنَّنا نعلم أنَّه ليس في الزمان، ولام العاقبة مثل قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾(١).

أو المعنى أنَّه تعالى عرف الناس معنى القبل والبعد ليعلموا أنَّه لا قبل ولا بعد له، لطفاً بهم ورحمة لهم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢) وكقوله سبحانه: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٣).

وذلك من لطف الله بعباده بأن جعل آياته في الآفاق حتى يستدلُّوا بها عليه وعلى صفاته.

---

(١) سورة القصص: الآية ٨.

(٢) سورة الطلاق: الآية ١٢.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٧.

شَاهِدَةٌ بِغَرَائِزِهَا أَنْ لَا غَرِيزَةَ لِمُغْرِزِهَا[٣٤]، مُخْبِرَةٌ بِتَوْقِيتِهَا[٣٥] أَنْ لَا وَقْتَ لِمُوَقِّتِهَا، حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ[٣٦] لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ[٣٧].
كَانَ رَبّاً إِذْ لَا مَرْبُوبَ[٣٨]، ....

---

[٣٤] (لا غريزة لمغرزها):
«الغريزة»: الطبيعة، ومنها بعض الملكات النفسانية، والمعنى أنَّ الطبائع هي صفات الممكنات وهو يتعالى عن الاتِّصاف بها.
إن قلت: إن لم يكن له غريزة ولا مشاعر ولا جوهر، فكيف أعطاها لمخلوقاته، مع أنَّ فاقد الشيء لا يعطيه؟ وإنما المعطي هو الواجد للشيء فقط؟
قلت: واجد الشيء يُراد به كون الشيء تحت تصرفه وقدرته، وليس اتِّصاف الشيء بذاته، فواجد المال يعطيه مع أنَّ المال ليس صفة للكريم بل تحت تصرُّفه، وكذا الغرائز والمشاعر والجواهر والأجسام والأعراض ونحوها هي تحت قدرة الله تعالى وإرادته، من غير أن يكون متَّصفاً بها.

[٣٥] (مخبرة بتوقيتها):
أي حدوثها في وقت، وبقائها إلى وقت.

[٣٦] (حجب بعضها عن بعض):
كالحُجُب التي تحصل باختلاف الزمان أو المكان أو فقد الإدراك، وكل هذه حجب جسمانية.

[٣٧] (لا حجاب بينه وبين خلقه):
فهو محيط بعلمه وقدرته بكل الأماكن والأزمنة وبكل المخلوقات، ولا يمكنها التخفي عنه، فلا حجاب بينه وبين الخلق.
نعم المخلوقات لا تدركه لأنَّ إمكانهم هو حجابهم عن إدراكه ـ كما سيأتي في الحديث اللاحق ـ.

[٣٨] (كان رباً إذ لا مربوب):
أي كان قادراً على التربية، قبل أن يخلق الخلق، لأنَّ قدرته غير محدودة، ولأنَّه واجد لكل الكمالات.

وَإِلَهاً إِذْ لَا مَأْلُوهَ[٣٩]، وَعَالِماً إِذْ لَا مَعْلُومَ[٤٠]، وَسَمِيعاً إِذْ لَا مَسْمُوعَ[٤١].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ شَبَابٍ الصَّيْرَفِيِّ وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ قُتَيْبَةَ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعِيسَى شَلَقَانُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَابْتَدَأَنَا، فَقَالَ: عَجَباً لِأَقْوَامٍ يَدَّعُونَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ قَطُّ[١]، خَطَبَ أَمِيرُ

---

[٣٩] (وإلهاً إذ لا مألوه):
أي كان مستحقاً للعبادة قبل أن يكون هناك عابد، أو قبل أن يعبد المشركون معبودات أخرى كالأصنام والشمس والقمر ونحوها، فهو المستحق للعبادة قبل أن يكون معبود آخر.
و«الإله» قد ذُكر له اشتقاقات ومعانٍ متعدّدة ـ ذكرناها سابقاً ـ لكن الروايات تدلُّ على أنَّه بمعنى المعبود فهو مشتق من «أَلِه» بمعنى عبد.

[٤٠] (وعالماً إذ لا معلوم):
لأنَّه من الأزل كان يعلم بما يخلق، كما أنَّه يعلم بما لا يخلق، وهذه الفقرة تدلُّ على أنَّ علمه ليس بحضوري، بل هو من سنخ آخر وكنهه غير معلوم لنا، كما يبطل بهذه الفقرة القدم الزماني، فضلاً عن الأدلة العقلية والنقلية الأخرى الدالة على بطلانه.

[٤١] (وسميعاً إذ لا مسموع):
أي عالم بالمسموعات قبل أن توجد، والسمع والبصر فيه تعالى بمعنى علمه بالمسموعات والمبصرات.

الحديث الخامس:

[١] (ما لم يتكلم به قط):
لعلَّ بعض الغلاة نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً من الغلو، فأراد الإمام عليه السلام تكذيبه، وذلك عبر نقل خطبة له عليه السلام في معنى التوحيد والتنزيه عن مشابهات الممكنات.

الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام النَّاسَ بِالْكُوفَةِ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ[٢]، وَفَاطِرِهِمْ عَلَى مَعْرِفَةِ رُبُوبِيَّتِهِ[٣]، الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ[٤] وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِهِ[٥]، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ[٦]، الْمُسْتَشْهِدِ بِآيَاتِهِ عَلَى

---

[٢] **(الملهم عباده حمده):**

«الإلهام» التعريف بغير لفظ أو إشارة، كقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(١).

والمعنى أنَّ الله عرف عامة عباده حمده، وكل واحد ـ حسب قابليته وتربيته ـ يُظْهِرُ هذا الحمد، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(٢).

[٣] **(فاطرهم على معرفة ربوبيته):**

أي جعل هذه المعرفة في فطرتهم، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٣) و«فطر» بمعنى خلق، و«الفطرة»: الخلقة، أي خلقة الله التي خلق الناس على تلك الكيفية.

[٤] **(الدالّ على وجوده بخلقه):**

أي خلقه للمخلوقات دليل على وجوده، لأنَّ المخلوقات حادثة تحتاج إلى مُحْدِثٌ وخالق، لاستحالة وجود المعلول بدون علَّة.

[٥] **(وبحدوث خلقه على أزله):**

فإنَّ الحادث حيث لا يعقل وجوده بلا علَّة، وهذه العلَّة لا تكون حادثة، وإلا استلزم التسلسل، فلا بدَّ أن تكون العلَّة أزلية لا بداية لها.

[٦] **(باشتباههم على أنَّ لا شبه له):**

«الاشتباه» هو التماثل والتشابه، وهو دليل الإمكان لأنَّ المتشابهين لا بدَّ أن يكون لهما جهة افتراق ـ لذا تعدّدا ـ، وجهة اشتراك ـ بها تشابها ـ، وهذا

---

(١) سورة الشمس: الآية ٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٠.

قُدْرَتِهِ[٧]، الْمُمْتَنِعَةِ مِنَ الصِّفَاتِ ذَاتُهُ[٨]، وَمِنَ الْأَبْصَارِ رُؤْيَتُهُ[٩]، وَمِنَ الْأَوْهَامِ الْإِحَاطَةُ بِهِ[١٠]، لَا أَمَدَ لِكَوْنِهِ[١١]، ....

هو التركُّب، والمركَّب يحتاج إلى أجزائه، والمحتاج ممكن، أما الله تعالى فهو يفترق على مخلوقاته في كل شيء فإنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١).

[٧] **(المستشهد بآياته على قدرته):**

أي استدل بمخلوقاته العظيمة على كمال قدرته، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(٢).

[٨] **(الممتنعة من الصفات ذاته):**

أي ذاته تتعالى عن صفات الممكنات، أو بمعنى امتناع الصفات الزائدة على ذاته لأنَّ الزيادة معناها التركُّب، أو بمعنى أنَّ الأوصاف التي يطلقها عليه المشركون ممتنعة عليه، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٣).

[٩] **(ومن الأبصار رؤيته):**

أي رؤيته تستحيل على الأبصار، لأنَّ الرؤية تستلزم الجهة ـ أي كونه مقابل العين ـ، والحدّ والجسم، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾(٤).

[١٠] **(ومن الأوهام الإحاطة به):**

لأنَّ الوهم له حدّ، والله تعالى لا حدّ له، كما أنَّ الوهم يصنع صورة الأشياء في الذهن، وتلك الصورة مخلوقة وهي غير الباري تعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٥).

[١١] **(لا أمد لكونه):**

لأنَّ «الأمد» مدَّة من الزمان، والله يتعالى عن الزمان، لأنَّه خالقه، ولعلَّ هذا إشارة إلى أزليَّته.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٦.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٥) سورة طه: الآية ١١٠.

وَلَا غَايَةَ لِبَقَائِهِ[١٢]، لَا تَشْمُلُهُ الْمَشَاعِرُ، وَلَا تَحْجُبُهُ الْحُجُبُ[١٣]، وَالْحِجَابُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ خَلْقُهُ إِيَّاهُمْ[١٤]، لِامْتِنَاعِهِ مِمَّا يُمْكِنُ فِي ذَوَاتِهِمْ[١٥]، وَلِإِمْكَانِ

---

[١٢] (ولا غاية لبقائه):

إشارة إلى كونه أبدياً، فليس له زمان ينتهي عنده.

ثم إنَّ قولنا «كان الله» مثلاً منسلخ عن معنى الزمان(١)، وفي خطبة الوسيلة قال أمير المؤمنين عليه السلام (إن قيل «كان» فعلى تأويل أزليَّة الوجود، وإن قيل «لم يزل» فعلى تأويل نفي العدم)(٢).

[١٣] (لا تحجبه الحجب):

لأنَّ الحجاب هو الفاصل بين شيئين، فقد يكون فاصلاً مكانياً كالجدار، وقد يكون فاصلاً زمانياً، كوجود شيء في زمان ووجود الآخر في زمان ثان، والله تعالى منزَّه عن الزمان والمكان، وأما قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٣)، فالمراد به عن رحمة ربهم ممنوعون.

[١٤] (خلقه إياهم):

أي سبب عدم إدراكهم كنهه، وعدم معرفتهم حقيقته، هو قصورهم وعدم قابليتهم، نظير الأعمى الذي لا يرى الأشياء التي أمامه بسبب قصوره لا بسبب وجود حجب بينه وبين المرئيات.

وهذا القصور في المخلوقات إنَّما هو بسبب كونهم ممكنات مخلوقات، والممكن يستحيل إحاطته بالقديم.

[١٥] (ممَّا يمكن في ذواتهم):

أي لامتناع النقص عليه، وهذا النقص لازم ذوات الممكنات، فهو الكامل والمخلوقات قاصرة بالذات، فلذا استحال عليها الوصول إلى كنه ذاته.

---

(١) وقد ذكرنا في (التفكّر في القرآن) أنَّ الزمان لا يُراد بالإرادة الجِدية، لكن اللفظ مستعمل في نفس اللغوي المتعارف بالإرادة الاستعمالية، فلا مجاز، فراجع.

(٢) الوافي: ج١ ص٤٣٧ عن روضة الكافي.

(٣) سورة المطففين: الآية ١٥.

مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنْهُ[١٦]، وَلِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ[١٧] مِنَ الْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ مِنَ الْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ مِنَ الْمَرْبُوبِ، الْوَاحِدُ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ[١٨]، وَالْخَالِقُ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ[١٩]، ....

---

[١٦] **(ممَّا يمتنع منه):**

«لإمكان» بالتنوين عوضاً عن المحذوف، أي لإمكان ذواتهم ذلك الإمكان الذي هو محال عليه تعالى.

والحاصل أنَّه لا يوجد حجاب بين الله تعالى وبين المخلوقات، ولكن المخلوقات لأنَّهم ممكنات ـ والإمكان يلازم النقص ـ يعجزون عن إدراكه تعالى والوصول إلى كنه ذاته، لأنَّه الكمال المطلق.

[١٧] **(لافتراق الصانع...):**

هذه الفقرة وما بعدها، بيان أنَّ الموجودات ممكنة، وأنَّه تعالى يمتنع عليه صفاتهم، لأنَّه الصانع والحادّ والربّ، وأنَّهم المصنوعون والمحدودون والمربوبون.

[١٨] **(الواحد بلا تأويل عدد):**

إذ الواحد العددي له ثان في العدد، فيقال: واحد اثنان ثلاثة وهكذا، وهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(١)، كما أنَّ الواحد العددي يطلق على المركَّب من أجزاء مختلفة كالإنسان المركَّب من الأعضاء المختلفة، فهذه الوحدة اعتبارية ليست بوحدة حقيقية، وهو تعالى وحدته حقيقية لا تركُّب فيه ولا أعضاء.

[١٩] **(لا بمعنى حركة):**

عكس صنع الإنسان حيث إنَّ فيه حركة الأعضاء والأذهان والتدرج في الوجود وتغيُّراً في الصانع.

---

(١) سورة الشورى: الآية ١١.

وَالْبَصِيرُ لَا بِأَدَاةٍ، وَالسَّمِيعُ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[٢٠]، وَالشَّاهِدُ لَا بِمُمَاسَّةٍ[٢١]، وَالْبَاطِنُ لَا بِاجْتِنَانٍ[٢٢]، وَالظَّاهِرُ الْبَائِنُ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ[٢٣]، أَزَلُهُ نُهْيَةٌ لِمَجَاوِلِ الْأَفْكَارِ[٢٤]، ....

---

[٢٠] **(لا بتفريق آلة):**
أي ليست بآلة مغايرة لذاته، أو بمعنى أنَّ الأُذُن عند الإنسان مثلاً تُفَرِّق بين الأصوات فتسمع الحروف والأصوات بأشكال متفاوتة، وهو سميع بصير بمعنى أنَّه عالم بالمسموعات والمبصرات.

[٢١] **(الشاهد لا بمماسة):**
«الشهود» بمعنى الحضور، ويسمَّى الشاهد شاهداً لحضوره الواقعة فيرى أو يسمع شيئاً فيتحمله ثم يؤدِّيه في المحكمة مثلاً.
والله حاضر بمعنى أنَّ علمه وقدرته محيطان بكل شيء، وليس بمعنى أنَّه حاضر في المكان بحيث يُلمس.

[٢٢] **(والباطن لا باجتنان):**
«الاجتنان» الاستتار، أي هو عالم بالبواطن، لا بمعنى حلول ذاته في داخل الأشياء.
أو بمعنى أنَّ العقول لا تصل إلى كنه ذاته، وليس بمعنى وجود حجاب مادي بينه وبين المخلوقات ـ كما مرّ معناه قبل قليل ـ.

[٢٣] **(الظاهر البائن لا بتراخي مسافة):**
من البون بمعنى المنفصل عن المخلوقات، لكن لا بمعنى البُعد المكاني.

[٢٤] **(لمجاول الأفكار):**
«النُهية»: اسم مصدر من النهي، أي: المنع، و«مجاول» جمع (مجول) وهو اسم مكان من الجولان، والمعنى: كونه تعالى أزلياً منع عن كونه محلاً لجولان الأفكار، فلا تتمكَّن من أن تصل إلى كنه ذاته وتتجوَّل فيها.

وَدَوَامُهُ رَدْعٌ لِطَامِحَاتِ الْعُقُولِ[٢٥]، قَدْ حَسَرَ كُنْهُهُ نَوَافِذَ الْأَبْصَارِ[٢٦]، وَقَمَعَ وُجُودُهُ جَوَائِلَ الْأَوْهَامِ[٢٧]، فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ فَقَدْ حَدَّهُ[٢٨]، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ

---

[٢٥] **(طامحات العقول):**

أي كونه أبدياً منع وصول العقول الطامحة إلى كنه ذاته، والحاصل أنَّ أزليَّته وأبديَّته منعتا إمكان تجول الأفكار في ذاته، وإمكان وصول العقول المرتفعة إليه.

[٢٦] **(نوافذ الأبصار):**

«حسر»: أتعب، «نوافذ الأبصار» إضافة الصفة إلى الموصوف أي الأبصار القوية النافذة في الأشياء، والمعنى هو: أنَّ ذاته غير قابلة للرؤية ولذا ينقلب البصر خاسئاً وهو حسير تَعِب إذا أراد رؤيته، كما قال تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾(١).

[٢٧] **(جوائل الأوهام):**

«القمع»: القلع. و«جوائل» جمع جائلة من الجولان.

أي الأوهام ـ وهي أوسع قوى الإدراك ـ مقموعة إذا أرادت الجولان في ذاته، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام ترتيب لطيف، فالأفكار، والعقول، والأبصار، والأوهام كلُّها عاجزة عن إدراك حقيقته، فإنَّ الإنسان إذا أراد شيئاً يفكر فيه ثم يحاول تعقله ثم يحاول إحساسه فإذا عجز عن كل ذلك يصوِّره في وهمه.

[٢٨] **(فمن وصف الله فقد حدّه):**

أي وصفه بما لا يليق به كما قال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾(٢)، لأنَّ وصفه بالشريك أو الصاحبة والابن والبنت وكذلك وصفه بسائر صفات الأجسام تستلزم كونه جسماً والجسم محدود، فتعالى عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

عَدَّهُ[٢٩]، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ[٣٠]، وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ غَيَّاهُ[٣١]، وَمَنْ قَالَ: عَلَامَ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ[٣٢]، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ[٣٣].

---

[٢٩] **(ومن حدّه فقد عدّه):**

لأنَّ الأجسام يشبه بعضها بعضاً، وهو تعالى واحد لا بالعدد، أو معنى «فقد عدّه»: جعله ذا أجزاء، وكل جزء يُعدّ، فيقال: الجزء الأول، الجزء الثاني. . . وهكذا.

[٣٠] **(فقد أبطل أزله):**

لأنَّ الجسم محتاج، ولا يعقل كون المحتاج قديماً، إذ يحتاج إلى علّة تسبق وجوده لترفع حاجته.

وكما مرّ سابقاً فإنَّ القديم ـ وهو الذي لا علّة له ـ يجب أن يكون مستغنياً عن كل شيء، ولولا ذلك احتاج في أصل وجوده إلى علّة وذلك ينافي القدم، أو احتاج إلى كمال من الكمالات فإن كان الذي يرفع حاجته قديماً لكان ذلك القديم أولى بالربوبية لكماله، وإن كان مخلوقاً فإنَّ المحتاج فاقد لذلك الكمال فكيف أعطاه إلى مخلوقه، وفاقد الشيء لا يعطيه.

[٣١] **(أين فقد غيّاه):**

أي جعله محدوداً بحدود مكانية، ينتهي وجوده بنهاية ذلك المكان، فيقال حينئذٍ وجوده من هنا يبدأ وفي هذا المكان ينتهي!!

[٣٢] **(عَلَامَ فقد أخلى منه):**

أي أخلى منه غير ذلك المكان، ومعنى ذلك أنَّ وجوده منحصر في مكان دون مكان.

[٣٣] **(فيمَ فقد ضمنه):**

أي جعل ذلك المكان ظرفاً له، والظرف يتضمن على المظروف، ويحيط به، وتعالى الله عن ذلك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾[١].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٦.

٦ ـ وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ فَتْحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَسْأَلُهُ، عَنْ شَيْءٍ مِنَ التَّوْحِيدِ، فَكَتَبَ إِلَيَّ بِخَطِّهِ[١]: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُلْهِمِ عِبَادَهُ حَمْدَهُ ـ وَذَكَرَ مِثْلَ مَا رَوَاهُ سَهْلُ بْنُ زِيَادٍ إِلَى قَوْلِهِ: «وَقَمَعَ وُجُودُهُ جَوَائِلَ الْأَوْهَامِ»، ثُمَّ زَادَ فِيهِ: أَوَّلُ الدِّيَانَةِ بِهِ مَعْرِفَتُهُ[٢]، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ[٣]، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ[٤]، بِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وَشَهَادَةِ الْمَوْصُوفِ أَنَّهُ غَيْرُ

الحديث السادس:

[١] **(فكتب إليّ بخطه):**

لعلَّ الإمام الكاظم عليه السلام ضمَّن كلامه مجموعة مقاطع من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، كما يتعارف تضمين الآيات والأحاديث في الخطب والرسائل ونحوهما.

[٢] **(أول الديانة معرفته):**

«الديانة» هي الدِّين، أي الطريقة، والمراد بها ـ هنا ـ الطريقة السماوية التي جاءت لهداية البشر، ومعرفته تعالى أول الديانة، لأنَّ معرفة الله هي أساس الدِّين، لتوقف سائر المعارف عليه، ولأنَّ من لا يعرفه تعالى كيف يتبع منهاجه؟!

ومعنى معرفته: العلم بوجوده وكماله وتنزُّهه عمَّا لا يليق به، وعقد القلب على ذلك.

[٣] **(كمال معرفته توحيده):**

لأنَّ الذي يعتقد بشركاء له، معرفته ناقصة، منسوبة إلى الجهل، لأنَّه اعتقد فيه ما هو باطل، فلا يكون معرفة من كل الجهات.

[٤] **(وكمال توحيده نفي الصفات عنه):**

أي نفي الشريك والولد ونحوهما عنه، وإنَّما فسَّرناه بهذا المعنى، لأنَّ كلمة «الصفة» وردت في القرآن أربع عشرة مرَّة، كلُّها بالمعنى السلبي، ونصفها

الصِّفَةِ[٥]، وَشَهَادَتِهِمَا جَمِيعاً بِالتَّثْنِيَةِ الْمُمْتَنِعِ مِنْهُ الْأَزَلُ[٦]. ....

حول نفي الولد والشريك عنه تعالى، كقوله: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[١]، وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٢]، والأئمة عليهم السلام عِدل القرآن الكريم والثقل الأصغر، فلذا كان كلامهم مقتبساً من القرآن الكريم، وحتى في طريقة استعمال الكلمات ومعانيها، ولذا حاولنا في هذا الشرح ربط الروايات بالقرآن الكريم، وقد مرّ شطر من البحث والكلام في (باب اختلاف الحديث)، فراجع.

وإن كان يمكن تفسير هذه العبارة بأنَّ المراد نفي الصفات الزائدة عنه، بأن لا يجعل ذات الله شيئاً وصفاته شيئاً آخر.

[٥] **(وشهادة الموصوف أنّه غير الصفة):**

لا كما توهّم النصارى من أنَّ الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، فإنَّ كلامهم خلاف العقل وخلاف البديهة، فإنَّ من الواضح أنَّ الابن غير الأب، والأب غير الشريك.

وحسب التفسير الآخر: (فإنّه لو قال: هناك ذات وصفة غير الذات ملاصقة بها ـ نحو التصاق أوصافنا بذواتنا ـ، دلّت الصفة على غير الموصوف، فتحدث الاثنينية)[٣].

[٦] **(الممتنع منه الأزل):**

في مرآة العقول: (وفيه ردٌّ على الأشاعرة القائلين: إنَّ صفاته سبحانه لا عينه ولا غيره!!

والمغايرة موجب لأحد أمور:

إما كونهما قديمين، فيلزم تعدُّد الواجب، واحتياج كل من الواجبين إلى الآخر، كما مرّ.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٣) توضيح نهج البلاغة: ج١ ص١٦.

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ[٧] فَقَدْ حَدَّهُ، وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ[٨]، وَمَنْ قَالَ: فِيمَ؟ فَقَدْ ضَمَّنَهُ، وَمَنْ قَالَ: عَلَى مَ؟ فَقَدْ جَهِلَهُ[٩]، وَمَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ[١٠]، وَمَنْ قَالَ: مَا هُوَ؟

أو حدوث الصفة، فيلزم كونه تعالى محلاً للحوادث، وكونه ناقصاً في ذاته، وهو أيضاً ينافي الأزليَّة.

ولو قيل: الصانع هو المجموع، فيلزم تركُّبه، وافتقاره، مع لزوم تعدُّد الواجب أيضاً)(١).

[٧] **(فمن وصف الله):**

أي فمن وصف الله بالشريك والولد، «فقد حدَّه» أي جعله ذا حدود حتى يتميَّز عن الشريك والولد، «ومن حدّه فقد عدّه» أي أدخله ضمن العدد فكان يشبه شريكاً أو ولداً، «ومن عدّه فقد أبطل أزله» لأنَّ ذلك مستلزم للتركُّب وللحدِّ، والقديم لا جزء له ولا حدّ.

والمراد حسب المعنى الآخر: هو أنَّ من وصف الله تعالى بوصف زائد على ذاته فقد جعل له حدوداً، لأنَّ معنى ذلك كونه جسماً، والجسم يتناهى، أو جعله ذا أجزاء فإنَّ الاثنين المتداخلين واحد ذو أجزاء، وذلك يتنافى مع القدم.

[٨] **(فقد استوصفه):**

أي طلب وصفه بصفات المخلوقات، لأنَّ معنى سؤاله أنَّه يريد تصوره، وحيث يستحيل تصور الله تعالى فإنَّ الاستوصاف بمعنى طلب وصفه بصفات المخلوقين.

[٩] **(فقد جهله):**

وفي بعض النسخ «فقد حمَّله» أي جعله محمولاً.

[١٠] **(فقد أخلى منه):**

لأنَّ الموجود في مكانٍ، غيرُ موجود في سائر الأمكنة فهي خالية عنه.

---

(١) مرآة العقول: ج٢ ص١٠٣.

فَقَدْ نَعَتَهُ[١١]، وَمَنْ قَالَ: إِلَى مَ؟ فَقَدْ غَايَاهُ[١٢]، عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومَ[١٣]، وَخَالِقٌ إِذْ لَا مَخْلُوقَ، وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبَ، وَكَذَلِكَ يُوصَفُ رَبُّنَا وَفَوْقَ مَا يَصِفُهُ الْوَاصِفُونَ.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، وَغَيْرِهِ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ رَجُلٍ سَمَّاهُ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ السَّبِيعِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَعْوَرِ قَالَ: خَطَبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خُطْبَةً بَعْدَ الْعَصْرِ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ حُسْنِ صِفَتِهِ، وَمَا ذَكَرَهُ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَقُلْتُ لِلْحَارِثِ: أَوَ مَا حَفِظْتَهَا؟ قَالَ: قَدْ كَتَبْتُهَا، فَأَمْلَاهَا عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ[١]، لِأَنَّهُ

---

[١١] (فقد نعته):
أي وصفه بصفات المخلوقين، أو بصفات زائدة، لأنَّ الإنسان يمكنه إدراك المخلوقين، وأما صفات الخالق فلا، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾(١)، فمن يسأل عنه تعالى بـ«ما هو» فقد تصوَّر إمكان إدراك حقيقته، وذلك بمعنى وصفه بصفات المخلوقين.

[١٢] (فقد غاياه):
«إلى مَ» أي استمرار وجوده إلى متى؟ «فقد غاياه» أي فقد جعله ذا نهاية زمانية، والله تعالى أبدي لا غاية له لينتهي عندها.

[١٣] (عالم إذ لا معلوم):
قد مرّ معنى هذه الفقرات في نهاية الحديث الرابع من هذا الباب، فراجع.

الحديث السابع

[١] (لا تنقضي عجائبه):
بمعنى أنَّه تعالى يقدّر الأمور التي تثير تعجُّب الإنسان، قال تعالى: ﴿أَتَعۡجَبِينَ

---

(١) سورة طه: الآية ١١٠.

كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ مِنْ إِحْدَاثِ بَدِيعٍ لَمْ يَكُنِ[٢]، الَّذِي لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً[٣]، وَلَمْ يُولَدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً[٤]، وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ

﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(١)، وبمعنى أنّه لم ينقطع عن الخلق فيخلق العجائب، التي تسبَّب تعجُّب الإنسان حين اكتشافها.

[٢] **(إحداث بديع لم يكن):**

قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(٢)، والمعنى أنّه في كل يوم تظهر آثار قدرة الله، فالذي في «اليوم» هو المخلوق، لا الخالق، وفي التبيين(٣) ﴿يَسْئَلُهُ﴾ يطلب من الله تعالى حوائجه كل ﴿مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من ذوي العقول وغيرهم، لاحتياج الكل إليه ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾ وقت ﴿هُوَ﴾ الله ﴿فِي شَأْنٍ﴾ من إحياء وإماتة وإيجاد وإعدام وهكذا.

[٣] **(فيكون في العزّ مشاركاً):**

لمشاركة الابن أباه في الصفات، مع أنَّ العزة جميعاً لله تعالى، قال: ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(٤)، ولو شاركه أحد في صفاته، لكان مثله، فاحتاجا إلى التمييز بينهما، والتمييز إن كان من خارج ذاتهما لزم وجود آلهة إلى ما لا نهاية ـ كما مرّ في برهان الفرجة ـ، وإن كان من داخل ذاتهما لزم التركُّب من ما به الاشتراك وما به الامتياز، والمركب يحتاج إلى أجزائه كما أنّه متأخّر رتبة عنها، وكل ذلك ينافي القدم.

[٤] **(موروثاً هالكاً):**

لأنَّ الذي لم يكن ثم وُجد، لا يكون الوجود واجباً له ـ ولذا كان معدوماً قبل ولادته ـ، والممكن معرَّض للزوال والفناء، فكما وُلِد فإنَّه يَلِد، فيكون ولده وارثاً له بعد زواله، والحاصل أنَّ المولود مسبوق بالعدم، فلا يبقى إلى الأبد بذاته.

---

(١) سورة هود: الآية ٧٣.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٩.

(٣) تبيين القرآن: ص٥٤٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ١٠.

شَبَحاً مَاثِلاً[٥]، وَلَمْ تُدْرِكْهُ الْأَبْصَارُ فَيَكُونَ بَعْدَ انْتِقَالِهَا حَائِلاً[٦]، الَّذِي لَيْسَتْ فِي أَوَّلِيَّتِهِ نِهَايَةٌ[٧]، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ حَدٌّ وَلَا غَايَةٌ[٨]، الَّذِي لَمْ يَسْبِقْهُ وَقْتٌ، وَلَمْ

---

[٥] **(فتقدره شبحاً ماثلاً):**

«الشبح» هو الخيال الذي يظهر من الموجود البعيد أو في الظلام، «ماثلاً» أي قائماً، والمعنى: أنَّ قوى الإدراك الباطنة ـ وأقواها الوهم ـ لا يمكنها تصور الله تعالى ولو بشكل شبح قائم بين أيديها، لأنَّ كل ما في الوهم مخلوق للذهن فلا يكون الخالق، وفي المرآة: (إذ الوهم رئيس القوى الحسية والخيالية، فكل ما يدركه من الذوات يصوِّره بقوته الخيالية شخصاً متقدِّراً، كأنَّه يشاهد شبحاً حاضراً عنده، ماثلاً بين يديه، فإن كان تصوُّره للرب سبحانه على هذا الوجه مطابقاً للواقع يلزم كونه جسماً مقدارياً محدوداً وهو محال، وإن كان كاذباً فلم يكن إدراكه بل إدراك أمر آخر، فهو تعالى منزَّه من أن يقع عليه وهم)(١).

[٦] **(بعد انتقالها حائلاً):**

«الحائل»: المتغيِّر، لأنَّ المرئيات هي الأجسام، وهي تتغيَّر بمرور الزمان عليها، فلو كان الباري تعالى مرئياً، لتغيَّر بمرور الأزمنة عليه ـ ومن ضمن الأزمنة زمان انتقال البصر منه إلى غيره وكذا الأزمنة التي بعده ـ.

أو بمعنى أنَّ المرئي يكون في الجهة المقابلة، فبانتقال البصر منه إلى غيره، يكون قد تغيَّر وصف المرئي من الجهة المقابلة إلى غيرها من الجهات!!

[٧] **(في أوَّليَّته نهاية):**

لعلَّ المراد أنَّ كل وجود يبتدىء في زمان فلا بد أن ينتهي في زمان آخر، لكنَّه تعالى ليس في الزمان، وكونه أولاً بمعنى أنَّ لا شيء يسبقه في الوجود.

[٨] **(حد ولا غاية):**

فليس معنى كونه آخراً، أنَّه ينتهي عند حدٍّ، ولا بمعنى أنَّ له غاية إذا وصل إليها بطل وجوده!!، بل آخريَّته بمعنى بقائه بعد فناء الأشياء كلها ـ وقد مرّ التفصيل في ذلك ـ.

---

(١) مرآة العقول: ج٢ ص١٠٥.

يَتَقَدَّمْهُ زَمَانٌ[٩]، وَلَا يَتَعَاوَرُهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ[١٠]، وَلَا يُوصَفُ بِأَيْنٍ وَلَا بِمَ وَلَا مَكَانٍ[١١]، الَّذِي بَطَنَ مِنْ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ[١٢]، وَظَهَرَ فِي الْعُقُولِ بِمَا يُرَى فِي خَلْقِهِ مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ[١٣]، الَّذِي سُئِلَتِ الْأَنْبِيَاءُ عَنْهُ فَلَمْ تَصِفْهُ بِحَدٍّ وَلَا

---

[٩] **(ولم يتقدمه زمان):**

لعلَّ الفرق بين «الوقت» و«الزمان»، أنَّ الوقت هو الزمان المعدود، فهو أخصّ من الزمان، فالمعنى لم يسبقه زمان معدود ولا زمان غير معدود!!

[١٠] **(لا يتعاوره زيادة ولا نقصان):**

«التعاور»: التناوب، أي ليس محلاً للزيادة والنقصان لأنَّهما من صفات الأجسام، والقديم يستحيل عليه التغيُّر، لما مرّ من أنَّ وجوب الوجود ووجوب صفات الذات، هي بمعنى أنَّ الذات والصفة ضرورية الثبوت، لذا لم تكن تحتاج إلى علَّة، وإذا كانت ضرورية الثبوت استحال عليها العدم، وأما التغيُّر فمعناه عدم الوجوب وذلك معنى الإمكان، وكل ممكن يحتاج إلى علَّة، فلا يكون قديماً.

[١١] **(لا يوصف بأين ولا بمَ ولا مكان):**

لعلَّ الفرق بين «الأين» و«المكان» ـ هنا ـ هو أنَّ المكان بمعناه اللغوي أي الموضع من الأرض ونحوهما، والأين بمعنى الحيّز فيشمل حتى الفضاء المحيط بالشيء، وقوله (لا يوصف بأين ولا بم ولا مكان) بمعنى أنَّه ليس من أوصافه ما يقع في جواب سؤال (أين) أو (ما هو)، لأنَّ الجواب هو الحيّز والماهية والمكان، وهو سبحانه يتعالى عنها.

[١٢] **(الذي بطن من خفيات الأمور):**

أي كونه «الباطن» بمعنى أنَّه من الأمور الخفيَّة التي لا يمكن إدراكها، مع كمال ظهوره بآثاره، أو «بطن» بمعنى افعل التفضيل أي هو أخفى من كل الأمور الخفيَّة.

[١٣] **(من علامات التدبير):**

أي آثار تدبيره ظاهرة للعقول أجمع، فلا تجد سبيلاً إلى إنكاره.

بِبَعْضٍ[١٤]، بَلْ وَصَفَتْهُ بِفِعَالِهِ[١٥]، وَدَلَّتْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ[١٦]، لَا تَسْتَطِيعُ عُقُولُ الْمُتَفَكِّرِينَ جَحْدَهُ، لِأَنَّ مَنْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِطْرَتَهُ[١٧] وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ[١٨] ....

---

[١٤] **(فلم تصفه بحد ولا ببعض):**
أي لم يصفوه بما يستلزم حدوداً له، كوصفه بالمكان والزمان والانتقال، كما لم يصفوه بأنَّ له أجزاء كالأعضاء والجوارح ونحوها.
وفي هذا تنزيه الأنبياء ممَّا نسبه إليهم اليهود والنصارى من التجسيم ونحوه، وفيه أيضاً تنزيه رسول الله محمَّد ﷺ ممَّا أفتروه عليه من تحديده الله تعالى بأنَّه كان في عماء تحته هواء فوقه هواء، وأنَّه يدخل رجله في جهنم، ونحو ذلك من موضوعات المشبَّهة والمجسَّمة.

[١٥] **(بل وصفته بفعاله):**
كقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾(١) وكقوله سبحانه: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾(٢).

[١٦] **(ودلت عليه بآياته):**
المعاجز التي جاؤوا بها بإذن الله، وكذلك احتجاجهم عن منكريه بآياته في السماوات والأرض.

[١٧] **(فطرته):**
«فطرته»: خلقه قال تعالى: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾(٣).

[١٨] **(وما فيهن وما بينهن):**
وقال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٥).

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.
(٣) سورة الأنبياء: الآية ٥٦.
(٤) سورة المائدة: الآية ١٢٠.
(٥) سورة الفرقان: الآية ٥٩.

وَهُوَ الصَّانِعُ لَهُنَّ[١٩] فَلَا مَدْفَعَ لِقُدْرَتِهِ[٢٠]، الَّذِي نَأَى مِنَ الْخَلْقِ فَلَا شَيْءَ كَمِثْلِهِ، الَّذِي خَلَقَ خَلْقَهُ لِعِبَادَتِهِ[٢١]، وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، بِمَا جَعَلَ فِيهِمْ[٢٢]،

---

[١٩] **(وهو الصانع لهن):**

تأكيد لقوله «فطرته»، أو أنَّ قوله: «من كانت السماوات. . .» إشارة إلى الاستدلال على وجوده بآياته، وقوله: «وهو الصانع. . .» إشارة إلى الاستدلال عليه تعالى بنفسه، كما في الدعاء: «يا من دلَّ على ذاته بذاته»(١).

ثم إنَّ الله يوصف بالصنع، كما قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾(٢).

[٢٠] **(فلا مدفع لقدرته):**

أي لا مجال لجحد قدرته، وفي العبارة إيجاز بليغ، فإنَّ عدم إمكان جحد قدرته يساوق عدم إمكان جحد وجوده، فجاء عليه السلام بدليل لقوله: (لا تستطيع عقول المتفكرين جحده)، مع زيادة استدلال على قدرته تعالى.

[٢١] **(الذي خلق خلقه لعبادته):**

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) وتفسير «يعبدون» بـ«يعرفون» لا وجه له، نعم المعرفة من مقدِّمات العبادة كما أنَّ العقل والبلوغ ونحوهما من مقدِّماتها، ولا يصحُّ تفسير الشيء بمقدماته

والغاية من الخلق العبادة، كما أنَّ الغاية من العبادة هو الرحمة قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٤) وقد ذكرنا شطراً من الكلام حول الغاية من الخلقة في كتاب (التفكر في القرآن).

[٢٢] **(بما جعل فيهم):**

من العقل والأعضاء والقدرة ونحوها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾(٥).

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٤، باب ١٣، ص٣٣٩.
(٢) سورة النمل: الآية ٨٨.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٤) سورة هود: الآية ١١٩.
(٥) سورة الطلاق: الآية ٧.

وَقَطَعَ عُذْرَهُمْ بِالْحُجَجِ[٢٣]، فَعَنْ بَيِّنَةٍ هَلَكَ مَنْ هَلَكَ[٢٤]، وَبِمَنِّهِ نَجَا مَنْ نَجَا[٢٥]، وَلِلَّهِ الْفَضْلُ مُبْدِئاً وَمُعِيداً[٢٦]، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ـ وَلَهُ الْحَمْدُ ـ، افْتَتَحَ

---

[٢٣] **(قطع عذرهم بالحجج):**
قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٢).

[٢٤] **(هلك من هلك):**
قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾(٣). أي ليهلك بالكفر بعد إقامة الحجَّة عليه ـ بما رأى من الآيات ـ.

[٢٥] **(بمنِّه نجا من نجا):**
قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).
ولا يخفى أنَّ الإنسان إذا هيَّأ مقدمات الهداية والنجاة، فإنَّ الله سيرتِّب الأثر بإيجاد الهداية وبالإنجاء، وإذا هيَّأ مقدمات الضلال والهلاك فإنَّ الله سيضلّه ويهلكه، لأنَّ كل الأمور بيده تعالى ومنها ترتيب الآثار على مقدِّماتها، وكل ما يتراءى من العلل الطبيعية فإنَّما هي مقتضيات أو معدَّات وإرادته تعالى هي العلة التامة، فلذا لم تحرق النار إبراهيم بل كانت برداً، وتوهَّم تبدُّل حقيقتها أو إيجاد حاجز بينها وبينه ضعيف جداً.

[٢٦] **(ولله الفضل مبدئاً ومعيداً):**
قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾(٦)

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.
(٢) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٢.
(٤) سورة الحجرات: الآية ١٧.
(٥) سورة يونس: الآية ١٠٣.
(٦) سورة النور: الآية ٢١.

الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ[٢٧]، **وَخَتَمَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَمَحَلَّ الْآخِرَةِ**[٢٨] **بِالْحَمْدِ لِنَفْسِهِ، فَقَالَ:** ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ[٢٩]﴾ [الزُّمَر: ٧٥]. **الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّابِسِ**

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾(١).

[٢٧] **(افتتح الحمد لنفسه):**

الافتتاح في القرآن الكريم، كما توحيد الصدوق (افتتح الكتاب بالحمد)، أو افتتح خلق الدنيا بحمد نفسه، كما يشعر به قوله تعالى: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٢)، وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٣).

[٢٨] **(ومحل الآخرة):**

أي اختتم محلَّ الآخرة، و«مَحَلّ» إما بفتح الحاء مصدر ميمي، أو بكسر الحاء اسم مكان، من الحلول، فيكون المعنى اختتم المحشر والحساب بالحمد، فبعد القضاء ودخول أهل الجنة إليها وإدخال أهل النار فيها، يكون هذا الحمد.

[٢٩] **(وقيل الحمد لله ربِّ العالمين):**

والقائل الله تعالى أو المؤمنون والملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٤).

وفي التبيين(٥) ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ حيث إنَّ العرش مكان كبير جعله الله محلَّ كرامته وتدبيره ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ينزِّهون الله حامدين له، ﴿وَقُضِيَ﴾ حُكِم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين ﴿بِالْحَقِّ﴾ حيث أدخل المؤمن الجنة، والكافر النار، ﴿وَقِيلَ﴾ والقائل المؤمنون والملائكة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على هذه النعم الكثار.

---

(١) سورة النور: الآية ١٤.
(٢) سورة القصص: الآية ٧٠.
(٣) سورة التغابن: الآية ١.
(٤) سورة يونس: الآية ١٠.
(٥) تبيين القرآن: ص٤٨٠.

الْكِبْرِيَاءِ[٣٠] بِلَا تَجْسِيدٍ[٣١] وَالْمُرْتَدِي بِالْجَلَالِ بِلَا تَمْثِيلٍ[٣٢]، وَالْمُسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ بِغَيْرِ زَوَالٍ[٣٣]، ....

---

[٣٠] **(اللابس الكبرياء):**
أي المتصف بالكبرياء وهي السلطان القاهر، قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١)، فكأنَّ الصفة لباس، كما في قوله: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾(٢) وقوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾(٣)، وكذا في قوله عليه السلام «المرتدي بالجلال».

[٣١] **(بلا تجسيد):**
في المرآة(٤): «دفع لما يتوهم من أنَّ الكبر والعظم والجلالة ونحوها لا تكون إلَّا في الأجساد والأشباح ذوات المقادير والأوضاع، ولا شكَّ أنَّه سبحانه منزَّه عن الجسمانيات وصفاتها، فنبَّه على أنَّ كبريائه وجلاله على وجه أعلى وأشرف ممَّا يوجد في المحسوسات والمتمثلات».

[٣٢] **(بالجلال بلا تمثيل):**
أي يجلُّ عن النقائص فهو أعظم من أن يوصف بها، قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾(٥)، ولا تمثيل في اتِّصافه بالجلال لأنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾(٦).

[٣٣] **(على العرش بغير زوال):**
قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٧)، أي استولى على السلطة فلا ينازعه فيها أحد، «بغير زوال» بمعنى عدم زوال هذه السلطة أبداً، أو بمعنى عدم

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٣٧.
(٢) سورة النحل: الآية ١١٢.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٦.
(٤) مرآة العقول: ج٢ ص١٠٧ ـ ١٠٨.
(٥) سورة الرحمن: الآية ٧٨.
(٦) سورة الشورى: الآية ١١.
(٧) سورة الحديد: الآية ٤.

وَالْمُتَعَالِي عَلَى الْخَلْقِ[٣٤] بِلَا تَبَاعُدٍ مِنْهُمْ وَلَا مُلَامَسَةٍ مِنْهُ لَهُمْ[٣٥]، لَيْسَ لَهُ حَدٌّ يُنْتَهَى إِلَى حَدِّهِ[٣٦]، وَلَا لَهُ مِثْلٌ فَيُعْرَفَ بِمِثْلِهِ[٣٧]، ذَلَّ مَنْ تَجَبَّرَ غَيْرَهُ[٣٨]،

الانتقال، فاستواؤه ليس بمعنى جلوس على العرش ثم انتقال منه إلى مكان آخر، ـ كما تفتري المجسّمة المشبّهة عليه تعالى ـ.

[٣٤] **(المتعالي على الخلق):**

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾(١) أي المرتفع على الخلق، فله العلّو الذاتي فهو العليُّ، وأظهر هذا العلّو بقهر العباد فهو المتعالي.

[٣٥] **(ولا ملامسة منه لهم):**

أي تعاليه ليس بمعنى الابتعاد المكاني، ولا تعالي مادي بتماس، كعلّو الهواء على التراب، والراكب على المركوب.

[٣٦] **(ينتهي إلى حدّه):**

ليس لوجوده ولصفاته حدّ، سواء الحدود المكانية أو الزمانية أو الجسمانية، بل هو واسع كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾(٢).

[٣٧] **(فيعرف بمثله):**

لأنَّ الأشياء تُعرف بأمثالها، فيُقاس بعضها بالبعض الآخر، وليس كمثله شي حتى يُقاس به فيعرف، لأنَّ جميع ما سواه أجسام مخلوقة، وهو تعالى تنزّه عن أوصافها.

[٣٨] **(ذلّ من تجبّر غيره):**

أي كل من أراد التجبر في الأرض فإنّه يذلّ في الدنيا والآخرة، و«غيره» حال أي كل من يتكبر حال كونه غير الله فإنّه يذل.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٥.

وَصَغُرَ مَنْ تَكَبَّرَ دُونَهُ[٣٩]، وَتَوَاضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لِعَظَمَتِهِ[٤٠]، وَانْقَادَتْ لِسُلْطَانِهِ وَعِزَّتِهِ[٤١]، ....

وفي المرآة(١): (أو المعنى أنَّ عزّ المخلوق ورفعته إنَّما تكون بالتذلل والخضوع اللائقين به، وبهما يكتسب إفاضة الكمال من خالقه، فإذا تجبَّر وتكبَّر، استحقَّ الحرمان والخذلان، فيزداد صغراً إلى صغره، وذلاً إلى ذلّه، فلا يرتفع من درجة النقص إلى الكمال، ولا يزال في الدارين هابطاً في دركات النقص والوبال).

قال تعالى: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٣).

[٣٩] **(وصغر من تكبر دونه):**

«صغر» أي ذلّ، كإبليس الذي قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾(٤).

[٤٠] **(لعظمته):**

أي بسبب عظمته أو عند عظمته، تواضعاً تكوينياً، لعلوّه الذاتي عليها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾(٥)، فإنَّ الأشياء خاضعة لله تعالى سواء أرادت كالإنسان المؤمن، أم لم ترد كالإنسان الكافر فإنَّه في قبضة الله تعالى وخاضع لإرادته، فكما أنَّ ظلَّ الإنسان خاضع بأمر الله تعالى لمقابل اتِّجاه الشمس وليس تحت إرادة الإنسان، كذلك ذاته خاضعة لله تعالى تكويناً.

[٤١] **(انقادت لسلطانه وعزته):**

لعلَّ الفرق بين هذا المقطع وسابقه، أنَّ التواضع هو سبب الانقياد.

---

(١) مرآة العقول: ج٢ ص١٠٨.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ١٥.
(٣) سورة غافر: الآية ٣٥.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٣.
(٥) سورة الرعد: الآية ١٥.

وَكَلَّتْ عَنْ إِدْرَاكِهِ طُرُوفُ الْعُيُونِ[٤٢]، وَقَصُرَتْ دُونَ بُلُوغِ صِفَتِهِ[٤٣] أَوْهَامُ الْخَلَائِقِ، الْأَوَّلِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ[٤٤] وَلَا قَبْلَ لَهُ، وَالْآخِرِ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا بَعْدَ لَهُ، الظَّاهِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِالْقَهْرِ لَهُ[٤٥]، وَالْمُشَاهِدِ لِجَمِيعِ الْأَمَاكِنِ بِلَا انْتِقَالٍ إِلَيْهَا، لَا تَلْمِسُهُ لَامِسَةٌ، وَلَا تَحُسُّهُ حَاسَّةٌ[٤٦]، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي

---

[٤٢] **(كلَّت عن إدراكه طروف العيون):**

لعلَّ الفرق بين هذا وبين قوله ﷺ في أوائل الخطبة (ولم تدركه الأبصار...) هو أنَّ ذاك كان لبيان الاستحالة من جهة علوّ ذاته، وهذا لبيان الاستحالة من جهة قصور الأبصار، وكذا في قوله هنا (وقصرت دون بلوغ...) وقوله هناك (لم تقع عليه الأوهام...)، وكذا قوله هنا (لا تلمسه لامسة) وقوله (ولا ملامسة منه لهم) و«الطروف» جمع طرف بمعنى تحريك الجفن بالنظر.

[٤٣] **(دون بلوغ صفته):**

أي قبل الوصول إلى حقيقة صفته وكنهها.

[٤٤] **(الأول قبل كل شيء):**

الفرق بين هذا وبين قوله: (الذي ليست لأوَّليته نهاية) هو أنَّ هذا لبيان معنى الأوَّل، وذاك لبيان وصف الأوَّل، وكذا في «الآخر».

[٤٥] **(بالقهر له):**

أحد معاني الظاهر هو الغالب بأن يُجبر كل شيء على ما يريد، وهذا في التكوينيات من الإيجاد والإفناء وسائر ما يريد، أما في التشريع فقد جعل الاختيار بيد الإنسان، مع بقائه في قبضته تعالى.

[٤٦] **(ولا تحسُّه حاسة):**

ذكر العام بعد الخاص، وحاصل هذه الفقرات: أنَّه تعالى قادر عالم أحاط علمه وقدرته بكل الأشياء، مع أنَّهم لا يتمكنون من الإحاطة به وإدراكه بالحواس.

ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ[٤٧]﴾ [الزخرف: ٨٤]، أَتْقَنَ مَا أَرَادَ مِنْ خَلْقِهِ مِنَ الْأَشْبَاحِ كُلِّهَا[٤٨]، لَا بِمِثَالٍ سُبِقَ إِلَيْهِ[٤٩]، وَلَا لُغُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ[٥٠]، فِي خَلْقِ

---

[٤٧] **(وهو الحكيم العليم):**

أي هو إله الكون بسمائه وأرضه، وكأنَّ الإمام عليه السلام أراد الاستدلال بهذه الآية على ما بيَّنه في الفقرات السابقة من كونه الظاهر والمشاهِد ولا يُلمس ولا يُحسّ.

[٤٨] **(من الأشباح كلّها):**

«من خلقه» بيان لـ«ما أراد»، و«من الأشباح» بيان لـ«خلقه»، والمعنى أنَّه تعالى أحكم الذي أراده، وهو مخلوقاته التي كانت كالخيال.

و«الشبح» هو ما يتراءى من الشيء من بعيد أو في الظلام، ويُراد به هنا المراحل السابقة التي مرَّت بها الموجودات قبل الحياة الدنيا، ولعلَّ في كلام الإمام عليه السلام إشارة إلى أنَّ الله تعالى خلق الأشياء متدرجة الوجود، فخلقها ابتداءً ثم أكملها بإتقان، كالإنسان في عالم الذر ثم إعطائه الصورة المناسبة في هذه الدنيا، وكذا مراحل النطفة والعلقة إلى الولادة، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾(١).

[٤٩] **(لا بمثال سبق إليه):**

«سُبِق» مبني للمفعول، أي لا بمثال سُبِقَ الله إلى ذلك المثال، بأن يكون المبدع غيره وهو مقلّد له، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾(٢).

[٥٠] **(ولا لغوب دخل عليه):**

«اللغوب» التعب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٣)، لأنَّ التعب من أوصاف الأجسام، ولأنَّه دليل على ضعف القدرة، وهو منزَّه عن الجسم، وقدرته غير محدودة.

---

(١) سورة طه: الآية ٥٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٣) سورة ق: الآية ٣٨.

مَا خَلَقَ لَدَيْهِ، ابْتَدَأَ مَا أَرَادَ ابْتِدَاءَهُ وَأَنْشَأَ مَا أَرَادَ إِنْشَاءَهُ عَلَى مَا أَرَادَ[٥١] مِنَ الثَّقَلَيْنِ ـ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ[٥٢] ـ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ رُبُوبِيَّتَهُ، وَتَمَكَّنَ فِيهِمْ طَاعَتُهُ[٥٣].

نَحْمَدُهُ بِجَمِيعِ مَحَامِدِهِ كُلِّهَا[٥٤] عَلَى جَمِيعِ نَعْمَائِهِ كُلِّهَا، وَنَسْتَهْدِيهِ لِمَرَاشِدِ أُمُورِنَا، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَنَسْتَغْفِرُهُ لِلذُّنُوبِ الَّتِي سَبَقَتْ مِنَّا،

---

[٥١] (على ما أراد):

على الكيفية التي أرادها، أي خلقها كما أراد، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(٢).

[٥٢] (من الثقلين الجن والإنس):

«من» بيان لقوله عليه السلام «ابتدأ ما أراد» «أنشأ ما أراد».

و«الثَّقَلين» ـ بفتح الثاء والقاف ـ هما الجن والإنس كما في قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾(٣)، وأما «الثِّقْلين» ـ بكسر الثاء وسكون القاف ـ فهما الكتاب والعترة.

[٥٣] (وتمكن فيهم طاعته):

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٤)، و«تمكن» أي تتمكَّن الطاعة فيهم، لأنَّها ناشئة من فطرتهم وعقلهم، فلا تكون أمراً عرضياً.

وحاصل المعنى: أنَّ الله تعالى خلق الجن والإنس على الكيفية التي أرادها من إعطائهم الفطرة والعقل والقدرة ونحوها، حتى يعرفوه ويعبدوه.

[٥٤] (بجميع محامده كلها):

«المحامد» جمع محمدة، وهي الصفات التي يُحمد عليها، أي نحمده على جميع صفات الكمال التي فيه.

---

(١) سورة الروم: الآية ١١.

(٢) سورة هود: الآية ٦١.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٥٥.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيّاً دَالّاً عَلَيْهِ وَهَادِياً إِلَيْهِ[٥٥]، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَاسْتَنْقَذَنَا بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧١] وَنَالَ ثَوَاباً جَزِيلاً[٥٦]، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً وَاسْتَحَقَّ عَذَاباً أَلِيماً[٥٧]، فَأَنْجِعُوا[٥٨] بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكُمْ[٥٩] مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِخْلَاصِ النَّصِيحَةِ[٦٠]، وَحُسْنِ

---

[٥٥] **(دالاً عليه وهادياً إليه):**

الضميران يرجعان إلى «الله» أو «الحق».

[٥٦] **(ونال ثواباً جزيلاً):**

قوله: «نال». . تفسير للفوز العظيم في الآية.

[٥٧] **(خسراناً مبيناً):**

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾(١).

[٥٨] **(فأنجعوا):**

من «النُّجعة» بمعنى طلب الماء والكلأ، ومنه (المنتجع) والمراد اطلبوا ثواب الله تعالى بطاعة إمامكم.

ومن هذا المقطع إلى آخر الخطبة، استنهاض لهم لنصرة الإمام عليه السلام على البغاة عليه، وبيان حقوقه عليهم.

[٥٩] **(يحقّ عليكم):**

أي يجب عليكم، بالسمع أولاً، وبالطاعة ثانياً، وبعدم الغش ثالثاً، وبحسن النصرة رابعاً، فقد يسمع الإنسان ولا يطيع، وقد يطيع ولكن من غير رضا قلبي فيحاول الفرار أو يطيع إطاعة ناقصة، وقد يكون مخلصاً ولكن من غير معرفة كيفية المعاونة.

[٦٠] **(إخلاص النصيحة):**

«النصيحة» هي الإخلاص وعدم الغش، وإخلاص النصيحة يُراد منه إيجادها.

---

(١) سورة الجن: الآية ٢٣.

الْمُؤَازَرَةِ[٦١]، وَأَعِينُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ[٦٢] بِلُزُومِ الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ، وَهَجْرِ الْأُمُورِ الْمَكْرُوهَةِ، وَتَعَاطَوْا الْحَقَّ بَيْنَكُمْ وَتَعَاوَنُوا بِهِ دُونِي[٦٣]، وَخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ السَّفِيهِ[٦٤]، وَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاعْرِفُوا لِذَوِي الْفَضْلِ فَضْلَهُمْ[٦٥]، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِالْهُدَى، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى التَّقْوَى، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

---

[٦١] **(حسن المؤازرة):**

«المؤازرة»: المعاونة.

[٦٢] **(أعينوا على أنفسكم):**

لأنَّ النفس أمّارة بالسوء فلا بدَّ من أن يستعين الإنسان على نفسه حتى لا يقع في شراكها.

[٦٣] **(تعاونوا به دوني):**

أي عندي، فإنَّه عليه السلام مع الحق والحق معه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

[٦٤] **(الظالم السفيه):**

الأخذ على اليد بمعنى المنع، أي امنعوه عن الظلم.

[٦٥] **(لذوي الفضل فضلهم):**

مراده معرفتهم لحقِّه عليه السلام حتى لا ينخدعوا بالبغاة الذين عادوه وحاربوه.

---

(١) آمالي الصدوق مجلس ٢٠، ص١٥٠.

بَابُ النَّوَادِرِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عَمِيرَةَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُغِيرَةِ النَّصْرِيِّ قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[١] [القَصص: ٨٨]: فَقَالَ: مَا يَقُولُونَ فِيهِ؟ قُلْتُ: يَقُولُونَ: يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ

الحديث الأول:

[١] **(كلُّ شيءٍ هالك إلّا وجهه):**

للآية الكريمة تفسير وتأويل:

أما التفسير: فهو أنَّ المراد بالوجه الذات، أي كل شيء زائل إلّا ذات الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(١).

وقد استعمل الوجه وأُريد به ذات الله في عدّة مواطن من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾(٢)، وقوله: ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾(٣)، وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾(٤).

وأما التأويل: فالوجه هو دين الله، أو الأعمال الصالحة، أو المؤمنين، أو الأنبياء والأئمة.

وعلى الأول: فالمعنى كل شيء يزول إلّا دين الله فإنَّه باقٍ أبداً.

---

(١) سورة الرحمن: الآيتان ٢٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٧.

(٤) سورة الإنسان: الآية ٩.

روي ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام[١].

وعلى الثاني: فالمعنى كل الأعمال تحبط وتكون هباءً منثوراً، إلَّا العمل الذي أُريد به وجه الله تعالى فإنَّه يبقى، وهذا المعنى هو الظاهر من الحديث الآتي في هذا الباب.

وعلى الثالث: فالمعنى أنَّ كل الناس هالكون ـ أي خاسرون معذبون ـ إلَّا المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣]، ووردت بهذا المعنى روايات منها ما عن الصادق عليه السلام «كل شيء هالك إلَّا من أخذ الطريق الذي أنتم عليه»[٤].

ولا يخفى رجوع هذه الثلاثة إلى معنى واحد.

وعلى الرابع: فالمعنى كل شيء يفنى وينعدم، إلَّا الأنبياء والأئمة فإنَّهم وجه الله، لأنَّ الوجه: ما يواجه به، والله إنَّما يواجه عباده ويخاطبهم بواسطة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وإذا أراد العباد التوجُّه إليه تعالى يتوجَّهون إليهم بجعلهم الوسيلة، وهذا المعنى وردت به روايات مستفيضة، فراجع البرهان في تفسير القرآن[٥].

ثم إنَّه يظهر من بعض الروايات أنَّ المراد عدم خلوّ الأرض منهم عليهم السلام فإنَّه لا بدَّ في الأرض من نبيّ أو وصيّ نبي إلى قيام الساعة، كالمروي عن الإمام الباقر عليه السلام (نحن ـ والله ـ وجهه الذي قال، ولن نهلك إلى يوم القيامة بما أمر الله به من طاعتنا وموالاتنا، فذلك وجه الله الذي قال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٦] وليس منَّا ميت يموت إلَّا وخلَّف عاقبة منه إلى يوم القيامة)[٧].

(١) البرهان: ج٧ ص٣٨٠ عن توحيد الصدوق ومحاسن البرقي وغيرهما.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٦.

(٤) البرهان: ج٧ ص٣٧٩ عن المحاسن.

(٥) البرهان: ج٧ ص٣٧٨ ـ ٣٨٣.

(٦) سورة القصص: الآية ٨٨.

(٧) البرهان: ج٧ ص٣٨٧.

إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ[٢]، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ لَقَدْ قَالُوا قَوْلاً عَظِيماً، إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ[٣].

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ صَفْوَانَ الْجَمَّالِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قَالَ: مَنْ أَتَى اللَّهَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ طَاعَةِ مُحَمَّدٍ[١] صلى الله عليه وآله، فَهُوَ الْوَجْهُ الَّذِي لَا يَهْلِكُ[٢]، وَكَذَلِكَ قَالَ: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

---

[٢] (يهلك كل شيء إلّا وجه الله):
استعظم عليه السلام قولهم لأنّهم كانوا يشبّهون الله تعالى بالأجسام، فزعموا أنَّ له وجهاً كوجوه البشر.

[٣] (الذي يؤتى منه):
هذا الحديث يمكن انطباقه على المعنى الرابع والأول من التأويل.

الحديث الثاني:

[١] (من طاعة محمد):
وفي حديث آخر «من طاعة محمد والأئمة من بعده»(١).

[٢] (فهو الوجه الذي لا يهلك):
الضمير، إما يرجع إلى «من أتى» أي المؤمن المطيع هو وجه الله، فيكون إشارة إلى المعنى الثالث.
وإما يرجع إلى «ما أمر به من الطاعة» أي طاعة الرسول صلى الله عليه وآله هي وجه الله، فيكون إشارة إلى المعنى الثاني، وهذا هو الأقرب لاستدلال الإمام عليه السلام بقوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وجه الله الذي منه يؤتى.

---

(١) البرهان: ج٧ ص٣٨١ عن توحيد الصدوق.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي سَلَّامٍ النَّخَّاسِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَحْنُ الْمَثَانِي[١] الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي

وفي الوافي(١) (يعني كل مطيع لله ولرسوله متوجِّه إلى الله، فهو باقٍ في الجنان أبد الآبدين، وهو وجه الله في خلقه، يواجه الله به عباده، ومن هو بخلافه فهو في النيران مع الهالكين، قوله: «وكذلك قال» إشارة إلى أنَّ إطاعته للرسول توجُّه منه إلى الله سبحانه، وإلى وجهه، وتوجُّه من الله تعالى به إلى خلقه، وهو السبب في تسمية وجه الله وإضافته إليه).

الحديث الثالث:

[١] (نحن المثاني):

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾(٢) «المثاني» إما جمع «مثناة» من التثنية، وإما جمع «مثنية» من الثناء.

ثم إنَّ «المثاني» ورد لها معنيان في الروايات:

الأول: أنَّها سورة الحمد، كما روي عن أمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام(٣).

وإنَّما سُمّيت مثاني: لأنَّها تثنىٰ في الركعتين ـ كما عن الإمام الصادق عليه السلام(٤) ـ أي تتكرَّر تلاوتها في كل صلاة مرَّتين(٥).

الثاني: إنَّ المثاني: أهل البيت عليهم السلام، قال الصدوق رحمه الله: (معنى قوله: نحن المثاني، أي نحن الذين قرننا النبي صلى الله عليه وآله إلى القرآن، وأوصى بالتمسُّك بالقرآن وبنا، وأخبر أمَّته أنا لا نفترق حتى نرد عليه حوضه)(٦).

والأقرب أنَّ المعنى هو: أنَّنا المقصودون في سورة الحمد حيث يقول

---

(١) الوافي: ج١ ص٤١٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٧.

(٣) البرهان: ج٥ ص٥١٢ ـ ٥١٤ عن التهذيب والعيون وتفسير العياشي.

(٤) البرهان: ج١ ص٢٢٢ عن تفسير العياشي.

(٥) وفي تسميتها بالمثاني أقوال أخرى، نقلها في مجمع البيان: ج٦ ص١٩٢ فراجع.

(٦) الوافي: ج١ ص٤١٩.

الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ[٢]، وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ[٣] وَيَدُهُ الْمَبْسُوطَةُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ[٤]، ....

تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾(١)، وعليه لا حاجة إلى تجشم عناء كيفية تطبيق المثاني السبعة على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، كما في الوافي والمرآة(٢) وغيرهما، فإنّه من المتعارف إطلاق اسم السور عليهم باعتبار اشتمالها على مدحهم، نظير قول الشاعر:

وأصفيت مدحي للنبي وآله ... بوجههم عند الإله يكرّمُ
همُ آل عمرانٍ، هم الحج والنسا ... هم النحل والأنفال إن كنت تعلمُ
همُ آل ياسين، وطه وهل أتى ... هم الركن والبيت العتيق المعظَّمُ
هم الآية الكبرى، هم النور والهدى ... همُ سبأ والذاريات ومريمُ

[٢] (بين أظهركم):

كناية عن الإقامة بين القوم، والأصل فيه هو الاحتماء بالقوم فكأنَّ ظهراً منهم أمامه وظهراً منهم خلفه يحرسونه، فكأنَّهم جعلوه في وسطهم وأداروا ظهورهم عليه، ووجوههم على الأعداء، ثم استعمل في مطلق الإقامة.

[٣] (عين الله في خلقه):

أي شهداء الله على الخلق، كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٣).

[٤] (بالرحمة على عباده):

لأنَّ الله تعالى يرحم الناس بهم، أو لأنَّ إطاعتهم سبب رحمة الله، كما قال: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤) وقوله: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾(٥) أي الرسول صلى الله عليه وآله رحمة، ويد الرسول صلى الله عليه وآله يد الله قال تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٦).

(١) سورة الحمد: الآيتان ٦ ـ ٧.
(٢) الوافي: ج١ ص٤١٩ والمرآة: ج٢ ص١١٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.
(٤) سورة النور: الآية ٥٦.
(٥) سورة التوبة: الآية ٦١.
(٦) سورة الفتح: الآية ١٠.

عَرَفَنَا مَنْ عَرَفَنَا وَجَهِلَنَا مَنْ جَهِلَنَا[٥]، وَإِمَامَةُ الْمُتَّقِينَ[٦].

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ سَعْدَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[١] [الأعراف: ١٨٠] قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ

---

[٥] **(وجهلنا من جهلنا):**

لعلَّ المراد أنَّ مقاماتنا لا ترتبط بمعرفة أو جهل الناس بنا، فهي واقع، سواء عرفها الناس أم جهلها.

[٦] **(وإمامة المتقين):**

عطف على «عين الله»، أي ونحن إمامةُ المتَّقين، وجيء بالمصدر بدلاً من (إمام) للمبالغة، كما يُقال (زيد عَدْلٌ) أي عادلٌ، قال: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(١).

أو «إمامةَ المتَّقين» عطف على ضمير «جهلنا»، أي جهلنا من جهلنا وجهل إمامةَ المتَّقين.

وفي روايات أخرى «من عرفنا فأمامه اليقين ومن جهلنا فأمامه السعير»(٢) فاليقين بمعنى النعيم.

وفي رواية «عرفنا من عرفنا ومن جهلنا فأمامه اليقين»(٣) أي سيتيقَّن بمقاماتنا عند اليقين ـ وهو الموت ـ.

الحديث الرابع:

[١] **(فادعُوه بها):**

أما تفسير الآية: فهي دعاء الله تعالى بأسمائه، كالرحمن والرحيم ونحوهما من الأسماء.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٧٤.

(٢) البرهان: ج٥ ص٥١٣ عن القمي وتفسير العياشي.

(٣) عن توحيد الصدوق، مرآة العقول: ج٢ ص١١٥.

الْعِبَادِ عَمَلاً إِلَّا بِمَعْرِفَتِنَا.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ صَالِحٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مَرْوَانَ بْنِ صَبَّاحٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا[١]،

وفي التبيين(١) ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الأسماء الحسنة، فلا سوء في أسمائه وصفاته، ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ أي بتلك الأسماء، فقولوا يا رحمن، يا غفار، وهكذا ﴿وَذَرُوا۟﴾ أتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ أي يميلون عن الحق ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ فيسمون أسمائه على أصنامهم، ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الإلحاد والعصيان.

وأما التأويل: فإنَّهم عليهم السلام عبيد مربوبون، حسَّن خالقهم خَلقهم وخُلقهم، فهم الأسماء الحسنى التي جعلها الله الوسيلة بينه وبين الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾(٣).

وفي الوافي(٤): (كما أنَّ الاسم يدلُّ على المسمَّى ويكون علامة له، كذلك هم عليهم السلام أدلاء على الله يدلُّون الناس عليه سبحانه، وهم علامة لمحاسن صفاته وأفعاله وآثاره، فادعوه بها: أي فادعوا الله واطلبوا التقرب إليه بسبب معرفتها، فإنَّ معرفته تعالى منوطة بمعرفتهم عليهم السلام، والعبادة غير مقبولة إلَّا بمعرفة المعبود، المتوقفة على معرفتهم) انتهى.

الحديث الخامس:

[١] **(فأحسن خلقنا):**

خلقهم من طينة عليِّين ـ كما سيأتي ـ، وعصمهم من الزلل، فخلق أجسادهم وقلوبهم في أتمِّ شكل، قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾(٥).

---

(١) تبيين القرآن: ص١٨٦.
(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٥٧.
(٤) الوافي: ج١ ص٤٩١.
(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا[٢]، وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ، وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ[٣]،

---

[٢] **(فأحسن صورنا):**

أي الصورة ـ ظاهرية وباطنية ـ فالمحيّا وهو الصورة الظاهرية، والأخلاق: وهي الصورة الباطنية، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١).

وقد ثبت في العقائد أنَّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام مبرَّؤون من كل نقص في الخليقة وفي الأخلاق، فأجسادهم تامة سويَّة لا عيب ونقص فيها ـ من عاهة أو تشويه أو فقد قوة أو عضو ـ.

وذلك لتتم الحجة على الخلق، فلا يعتذر أحد بأنَّه ابتعد عنهم ولم يسمع كلامهم لاشمئزازه من شكلهم، لأنَّ الكثير من الناس عقولهم في عيونهم، بل تكون لله الحجَّة البالغة.

وأما ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾(٢) فليس العمى، بل ظهور بياض في العين وضعف ـ بما لم يؤثِّر على المحيا والجمال ـ.

وكذا مرض أيوب لم يؤثِّر على ظاهر جسمه، فما ورد من نتن وديدان ونحوها فهي من الإسرائيليات.

وكذا قول موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾(٣)، فكان موسى عليه السلام فصيحاً ولكن هارون عليه السلام كان أفصح، وكذا قوله: ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾(٤) بمعنى أن لا يتلعثم في التبليغ ولا يرتجَّ في الكلام.

[٣] **(لسانه الناطق في خلقه):**

أي يبيّنون أحكام الله تعالى للأنام، وقد أمر الله الناس بسؤالهم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٥)، وأوجب طاعتهم فقال: ﴿أَطِيعُوا۟

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٤.
(٢) سورة يوسف: الآية ٨٤.
(٣) سورة القصص: الآية ٣٤.
(٤) سورة طه: الآية ٢٧.
(٥) سورة النحل: الآية ٤٣.

وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ[٤]، وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ[٥]، وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ[٦]، وَخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ[٧]، ....

ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

[٤] (على عباده بالرأفة والرحمة):

«الرأفة» شدّة الرحمة، وهي خاصّة بالمؤمنين لأنَّ منشأها العطف والشفقة وأمّا «الرحمة» فهي عامة ولذا قد تكون للعدوّ، وثمَّ إنَّ الرأفة لجلب المنفعة، والرحمة لدفع الضرر ـ عادة ـ، هكذا قيل.

[٥] (ووجهه الذي يؤتى منه):

لأنَّ الله يواجه عباده ويخاطبهم عبر الرسول ﷺ وعبر الأئمة عليهم السلام ـ بواسطة جدّهم ﷺ ـ، وكذا يتوجَّه العباد بهم إلى الله بجعلهم الوسيلة.

[٦] (بابه الذي يدلُّ عليه):

فلا بدَّ لمن يريد معرفة الله أن يأتيهم ليدلُّوه على الله، ورُوي عن الإمام الباقر عليه السلام في معنى كونهم باب الله: (معناه أنَّ الله احتجب عن خلقه بنبيّه والأوصياء من بعده، وفوَّض إليهم من العلم ما علم احتياج الخلق إليه، ولما استوفى النبي ﷺ على العلوم والحكمة قال: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»، وقد أوجب الله على الخلق الاستكانة لعلي عليه السلام بقوله: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي الذين لا يرتابون في فضل الباب وعلوّ قدره، وقال في موضع آخر ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ يعني الأئمة عليهم السلام الذين هم بيوت العلم ومعادنه وهم أبواب الله ووسيلته، والدعاة إلى الجنة، والأدلّاء عليها إلى يوم القيامة)(٢).

[٧] (وخزّانه في سمائه وأرضه):

أي خزّان علمه، أو بمعنى أنَّ الله أوكل إليهم خزائن السماء والأرض فيتصرفون فيها بإذنه تعالى.

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٢) رواه الكفعمي، كما في مرآة العقول: ج٢ ص١١٦، والآيتان: البقرة: ٥٨، البقرة: ١٨٩.

بِنَا أَثْمَرَتِ الْأَشْجَارُ[٨]، وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ[٩]، وَجَرَتِ الْأَنْهَارُ، وَبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ، وَيَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ، وَبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللَّهُ[١٠]، وَلَوْلَا نَحْنُ مَا عُبِدَ اللَّهُ.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[١] [الزخرف: ٥٥] فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْسَفُ

---

[٨] **(بنا أثمرت الأشجار):**

هذا وما بعده كالنتيجة للفقرات السابقة، فحيث إنَّ الله خلقهم أحسن خلق، ووسَّطهم بينه وبين الخلق، فلذا أعطاهم الولاية التكوينية، فهم يتصرفون في الكون بإذن الله تعالى.

أو المعنى أنَّهم المقصودون بالخلق، ولولاهم لما خلق الله شيئاً فلا شجرة لتثمر، ولا نهر ليجري، ولا فلك ليدور، ولا سماء مبنيَّة، ولا أرض مدحيَّة... وفي الحديث القدسي: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك)(١).

[٩] **(أينعت الثمار):**

أي نضجت.

[١٠] **(بعبادتنا عُبد الله):**

أي تعلّم الناس العبادة منّا، ولولانا لكانوا مشركين، أو كانت عبادتهم باطلة لعدم معرفة الناس بأجزاء وشرائط العبادة.

أو المعنى: أنَّ أكمل عبادة هي عباداتنا، لأنَّ العبادة فرع المعرفة، ولا معرفة كاملة إلَّا لهم، ولولاهم لما عبد الله بعبادة كاملة من كل الجهات، وهنا احتمالات أخرى.

الحديث السادس:

[١] **(فلمّا أسفونا انتقمنا منهم):**

أي فلما أغضبونا، و«أسِف» بمعنى شدة الحزن كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ

---

(١) مستدرك سفينة البحار: ج٣، ص٣٢٤.

كَأَسَفِنَا[٢]، وَلَكِنَّهُ خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِهِ يَأْسَفُونَ وَيَرْضَوْنَ، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ[٣]، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِهِ، وَسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِهِ[٤]، لِأَنَّهُ جَعَلَهُمُ[٥] الدُّعَاةَ إِلَيْهِ،

عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[١]، و«أسف عليه» أي غضب عليه.

[٢] (لا يأسف كأسفنا):
لأنَّ التغيُّر صفة الممكنات ويستحيل على الباري تعالى، وذلك لما مرّ مراراً من أنَّ معنى التغيُّر هو انعدام حالة سابقة ووجود حالة جديدة، ولمَّا كان القديم ضروري الوجود فإنَّ صفاته الذاتية ـ كوجوده ـ لا تحتاج إلى علَّة، لأنَّ الاحتياج إلى العلَّة يساوي الحدوث والإمكان، فصفاته الذاتية قديمة ضرورية الوجود، فلذا يستحيل عليها العدم ـ لأنَّ ضروري الوجود يمتنع عليه العدم ـ فيستحيل التغيُّر الذي هو انعدام الحالة السابقة.

[٣] (مخلوقون مربوبون):
أي خلقهم وتدبير أمورهم بيد الله تعالى، ولما كانوا مخلوقين حادثين أمكن فيهم الغضب بمعناه الحقيقي وهو تغيُّر الحالة النفسية.

[٤] (وسخطهم سخط نفسه):
كما قال رسول الله ﷺ (إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب لغضبها)[٢].
وروت العامة: (إنَّ الله يغضب لغضب المؤمن)[٣] فلذا لما اعترض أحد العامة على حديث «إنَّ الله يرضى لرضا فاطمة...» أجابه الإمام الصادق عليه السلام بهذا الحديث الذي يروونه.

[٥] (لأنَّه جعلهم):
أي إنَّ جعل رضاهم رضا نفسه، وكذلك غضبهم غضبه، ليس اعتباطاً، بل لأجل أنَّهم معصومون فلا يغضبون إلَّا بحق، ولا يرضون إلَّا بحق، فهم الدعاة إلى الله حتى في رضاهم، والأدلَّاء عليه حتى في غضبهم، فهم في

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٤.
(٢) التعجّب، للكراجكي: ص١٣٤.
(٣) مناقب آل ابي طالب: ج٣، ص١٠٧، باب مناقب فاطمة عليها السلام.

وَالْأَدِلَّاءَ عَلَيْهِ[٦]، فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ[٧]، وَلَيْسَ أَنَّ ذَلِكَ[٨] يَصِلُ إِلَى اللَّهِ كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِهِ، لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ[٩]، وَقَدْ قَالَ: (مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ وَدَعَانِي إِلَيْهَا)، وَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾

كلِّ حالاتهم ينتهون إلى الله، فلا تحرِّكهم العواطف والحالات النفسانية لخلاف الحق، وهذا معنى العصمة.

[٦] **(الدعاة إليه والأدلَّاء عليه):**

«الدلالة» هي التعريف، و«الدعوة» هي الإرشاد للاتِّباع، فلذا كانت الدلالة ثم الدعوة، كما نقول هذا فلان فاتبعه، ولعلَّ تقديم الدعاة على الأدلَّاء، لأجل أنَّ غالب الناس يعتقدون بالله لكنَّهم لا يتبعون دينه وأوامره ونواهيه، فكان الأئمة يدعون إليه ثم يبيِّنون للناس التوحيد الصحيح! فتأمل.

[٧] **(فلذلك صاروا كذلك):**

أي لكونهم أدلَّاء ودعاة صاروا بحيث يكون غضبهم غضب الله، ورضاهم رضا الله تعالى.

[٨] **(وليس أنَّ ذلك):**

اسم «ليس» (المعنى) هو مقدر، وخبرها «أنَّ ذلك...»، أي ليس معنى الآية أنَّه يصل إلى الله ما يصل إلى خلقه من الحالات النفسانية والتغيُّر.

[٩] **(لكن هذا معنى ما قال من ذلك):**

أي الموارد التي نسب الله إلى نفسه هذه الأمور، فإنَّما المراد أنَّها في أوليائه، وأنَّهم لا تعتريهم هذه الصفات إلَّا بإذن الله تعالى.

ثمَّ مثَّل الإمام عليه السلام بحديث قدسي وبآيتين من القرآن الكريم، والأفعال التي صدرت من الناس بحقِّ أوليائه، نسبها الله إلى نفسه، ففي الحديث القدسي: إهانة الولي اعتبرت محاربة لله، وفي الآية الأولى: اعتُبرت إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله إطاعة لله تعالى، وفي الثالثة: مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله مبايعة لله تعالى، ويد الرسول صلى الله عليه وآله يد الله.

[النساء: ٨٠]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، فَكُلُّ هَذَا وَشِبْهُهُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وَهَكَذَا الرِّضَا وَالْغَضَبُ[١٠] وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَشْيَاءِ مِمَّا يُشَاكِلُ ذَلِكَ، وَلَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ الْأَسَفُ وَالضَّجَرُ[١١] ـ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا وَأَنْشَأَهُمَا ـ لَجَازَ لِقَائِلِ هَذَا أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْخَالِقَ يَبِيدُ يَوْماً مَا، لِأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الْغَضَبُ وَالضَّجَرُ دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ، وَإِذَا دَخَلَهُ التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ الْإِبَادَةُ[١٢]، ثُمَّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُكَوِّنُ مِنَ الْمُكَوَّنِ[١٣]، وَلَا الْقَادِرُ مِنَ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ، وَلَا الْخَالِقُ مِنَ الْمَخْلُوقِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ عُلُوّاً كَبِيراً، بَلْ هُوَ

---

[١٠] (وهكذا الرضا والغضب):

لأنَّ الإمام عليه السلام كان في مقام تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ فلذا رجع إلى الرضا والغضب، وبيَّن أنَّ المراد بهما ما أُريد في الحديث القدسي وفي الآيتين.

[١١] (يصل إلى الله الأسف والضجر):

لما بيَّن الإمام عليه السلام معنى الآية وأمثالها، استدلَّ على استحالة اتِّصاف الله تعالى بهذه الأمور حسب معناها الحقيقي بثلاثة أمور:

١ ـ إنَّ هذه الأوصاف مخلوقات، فلا يتَّصف بها الخالق.

٢ ـ إنَّها تغيّر في الذات، والمتغيِّر ليس بضروري الوجود فلذا يمكن أن يعتريه العدم.

٣ ـ إنَّ اتِّصافه بصفات الممكنات يستلزم أن يكون ممكناً مثلهم، فيكون محتاجاً إلى علَّة.

[١٢] (لم يؤمن عليه الإبادة):

لأنَّ معنى التغيُّر هو عدم وجوب الوجود ـ كما مرّ قبل قليل ـ، وكل ما لم يكن واجب الوجود، جاز عليه العدم.

[١٣] (ثم لم يعرف المكوِّن من المكوَّن):

أي إنَّ اتصافه بصفات الممكنات يجعله مثلهم، وإذا كان مثلهم احتاج إلى

الْخَالِقُ لِلْأَشْيَاءِ لَا لِحَاجَةٍ[١٤]، فَإِذَا كَانَ لَا لِحَاجَةٍ اسْتَحَالَ الْحَدُّ وَالْكَيْفُ فِيهِ، فَافْهَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ أَسْوَدَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَأَنْشَأَ يَقُولُ ابْتِدَاءً مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَهُ: نَحْنُ حُجَّةُ اللَّهِ[١]، وَنَحْنُ بَابُ اللَّهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللَّهِ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَنَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ[٢].

خالق ولم يكن هو الخالق.

والفرق بين لفظ «المكوِّن» و«الخالق» بالاعتبار، فباعتبار أنَّه قدَّر الموجودات كان خالقاً، وباعتبار أنَّه بدء الموجودات كان مكوِّناً.

[١٤] **(بل هو الخالق للأشياء لا لحاجة)**:

هذا من تتمَّة الدليل، أي إذا دخله التغيُّر كان كالممكنات فاحتاج إلى الخالق، ولكن الله تعالى، ليس محتاجاً، فلذا كان قديماً واجب الوجود، والقديم يستحيل عليه الحدّ والكيف، وقوله (لا لحاجة) بمعنى أنَّه حيث لم يكن محتاجاً كان قديماً غير مُتّصف بصفات الممكنات.

الحديث السابع:

[١] **(نحن حجّة الله)**:

أي يحتجّ بنا على خلقه، حيث إنَّهم عليهم السلام أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، والأنبياء حجة الله وكذا أوصيائهم قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(١).

[٢] **(ولاة أمر الله في عباده)**:

قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٢)، ودلَّت الروايات على أنَّ المراد بأولي الأمر أهل البيت عليهم السلام، كما يدلُّ عليه العقل أيضاً، فإنَّ

---

(١) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَسَّانَ الْجَمَّالِ قَالَ: حَدَّثَنِي هَاشِمُ بْنُ أَبِي عُمَارَةَ الْجَنْبِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: أَنَا عَيْنُ اللَّهِ، وَأَنَا يَدُ اللَّهِ، وَأَنَا جَنْبُ اللَّهِ[١]، وَأَنَا بَابُ اللَّهِ.

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ عَمِّهِ حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ[١]﴾

أولي الأمر إن لم يكونوا معصومين جاز عليهم الخطأ والمعصية، فلا يعقل الأمر بإطاعتهم في هذه الحال.

الحديث الثامن:

[١] **(وأنا جنب الله):**

عن الإمام الباقر عليه السلام: (معناه أنّه ليس شيء أقرب إلى الله تعالى من رسوله، ولا أقرب إلى رسوله من وصيه، فهو في القرب كالجنب، وقد بيّن الله تعالى ذلك في كتابه في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾(١) يعني ولاية أوليائه)(٢).

الحديث التاسع:

[١] **(في جنب الله):**

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٦.

(٢) مرآة العقول: ج٢ ص١٢٠ عن الكفعمي.

(٣) سورة الزمر: الآيتان ٥٥ ـ ٥٦.

[الزُمَر: ٥٦] **قَالَ: جَنْبُ اللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَكَذَلِكَ مَا كَانَ بَعْدَهُ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ[٢] بِالْمَكَانِ الرَّفِيعِ[٣] إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ الْأَمْرُ إِلَى آخِرِهِمْ.**

١٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الصَّلْتِ، عَنِ الْحَكَمِ وَإِسْمَاعِيلَ ابْنَيْ حَبِيبٍ، عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ﷺ يَقُولُ: بِنَا عُبِدَ اللَّهُ[١]، وَبِنَا

وفي تقريب القرآن(١): (أي على تفريطي وتقصيري في إطاعة أمر الله سبحانه، والحال قد كنت عند الله سبحانه، وهذا كما يقول أحدنا: كنت إلى جنب العالم ولم أتعلم منه، والله سبحانه منزَّه عن الجنب، ولكن قُرْب أحكام الدين والمرشدين إلى الإنسان نُزّل منزلة القرب من الله تعالى، تشبيهاً للمعقول بالمحسوس، لتقريب الذهن، وهذا هو المراد ممَّا ورد عن الباقر ﷺ أنَّه قال: نحن جنب الله).

[٢] **(ما كان بعده من الأوصياء):**

أي كذلك جنب الله الذي كان بعده من الأوصياء، فـ «من الأوصياء» بيان لـ«ما كان بعده»، والمراد: من كان بعده، لجواز استعمال «ما» بدلاً عن «مَن» كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾(٢).

[٣] **(بالمكان الرفيع):**

«بالمكان» حال عن الأوصياء، أي الأوصياء جنب الله حال كونهم بالمكان الرفيع، والغرض هو بيان علَّة كونهم جنب الله، حيث إنَّ رفعة مكانتهم وعلو منزلتهم جعلتهم لائقين بكونهم جنب الله تعالى ـ بمعنى قربه ـ.

الحديث العاشر:

[١] **(بنا عُبد الله):**

فلولا سيف علي ما قام الإسلام، وكذلك بوجود ومواقف سائر الأئمة عَبَدَ

---

(١) تقريب القرآن: ج٤ ص٥٧٧.

(٢) سورة الشمس: الآية ٥.

عُرِفَ اللَّهُ[٢]، وَبِنَا وُحِّدَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٣]، وَمُحَمَّدٌ حِجَابُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٤].

الناس الله تعالى، ولولاهم لكانوا عبدة أصنام.

[٢] **(وبنا عُرف الله):**

المعرفة الصحيحة كانت بواسطتهم، وسائر الناس لا يعرفون الله حق معرفته بل ينسبون إليه ما هو منزَّه عنه، وكثير من الناس يعبدون صورة متوهمة في أذهانهم زعماً منهم أنَّها الله، فمثلاً بعض ينتحل الإسلام معبوده الشاب الأمرد الذي شعره قطط وفي رجليه نعلان من ذهب!! وهؤلاء في الحقيقة يعبدون صنماً مُتَوَهَّماً زاعمين أنَّه ربّ العالمين!! تعالى عمَّا يقولون علواً كبيراً.

ولا يخفى أنَّ الكثير من الناس يعبدون الله تعالى ولا يعرفونه حق المعرفة، فلذا قَدَّم العبادة على المعرفة.

[٣] **(وبنا وحّد الله تبارك وتعالى):**

لأنَّهم بيّنوا التوحيد الصحيح الخالي عن الشرك والتشبيه والتعطيل، وهذا من عطف الخاص على العام، فإنَّ توحيده من معرفته.

[٤] **(ومحمد حجاب الله تبارك وتعالى):**

المقصود من هذه الفقرة بيان أنَّ ما عند أهل البيت عليهم السلام إنَّما هو ببركة جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبتعليمه إيَّاهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام «علَّم رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً ألف باب يفتح له منه ألف باب»(١).

والحاصل أنَّهم علّموا الناس العبادة والتوحيد والمعرفة لأنَّهم تعلموها من رسول الله صلى الله عليه وآله، والرسول تعلّمها من الله تعالى.

وقوله (محمد حجاب الله) أي الواسطة بين الله وبين الناس، فلذا فإنَّ ما عندهم من العلم إنَّما هو من الرسول صلى الله عليه وآله.

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص٣٦٤، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر...

١١ ـ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ بِشْرٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ قَادِمٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥٧] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ مِنْ أَنْ يُظْلَمَ[١]، وَلَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ[٢]، فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ[٣]، وَوَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ[٤]، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

الحديث الحادي عشر:

[١] **(من أن يُظلم):**

فلا بدّ أن يكون معنى ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ شيئاً آخر لأنّه من الواضح أن لا أحد يتوهّم إمكان أن يصيب الظلمُ اللّهَ تعالى، كي يحتاج إلى نفيه، بل الجميع يعلم بأنَّه أعلى من أن يكون مظلوماً.

[٢] **(لكنَّه خلطنا بنفسه):**

أي قرن اسمنا مع اسمه، تشريفاً منه لنا، كما قرن اسم الرسول صلى الله عليه وآله في الأذان مع اسمه، وقرن طاعتهم بطاعته، وولايتهم بولايته.

[٣] **(فجعل ظلمنا ظلمه):**

فالمعنى أنَّ العصاة لم يظلموا الرسول وآله عليهم السلام بل ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم وعصيانهم.

[٤] **(وولايتنا ولايته):**

مع أنَّ سنخ ولايته تختلف عن ولايتهم، فإنَّ ولايته بالذات، وولايتهم بإرادة منه تعالى، ولكن مع ذلك أسند الولاية إليه أولاً، ثم أسندها إليهم، وذلك لتشريفهم وتعظيمهم.

كما أنَّه تعالى لما أراد تشريع الخمس للرسول صلى الله عليه وآله ولأهل البيت عليهم السلام، ولكيَ لا يتوهَّم أحد أنَّها صدقة أو مِنَّة عليهم، أوجبها أولاً لنفسه ـ وهو المالك المطلق لكل شيء ومع أنَّ سهمه تعالى يكون تحت تصرفهم ـ ثم

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المَائدة: ٥٥] **يَعْنِي الْأَئِمَّةَ مِنَّا**[٥].

ثُمَّ قَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ[٦]: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعرَاف: ١٦٠].

أوجبها لهم، فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾(١).

واعلم أنَّ المراد من هذا التأويل ليس نفي المظلومية عنهم بشكل مطلق، حتى يقال كيف ذلك مع أنَّهم أكثر الناس مظلومية، حيث غصبت حقوقهم، وانتهكت حرماتهم، وشُردوا، وقُتلوا. . .الخ.

بل المراد أنَّ الناس بعدم امتثالهم لأوامر الله وعصيانهم له تعالى لم يظلموا الرسول وآله عليهم السلام بل ظلموا أنفسهم حيث أوقعوها في الهلاك، فالمراد نفي ظلمهم من هذه الجهة ـ أي من جهة العصيان وعدم امتثال الأمر ـ، لا نفي مظلوميتهم من كل الجهات.

[٥] **(يعني الأئمة منَّا):**

فشأن نزول الآية، تصدَّق أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم في صلاته، لكن الآية عامة لكل الأئمة الاثني عشر، بل في الحديث عن الصادق عليه السلام: (فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله، فيتصدَّقون وهم راكعون، والسائل الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة)(٢).

[٦] **(ثم قال في موضع آخر):**

أي ثم قال الله في آية أخرى، وهذا من تتمة كلام الإمام الباقر عليه السلام، والإمام لم يكرِّر الآية، لأنَّها في المرة الأولى كانت من كلام زرارة في سؤاله، بل لما ذكر الإمام عليه السلام (فجعل ظلمنا ظلمه، وولايتنا ولايته) استدل

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) الكافي: ج١ ص٢٢٨.

ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَه[٧].

للثاني بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾[١] وللأول بقوله سبحانه: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾[٢].

[٧] **(ثم ذكر مثله):**
هذا من كلام زرارة أي ثم ذكر الإمام الباقر عليه السلام مثل ما ذكره في الآية الأولى، فقال عليه السلام في تفسير الآية الثانية: «يعني الأئمة منّا»، فكما الآية الأولى في الأئمة، كذلك هذه الآية فيهم أيضاً.
جعلنا الله وإياكم من التابعين الموالين لهم.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٠.

بَابُ الْبَدَاءِ[١]

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ

---

[١] في البداء بحوث:

الأول: البداء في اللغة هو الظهور، كقوله: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾(١).

وليس المعنى اللغوي هو الظهور بعد الخفاء، حتى يحتاج إلى التأويل بالنسبة إلى الله تعالى، إذ العلم لم يؤخذ في معنى البداء أصلاً، بل مورد استعمال البداء:

١ ـ قد يكون في الظهور بعد الخفاء، كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾(٢).

٢ ـ وقد يكون من الظهور بعد الإخفاء، كقوله تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾(٣).

٣ ـ وقد يكون من الظهور بعد العدم، كقوله تعالى: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ...﴾(٤).

فالبداء في كل هذه المصاديق بمعنى واحد وهو: الظهور، أمّا العلم أو الجهل أو الإيجاد ونحوها فكلها موارد الاستعمال من غير أن يكون لها دخل في معنى كلمة «البداء».

الثاني: اتفقت صحاح المسلمين على نسبة البداء إلى الله تعالى، فمن أحاديث العامة ما رواه البخاري ـ في الصحيح عندهم ـ «أن أبا هريرة حدَّثه

---

(١) سورة طه: الآية ١٢١.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ٤.

أنَّه سمع رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم يقول: إنَّ ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا لله عز وجل أن يبتليهم. . .» الحديث[١].

قال شارح البخاري في فتح الباري (قوله «بدا لله» بتخفيف الدال المهملة بغير همز، أي سبق في علم الله فأراد إظهاره، وليس المراد أنَّه ظهر له بعد أن كان خافياً، لأنَّ ذلك محال في حق الله تعالى)[٢].

وفي مسند أحمد بن حنبل «سمعت رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلم يقول: . . . حتى إذا بدا لله أن تطلع من مغربها. . .»[٣].

وفيه أيضاً «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: يجمع الله عز وجل الأمم في صعيد يوم القيامة، فإذا بدا لله عز وجل أن يصدع بين خلقه. . .»[٤] وهذا الحديث صحيح عندهم على شرط الشيخين، والعجب منهم كيف شنّعوا على الشيعة قولهم بالبداء مع وروده في أصحّ كتبهم، وتأويل كبارهم للبداء في كتبهم، بما أوَّل الشيعة البداء في أحاديثهم، كما عرفت من كلام ابن حجر في فتح الباري. وكذا ابن الأثير في النهاية[٥].

قال الفخر الرازي «قالت الرافضة: البداء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئاً ثم يظهر له أنَّ الأمر بخلاف ما اعتقده»!!

قال العلَّامة المجلسي: «(والعجب أنَّهم في أكثر الموارد ينسبون إلى الرَّبّ تعالى ما لا يليق به، والإمامية قدّست أسرارهم يبالغون في تنزيهه تعالى، ويفحمونهم بالحجج البالغة، ولما لم يظفروا في عقائدهم بما يوجب نقصاً، يباهتونهم ويفترون عليهم بأمثال تلك الأقاويل الفاسدة، وهل البهتان والافتراء إلَّا دأب العاجزين. . .)[٦].

---

(١) البخاري/أحاديث الأنبياء/حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل: ج٤، ص١٤٦.

(٢) فتح الباري: ج٦، ص٣٦٤، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٣) مسند أحمد/مسند المكثرين من الصحابة/مسند عبد الله بن عمرو بن العاص: ج٣، ص٢٠١.

(٤) مسند أحمد/أول مسند الكوفيين/ حديث أبي موسى الأشعري: ج٤، ص٤٠٧.

(٥) نقلها العلامة المجلسي في مرآة العقول: ج٢ ص١٢٤.

(٦) مرآة العقول: ج٢ ص١٢٦ ـ ١٢٧.

الثالث: في معنى البداء في الله تعالى:

قد اتّضح ممّا ذكرنا في معنى البداء ـ في البحث الأول ـ: أنَّ معنى الظهور بعد الخفاء يستلزم الجهل، فلذا يستحيل البداء بهذا المعنى عليه تعالى.

ويمكن أن يكون البداء فيه تعالى بوجهين:

١ ـ الإظهار بعد الإخفاء، ويكون الإخفاء لمصلحة، ثم تتبدل المصلحة فيكون الإظهار.

وعلى هذا المعنى يكون النسخ كالبداء، فإنَّ النسخ في التشريعيات، والبداء في التكوينيات.

ففي التشريعيات: لمّا تكون المصلحة في إنشاء تكليف فإنَّ الله تعالى يأمر به مع علمه بأنَّ المصلحة لها أمد معيّن، وبعد تبدّل المصلحة ينتهي أمد الحكم السابق وينشأ حكم جديد، ومثاله أمر إبراهيم عليه السلام بذبح إسماعيل عليه السلام، فإنَّ المصلحة اقتضت إيجاب الذبح عليه، ولما تبدّلت المصلحة نسخ الوجوب.

كذلك البداء في التكوينيات، حيث يتم إخفاء أمر لمصلحة ثم إظهاره، ومن ذلك إخفاء شرط أمر، أو المانع عنه، كما أخبر النبي صلى الله عليه وآله بموت اليهودي وأخفى عن السامعين تحقّق المانع عن الموت وهو الصدقة.

٢ ـ الإيجاد بعد العدم، ويكون المعنى إيجاد تقدير بعد أن لم يكن، أو تبديل تقدير بمحو التقدير السابق وإيجاد اللاحق، وذلك لأنَّ التقدير من صفات الفعل، وهي مخلوقات له تعالى، فإنّه تعالى يُقدِّر أمراً لمصلحة في التقدير، فيُقال «بدا لله» أي أوجد هذا التقدير بعد أن لم يكن، أو إنّه تعالى يبدِّل تقديراً بتقدير آخر فأوجد التقدير الثاني ومحا التقدير الأول.

والمشهور وإن ذكروا الوجه الأول للبداء، لكن الوجه الثاني هو الأقرب لمضامين الروايات.

الرابع: علّة البداء هو الاعتقاد بقدرة الله وقيموميته، ثم التوجّه إليه تعالى والتضرع إليه والدعاء والصدقة وصلة الرحم ونحوها، فإنَّ الإنسان إذا علم بإمكان تغيير التقدير، فإنّه يلتجىء إليه تعالى ليغيِّر تقديره إلى الأحسن، ويتوجَّه إلى الطاعات التي تزيد في العمر والرزق ونحوها، وينتهي عن المعاصي التي توجب نقصان العمر والرزق وأمثالها.

وفي البداء ردّ على اليهود الذين زعموا ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[١]، فإنَّهم يعتقدون بأنَّ الله خلق ولكنَّه عاجز عن تغيير أمور الكون!! تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً بل ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٢].

ورَدٌّ على بعض المتفلسفة حيث زعموا أنَّه لم يخلق إلَّا العقل الأول فقط، ولا يستطيع غير ذلك ـ لتطبيقهم قاعدة «الواحد لا يصدر منه إلَّا الواحد» عليه تعالى ـ!!

ورَدٌّ على بعض آخر بأنَّ الله خلق أفعاله دفعة واحدة ولا فعل له بعد ذلك أصلاً!!

وردّ على غيرهم ممَّن حدَّدوا قدرته تعالى وعزلوه عن ملكه بأوهامهم السقيمة!!

فهذه الأحاديث في البداء، وفي الصدقة، وصلة الرحم، ونحوها هي في الحقيقة تفسير لعدّة آيات قرآنية دلَّت على كمال قدرته تعالى، وأنَّه خالق كل شيء، وأنَّه تعالى كل يوم في شأن من إحياء وإماتة ورزق ونحوها، وأنَّه تعالى يزيد في الخلق، وأنَّه سبحانه يوسّع العالم، قال تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٣]، وقال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٤]، وقال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[٥]، وقال: ﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾[٦]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[٧].

الخامس: إنَّ البداء ـ بمعنى الإظهار أو التقدير ـ يختلف عن العلم، إذ علمه تعالى من صفاته الذاتية، والإظهار والتقدير من صفات الفعل.

ولا منافاة بين العلم الأزلي بما هو كائن، وبين تقدير غيره ثم البداء فيه،

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٩.
(٣) سورة الرعد: الآية ١٦.
(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٥) سورة الرحمن: الآية ٢٩.
(٦) سورة فاطر: الآية ١.
(٧) سورة الذاريات: الآية ٤٧.

كما لم تكن منافاة بين العلم بعدم تحقّق ذبح إسماعيل وبين الأمر به ثم نسخه.

وكما مرّ فإنَّ علمه تعالى ليس سبباً لفعل العباد، فكما أنَّه يعلم من الأزل بأهل النار وأهل الجنَّة، ومع ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، وحثَّ على الطاعات ونهى عن المعاصي وأمر بالتبليغ وبإرشاد الجاهل وتنبيه الغافل، كذلك علمه بما هو كائن لا ينافي جعل التقديرات، وإبرامها أو البداء فيها.

فإنَّه كما أنَّ العبد مخيَّر في اختيار الطاعة أو العصيان، فيدخل بسبب فعله الجنة أو النيران، من غير أن يكون علم الله الأزلي علّةً لفعل العبد ولدخوله الجنة أو النار، كذلك اختيار العبد للصدقة والصلة والدعاء والطاعة سببٌ لتغيُّر المقادير من غير أن يكون علمه الأزلي سبباً لاختيار العبد.

والحاصل أنَّه تعالى يعلم من الأزل بتحقّق الأشياء عبر مسبَّباتها، وكانت الصدقة والدعاء ونحوها من جملة الأسباب لتلك المسببات، ولو علم بعدمها من الأزل علم بعدم تحقّق المسببات أزلاً، فتأمل فإنَّ المطلب دقيق.

ثم إنَّه لا بأس بنقل كلام الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في البداء، قال في التوحيد[1] (ليس البداء كما تقوّله جهّال الناس بأنَّه بداء ندامة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن يجب علينا أن نقرَّ لله عز وجل بأنَّ له البداء، معناه أنَّ له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء، ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره، أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل: نسخ الشرائع، وتحويل القبلة، وعدّة المتوفى عنها زوجها.

ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت مَّا إلَّا ويعلم أنَّ الصلاح لهم في ذلك الوقت أن يأمرهم بذلك، ويعلم أنَّ في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به، فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم.

(١) نقله في حاشية الوافي: ج١ ص٥٠٩ وكذا في المرآة: ج٢ ص١٢٧.

فمن أقرَّ لله عز وجل بأنَّ له أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء، ويخلق مكانه ما يشاء، ويقدّر ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويأمر بما يشاء كيف يشاء، فقد أقرَّ بالبداء.

وما عُظِّم الله بشيء أفضل من الإقرار بأنَّ له الخلق والأمر والتقديم والتأخير وإثبات ما لم يكن، ومحو ما كان.

والبداء هو ردّ على اليهود، لأنَّهم قالوا إنَّ الله قد فرغ من الأمر، فقلنا إنَّ الله كل يوم في شأن، يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء...).

وقال شيخ الطائفة رضوان الله عليه في كتاب الغيبة، بعد ذكر الأخبار المشتملة على البداء في قيام القائم عليه السلام[1] (الوجه في هذه الأخبار ـ إن صحَّت ـ، أنَّه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وَقَّتَ هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت، فلما تجدّد ما تجدد، تغيَّرت المصلحة، واقتضت تأخيره إلى وقت آخر، وكذا فيما بعد، ويكون الوقت الأول وكلّ وقت يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن لا يتجدَّد ما تقتضي المصلحة تأخيره، إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيّره شيء، فيكون محتوماً.

وعلى هذا يتأوَّل ما روي عن تأخير الأعمار عن أوقاتها والزيادة فيها عند الدعاء وصلة الأرحام، وغير ذلك.

وهو تعالى وإن كان عالماً بالأمرين، فلا يمتنع أن يكون أحدهما مشروطاً بشرط، والآخر بلا شرط، وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل.

وعلى هذا يتأول أيضاً ما روي في أخبارنا المتضمنة للفظ البداء، ويبيّن أنَّ معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل، فيما يجوز فيه النسخ، أو تغيّر شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات، لأنَّ البداء في اللغة هو الظهور، فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنَّا نظن خلافه، أو نعلم ولا نعلم شرطه...).

---

(١) نقله في مرآة العقول: ج٢ ص١٢٨.

الْحَجَّالِ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ثَعْلَبَةَ، عَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام قَالَ: مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الْبَدَاءِ[١].

٢ - وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا عُظِّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ[١].

الحديث الأول:

[١] **(بشيء مثل البداء):**

لتوقف صحّة العقيدة والطاعة عليه.

أما في العقيدة: فهو سبب الاعتقاد بقدرة الله تعالى، وصدق الأنبياء والأئمة عليهم السلام لأنَّهم إذا أخبروا بما فيه البداء لم يشك فيهم المؤمن، عكس المنافق.

وأما في الطاعة: فإنَّ الدعاء، والرغبة إليه، والرهبة منه، والخوف والرجاء منه، والصدقة، والإنفاق، وصلة الرحم، وعمل المبرّات، واجتناب المعاصي، ونحوها كلها متوقفة على الاعتقاد بالبداء، فإنَّ الإنسان إذا علم إمكان تغيّر المقدرات رغب في الطاعة وتجنب المعصية.

وهذا ما اتفق عليه المسلمون من أنَّ للدعاء والصدقة والتضرع تأثيراً في دفع الشرور وفي جلب الخيرات والمنافع.

الحديث الثاني:

[١] **(ما عظم الله بمثل البداء):**

وتوضيحه كما مرّ في عبارة الصدوق رضوان الله عليه: وما عُظِّم الله بشيء أفضل من الإقرار بأنَّ له الخلق، والأمر، والتقديم، والتأخير، وإثبات ما لم يكن، ومحو ما قد كان، وأنّه كل يوم في شأن من إحياء وإماتة ورزق، وفعل ما يشاء، وغير ذلك.

٣ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ وَحَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ وَغَيْرِهِمَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾[١] [الرّعد: ٣٩] قَالَ: فَقَالَ: وَهَلْ يُمْحَى إِلَّا مَا كَانَ

الحديث الثالث:

[١] **(يمحو الله ما يشاء ويُثبت):**

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(١).

أي لكل وقت شيء مكتوب حسب ما يقتضيه صلاح البشر، فيمحو وينسخ الله ما يشاء ممَّا يستصوب نسخه، ويثبت ما يشاء مكانه، وعنده أم الكتاب أي أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ فيه كل شيء.

وفي المرآة(٢): (ثم اعلم أنَّ الآيات والأخبار تدلُّ على أنَّ الله تعالى خلق لوحين، أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:

أحدهما: اللوح المحفوظ.

والآخر: لوح المحو والإثبات، فيثبت فيه شيئاً ثم يمحوه، لحِكَم كثيرة لا تخفى على أولي الألباب.

مثلاً يكتب فيه أنَّ عُمر زيد خمسون سنة، ومعناه أنَّ مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره، فإذا وصل الرحم - مثلاً - يُمحى الخمسون ويكتب مكانه ستون، وإذا قطعها يكتب مكانه أربعون، وفي اللوح المحفوظ أنَّه يَصِل وعمره ستون.

كما أنَّ الطبيب الحاذق إذا اطّلع على مزاج شخص يحكم بأنَّ عمره حسب هذا المزاج يكون ستين سنة، فإذا شرب سماً ومات أو قتله شخص فنقص من ذلك، أو استعمل دواءً قوّى مزاجه به فزاد عليه، لم يخالف قول الطبيب.

والتغيّر الواقع في هذا اللوح مسمّى بالبداء...) انتهى.

---

(١) سورة الرعد: الآيتان ٣٨ - ٣٩.

(٢) مرآة العقول: ج٢ ص١٣٢.

ثَابِتاً، وَهَلْ يُثْبَتُ إِلَّا مَا لَمْ يَكُنْ[٢]؟.

٤ ـ عَلِيٌّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً حَتَّى يَأْخُذَ عَلَيْهِ[١] ثَلَاثَ

---

[٢] (هل يثبت إلّا ما لم يكن):

فهذه الآية دلت على ثبوت البداء، فلا معنى لإنكاره، وعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية، أنَّه قال: «إنَّ ذلك الكتاب كتاب يمحو الله فيه ما يشاء ويثبت، فمن ذلك: الذي يَرُدُّ الدعاءُ القضاءَ، وذلك الدعاء مكتوب عليه: الذي يُردَّ به القضاء، حتى إذا صار إلى أم الكتاب لم يُغن الدعاء فيه شيئاً»(١).

والحاصل: إنَّ الآية دلّت على المحو والإثبات لا عن جهل، بل عنده أُمّ الكتاب الذي هو مطابق لعلمه الأزلي.

الحديث الرابع:

[١] (حتى يأخذ عليه):

النبوة منصب إلهي، وشَرطُها وصول النبي إلى درجة سامية من طهارة الذات واليقين والعمل، ولا يكون ذلك إلّا باصطفاء الله تعالى، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾(٢)، وبعد ذلك يشترط على النبي أمور كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ والأنبياء وإن كانوا ملتزمين بتلك الأمور ـ ولو من غير شرط ـ ولكن الاشتراط للتأكيد أو لبيان أهمية هذه الأمور أو لأجل بيانها لأممهم، ولعلَّ بعضهم لم يكونوا يعلمون ببعض هذه الشروط فعلَّمهم الله تعالى بها حين أخذ الميثاق، أو أنَّه تعالى ألهمهم إياها إلهاماً ثم أكدها بالميثاق أو لغير ذلك.

---

(١) البرهان: ج٥ ص٣٦٤ عن تفسير العياشي.

(٢) سورة الحج: الآية ٧٥.

خِصَالٍ[٢]: الْإِقْرَارَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ[٣]؛ وَخَلْعَ الْأَنْدَادِ، وَأَنَّ اللَّهَ يُقَدِّمُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ[٤].

---

[٢] **(ثلاث خصال):**

العدد لا مفهوم له، فإنَّ ما أخذ عليهم كثير جداً، وقد ذكر بعضه في القرآن الكريم والروايات، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(١).

[٣] **(الإقرار له بالعبودية):**

أي الإذعان بها في نفسه، ودعوة الآخرين إليها، وعدم ادعاء الألوهية والربوبية، ولذا قدّم عيسى عليه السلام الإقرار بها على إثبات نبوته، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾(٢)، ولعلَّ السبب في ذلك هو ميل الجهال إلى الغلو في العظماء، واحتمال غلوهم في الأنبياء أكثر، لعظمتهم ولظهور المعجزات على أيديهم، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(٣).

[٤] **(يؤخر ما يشاء):**

«يقدم» بتعجيل زمان الشيء، أو بإيجاد الشيء، و«يؤخر» في الزمان أو بعدم إيجاده أصلاً، وهذا هو البداء، وذلك لبيان كمال قدرته تعالى، وأنَّه لا يمنع مانع عن نفوذ مشيئته، ولذا ورد تعليق الأشياء المحتومة على مشيئة الله تعالى، للدلالة على عدم خروجها عن سيطرته كقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۞ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٤)، وقوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١.
(٢) سورة مريم: الآية ٣٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩.
(٤) سورة الأعلى: الآيتان ٦ ـ ٧.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ حُمْرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ[1]﴾ [الأنعام: ٢] قَالَ: هُمَا أَجَلَانِ: أَجَلٌ

فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾(١).

وجعل البداء في صف الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد، لعلَّه لأجل ابتلائهم بالتكذيب ومحاربة الظالمين مع علمهم بأنَّ الله سينصرهم، فلكي لا يستعجلوا هذا النصر ويصبروا ويستقيموا كما أُمروا، قال سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٢)، وذلك لأنَّ كل آتٍ قريب.

الحديث الخامس:

[١] **(وأجلٌ مسمًّى عنده):**

دلَّت الآية على أجلين:

الأول: أجل مقضي، وهو المحتوم الذي لا تبديل فيه ولا تغيير، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٣)، وممّا يدلُّ على أنَّ الأجل المقضي هو الأجل المحتوم قوله تعالى: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤).

الثاني: أجل مسمّى، وهو الموقوف على شروط، وفي هذا يكون البداء، وهو ما سمّاه ـ أي ذكره ـ الله تعالى في الملكوت أو في لوح المحو والإثبات، أو سمّاه للملائكة والأنبياء، وهذا ما يظهر من بعض الروايات، وفي بعضها تفسير الأجلين بالعكس(٥).

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٦١.

(٤) سورة مريم: الآية: ٣٥.

(٥) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٣ ص٥٢٨ ـ ٥٣٠.

مَحْتُومٌ وَأَجَلٌ مَوْقُوفٌ[٢].

٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ خَلَفِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: أولم ير الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً[٢] قَالَ: فَقَالَ: لَا مُقَدَّراً وَلَا مُكَوَّناً، قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فَقَالَ: كَانَ مُقَدَّراً غَيْرَ مَذْكُورٍ.

---

[٢] **(أجل موقوف):**

أي متوقف على شرائط أو عدم موانع، فإن تحقّقت ثبت، وإن لم تتحقّق مُحي ذلك الأجل، كما في قوم يونس قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾(١).

الحديث السادس:

[١] **(سألت أبا عبد الله عليه السلام):**

الغرض من ذكر هذا الحديث هنا هو إثبات أنَّ التقدير حادث وليس أزلياً، إذ لو كان أزلياً كان صفة عين ذاته تعالى، وذاته غير قابلة للتغيير، وبعد أن دلَّ القرآن على أنَّ التقدير حادث، فقد دلّ على أنّه مخلوق يمكن تغييره حسب المصلحة.

فالإنسان لم يكن مقدّراً ثم قُدّر، ولم يكن مذكوراً ثم ذكر.

[٢] **(ولم يك شيئاً):**

الآية في سورة مريم ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾(٢)،

---

(١) سورة يونس: الآية ٩٨.

(٢) سورة مريم: الآية ٦٧.

فهو إما نقل بالمعنى أو خطأ من الرواة أو النساخ.
قيل: لعلَّ ذلك من قراءتهم عليهم السلام.
لكنَّه مردود، لأنَّ القرآن واحد فقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ القرآن واحد، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»[1] فكل القراءات ليست قرآناً إلَّا القراءة المشهورة التي عليها عامة المسلمين في كل العصور، وقد فصّل السيد الوالد رضوان الله عليه ذلك في كتاب الوصائل، فراجع[2].
فقراءتهم هي قراءة الإمام علي عليه السلام التي رواها ـ كما هي ـ حفص عن عاصم عن عبد الله بن حبيب عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضال، فقال ربيعة: ضال؟ فقال: نعم ضال» ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «أما نحن فنقرأ على قراءة أبي»[3] أي قراءة أبيه الإمام الباقر عليه السلام، ويمكن أن يريد أُبَيّ بن كعب، لأنَّه قرأ على نفس هذه القراءة المشهورة ورواها أيضاً حفص عن عاصم عن عبد الله بن حبيب عن أُبي بن كعب.
والطريف في الأمر أنَّ القرائين المشهورة المتداولة في أيدي المسلمين الآن، هي على هذه القراءة بهذه الرواية، وهؤلاء الرواة كلهم من الشيعة الكوفيين، فحفص هو: حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي، عن عاصم بن أبي النجود الكوفي، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السُّلمي وهو من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما ذكره البرقي[4].
ثم إنَّ القرائين المطبوعة ذكروا أنَّ عبد الله بن حبيب روى هذه القراءة عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأُبي بن كعب.
قال بعض المطّلعين إنَّ عبد الله بن حبيب لم يروِها عن عثمان، وإنَّما أقحموا اسمه إقحاماً!!.
ثم لا يخفى أنَّ هذه هي القراءة الوحيدة المتواترة ولا حاجة فيها إلى رواية

---

(١) أُصول الكافي/كتاب فضل القرآن/باب النوادر/الحديث ١٢، ج٢ ص٦٢١.
(٢) الوصائل إلى الرسائل: ج٢ ص٢٤٠ ـ ٢٤٣.
(٣) أُصول الكافي/كتاب فضل القرآن/باب النوادر/الحديث ٢٧، ج٢ ص٦٢٥.
(٤) الوسائل: ج٣٠ ص٤٠٨.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ[١]: فَعِلْمٌ عِنْدَ اللَّهِ مَخْزُونٌ لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ[٢]، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ[٣]، ....

حفص عن عاصم، وإنَّما تُذكر الرواية للتمييز بين هذه القراءة ـ الصحيحة ـ، وبين سائر القراءات ـ التي كانت اجتهادات غير صحيحة من القرّاء ـ وأيضاً للاحتجاج على العامة، حيث فيها إثبات أنَّ الحافظ للقراءة المشهورة هم رجال الشيعة لا غير، بل بعض أصحاب الرجال من العامة ضعّفوا بعض رجال هذه القراءة، فعبد الله بن حبيب طعن فيه بعض الرواة وأغلب الظن أنَّهم من العامة لأنَّه كان من خواص الإمام علي عليه السلام، وكذا حفص بن سليمان ضعفه ابن حبان!!(١).

الحديث السابع:

[١] **(العلم علمان):**

أي المعلومات على قسمين، ولذا صحَّ التقسيم باعتبار الاطلاع أو عدم الاطلاع عليها، وإلَّا فعلم الله تعالى في حقيقته واحد وهو عين ذاته، ولكن الآخرون قد يطلعون على المعلومات وقد لا يطلعون.

[٢] **(أحداً من خلقه):**

«لم يطلع»، بيان لقوله «مخزون»، أي معنى العلم المخزون هو أنَّه لم يطلع على تحقّقه أو عدم تحقُّقه أحداً، فلو علم الملائكة أو الأنبياء به فإنَّهم لا يعلمون هل سيقع أم لا يقع.

[٣] **(علَّمه ملائكته ورسله):**

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾(٢) وقال سبحانه:

---

(١) ابن حبان في الضعاف: ج١ ص٢٥٥، حسب ما ورد في هامش رجال الطوسي: ص١٨٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

فَمَا عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ[٤]، لَا يُكَذِّبُ نَفْسَهُ وَلَا مَلَائِكَتَهُ وَلَا رُسُلَهُ[٥]، وَعِلْمٌ عِنْدَهُ مَخْزُونٌ[٦] يُقَدِّمُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مِنْهُ مَا يَشَاءُ، وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ.

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾(١).

[٤] **(فإنَّه سيكون):**
المراد هو الأخبار الحتمية، التي قيل لهم إنَّها ستقع لا محالة ولا محو فيها.

[٥] **(لا يكذّب نفسه ولا ملائكته ولا رسله):**
لأنَّه لو لم يقع ما أخبر أنَّه من المحتوم، كان من الكذب والله منزَّه عن ذلك، كما أنَّ الأنبياء والملائكة لو أخبروا الناس بالمحتوم ثم لم يقع فإنَّه سيكذّبهم الناس بتكذيب ليس بباطل، والله تعالى ينصر رسله لا أنَّه يتسبب فيما يصحِّح تكذيبهم، فتكون الحجَّة لصالح المكذبين، وأما تكذيب الناس لهم بالباطل فهو واقع لا محالة، لكنَّه ناشىء عن جهل المكذبين أو خبثهم فلذا كانت الحجَّة تامة عليهم.

[٦] **(وعلم عنده مخزون):**
أي العلم بوقوعه أو عدم وقوعه خاص بالله تعالى، فحتى لو اطلع الملائكة أو الأنبياء عليه فإنَّهم لا يدرون هل سيُمضىٰ أو لا، ولذا لو أخبروا به فإنَّهم سيخبرون به معلقاً على شرط أو مشيئة الله أو مع الإشارة إلى أنَّه يمكن أن لا يقع، فلا يكون مجال لتكذيبهم، وقد أشرنا إلى أنَّهم حينما كانوا يخبرون عمَّا فيه البداء كانوا يشيرون إلى ذلك.
كما روي أنَّ عمرو بن الحمق قال لأمير المؤمنين عليه السلام: بأبي أنت وأُمّي، قلت لي: إلى السبعين بلاء، فهل بعد السبعين رخاء؟ فقال؛ «نعم يا عمرو، وإنَّ بعد البلاء رخاء و﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(٢)»(٣).

---

(١) سورة الجن: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٣) البرهان: ج٥ ص٣٦١ عن تفسير العياشي.

٨ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ رِبْعِيٍّ، عَنِ الْفُضَيْلِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: مِنَ الْأُمُورِ أُمُورٌ مَوْقُوفَةٌ عِنْدَ اللَّهِ[١] يُقَدِّمُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ.

قال أبو حمزة: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ علياً كان يقول: «إلى السبعين بلاء، وبعد السبعين رخاء»، وقد مضت السبعين ولم يروا رخاءً؟ فقال لي أبو جعفر عليه السلام: «إنَّ الله قد وقَّت هذا الأمر في السبعون، فلَّما قتل الحسين صلوات الله عليه، اشتدَّ غضب الله على أهل الأرض، فأخَّره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع الستر، فأخَّره الله ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً» ثم قال ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾(١).

فقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى إمكان البداء وأنَّ الوقت ليس من المحتوم، وذلك بتلاوة قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ونظير ذلك يقال في نسخ الأحكام، حيث إنَّ الآيات المنسوخة في أغلبها إشارة خفيَّة أو جليَّة بأنَّها ستُنسخ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾(٢)، ثم نسخت بقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾(٣)، لأنَّ الجلد هو سبيل، وأفضل لهن من حبس الأبد.

ثم إنَّ في معنى هذه الرواية احتمالات، أرجحها ما ذكرناه وسيأتي في الحديث الخامس عشر ما يدلُّ عليه.

الحديث الثامن:

[١] (موقوفة عند الله):

أي موقوفة على شرائط، فحسب تلك الشرائط يقدِّم الله أو يؤخِّر حسب مشيئته، مثلاً بالصدقة وصلة الرحم يؤخر الله الأجل إن شاء، وبالقطع يقدِّمه إن شاء.

---

(١) البرهان: ج٥ ص٣٦٢ ـ ٣٦٣ عن العياشي.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥.

(٣) سورة النور: الآية ٢.

٩ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، وَوُهَيْبِ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ عِلْمَيْنِ: عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، مِنْ ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ[١]، وَعِلْمٌ عَلَّمَهُ مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ[٢].

١٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا بَدَا لِلَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا كَانَ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ[١].

الحديث التاسع:

[١] (من ذلك يكون البداء):
أي بسبب ذلك العلم يحصل البداء في كتاب المحو ـ كذا في المرآة(١) ـ.

[٢] (فنحن نعلمه):
وذلك بتعليم رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لقد علّمني رسول الله ألف باب، كلّ باب يفتح ألف باب)(٢)، وقال: (لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون وما هو كائن)(٣).

الحديث العاشر:

[١] (قبل أن يبدو له):
ونظيره الاختبار ليعلم الله، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾(٤)، وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٥)،

---

(١) المرآة: ج٢ ص١٤٠.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٠، ص١٣١.
(٣) بحار الأنوار: ج٤، ص٩٧.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٢.
(٥) سورة محمد: الآية ٣١.

١١ ـ عَنْهُ، عَنْ أَحْمَدَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ فَضَّالٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْدُ لَهُ مِنْ جَهْلٍ[١].

١٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَلْ يَكُونُ الْيَوْمَ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ[١]؟ قَالَ: لَا، مَنْ قَالَ هَذَا فَأَخْزَاهُ اللَّهُ، قُلْتُ:

والمراد حتى يظهر ويتحقّق ما علمناه أزلاً، وليس اختباراً لرفع الجهل، فقد تعالى الله عن ذلك.

وكذا في باب البداء، ليس عن جهل، وإنَّما إظهار بعد إخفاء، أو إنشاء تقدير.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(لم يبد له من جهل):**

بل البداء لأجل المصلحة فيه، وليس بداء عن جهل.

الحديث الثاني عشر:

[١] **(لم يكن في علم الله بالأمس):**

فقد زعم البعض أنَّ الله لا يعلم قبل الخلق، واستدل بعضهم بقوله تعالى: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١) مع أنَّ هذا الاستدلال من زخرف القول غروراً، وعدم فهم للآية الكريمة، إذ معناها أتنبئونه بأصنام لا تعلم تلك الأصنام شيئاً، أو بمعنى السالبة بانتفاء الموضوع فإنَّه لا وجود لصنم شريك شفيع. فالعلم لم يتعلّق بوجوده، بل العلم تعلّق بعدمه.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٨.

أَرَأَيْتَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَيْسَ فِي عِلْمِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ[٢].

١٣ ـ عَلِيٌّ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الْقَوْلِ بِالْبَدَاءِ مِنَ الْأَجْرِ مَا فَتَرُوا عَنِ الْكَلَامِ فِيهِ[١].

١٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو الْكُوفِيِّ أَخِي يَحْيَى، عَنْ مُرَازِمِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَا تَنَبَّأَ نَبِيٌّ قَطُّ[١]، حَتَّى

---

[٢] (قبل أن يخلق الخلق):
دلَّ الخبر على حدوث العالم، مضافاً إلى الأدلَّة العقلية والقطعية النقلية المتواترة، وضرورة الدين.

الحديث الثالث عشر:

[١] (ما فتروا عن الكلام فيه):
«الفتور»: الضعف، وفي الوافي(١) (وذلك لأنَّ أكثر مصالح العباد موقوف على البداء، إذ لو اعتقدوا «أنَّ كل ما قدّر في الأزل فلا بدَّ وقوعه حتماً»، لما دَعَوُا الله في شيء من مطالبهم، وما تضرعوا إليه، وما استكانوا لديه، ولا خافوا منه، ولا رجوا إليه، إلى غير ذلك من نظائره).

الحديث الرابع عشر:

[١] (ما تنبأ نبي قط):
أي لم يصر نبياً، وبعبارة أخرى لم يختره الله بالنبوة إلَّا بعد هذه الأمور.

---

(١) الوافي: ج١ ص٥١١.

يُقِرَّ لِلَّهِ بِخَمْسِ خِصَالٍ[٢]: بِالْبَدَاءِ وَالْمَشِيئَةِ وَالسُّجُودِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالطَّاعَةِ.

وقد مرّ أنَّ العدد لا مفهوم له، فليس المعنى انحصار اشتراط النبوة بهذه الخمسة، بل هذه الأمور هي المقصودة بالذكر في هذا الحديث.

[٢] **(بخمس خصال):**

كلُّها ترتبط بالقلب، وتظهر على الأعمال.

«المشيئة» أي كل شيء يقع بمشيئة الله كما قال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(١)، وحتى ما يصدر من الإنسان باختياره فإنَّما هو لأنَّ الله شاء أن يكون الإنسان مختاراً، فلا يقع شيء خلاف إرادة الله التكوينية.

«السجود» أي الخضوع لله تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾(٢).

«العبودية» أي اختصاص العبودية بالله تعالى، فلا معبود سواه، أو بمعنى أن لا يدعو الناس إلى عبادة نفسه، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾(٤).

«الطاعة» أي الانقياد لأوامر الله تعالى، فلا تجوز إلَّا طاعته تعالى أو طاعة مَن أمر الله تعالى بطاعته.

والحاصل الإقرار: بأنَّ كل شيء يرتبط بالله تعالى، فهو القادر على كل شيء والذي يثبت ويمحو ما يشاء، والاختيار له، والخضوع له، والعبادة خالصة له، والطاعة مختصة به، وإذا كانت طاعة لغيره فإنَّما هي لأمره تعالى بها، وإذا جاز السجود لغيره ـ كما في بعض الشرائع السابقة ـ فإنَّما كان جائزاً لأنَّه تعالى أمر بذلك.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٩.

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٦.

١٥ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ جَهْمِ بْنِ أَبِي جَهْمَةَ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِمَا كَانَ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا[١]، وَبِمَا يَكُونُ إِلَى انْقِضَاءِ الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَهُ بِالْمَحْتُومِ مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَثْنَى عَلَيْهِ فِيمَا سِوَاهُ[٢].

١٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الرَّيَّانِ بْنِ الصَّلْتِ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا بِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ[١] وَأَنْ يُقِرَّ لِلَّهِ بِالْبَدَاءِ.

الحديث الخامس عشر:

[١] **(بما كان منذ كانت الدنيا):**

ولعلَّ الوجه في ذلك، هو أنَّ الله أراد أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الناس من كل الجهات، كي لا يكون أحد عالماً بشيء والرسول غير عالم به، فيكون أفضل ولو من هذه الجهة، لأنَّه تعالى قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وعلم الرسول صلى الله عليه وآله بما كان وبما يكون ممَّا اتفق عليه صحاح المسلمين، وقد نقلنا سابقاً بعض روايات العامة الصحيحة عندهم، فراجع.

[٢] **(واستثنى عليه فيما سواه):**

أي أخبره بأنَّ غير المحتوم قد لا يقع، فكان الرسول صلى الله عليه وآله يعرف المحتوم من غير المحتوم.

الحديث السادس عشر:

[١] **(إلَّا بتحريم الخمر):**

إذ شرف الإنسان وتمايزه عن الحيوانات بالعقل، والخمر تزيل العقل، لذا

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

١٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام كَيْفَ عَلِمَ اللَّهِ[١]؟ قَالَ[٢]: عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَأَمْضَى[٣]؛ فَأَمْضَى

حرّمت في جميع الشرائع.

ثم إنَّ الله لم يحلّل الخمر أصلاً كي يُقال إنَّها في بداية الشرائع كانت محلَّلة ثم حرّمت لتدريجية الأحكام، بل كان سكوت عنها في الابتداء، ومن الواضح الفرق بين السكوت وبين التحليل، ولذا لا يقال إنَّ آية التحريم نسخت الحكم بالتحليل، إذ لم يكن حكم بالتحليل أصلاً كي يُنسخ.

وبعبارة أخرى لم يكن حكم بالتحليل لا اقتضاءً ولا إنشاءً ولا فعلية، نعم لم يكن فعلية للتحريم ثم صار فعلياً بقوله تعالى: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾(٢).

الحديث السابع عشر:

[١] **(كيف علم الله):**

«عَلِمَ» فعل ماضٍ، أي هل عَلِم بعد أن خلق ـ كما زعمه بعض ـ، أو أنَّ علمه كان سابقاً على خلقه للأشياء.

[٢] **(قال علم وشاء):**

ما نذكره في شرح الحديث إنَّما هو على سبيل الاحتمال.

[٣] **(علم و. . . . . وأمضى):**

أي الأسباب التي رتَّبها الله تعالى لخلق الأشياء هي ضمن مراحل ـ لا على سبيل الحصر وإنَّما هذه من الأسباب ـ:

فأولاً: العلم الأزلي، وعلمه واختياره سبب لمشيئته تعالى، فبعلمه الأزلي علم أنَّ المصلحة في خلق الأشياء في أوقاتها، وباختياره تعالى خلق المشيئة، وقد مرّ في باب الإرادة أنَّ العلم بانفراده ليس سبباً وإلَّا لزم قِدَم

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٠.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩١.

مَا قَضَى[٤]، وَقَضَى مَا قَدَّرَ، وَقَدَّرَ مَا أَرَادَ، فَبِعِلْمِهِ كَانَتِ الْمَشِيئَةُ[٥]، وَبِمَشِيئَتِهِ كَانَتِ الْإِرَادَةُ، وَبِإِرَادَتِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ، وَبِتَقْدِيرِهِ كَانَ الْقَضَاءُ، وَبِقَضَائِهِ كَانَ

الأشياء، وذلك لقدم علمه، بل علمه واختياره السبب.

وثانياً: المشيئة: وهي التسجيل في اللوح، ولعلَّ المراد هو اللوح المحفوظ، كما مرّ في شرح قول الإمام الصادق عليه السلام: (خلق الله المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة).

وثالثاً: الإرادة: وهي تحريك الأسباب وتَهْيِئَة المقدمات القريبة، فالمشيئة وجود إنشائي بحت، والإرادة تحرُّك عملي.

ورابعاً: التقدير: وهو تعيين حدود الشيء وقابليّته وأوقاته ونحو ذلك.

وخامساً: القضاء: وهو الحكم التكويني والإلزام.

وسادساً: الإمضاء: وهو الإيجاد.

مثلاً عَلِم الله أزلاً أنّه سيخلق زيداً، ثم كتب ذلك في اللوح، ثم هيَّأ الأسباب كزواج الوالدين، ثم يجعل له قابلية وحدود وأجل ووقت ونحوها، ثم يحكم حكماً تكوينياً بوجود زيد ثم يوجده خارجاً.

وكل ذلك في ضمن سلسلة الأسباب التي جعلها الله تعالى في الكون، مع قدرته على خلق الأشياء من دون تلك الأسباب، لكن المصلحة اقتضت خلقها بهذه الكيفية، وهذه المراحل بعض الأسباب وتوجد أسباب أخرى تشير إليها روايات أخرى كما سيأتي.

[٤] **(فأمضى ما قضى)**:

هذه الفقرة وما بعدها للدلالة على ترتُّب هذه الأسباب، وأنَّ الواو لا يُراد بها الجمع المطلق.

[٥] **(فبعلمه كانت المشيئة)**:

هذا وما بعده للدلالة على أنَّ الترتُّب بنحو العليَّة أو جزء العلَّة، فالسابق علَّة للّاحق أو مُعِدّ له.

الْإِمْضَاءُ، وَالْعِلْمُ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْمَشِيئَةِ[٦]، وَالْمَشِيئَةُ ثَانِيَةٌ، وَالْإِرَادَةُ ثَالِثَةٌ، وَالتَّقْدِيرُ وَاقِعٌ عَلَى الْقَضَاءِ بِالْإِمْضَاءِ[٧].

فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْبَدَاءُ فِيمَا عَلِمَ مَتَى شَاءَ[٨]، وَفِيمَا أَرَادَ لِتَقْدِيرِ الْأَشْيَاءِ[٩]، ....

---

[٦] **(والعلم متقدِّم على المشيئة):**

تكرار هذا المقطع وما بعده، للتأكيد على أنَّ العلم سابق وجوابٌ للسؤال حيث قال السائل (كيف علم الله؟).

[٧] **(واقع على القضاء بالإمضاء):**

لعلَّ هذا التعبير للدلالة على أنَّ التقدير والقضاء والإمضاء متقاربة الوجود وذلك لأنَّه حينما تتهيّأ الأسباب القريبة بالإرادة، فإنَّ التقدير والقضاء وإمضاء وجوده تتحقّق بسرعة، والباء في «بالإمضاء» للتلبس أي التقدير واقع على القضاء متلبساً بالإمضاء.

[٨] **(فيما علم متى شاء):**

أي فيما علم أنَّه سيكون فيه البداء، ولكن لا يكون البداء حتى تحصل المشيئة، لأنَّه لا معنى للبداء في العلم، إذ العلم هو عين ذاته تعالى فهو غير قابلٍ للتغيُّر، وقبل الكتابة في اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات لم يكن شيئاً حتى يكون فيه تقدير جديد.

والبداء يمكن أن يكون في إحدى المرحلتين: الأولى: إذا كُتب الشيء في اللوح المحفوظ فإنَّه يكتب أيضاً أنَّ في الشيء بداء متحقّق، وأمّا إذا كُتب في لوح المحو والإثبات فلا يُكتب البداء، فالفرق بين اللوحين أنَّ في المحفوظ يُكتب البداء حتماً ـ لعدم تغيُّر ما في اللوح المحفوظ ـ، وفي لوح المحو والإثبات لا يُكتب أنَّه سيبدو لله فيه.

[٩] **(وفيما أراد لتقدير الأشياء):**

هذه المرحلة الثانية للبداء، وهي البداء في مرحلة الإرادة، فإذا هيّأ تعالى

فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ فَلَا بَدَاءَ[١٠]، فَالْعِلْمُ فِي الْمَعْلُومِ قَبْلَ كَوْنِهِ[١١]، وَالْمَشِيئَةُ فِي الْمُنْشَإِ قَبْلَ عَيْنِهِ[١٢]، وَالْإِرَادَةُ فِي الْمُرَادِ قَبْلَ قِيَامِهِ، وَالتَّقْدِيرُ لِهَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ قَبْلَ تَفْصِيلِهَا وَتَوْصِيلِهَا[١٣] عِيَاناً وَوَقْتاً[١٤]، ....

المقدمات القريبة يمكن أن يحصل البداء أيضاً، ومعنى «فيما أراد لتقدير الأشياء»: هو البداء في إرادته التي كانت سبباً للتقدير.

والحاصل أنَّه يمكن حصول البداء بعد المشيئة، وكذلك بعد الإرادة.

[١٠] **(بالإمضاء فلا بداء):**

أي إذا تحقَّق حكمه تعالى التكويني بالإيجاد، فلا يكون بداء، وذلك لتحقّق الشيء ووجوده، ولا يتغيّر الماضي عمَّا وقع عليه لعدم قابليته للتغيير، نعم الله تعالى قادر على إعدامه أو تغييره حالاً أو مستقبلاً متى ما شاء.

[١١] **(فالعلم في المعلوم قبل كونه):**

تأكيد على أنَّ العلم سابق على وجود الشيء بمراحل متعدّدة، وقد مرّ معنى العبارة في قوله تعالى: (عالم إذ لا معلوم).

[١٢] **(في المنشإ قبل عينه):**

«قبل عينه» و«قبل قيامه» و«قبل تفصيلها...» و«المبرم من المفعولات» كل هذه الألفاظ بمعنى واحد وهو وجود الشيء، وتكرار المعنى بألفاظ شتى لتأكيد أنَّ العلم سابق والوجود لاحق ومتأخر عن كل هذه المراحل.

[١٣] **(تفصيلها وتوصيلها):**

حيث إنَّ المخلوقات هي مركبات فلذا إيجادها يكون بضمّ بعض الأجزاء إلى بعض، وتفريق بعض الأشياء عن بعض هذه الأجزاء، لذلك عبّر بالتفصيل والتوصيل، مثلاً الخياط حينما يريد خياطة ثوب فإنَّه حينما يقدر الثوب يبدأ بفصل بعض أجزاء القماش عن بعضه وثم توصيل بعض الأجزاء بالبعض الآخر.

[١٤] **(عياناً ووقتاً):**

أي قبل إيجادها خارجاً وفي أوقاتها.

وَالْقَضَاءُ بِالْإِمْضَاءِ[١٥] هُوَ الْمُبْرَمُ مِنَ الْمَفْعُولَاتِ، ذَوَاتِ الْأَجْسَامِ[١٦] الْمُدْرَكَاتِ بِالْحَوَاسِّ مِنْ ذَوِي لَوْنٍ وَرِيحٍ وَوَزْنٍ وَكَيْلٍ، وَمَا دَبَّ وَدَرَجَ[١٧] مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ وَطَيْرٍ وَسِبَاعٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ.

فَلِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ الْبَدَاءُ مِمَّا لَا عَيْنَ لَهُ[١٨]، فَإِذَا وَقَعَ الْعَيْنُ الْمَفْهُومُ الْمُدْرَكُ فَلَا بَدَاءَ[١٩]، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ[٢٠]، فَبِالْعِلْمِ عَلِمَ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ

---

[١٥] **(القضاء بالإمضاء):**
أي الحكم التكويني متلبساً بالإيجاد، سبب لوجود الأشياء، «المبرم» المحكم المتقن «المفعولات» أي المعلولات التي وقع عليها الخلق.
والحاصل أنَّ هذه المراحل ـ المشيئة والإرادة والتقدير والقضاء والإمضاء كلها متقدمة على وجود الشيء، والعلم سابق على كلها.

[١٦] **(ذوات الأجسام):**
المراد من هذه الفقرة بيان أنَّ الإمضاء هو آخر مراحل إيجاد الشيء، وبعده يكون الشيء جسماً محسوساً موجوداً، ولا بداء في ذلك.
ولعلَّ في هذه الفقرات إشارة إلى أنَّ الشيء الموجود له تشخص وهو جزئي، وأنَّ علم الله تعالى يتعلق بالجزئيات أيضاً، وبالجواهر والأعراض، ونحو ذلك.

[١٧] **(دبّ ودرج):**
«الدب» التحرك، وغالباً يُستعمل في الزحف والمشي على الأربع، «الدرج» أيضاً بمعنى التحرك لكنَّه يُستعمل غالباً في المشي على رجلين.

[١٨] **(ممَّا لا عين له):**
أي ما لم يتحقّق الشيء في الخارج.

[١٩] **(المفهوم المدرك فلا بداء):**
لما ذكرنا من أنَّ الشيء لا يتغيّر عمَّا وقع عليه في الماضي.

[٢٠] **(والله يفعل ما يشاء):**
المقصود أنَّ عدم قابلية الشيء للبداء، ليس بمعنى عدم قدرته تعالى، بل

كَوْنِهَا[٢١]، وَبِالْمَشِيئَةِ عَرَّفَ[٢٢] صِفَاتِهَا وَحُدُودَهَا وَأَنْشَأَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا[٢٣]، وَبِالْإِرَادَةِ مَيَّزَ أَنْفُسَهَا[٢٤] فِي أَلْوَانِهَا وَصِفَاتِهَا، وَبِالتَّقْدِيرِ قَدَّرَ أَقْوَاتَهَا وَعَرَّفَ أَوَّلَهَا وَآخِرَهَا[٢٥]، وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهَا[٢٦]، وَبِالْإِمْضَاءِ

قدرته محيطة بالشيء بالإعدام والتغيير حالاً أو مستقبلاً كما يشاء تعالى.

[٢١] **(فبالعلم علم الأشياء قبل كونها)**:
تأكيد لسبق العلم، ولعلَّ هذا التكرار والتأكيد، لأهمية الأمر، ولعلَّ في ذلك الزمان راجت شبهات واهية بأنَّ علمه لاحق، فلذا بالغ عليه السلام في الإنكار ببيان الحق وأنَّ علمه سابق.

[٢٢] **(وبالمشيئة عرّف)**:
بتشديد الراء ـ من التفعيل ـ، وتعريف الصفة بمعنى التسجيل في اللوح، فكل من يطّلع على اللوح يعرف ماذا كتب تعالى فيه من الأشياء التي ستخلق وستقدر، وصفاتها وحدودها.

[٢٣] **(أنشأها قبل إظهارها)**:
أي أنشأها بالوجود الكتبي في اللوح، قبل إيجادها عياناً في الخارج.

[٢٤] **(وبالإرادة ميّز أنفسها)**:
أي فصلها في الوجود عن غيرها، بأن شخَّصها في صفاتها وخصوصياتها، وذكر الألوان من باب المثال.

[٢٥] **(عرّف أولها وآخرها)**:
«عرَّف» من باب التفعيل أي قدّر ما تحتاج إليه في وجودها، وكذلك زمان وجودها وأجلها، وعرَّف الملائكة والأئمة ـ مثلاً ـ هذه التقديرات.

[٢٦] **(أماكنها ودلهم عليها)**:
أي الأحكام والقوانين التكوينية يعرف بعضها الناس والملائكة وغيرهم، فبمعرفتهم إياها يحكمون على الأشياء، «أماكنها» أي مواقعها فكلّما شاهدوا المقدمات علموا أو احتملوا أنَّ تلك الأشياء ستوجد.

شَرَحَ عِلَلَهَا وَأَبَانَ أَمْرَهَا[٢٧] وَذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ[٢٨].

---

[٢٧] **(شرح عللها وأبان أمرها):**

أي حينما يُوجد الله تعالى الأشياء، يتبين للناس وغيرهم تحقّق علة وجود الشيء وأسبابه.

مثلاً الله يعلم أزلاً بأنَّه سيخلق زيداً بكيفية خاصة وفي وقت معين.

ثم كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ولوح المحو والإثبات، وكل ملَك أو نبي أو إمام اطلع على اللوح فإنَّه سيعرف صفات زيد وحدوده المتعلقة به لأنَّه سُجل في اللوح كل شيء ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(١).

ثم لما اقترب وقت إيجاده فإنَّه تعالى يريد إيجاده بمقدماته فيرتِّب المقدمات، مثلاً زواج الأبوين وتعيين الأجزاء والعناصر الموجودة في الأرض لتجتمع في الصلب والرحم فيتشخص وجود زيد والعناصر المكوّنة له، وصفاته كالسعادة والشقاوة واللون والملكات النفسانية. . . الخ.

ثم يقدر الله تعالى رزقه ويوم ميلاده ويوم وفاته ونحو ذلك.

ثم إنَّ الناس يعرفون حكم الله التكويني في مراحل الجنين ومقدار مكثه في بطن أمه ـ مثلاً ـ، فلذا يتبين لهم الحالة التي عليها زيد وهو في بطن أمه.

فلما يولد زيد ويراه الناس، فبالدليل الإنِّي ـ وهو الانتقال من المعلول إلى العلَّة ـ يعرفون علة وجوده.

[٢٨] **(وذلك تقدير العزيز العليم):**

أي إنَّ جعل هذه المراحل لأجل حكمته تعالى، مع أنَّ الله تعالى قادر على خلق الأشياء من غير مرور بهذه المراحل، لكن اقتضت الحكمة خلق الدُّنيا على مراحل، فلذا جعل الأمور فيها تدريجية، حتى أنَّ خلق السماوات والأرض كان في ستة أيام، مع كمال قدرته في خلقها دفعة واحدة، وحيث تقتضي الحكمة عدم بعض هذه المراحل فإنَّه تعالى يقول للشيء كن فيكون، كما في خلق عيسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

بَابٌ فِي أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعَةٍ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، جَمِيعاً عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ جَمِيعاً، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا بِهَذِهِ الْخِصَالِ السَّبْعِ[١]: بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ وَقَدَرٍ وَقَضَاءٍ وَإِذْنٍ[٢] وَكِتَابٍ[٣] ....

الحديث الأول:

[١] **(إلَّا بهذه الخصال السبع):**
مرَّ في الحديث السابق أنَّ العدد لا مفهوم له، وإنَّما هذه السبعة من المراحل، فلعلَّها تكون أكثر لكن المقدار المذكور هنا السبعة، والواو هنا للجمع المطلق ولا يُراد به الترتيب، ويزيد هذا الحديث خصلتين عن الحديث السابق الذي ذكر فيه خمس مراحل ـ سوى العلم ـ. بل يمكن إرجاع السبع إلى الخمس ـ كما سيأتي ـ.

[٢] **(وإذن):**
الظاهر أنَّ المراد بالإذن هو الإمضاء المذكور في الحديث السابق بمعنى الإيجاد.

[٣] **(وكتاب):**
لعلَّ المراد به لوح المحو والإثبات، أو الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ فتكون المشيئة لوح المحو والإثبات.

وَأَجَلٍ[٤]، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى نَقْضِ وَاحِدَةٍ فَقَدْ كَفَرَ[٥].

وَرَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنِ مُسْكَانَ مِثْلَهُ.

أو كل شيء يخلق تُفرد له صحيفة يسجل فيها ما قُدّر له فيكون الكتاب مقارناً لإيجاد الشيء، كما روي أنَّ كل مولود يكتب في جبينه تقديراته، فيكون الكتاب مرحلة ضمن التقدير لكنَّها مقارنة للإيجاد، وهناك مرحلة في التقدير سابقة على الإيجاد.

[٤] **(وأجل):**

وهذا أيضاً مرحلة من مراحل التقدير أي الأمد الذي سينتهي فيه أو ينتقل بعده إلى عالم آخر وعلى ما بيّناه من المعنى فيكون الكتاب والأجل من مراحل التقدير، فرجعت هذه الخصال السبع إلى الخمس المذكورة في الرواية السابقة.

[٥] **(فقد كفر):**

لأنَّ هذه كلها مذكورة في القرآن الكريم بوضوح، فإنكار أي منها إن رجع إلى تكذيب الله تعالى فهو كفر صريح. كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٢)، وقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٣)، وقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(٤)، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٥)، وقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾(٦) وغيرها من عشرات الآيات القرآنية.

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣٠.
(٢) سورة النحل: الآية ٤٠.
(٣) سورة القمر: الآية ٤٩.
(٤) سورة مريم: الآية ٣٥.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.
(٦) سورة الرعد: الآية ٣٨.

٢ ـ وَرَوَاهُ أَيْضاً، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ زَكَرِيَّا بْنِ عِمْرَانَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لَا يَكُونُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِسَبْعٍ: بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ وَإِرَادَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَكِتَابٍ وَأَجَلٍ وَإِذْنٍ، فَمَنْ زَعَمَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ[١]؛ أَوْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الحديث الثاني:

[١] (فقد كذب على الله):

إن نسب زعمه إلى الله تعالى.

ولكن إن رفض ذلك فهو ردّ على الله تعالى حيث أثبت هذه الأمور في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

بَابُ الْمَشِيئَةِ وَالإِرَادَةِ

١ - عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، قُلْتُ: مَا مَعْنَى شَاءَ؟ قَالَ: ابْتِدَاءُ الْفِعْلِ[١]، قُلْتُ مَا مَعْنَى قَدَّرَ؟ قَالَ: تَقْدِيرُ الشَّيْءِ مِنْ طُولِهِ وَعَرْضِهِ[٢]، قُلْتُ: مَا مَعْنَى قَضَى؟ قَالَ: إِذَا قَضَى أَمْضَاهُ[٣]، ....

الحديث الأول:

[١] **(ابتداء الفعل):**
لأنَّ كل هذه من صفات الأفعال، ولذا يصحّ نفيها عنه في بعض الأوقات فيقال لم يشأ الله ثم شاء، ولم يقدّر ثم قدّر، وهكذا، وأول فعل صدر منه تعالى هو خلق المشيئة كما مرّ في قوله عليه السلام: (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة).

[٢] **(من طوله وعرضه):**
أي مشخصاته الجزئية، وجعل قابلية له، وذكر الطول والعرض من باب المثال.

[٣] **(إذا قضى أمضاه):**
بيان أنَّ القضاء ملازم للإمضاء، فالقضاء هو الحكم التكويني وذلك يلازم الإيجاد كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾(١).

(١) سورة غافر: الآية ٦٨.

فَذَلِكَ الَّذِي لَا مَرَدَّ لَهُ[٤].

---

[٤] **(لا مرد له)**:

أي لا يتمكن أحد من ردّه ـ بتغييره أو تبديله ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾(١) في هذه الآية الإرادة بمعنى القضاء التكويني، أو الإرادة التي استتبعت القضاء والإمضاء.

وأما قبل الإمضاء فيمكن أن يستجيب الله الدعاء فيغيّر القضاء، ونحو ذلك.

وقد رويت هذه الرواية في الاحتجاج، وفي المحاسن بسند آخر وفيها إضافة (قلت: فما معنى أراد؟ قال الثبوت عليه)، أي على الفعل، ولعلَّ المراد هو عدم محو ما في لوح المحو والإثبات فيكون عبر تَهْيِئَة المقدمات القريبة للشيء، كما مر في الحديث الأخير من باب البداء، فراجع.

معنى القدر

ولا بأس بأن ننقل هنا ما ذكره العم الشهيد رحمه الله حول القضاء والقدر في كتاب (خواطري عن القرآن) فقد جمع فيه عمق المعنى مع سلاسة الكلمات، قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿...وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(٢).

ثم ما هو القدر؟

إنَّه بكل بساطة ترتيب المسببات على أسبابها.

فسقوط الطائرة الآلية لانتهاء قودها، قدر..

وموت الإنسان عند عطل أحد أجهزته الحيوية، قدر..

وسقوط الفاكهة، لدى ثقلها أكثر من تحمل عودتها، قدر..

وتموج البحر، بهَبَّة ريح أقوى من ثقل الماء، قدر..

وتقرّح المعدة، بفعل الجوع الكثير، قدر..

---

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

(٢) سورة النساء: الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

وقصر العمر، على أثر قطيعة الرحم، قدر.

وسلامة الإنسان نتيجة للصدمة، قدر..

وسعة الرزق، لليقظة المبكرة، قدر..

فترتب كل الآثار على المؤثرات قدر..

وحيث إنَّ الناس يعرفون قسماً من الأسباب المادية، ويراقبون سيرها نحو مسبباتها، يتوقعون تلك المسببات، فإذا حدث أحدها، تلقوه بالتوقع، وعلَّلوا حدوثه بسببه.

وحيث لا يعرفون أكثر الأسباب الروحية والمعنوية، وكثيراً من الأسباب المادية، لا يمكنهم مراقبة سيرها نحو مسبباتها، وتوقع تلك المسببات، فإذا حدث أحدها تلقوه بالذعر، وعللوا حدوثه بالقدر، الذي اصطلحوه اسماً غامضاً لكل الأسباب المجهولة.

فالقدر ـ في حقيقته ـ هو: الحد الذي جعله الله للأشياء وفق نظام: «ترتب المسببات على أسبابها» الذي جرت عليه عادة الله في عالمنا هذا، المسمّى بعالم الكون والفساد.

وحيث إنَّ أي سبب لا ينتهي إلى مسببه إلَّا بإرادة عامة من الله، فالقدر لا ينفذ إلَّا بإرادة الله تعالى.

إذن: فالقدر ليس شيئاً مخيفاً، وإنَّما هو أمر عادي، غير أنَّه كثيراً ما يصدمنا، ونُفاجأ به، لا لشيء إلَّا لأنَّنا نجهل أكثر الأسباب الروحية والمعنوية، وكثيراً من الأسباب المادية.

وأما الذين كانت لهم صفحات الكون مفتوحة ـ يقرؤون فيها الحقائق كما يقرأ أحدنا صحيفة يومية ـ فلم يكن القدر يباغتهم أبداً.

وإذن: فالقدر جزء من نظام الكون، الذي للإنسان تأثير فيه، لأنَّ الله تعالى جعل كثيراً من تصرفات الإنسان مؤثرات في قدره، فجعل صلة الرحم، والصدقة، والرحم، والدعاء... أسباباً لمسببات خيرة، هي بعض جزائه المادي الدنيوي، وجعل قطيعة الرحم، ومنع السائل، والظلم، والاستغناء عن الله... أسباباً لمسببات شرّه، هي بعض جزائه الدنيوي.

ومع إغفال تأثير عمل الإنسان في ما يجري على نفسه، فالله لا يقدر الشر

للإنسان، لأنَّه خير محض لا يصدر منه الشر.

إذن: القدر الخير من الله والقدر الشر من الإنسان.

فالقدر خيره وشره من الله، بمعنى، أنَّ أي شيء لا ينفذ في الكون إلَّا بإرادة الله تعالى.

والقدر الشر كله من الإنسان، بمعنى: أنَّ الإنسان عمل سببه، فترتب عليه مسببه.

وكذلك، قسم من قدر الخير من الإنسان، لأنَّه عمل سببه، وأما القسم الآخر من قدر الخير، الذي لم يعمل الإنسان بسببه، فهو فضل من الله تعالى، المبدىء بالنعم قبل استحقاقها، وبلا استحقاق في كثير من الأحيان.

فالإنسان لا يعيش ـ أبداً ـ تحت رحمة القدر، وإنَّما يعيش دائماً تحت رحمة الله، وتحت رحمة تصرف نفسه في بعض الأحيان.

فالقدر ـ ذاته ـ ليس من صنع الإنسان، ولا للإنسان سلطان عليه، ولا راد له إن أُبرم، غير أنَّ بعض مبادئه من صنع الإنسان، وللإنسان سلطان عليه، ويمكنه من ردّه قبل إبرامه.

وهكذا.. يكون القدر من صنع الله، ومن صنع الإنسان، ويرفض الرد، ولا يرفض الرد.

وعلى أيٍّ حال: فالقدر ـ بعد اكتماله قدراً ـ تيَّار يجري من فوق الإنسان، وليس له عليه سلطان.

وهذا من فضل الله، الذي منح للإنسان تأثيراً على قدره، ولم يجعله أداة بائسة، يهيج به من دون أن يكون له تأثير على قدره.. ولو شاء أن يفعل ذلك لم يكن معقب لمشيئته. انتهى[1].

وقال العم الشهيد رضوان الله عليه أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا﴾[2]

فالقدر في تعبير القضاء والقدر، هو بمعناه البسيط المتداول في التعبيرات

---

(١) خواطري عن القرآن: ج١ ص٣٤٢ ـ ٣٤٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٠.

اليومية الدارجة، وهو المقدار، فقدر زيد هو مقداره وحجمه، وقدر الحجر: وزنه وحدّه.

وربما تطلق صفة المولدات على الولائد، فالموت قدر الإنسان، لأنَّ لتركيبة جسمه قدر معين من القدرة على البقاء كاملة، والهزيمة قدر الأُمَّة، لأنَّها ضعيفة محدودة القدرات، لا بدَّ لها أن تُهزم في المواجهة مع الأقوى منها[١].

معنى القضاء

وقال العم الشهيد أعلى الله درجاته:

والقضاء هو الحكم، تشريعياً أو تنفيذياً.

والحكم التشريعي هو ما يأمر به الله، ويتركه لإرادة (الإنسان)، إن شاء نفذه وإن لم يشأ لم ينفذه.

والحكم التنفيذي ما ينفذه الله، شاء غيره أم أبى.

والقضاء التشريعي مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٢] فالله أمر بتوحيد العبادة له، وبالإحسان بالوالدين، وترك تنفيذهما لإرادة المكلفين، ليمتحنهم.

والقضاء التنفيذي مثل قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾[٣] أي جعلهن سبع سماوات.

فالقضاء هو مجرد الحكم، لكن إن صدر إلى المكلفين صُنِّف تشريعياً، وإذا لم يصدر إلى المكلفين صُنِّف تنفيذياً، فصفة التشريعي أو التنفيذي خارجة من ذات القضاء، أو مقتبسة من مورده، فإذا ورد على أفعال المكلفين كان تشريعياً، وإلَّا كان تنفيذياً...

وببساطة: قضاء الله، هو حكم الله الذي قال لك: كن منسجماً مع الكون الذي أنت جزء منه، وقال للكون: كن دقيقاً متوالداً ـ كما هو الآن ـ، وقدر

---

(١) خواطري عن القرآن: ج٣ ص٩.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٣) سورة فصلت: الآية ١٢.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: شَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَأَحَبَّ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: وَكَيْفَ شَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى وَلَمْ يُحِبَّ؟ قَالَ: هَكَذَا خَرَجَ إِلَيْنَا[١].

كل أحد وكل شيء حجمه وحَدّه اللذين لا يمكنه تجاوزهما...(١).

أقول: ومن ذلك يتضح قول أمير المؤمنين عليه السلام حينما انتقل من تحت جدار يريد أن ينقض إلى مكان آخر، حيث قيل له أتفرّ من قضاء الله، فقال عليه السلام: (أفرّ من قضاء الله إلى قدره)(٢) لأنَّ الحكم التكويني: وجود الجاذبية وسقوط الجدار المائل وموت أو جرح الإنسان الذي يسقط عليه الجدار، فانتقل عليه السلام من جنب الجدار إلى مكان آخر حيث إنَّ حدّ الجسم هو البقاء حتى حين، وهو قدرها وحجمها.

الحديث الثاني:

[١] **(هكذا خرج إلينا):**

أي هكذا وصل إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

والإمام عليه السلام استدل بالدليل النقلي في ذلك، ولم يبيّن الدليل العقلي، ولعلَّ ذلك لعدم استيعاب السائل، أو لغرض تعليمه الاحتجاج على العامة الذين لا يقبلون الدليل العقلي في هذه الأمور، أو لغير ذلك.

وأما الدليل العقلي.

١ ـ فإنَّ الحب ـ بمعنى الثواب ـ هو نتيجة للخلق، وليس في ضمن أسباب الخلق، فلا معنى لأن يقال أحب الشيء فخلقه، لأنَّ المعدم ليس بشيء ولم يصدر منه شيء حتى يكون مستحقاً للثواب، بل يقال أراد الله الخلق وذلك لوجود المصلحة في فعله تعالى، وكذا يقال شاء وقدر وقضى فخلق الخلق، ثم يقال إنَّه تعالى بعد أن خلق أثاب المخلوقات لطاعتها ـ مثلاً ـ فتأمل.

---

(١) خواطري عن القرآن: ج٣ ص٩ ـ ١٠.

(٢) اعتقادات الصدوق: ص٣٥.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ وَاصِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ[١]: أَمَرَ اللَّهُ وَلَمْ يَشَأْ[٢]، وَشَاءَ وَلَمْ يَأْمُرْ[٣]، أَمَرَ إِبْلِيسَ أَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ وَشَاءَ أَنْ لَا

---

٢ ـ أو المعنى أنَّه ليس لله حب بمعناه الحقيقي ـ وهو ميل القلب إلى شخص أو شيء ـ فإنَّ ذلك يستلزم التغيّر في ذاته تعالى، وهذا مستحيل عليه سبحانه.

٣ ـ أو بمعنى أنَّ الله قد يخلق شيئاً ولكنَّه لا يحبه، ولذا اقتضت حكمته تعالى بأن يجعل من أسباب الخلق: المشيئة والإرادة والقدر والقضاء، وأن لا يكون الحب من الأسباب، فالله خلق إبليس وهو يبغضه، وسيأتي ما يؤيد هذا المعنى في (باب السعادة والشقاء)، فانتظر.

الحديث الثالث:

[١] **(سمعته يقول):**

حاصل كلام الإمام عليه السلام هو أنَّ لله إرادة تكوينية وإرادة تشريعية، ولا يلزم تطابقهما، فالله لا يريد الكفر تشريعاً، لكن جعل الاختيار بيد العبد، والله يريد الطاعة تشريعاً، لكن لم يُلجىء أحداً إليها.

[٢] **(أمر الله ولم يشأ):**

أي أمر تشريعاً، ولم يُكره العبد عليه تكويناً، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(٢)، وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾(٣).

[٣] **(وشاء ولم يأمر):**

أي شاء تكويناً، ولكنَّه لم يأمر به تشريعاً بل نهى عنه ـ مثلاً ـ.

وهذه المشيئة التكوينية تعلقت باختيار العبد، أي شاء تكويناً بأن يكون

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٣) سورة السجدة: الآية ١٣.

يَسْجُدَ[٤]، وَلَوْ شَاءَ لَسَجَدَ[٥]، وَنَهَى آدَمَ عَنْ أَكْلِ الشَّجَرَةِ وَشَاءَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا[٦] وَلَوْ لَمْ يَشَأْ لَمْ يَأْكُلْ[٧].

الإنسان مختاراً في أعماله، فلذا تحقّقت مشيئة الله تعالى فكان الإنسان مختاراً، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(١) أي لا يمكنكم الاختيار إلّا عندما شاء الله أن يجعلكم مختارين، أو بمعنى إلّا عندما أرسل الرسل ففتح أمامكم باب الاختيار.

[٤] **(وشاء أن لا يسجد):**

أي شاء أن لا يمنعه تكويناً عن العصيان، فشاء الله اختيار إبليس مع علمه بأنّه لا يسجد، أو بمعنى أنَّ الله شاء أن يضلّه بسبب كمون التكبر في أعماق نفسه، بمعنى تركه حتى يضل من غير منع تكويني أو توفيق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

[٥] **(ولو شاء لسجد):**

أي لو شاء تعالى إكراه إبليس على السجود، لم يتمكّن من العصيان بل سجد مكرهاً مضطرّاً.

[٦] **(وشاء أن يأكل منها):**

أي شاء أن يجعله مختاراً مع علمه بأنّه سيأكل منها، كقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾(٣)، وفي التبيين(٤) ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ امتحانك... ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَن تَشَآءُ﴾ فإنَّ الفتنة تكون سبباً لإظهار ما في الباطن ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾.

[٧] **(ولو لم يشأ لم يأكل):**

أي لو لم يشأ ـ الله تكويناً ـ اختيار آدم، لما تمكّن آدم من الأكل من

---

(١) سورة الإنسان: الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٩.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

(٤) تبيين القرآن: ص١٨١.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَمْدَانِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَلَوِيِّ، جَمِيعاً، عَنِ الْفَتْحِ بْنِ يَزِيدَ الْجُرْجَانِيِّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِلَّهِ إِرَادَتَيْنِ وَمَشِيئَتَيْنِ[١]، إِرَادَةَ حَتْمٍ

الشجرة، حيث لا يوجد اختيار إلّا بعد مشيئة الله تعالى.

ولا يخفى أنَّ هذا الحديث بكل فقراته مقتبس من آيات القرآن الكريم، فراجع مادة (ش ي أ) من المعجم المفهرس لتلاحظ التطابق كاملاً، وما يقال في تفسير أو تأويل تلك الآيات يقال في هذا الحديث الشريف:

قال الصدوق رضوان الله عليه في كتاب التوحيد ـ في شرح الحديث اللاحق ـ: (إنَّ الله تعالى نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة، وقد علم أنَّهما يأكلان منها، لكنَّه عز وجل شاء أن لا يحول بينهما وبين الأكل منها بالجبر والقدرة، كما منعهما من الأكل منها بالنهي والزجر، فهذا معنى مشيئته فيهما، ولو شاء الله عز وجل منعهما من الأكل بالجبر، ثم أكلا منها لكانت مشيئتهما قد غلبت مشيئة الله تعالى ـ كما قال العالم ـ، تعالى الله عن العجز علواً كبيراً)(١).

الحديث الرابع:

[١] **(إرادتين ومشيئتين):**

الإرادتان في التكوين: إرادة حتم التي لا تبدل فيها ولا بداء، وإرادة عزم التي فيها المحو والإثبات.

والمشيئتان في التشريع: شاء حكماً لا يُنسخ، وشاء تكليفاً ينسخه.

ويمكن أن يكون «ومشيئتين» عطف تفسيري، فالمراد إنَّ لله إرادة تكوينية هي إرادة حتم، وإرادة تشريعية هي إرادة عزم أي عزم على عبده بفعله ـ بمعنى أمره ـ، أو عزم على العبد بتركه ـ أي نهاه ـ.

---

(١) المرآة: ج٢ ص١٦١ عن توحيد الصدوق.

وَإِرَادَةَ عَزْمٍ، يَنْهَى وَهُوَ يَشَاءُ[٢] وَيَأْمُرُ وَهُوَ لَا يَشَاءُ[٣]، أَوَمَا رَأَيْتَ أَنَّهُ نَهَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَأْكُلَا مِنَ الشَّجَرَةِ وَشَاءَ ذَلِكَ[٤]، وَلَوْ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَأْكُلَا[٥] لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَتُهُمَا مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَذْبَحَ إِسْحَاقَ[٦] وَلَمْ يَشَأْ أَنْ

---

[٢] **(ينهى وهو يشاء):**
أي ينهى تشريعاً، وهو يشاء أن لا يجبر العبد تكويناً، بل يترك الاختيار بيد العبد.

[٣] **(يأمر وهو لا يشاء):**
أي يأمر تشريعاً، وهو لا يشاء وقوعه تكويناً، أو بمعنى أنَّه يأمر به مع علمه بأنَّ ذلك الحكم سيُنسخ.

[٤] **(وشاء ذلك):**
مرَّ في الحديث السابق شرح هذه الفقرة، حاصله: إن شاء أن يكون آدم مختاراً فلم يمنعه عن الأكل، وكذا زوجته.

[٥] **(ولو لم يشأ أن يأكلا):**
أي لو لم يشأ إعطائهما القدرة، أو منعهما تكويناً، لما تمكّنا من الأكل لعدم وجود القدرة أو لوجود المانع.

[٦] **(أي يذبح إسحاق):**
في توحيد الصدوق «أن يذبح ابنه»، والمشهور أنَّ الذبيح كان إسماعيل، وسياق الآيات القرآنية يدلُّ على أنه إسماعيل قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(١)، حيث يظهر من سياقها أنَّ تبشيره بإسحاق كان بعد أمره بذبح ولده، وجزاءً لاجتيازه الاختبار بنجاح، وهذا السياق يدلُّ على أنَّ الذبيح إسماعيل.
كما أنَّ الأخبار الدالة على أنَّ الذبيح هو إسماعيل أكثر عدداً وأصحّ سنداً،

---

(١) سورة الصافات: الآيات ١٠١ ـ ١١٢.

يَذْبَحَهُ[٧]، وَلَوْ شَاءَ لَمَا غَلَبَتْ مَشِيئَةُ إِبْرَاهِيمَ[٨] مَشِيئَةَ اللَّهِ تَعَالَى.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَعْبَدٍ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: شَاءَ وَأَرَادَ وَلَمْ يُحِبَّ وَلَمْ يَرْضَ[١]: ....

ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله «أنا ابن الذبيحين» قال الإمام الرضا عليه السلام (يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وعبد الله بن عبد المطلب)، فراجع الروايات في تفسير البرهان(١).

وفي المرآة(٢) (ويمكن حمل هذا الخبر على التقية) انتهى، وذلك لأنَّ بعض العامة يرون ذلك فلعلّه عليه السلام اتقى منهم، فتأمل.

[٧] **(ولم يشأ أن يذبحه):**

لم يشأ تكويناً ولذا روى أنَّ إبراهيم عليه السلام كلما وضع السكين على نحر ولده ليذبحه، قلَّبها جبرائيل.

[٨] **(لما غلبت مشيئة إبراهيم):**

أي لو أراد الله وقوع الذبح تكويناً، فإنَّه كان يقع لا محالة حتى لو كان خلاف مشيئة إبراهيم عليه السلام.

قال الحر العاملي رضوان الله عليه: «لا يخفى أنَّ مشيئة المعصية بمعنى خلق الأسباب والتخليَّة وعدم المنع، وكذا مشيئة عدم الطاعة، فالمقصود في الحديث وأمثاله بطلان التفويض لا ثبوت الجبر»(٣).

الحديث الخامس:

[١] **(ولم يحب ولم يرضَ):**

لعلَّ المُراد أنَّ كل شيء يقع في الخارج فإنَّما هو مسبوق بمشيئة الله وإرادته،

---

(١) تفسير البرهان: ج٨ ص٢٣٢ ـ ٢٤٩.

(٢) المرآة: ج٢ ص١٦٢.

(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام: ج١ ص٢٣٠.

شَاءَ أَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ إِلَّا بِعِلْمِهِ[٢]، وَأَرَادَ مِثْلَ ذَلِكَ[٣]، وَلَمْ يُحِبَّ أَنْ يُقَالَ: ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ[٤]، وَلَمْ يَرْضَ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ[٥].

وليس بالضرورة أن يكون محبوباً له أو راضياً عنه، فقد يكون راضياً عنه ويحبُّه، وقد لا يرضى به ولا يحبُّه، وعدم حبِّه وعدم رضاه يكون في أفعال العباد خاصة.

[٢] **(إلّا بعلمه):**
لعلَّ المعنى أنَّ الله سبحانه علم أزلاً بما يكون، ولم تخالف مشيئتُه علمَه، بل كتب في اللوح المحفوظ ما كان في علمه الأزلي، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١)، ـ بناءً على إرجاع ضمير «يعلم» لله تعالى فيكون سالبة بانتفاء الموضوع ـ.

[٣] **(وأراد مثل ذلك):**
أي إرادته الحتمية مطابقة لعلمه الأزلي، بل حتى ما يمحوه، فإنَّه كان يعلم أزلاً بأنَّه يكتب ذلك في لوح المحو والإثبات ثم يمحوه ويتغيَّر المقدّر.

[٤] **(ثالث ثلاثة):**
قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

[٥] **(لم يرضَ لعباده الكفر):**
قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(٣).
والظاهر أنَّ الأمثلة التي ذكرها الإمام عليه السلام كلها ترتبط بالعقائد فمن نفي

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.
(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ[١] بِمَشِيئَتِي[٢] كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ، لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ فَرَائِضِي[٣] وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي[٤]،

الشريك وعدم العلم به وعدم إرادته، إلى عدم حب شرك عباده وعدم الرضا بكفرهم. فالأولان يتعلقان به تعالى، والأخيران بفعل عباده.

الحديث السادس:

[١] **(قال الله يا ابن آدم):**

الحديث يتضمن ثلاث فقرات:

١ ـ بيان أنَّ كل ما للإنسان فإنَّما هو فضل من الله تعالى.

٢ ـ أنَّ السيّئات إنَّما هي من الإنسان لا من الله.

٣ ـ بيان العِلَّة لذلك.

أولاً:

[٢] **(بمشيئتي):**

أي بالمشيئة التي جعلتها فيك، أو بمعنى أنّي شئت أن أخلقك مختاراً، فلذا كنت أنت مختاراً بحيث تشاء لنفسك ما تشاء.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾(١).

[٣] **(بقوتي أديت فرائضي):**

أي بالقوة التي جعلتها فيك ـ قوة عقلية لتدرك الفرائض، وقوة بدنية تؤديها بها ـ تمكنت من أداء الفرائض.

[٤] **(قويت على معصيتي):**

فإنَّ كل ما وهب الله للإنسان إنَّما هو نعمة، لحفظ البدن والنوع، وللارتقاء إلى الكمال، لكن العصاة يحوّلون هذه النعمة إلى كفران بالمعاصي، قال

---

(١) سورة التكوير: الآية ٢٩.

جَعَلْتُكَ سَمِيعاً، بَصِيراً، قَوِيّاً[٥]، ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ[٦] وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ[٧]﴾ [النساء: ٧٩] ، **وَذَاكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي[٨]،** ....

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٢).

[٥] **(جعلتك سميعاً بصيراً قوياً):**

هذا مثال للقوة والنعمة على الإنسان، وأيضاً تمهيد للفقرة اللاحقة، بأنَّ السيئات من الإنسان لا من الله، لأنَّ الله تعالى وهب للإنسان وسائل الإدراك والشعور، وكذلك أعطاه القدرة للامتناع عن السيّئات.

ثانياً:

[٦] **(ما أصابك من حسنةٍ فمن الله):**

لقد مرَّ في الحديث الأول من هذا الباب شرح تفصيلي لهذه الآية الكريمة، والحاصل أنَّ الحسنات من آثار لطف الله ورحمته وتوفيقه للإنسان.

[٧] **(من سيئةٍ فمن نفسك):**

لأنَّ الله لا يريد ـ تشريعاً ـ الظلم والفساد والطغيان، وإنَّما ذلك من آثار النفس الأمّارة بالسوء.

ثالثاً:

[٨] **(أولى بسيئاتك منّي):**

هذا الدليل الأول.

وحاصله أنَّ الله خير محض لا يصدر منه شر، فكل حسنة ترجع إليه، والعبد وإن كان مختاراً فيما يفعل، لكن فعله للحسنات إنَّما كان لإدراكه وقوته

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١١.

وَذَاكَ أَنَّنِي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ[٩].

واختياره، وكل هذه ألطاف من الله للعباد.

وهذه الألطاف إنَّما هي ليختار بها الإنسان الحسنات، فإن خالف ولم يستفد منها بالشكل الصحيح بل جعلها مطية للهوى فارتكب السيئات، فإنَّ ذلك بسبب نفسه وهواها، فلذا كان أولى بالسيئات من الله تعالى.

ثم إنَّ قوله (أولى) إشارة إلى أنَّ صدور الحسنات والسيئات من العبد إنَّما هي لأنَّ الله أعطاه القدرة والاختيار، ولكن ليستفيد منها في الطاعة، فإن أطاع فالفضل يرجع إلى الله تعالى، وإن عصى فإنَّما كان ذلك بسبب نفسه.

[٩] **(وذاك أنِّي لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون):**

إشارة إلى الدليل الثاني.

قال تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾(١)، معنى الآية هو أنَّ كل أفعاله صواب وحسب الحكمة، فلا معنى للسؤال، وأيضاً هو المالك المطلق وهم عبيد ولا يمكن للعبد أن يحاسب مولاه، أما هم فقد تصدر منهم المخالفات مضافاً إلى كونهم عبيداً فلذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٢).

وجه الاستدلال ـ في الحديث ـ هو أنَّ الخير كان بسبب الله تعالى، فلا معنى للسؤال عن أنَّه لماذا قدّر الخير للإنسان.

وكذا إعطاء القوة ونحوها للإنسان كان لأجل المصلحة، فإذا صرفها الإنسان في الشر، فإنَّ الله لا يُسأل عن ذلك، لأنَّه فعل ما هو المصلحة، بل الإنسان يُسأل لأنَّه بدّل النّعمة سيئة، بل الحجة تكون عليه أتمّ.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٣.

(٢) سورة الغاشية: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

بَابُ الِابْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ قَبْضٍ وَلَا بَسْطٍ[١] إِلَّا وَلِلَّهِ فِيهِ مَشِيئَةٌ وَقَضَاءٌ وَابْتِلَاءٌ[٢].

الحديث الأول:

[١] **(قبض ولا بسط):**

«القبض»: هو الإمساك ومنه المنع، و«البسط» هو النشر، ومنه العطاء، ويختلف موارد الاستعمال باختلاف المتعلق، فإن كان الرزق فالبسط هو التوسعة في الرزق، والقبض هو التضييق فيه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾(١)، ومن أسمائه تعالى القابض والباسط.

وإن كان المتعلق الروح، فقبضها بالموت وبسطها بالإحياء.

وإن كان التكليف، فبسطه بالرخصة وقبضه بالنهي.

[٢] **(مشيئة وقضاء وابتلاء):**

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ﴾(٣).

و«الابتلاء» هو العِلّة الغائية، أي الغرض هو امتحانهم وذلك ليظهر عياناً ـ وباختيارهم ـ ما علمه الله أزلاً، و«المشيئة» هي المقتضي، و«القضاء» هو الجزء الآخر من العلّة. وقد مرّ تفصيل ذلك في الأحاديث السابقة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٧.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٦.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ فِيهِ قَبْضٌ أَوْ بَسْطٌ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ[١] إِلَّا وَفِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ابْتِلَاءٌ وَقَضَاءٌ[٢].

الحديث الثاني:

[١] **(أو نهى عنه):**
القبض والبسط هنا بمعنى الأمر والنهي، وأما في الحديث الأول فهو أعمّ كما بيّنا.

[٢] **(ابتلاء وقضاء):**
تقديم الابتلاء في الذكر، لأنَّ العلة الغائية هي سبب القيام بأي عمل، ولكن الغرض يتحقّق خارجاً في آخر مرحلة، مثلاً يتصور الإنسان حاجته إلى مسكن فيكون هذا الغرض محرّكاً له للعمل، ولكن هذا الغرض يتحقّق بعد تهيئة المواد ـ العلة المادية ـ، ورسم خريطة ـ العلة الصورية ـ، وعمل البنّاء ـ العلة الفاعلية ـ ولذا قد تذكر العلة الغائية أولاً باعتبارها سبباً للتحرك، وقد تذكر آخراً لأنَّها آخر ما يتحقّق، ففي هذا الحديث تقدم الابتلاء في الذكر، وفي الحديث السابق تأخر.

بَابُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاءِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاءَ[١] قَبْلَ

الحديث الأول:

[١] **(خلق السعادة والشقاء):**

الخلق هنا بمعنى التقدير، والسعادة ـ هنا ـ هي الختم بالخير، والشقاء هو الختم بالسوء، ونتيجة ذلك استحقاق الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ۝١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(١)، ولعلَّ الاستثناء للتنبيه على أنّهم لا يخرجون عن قدرة الله تعالى، بل يقدر على إخراجهم من الجنة أو النار، لكنّه لا يفعل ذلك لعدم المصلحة.

وفي هذه الفقرة احتمال آخر، وهو أنَّ السعيد هو من تاب وأصلح فلذا لا يستحق عقاباً أبداً، والله تعالى لعلمه بأنّه سيتوب فإنّه لا يقدّر له العذاب.

وأما من مات مؤمناً لكنّه لم يتب من ذنوبه فإنّه يستحق العقاب وقد يعاقب إلى أن يستوفي عذابه أو تتداركه الشفاعة والرحمة، فهو من السعداء الذين تمّ استثناؤهم في الآية ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فيحتمل أن يُراد بالاستثناء: المؤمن الذي يدخل

---

(١) سورة هود: الآيات ١٠٥ ـ ١٠٨.

أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ، فَمَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ سَعِيداً[٢] لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً[٣]، وَإِنْ عَمِلَ شَرّاً أَبْغَضَ عَمَلَهُ وَلَمْ يُبْغِضْهُ[٤]، وَإِنْ كَانَ شَقِيّاً[٥] لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً وَإِنْ عَمِلَ صَالِحاً أَحَبَّ عَمَلَهُ وَأَبْغَضَهُ لِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ شَيْئاً[٦] لَمْ يُبْغِضْهُ أَبَداً وَإِذَا أَبْغَضَ شَيْئاً لَمْ يُحِبَّهُ أَبَداً.

النار ليعاقب على ذنوبه ثم يخرج منها، فمعنى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ هو إلَّا المقدار الذي يشاء الله من إدخاله في النار في أول أمر الآخرة.

[٢] **(فمن خلقه سعيداً):**

أي عالماً بكونه سيختار السعادة بأعماله.

[٣] **(لم يبغضه أبداً):**

أي لا يُقدّر له العذاب، أو لا يعذبه عذاب الأشقياء ـ كالخلود في النار ـ.

[٤] **(أبغض عمله ولم يبغضه):**

أي عذّبه لأجل عمله، ولم يعذبه عذاب الأشقياء.

[٥] **(وإن كان شقياً):**

أي من كان يعلم الله تعالى بأنَّه سيختار الشقاء، وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام «في قول الله عز وجل ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ قال بأعمالهم شقوا»(١).

[٦] **(فإذا أحب الله شيئاً):**

أي من الأعمال أو الأشخاص، وفي محاورة بين الإمام الباقر عليه السلام وأحد الخوارج، استدل الإمام عليه السلام بهذه العلة، بأنَّ الله تعالى أحبّ أمير المؤمنين عليه السلام وهو عالم بما يجري في المستقبل، فلو كان ما جرى في النهروان كفراً ـ والعياذ بالله ـ فكيف رضي الله تعالى عمّن يعلم بأنَّ مصيره الكفر!! فقد قال الباقر عليه السلام لعبد الله بن نافع بن الأزرق: أخبرني عن الله أحبّ علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أحبّه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم

---

(١) البرهان: ج٧ ص٤٧ عن توحيد الصدوق، والآية: من سورة المؤمنون: ١٠٦.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ـ رَفَعَهُ ـ عَنْ شُعَيْبٍ الْعَقَرْقُوفِيِّ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: كُنْتُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام جَالِساً وَقَدْ سَأَلَهُ سَائِلٌ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ لَحِقَ الشَّقَاءُ أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ حَتَّى حَكَمَ اللَّهُ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ[١] بِالْعَذَابِ عَلَى عَمَلِهِمْ[٢]؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: أَيُّهَا السَّائِلُ حُكْمُ

لم يعلم؟ إن قلت: لا، كفرت!! فقال: قد عَلِم، قال: فأحبّه على أن يعمل بطاعته أم على أن يعمل بمعصيته؟ قال على أن يعمل بطاعته، فقال أبو جعفر عليه السلام: قم مخصوماً، فقام وهو يقول: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ الله يعلم حيث يجعل رسالته(١)

الحديث الثاني:

[١] **(حكم الله لهم في علمه):**

أي بسبب علمه، فإنَّما قدّر العذاب لهم لأنَّه كان عالماً بعصيانهم، و«في» قد تستعمل في التعليل، كقوله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾(٢) وقوله: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾(٣).

[٢] **(بالعذاب على عملهم):**

لعلَّ مُراد السائل: أنَّه كيف يكون الشقاء نتيجة العمل مع أنَّ الله تعالى قد علم بشقائهم، فقدّر عذابهم على معاصيهم، قبل أن يخلقهم؛ فيكون سؤاله عن منشأ الشقاء، وهل هو بسبب إرادته تعالى الشقاء لبعض عبيده فيكونون مجبورين؟

[٣] **(فقال أبو عبد الله عليه السلام):**

حاصل الجواب هو:

أنَّ أهل الطاعة بسبب طاعتهم، وفّقهم الله تعالى لمعرفته، وسهّل عليهم

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠، ص١٥٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٢.

(٣) سورة النور: الآية ١٤.

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَقُومُ لَهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ بِحَقِّهِ[٤]، فَلَمَّا حَكَمَ بِذَلِكَ[٥] وَهَبَ لِأَهْلِ مَحَبَّتِهِ[٦] الْقُوَّةَ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ ثِقْلَ الْعَمَلِ بِحَقِيقَةِ مَا هُمْ

التكليف لطفاً بهم ورحمة.

وأما أهل المعصية، فإنَّهم بسبب عصيانهم، منع الله ألطافه الخفية عنهم، ولم يوفّقهم، فلذلك فهم لا يطيقون الطاعة ـ لا بمعنى عدم قدرتهم عليها بل بمعنى صعوبتها عليهم ـ، فتركهم الله وشأنهم ممَّا سبب استمرارهم في العصيان إلى أن يروا العذاب الأليم.

فكان علمه مطابقاً للواقع، من غير أن يكون سبباً للطاعة أو المعصية، فعلمه تعالى ليس سبباً لشقائهم، وهذا معنى قولنا شاء الله الطاعة أو شاء المعصية، أي علم بالطاعة وعلم بالمعصية من غير أن يُكرِه الناس عليهما، ثم قدَّرهما.

[٤] **(من خلقه بحقه):**

أي لا يتمكن أحد من الخلق معرفة أسباب تقديرات الله وأحكامه، فإنَّهم لا يحيطون بشيء من علمه إلَّا بما شاء، فلا يعلمون العلل والمصالح والموانع، فلذا لا يعرفون الأحكام حق المعرفة، لأنَّ من لا يعرف الأسباب تحيّر في المسببات والنتائج، بل قد يشاء الله بأن يطلعوا على بعض الجوانب.

ولعلَّ ذكر هذا الكلام كالمقدمة للجواب، وأنَّ الجواب إنَّما هو بمقدار فهم السائل، أو أنَّه جانب من جوانب الحقائق الواقعية المخفي أكثرها عنَّا، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾(١).

[٥] **(فلما حكم بذلك):**

أي قدّر عذاب أهل المعصية بأعمالهم، وعدم عذاب أهل الطاعة.

[٦] **(لأهل محبته):**

أي الذين يحبونه، وهم أهل الطاعة.

---

(١) سورة الروم: الآية ٧.

أَهْلُهُ[٧]، وَوَهَبَ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ[٨] الْقُوَّةَ عَلَى مَعْصِيَتِهِمْ[٩] لِسَبْقِ عِلْمِهِ فِيهِمْ[١٠] وَمَنَعَهُمْ إِطَاقَةَ الْقَبُولِ مِنْهُ[١١] ....

---

[٧] **(بحقيقة ما هم أهله):**

أي إنَّ التكليف شاق ثقيل، لكن الله تعالى رفع ثقله عن أهل محبته، فلا يشعرون بهذا الثقل، وذلك نتيجة عملهم وطاعتهم، قال تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾(١) أي حططنا عنك حملك الثقيل، حيث خففنا عليك مهمة التبليغ، كذا المؤمن يخفف الله عنهم ثقل الطاعات.

والباء في «بحقيقة...» إما سببية تتعلق بـ«وضع» أي رفع الثقل بسبب حقيقة واقعهم من النية الصادقة والعمل الصالح، وإما للإلصاق متعلقة بـ«العمل» أي رفع الله ثقل عملهم بالطاعات التي هي حقيقتهم وواقعهم.

[٨] **(ووهب لأهل المعصية):**

إنَّ إعطاء القوة هو نعمة وهبة من الله تعالى، لكن العبد قد يكفر بالنعمة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾(٢).

[٩] **(القوة على معصيتهم):**

لأنَّهم لو كانوا عاجزين عن العصيان لبطل الامتحان والثواب والعقاب، فلذا أعطى الله لخلقه القوة والاختيار، فيمكنهم اختيار الطاعة أو المعصية، لكن أهل المعصية بسوء اختيارهم أرادوا العصيان.

[١٠] **(لسبق علمه فيهم):**

إذ التكليف لا يصحّ إلَّا بعد إعطاء القوة والاختيار، ولولا ذلك لكانوا مكرهين على الطاعة، فسَبْقُ علمه بالتكليف تطابق مع إعطائهم القدرة ليتمكنوا من الطاعة أو المعصية.

[١١] **(منعهم إطاقة القبول منه):**

«منعهم» فعل ماض، وهو يُضاد «وضع عنهم ثقل...» في أهل المحبة.

أي لم يرفع عن أهل المعصية ثقل التكليف، كما رفعه عن أهل المحبة، بل

---

(١) سورة الشرح: الآية ٣.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

من بدأ بالعصيان فإنَّ الله سيتركه وشأنه، ونتيجة لذلك فإنَّه يشعر بثقل التكاليف، فلذا يتركها ويتوجّه إلى المعاصي باختياره.

فأهل المعصية يقدرون على ترك المعصية وعلى فعل الطاعات، لكنَّهم يشعرون بثقلها، ويشعرون بعدم طاقتهم لها.

وعدم الطاقة هنا لا يُراد بها عدم القدرة، إذ لو لم يكونوا قادرين على القبول كانوا مكرهين، فلم يكن معنى للتكليف وكان العذاب ظلماً لهم، بل المعنى: الثقل والصعوبة، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[1].

وفي التبيين[2]: (طاقة عرفية، كما يقال لا طاقة لي بمقابلة زيد، يريد التكليف الشاق الذي هو فوق الإصر مشقة، وإلا فالله لا يكلف بما لا قدرة للعبد إطلاقاً).

وفي مجمع البيان[3] (أحدها: أنَّ معناه ما يثقل علينا تحمله من أنواع التكاليف والامتحان مثل قتل النفس عند التوبة، وقد يقول الرجل لأمر يصعب عليه: إنِّي لا أطيقه).

والحاصل أنَّ أهل العصيان يشعرون بثقل التكليف، والله تعالى لا يتدخل غيبياً لرفع هذا الثقل عنهم، ـ بسبب أعمالهم ـ، فمنع ألطافه عنهم من غير أن يكرههم، كما في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ﴾[4] وهذا الأمر ذكر في عدّة آيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، وقوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[6] وقوله: ﴿لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[7] وقوله: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[8]

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.
(٢) تبيين القرآن: ص٦٠.
(٣) مجمع البيان: ج٢ ص٣٤٦.
(٤) سورة البقرة: الآية ٧.
(٥) سورة المائدة: الآية ٥١.
(٦) سورة المائدة: الآية ٦٧.
(٧) سورة المائدة: الآية ١٠٨.
(٨) سورة آل عمران: الآية ٨٦.

فَوَافَقُوا مَا سَبَقَ لَهُمْ فِي عِلْمِهِ وَلَمْ يَقْدِرُوا[١٢] أَنْ يَأْتُوا حَالاً تُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهِ، لِأَنَّ عِلْمَهُ أَوْلَى بِحَقِيقَةِ التَّصْدِيقِ[١٣] وَهُوَ مَعْنَى شَاءَ مَا شَاءَ[١٤] وَهُوَ سِرُّهُ[١٥].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١) وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(٢)، وغيرها.

[١٢] **(ولم يقدروا):**
أي قدرة عرفية ـ بسهولة ـ، فإنَّ الطاعة صعبة عليهم فكأنَّهم لم يقدروا عليها.

[١٣] **(بحقيقة التصديق):**
الصدق هو المطابقة للواقع، وعلم الله تعالى مطابق للواقع، فعلمه الأزلي لم يكن سبباً لعصيانهم، ولكنَّهم بسبب سوء اختيارهم ارتكبوا المعاصي الموجبة لدخولهم النار، فعَلِم الله من الأزل سوء اختيارهم وأنَّهم من أهل النار.

[١٤] **(وهو معنى شاء ما شاء):**
أي فلذا قَدّر العذاب لهم، أي لعلمه بأنَّهم سيختارون المعصية قدّر العذاب لهم.

[١٥] **(وهو سرّه):**
«السر» يُراد به السبب، أي إنَّ سبب المشيئة هو هذا العلم، فإنَّ الإرادة من صفات الفعل، ومنشأها العلم والاختيار ـ كما مرّ في (باب الإرادة وأنَّها من صفة الفعل) تفصيل بيانه ـ.
أو بمعنى أنَّ هذا من الأسرار التي لا يعلمها إلَّا القليل من الذين علّمهم الله تعالى وفي الحديث «القدر سر الله فلا تُظهروا سِرّ الله»(٣) ، والأول أقرب.
هذا ما ظهر لنا من معنى الحديث الشريف وإنَّما ذكرناه على سبيل الاحتمال، والله العالم.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣.
(٢) سورة غافر: الآية ٢٨.
(٣) الوافي: ج١ ص٥٣٧.

تتمة

في نسبة علم الله تعالى إلى المعلوم بحوث، نشير إلى بعضها باختصار.

الأول: إنَّه تعالى من الأزل يعلم باختيار العباد، ولكن ليس اختيارهم سبباً لعلمه، لأنَّ علمه أزلي، ولا يكون المتأخر في الوجود سبباً للمتقدم، لاستحالة تأثير المعدوم في الموجود، مضافاً إلى أنَّ علمه عين ذاته، فلا يكون شيئاً سبباً لذاته، بل وجود ذاته بذاته لا لغرض، كما مرّ سابقاً.

الثاني: إنَّ علمه ليس سبباً لأفعال العباد، كما أنَّ علمنا بطلوع الشمس غداً ليس سبباً لطلوعها، وقد نعلم بما يفعله أحدنا غداً بالقطع واليقين، ولا يكون هذا العلم سبباً لوقوع المعلوم.

الثالث: إنَّه تعالى عالم إذ لا معلوم ـ كما في الأحاديث ـ وهذا يقتضي أن لا يكون علمه حضورياً ـ لأنَّ الحضور إنَّما يكون بعد وجود المعلوم ـ، ولا حصولياً، لأنَّه يستلزم الافتقار إلى الصورة، وهو تعالى منزَّه عن الحاجة، وكُنْهُ علمه مجهول لنا، لأنَّه عين ذاته، فعقلنا يرشدنا إلى أنَّه تعالى عالم بكل شيء، ويعجز العقل عن إدراك حقيقته وكيفية تعلقه بالمعلوم ـ قبل وجوده وبعد وجوده ـ وقد مرَّ تفصيل ذلك سابقاً.

الرابع: إنَّ تقديراته تعالى كانت حسب علمه، كخلق طينة أهل النار من سجين وطينة المؤمنين من عليين، ولكن هذه التقديرات لا توجب الجبر، بل ليس لها اقتضاء أيضاً، فإنَّه تعالى لو كان يخلق طينة مثل فرعون من عليين لما كان لها تأثير في هدايته، بل كان سيختار الكفر أيضاً، وكان يدخل النار، ولكن كان ذلك يستلزم دخول طينة عليين إلى النار وهو خلاف الحكمة، فلذا خلقه من طينة سجين لتتناسب مع النار التي ستدخلها باختياره، وكذا المؤمن لو كان يخلقه من طينة سجين، فإنَّها لم يكن لها تأثير في عدم اهتدائه، بل كان سيختار الإيمان أيضاً، وكان يدخل الجنة، ولكن كان ذلك يستلزم دخول طينة سجين في الجنة وهو خلاف الحكمة، فلذا خلقه من طينة عليين، فتأمل، وسيأتي تفصيل هذا الكلام في أحاديث الطينة إن شاء الله تعالى.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عِمْرَانَ الْحَلَبِيِّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَنْظَلَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، أَنَّهُ قَالَ: يُسْلَكُ بِالسَّعِيدِ[١] فِي طَرِيقِ الْأَشْقِيَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: مَا أَشْبَهَهُ بِهِمْ بَلْ هُوَ مِنْهُمْ[٢]، ثُمَّ يَتَدَارَكُهُ السَّعَادَةُ، وَقَدْ يُسْلَكُ بِالشَّقِيِّ فِي طَرِيقِ السُّعَدَاءِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ: مَا أَشْبَهَهُ بِهِمْ، بَلْ هُوَ مِنْهُمْ، ثُمَّ يَتَدَارَكُهُ الشَّقَاءُ، إِنَّ مَنْ كَتَبَهُ اللَّهُ سَعِيداً[٣] وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا

الحديث الثالث:

[١] **(يسلك بالسعيد):**

«يُسلك» الفعل مجهول، والفاعل هو الله بالخذلان، أو الشيطان بالوسوسة.

[٢] **(بل هو منهم):**

في المرات الأولىٰ يقولون: ما أشبهه بهم، لكن لما تكرّر منه ذلك الفعل يقولون: هو منهم، ولذا ترقّىٰ بـ«بل».

[٣] **(إن من كتبه الله سعيداً):**

أي علم الله منه اختيار السعادة وكتب له ذلك في اللوح المحفوظ، فإنَّه لا يموت إلَّا بحسن العاقبة.

ثم إنَّ الإمام عليه السلام لم يذكر (من كتبه الله شقياً).

إما لأجل وضوح ذلك بعد ذكر السعادة فإنَّ الأشياء تُعرف بأضدادها، أو لأجل أنَّ الله لا يكتب الشقاء إلَّا وهو قابل للتغيير كما في الدعاء: (إن كنت كتبتني شقياً فأمح من أم الكتاب شقائي)(١) أي من لوح المحو والإثبات، فتأمل.

---

(١) مصباح المتهجّد: ص٦٥.

إِلَّا فُوَاقُ نَاقَةٍ[٤] خَتَمَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ

---

[٤] **(فواق ناقة):**

في الوافي[١]: الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت، لأنَّها تُحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدرّ، ثم تحلب، فيقال ما أقام عنده إلَّا فواقاً، وفي الحديث: «العيادة قدر فواق ناقة».

---

(١) الوافي: ج١ ص٥٣١.

بَابُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ وَعَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ مِمَّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عليه السلام وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي التَّوْرَاةِ: أَنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا[١]، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الْخَيْرَ[٢] ....

الحديث الأول:

الخير والشر يُستعملان في معان، منها:

١ ـ الطاعة والمعصية، ولا شك في أنَّهما من أفعال العبيد لا من فعل الله تعالى.

٢ ـ النعم والبلايا، كقوله: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[١] ولا يكون ذلك إلَّا لمصلحة.

٣ ـ الملائم للطبع وما لا يلائم الطبع، فإن كان فيهما المصلحة فهما من الله سبحانه وتعالى، وهذا المعنى أعمّ من الثاني من وجه.

[١] **(لا إله إلّا أنا):**

كأنَّ هذا تمهيد لبيان خلقه للخير والشر، فإنَّ الإله الذي لا إله غيره، لقادر على تقدير الأمور، خيرها وشرها.

[٢] **(وخلقت الخير):**

أي قدَّرته، فلا يمكن تحقّق شيء في الكون ـ ومنه الخير ـ إلَّا بإذن الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٣٥.

وَأَجْرَيْتُهُ[٣] عَلَى يَدَيْ مَنْ أُحِبُّ[٤]، فَطُوبَى[٥] لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ. وَأَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الْخَلْقَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ[٦] ....

---

[٣] **(الخير وأجريته):**

أي مكّنته وأعطيته القدرة على فعل الخير.

[٤] **(يديْ من أحب):**

إنَّما أحبه الله هذا العبد لصالح أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢)، وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٣)، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٤)، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٥) وغيرها.

[٥] **(فطوبى):**

أي الصفة الطيبة، وفي الأحاديث أنَّ شجرة طوبى هي شجرة في الجنّة أصلها في دار رسول الله ﷺ والإمام علي عليه السلام، وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها(٦)، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾(٧).

[٦] **(خلقت الشر):**

أي قدَّرت الشر، بمعنى أنَّ الله تعالى لم يمنع عنه تكويناً بل جعل الخلق قادرين عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٨)، وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٩)، أي إذنه التكويني.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧٦.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٦) راجع تفسير البرهان: ج٥ ص٣٣٩ ـ ٣٤٩.
(٧) سورة الرعد: الآية ٢٩.
(٨) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.
(٩) سورة التغابن: الآية ١١.

وَأَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْ مَنْ أُرِيدُهُ[٧]، فَوَيْلٌ[٨] لِمَنْ أَجْرَيْتُهُ عَلَى يَدَيْهِ.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ فِي بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبِهِ: أَنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، خَلَقْتُ الْخَيْرَ وَخَلَقْتُ الشَّرَّ، فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الْخَيْرَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الشَّرَّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ: كَيْفَ ذَا وَكَيْفَ ذَا[١].

---

[٧] (على يدي من أُريده):
أي على يدي من أُريد أن يجري الشر على يديه، وهو الذي لا يحبه الله تعالى بسبب سوء أعماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(١)، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢)، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٣)، ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾(٤)، ﴿لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾(٥)، ﴿لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾(٦) وغيرها.

[٨] (فويلٌ):
«الويل» هو: شدة من العذاب في بقعة من بقاع جهنم.

الحديث الثاني:

[١] (كيف ذا وكيف ذا):
سؤالٌ إنكاريٌ، اعتراضاً، نظير قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾(٧)، أما لو كان السؤال استفهامياً، ليتضح الأمر، فلا بأس به بل قد يكون مطلوباً، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٧.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٥) سورة النساء: الآية ١٠٧.
(٦) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٧) سورة البقرة: الآية ٢٦.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنْ بَكَّارِ بْنِ كَرْدَمٍ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ وَعَبْدِ الْمُؤْمِنِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَطُوبَى لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الْخَيْرَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَجْرَيْتُ عَلَى يَدَيْهِ الشَّرَّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ يَقُولُ: كَيْفَ ذَا وَكَيْفَ هَذَا.

قَالَ يُونُسُ: يَعْنِي مَنْ يُنْكِرُ هَذَا الْأَمْرَ بِتَفَقُّهٍ فِيه[١].

أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

الحديث الثالث:

[١] (بتفقه فيه):

في المرآة(٢): «غرض يونس، أنَّ الويل لمن أنكر كون خالق الخير والشر هو الله، بتفقهه وعلمه، اتكالاً على عقله، أما من سأل عالماً ليتضح له الأمر، أو يخطر بباله من غير حدوث شك له، أو يؤمن به مجملاً وهو متحير في معناه معترف بجهل مغزاه لقصور عقله، فلا ويل له.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧.

(٢) المرآة: ج٢ ص١٧٣.

بَابُ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ وَالْأَمْرِ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ[١]

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَإِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمَا رَفَعُوهُ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام جَالِساً بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ، إِذْ أَقْبَلَ شَيْخٌ فَجَثَا[١] بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنْ مَسِيرِنَا إِلَى أَهْلِ الشَّامِ أَبِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ

---

[١] القَدَر قد يُطلق ويُراد به التفويض، وقد يُراد به الجبر.
كما أنَّ القَدَرية قد يُراد بهم المجبرية وقد يُراد بهم المفوضة.
وهنا ثقة الإسلام الكليني رحمه الله أراد بالقدر: التفويض ولذا قابله بالجبر.
ومعنى الجبر: هو أن تكون أفعال العباد بلا اختيار منهم وإنّما بإرادة من الله سبحانه وتعالى، كما عليه المجبّرة.
والتفويض معناه: استقلال العباد بالأفعال استقلالاً كاملاً، بلا دخل للقضاء والقدر ونحوهما كما عليه بعض المعتزلة.
والأمر بين الأمرين بمعنى: صدور الفعل من العباد اختياراً مع تأثير التوفيق والخذلان من الله تعالى، وسبب التوفيق والخذلان الأفعال السابقة للعباد أنفسهم، وهذا ما بيّنه الأئمة عليهم السلام، ودلَّ عليه القرآن الكريم.

الحديث الأول:

[١] **(فجثا)**:
أي جلس على ركبتيه، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾(١).

---

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

وَقَدَرٍ؟ فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ: أَجَلْ يَا شَيْخُ مَا عَلَوْتُمْ تَلْعَةً[٢] وَلَا هَبَطْتُمْ بَطْنَ وَادٍ إِلَّا بِقَضَاءٍ مِنَ اللَّهِ وَقَدَرٍ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: عِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ عَنَائِي[٣] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ لَهُ: ....

---

[٢] **(تلعة):**

«تلعة» ما ارتفع من الأرض.

[٣] **(أحتسب عنائي):**

«العناء» المشقة والتعب، فإنَّ الشيخ لما توهم أنَّ معنى القضاء والقدر هو الجبر، تصور أنَّه لا يستحق ثواباً، فلذا رجا أن يتفضل الله عليه بالثواب من غير استحقاق له.

ثم لا يخفى أنَّ استحقاق الثواب على العمل الاختياري إنَّما هو لوعد الله تعالى، ولولا وعده لم يكن يستحق أحد ثواباً، إذ كل الطاعات لا تفي بشكر نِعَم الله تعالى على الناس، فمن أطاع فإنَّما يشكر بأقلّ من نعم الله تعالى، فلا يستحق ثواباً آخر، ولكن الله تعالى تفضّل فوعد بالثواب الجزيل، فجعل على نفسه حقاً، وذلك إنَّما يكون في الأفعال الاختيارية، أما غير الاختيارية فلا وعد للثواب عليها، فلا حق على الله تعالى، بل هو صرف تفضل، ولذا قال الشيخ (عند الله أحتسب عنائي)، وفي بعض الروايات قال الشيخ: (ولا أرى لي في ذلك أجراً).

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾(٢)، وقال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾(٣)، وقال: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾(٤)، وقد أشرنا إلى طرف من البحث في كتاب (التفكر في القرآن).

---

(١) سورة النور: الآية ٢١.

(٢) سورة النحل: الآية ١٨.

(٣) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٤) سورة النحل: الآية ٣٨.

مَهْ يَا شَيْخُ[٤]! فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَظَّمَ اللَّهُ الْأَجْرَ فِي مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ، وَفِي مَقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مُقِيمُونَ، وَفِي مُنْصَرَفِكُمْ وَأَنْتُمْ مُنْصَرِفُونَ وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِكُمْ مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ[٥].

---

[٤] (مه يا شيخ):

«مه» اسم فعل، بمعنى اسكت.

[٥] (ولا إليه مضطرين):

الإكراه والاضطرار إما بمعنى واحد ذكرهما تأكيداً.

أو إشارة إلى قولين للمجبرة حيث إنَّ بعضهم ذهب إلى أنَّ أفعال العباد كحركة المرتعش، فقوله: «لم تكونوا» ردّ على هذا الزعم، وذهب بعضهم إلى الكسب، أي إذا نوى العبد فعلاً فإنَّه تعالى يخلق ذلك الفعل فقوله: «ولا إليه مضطرين» ردٌّ على هذا الزعم.

توضيح ذلك أنّه قالت المجبرة بأنَّ أفعال العباد إنَّما توجد بقدرة الله وإرادته، من غير مدخل لقدرة العبد فيه وإرادته، وهؤلاء انقسموا إلى قولين:

الأول: إنَّ الفعل من الله تعالى، بلا تأثير لإرادة العبد وقدرته فيه، ولا كسب، فلا فرق عندهم بين الحركة بالمشي وبين حركة المرتعش، ولا بين الصاعد إلى السطح والساقط منه، وهذا مذهب الجهم بن صفوان وأتباعه.

الثاني: إنَّ أفعال العباد الاختيارية إنَّما توجد بقدرة الله وحده، وليس لقدرتهم تأثير فيها، لأنَّ الله سبحانه جرت عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً، فإذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لقدرة العبد واختياره، فيكون فعل العبد مخلوقاً لله إبداعاً وإحداثاً، ومكسوباً للعبد، والمراد بالكسب هو مقارنة فعل الله لقدرة العبد وإرادته، من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له، فنسبة الفعل إلى العبد إنَّما

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَكَيْفَ لَمْ نَكُنْ فِي شَيْءٍ مِنْ حَالَاتِنَا مُكْرَهِينَ وَلَا إِلَيْهِ مُضْطَرِّينَ، وَكَانَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ مَسِيرُنَا وَمُنْقَلَبُنَا[٦] وَمُنْصَرَفُنَا؟ فَقَالَ لَهُ: وَتَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ قَضَاءً حَتْماً وَقَدَراً لَازِماً[٧]؟ إِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ[٨] لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ، وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ، وَلَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ، وَلَكَانَ

هي لقيامه به لا لإيجاده له، وهذا مذهب الأشاعرة(١).

ولا يخفى أنَّ اختيارية أفعال العباد وصدورها منهم من البديهيات التي يعرفها كل عاقل، وأدلتهم التي أقاموها إنَّما هي شبهة مقابل البديهة، ولتفصيل أدلتهم وبيان بطلانها، وكذا أدلة المفوضة وبطلانها، وتفصيل معنى الأمر بين الأمرين، يراجع كتاب «كفاية الموحدين»(٢).

[٦] **(منقلبنا):**

أي مرجعنا، بمعنى المكان الذي أقاموا فيه ـ أي صفين ـ.

[٧] **(قدراً لازماً):**

أي بحيث لا يكون مدخل لاختيار العبد وإرادته.

[٨] **(إنَّه لو كان كذلك):**

أي لو كان إكراه واضطرار من العبيد، للزم بطلان الأمور التالية:

١ ـ الأمر والنهي، إذ لا معنى لأمر المكره أو نهيه، فلا معنى لأن نقول لمن يسقط من شاهق: لا تسقط!! لأنَّ هذا سفه، فلو شاهدنا مولى يأمر عبده الأسود ليكون أبيض لحكمنا عليه بالسفه.

٢ ـ الوعد بالجنة، والوعيد بالنار، لأنَّ الوعد والوعيد يكون بغرض الترغيب والترهيب، ولا معنى لهما من المكره، بل هو عبث وسفه.

٣ ـ الحمد واللوم، لأنَّ الحمد على الجميل الاختياري، واللوم على القبيح

---

(١) نقلنا القولين عن المرآة: ج٢ ص١٩٦، بتصرُّف.

(٢) كفاية الموحدين: ج١ ص٤٥٤ ـ ٥٠٣.

الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالْإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ[٩]، وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ[١٠]، تِلْكَ مَقَالَةُ إِخْوَانِ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ[١١] وَخُصَمَاءِ

الاختياري، والمكره لم يكن مختاراً لا على الجميل ولا على القبيح، بل هذا اللوم أو المدح عبث وسفه.

٤ ـ الثواب والعقاب، فإنَّ عقاب المكره ظلم، ولا معنى لثواب من لم يفعل شيئاً باختياره.

وهذا الترتيب هو الترتيب الزماني والرتبي، أي الأمر والنهي مقدمان زماناً ورتبة على الوعد والوعيد، وهما على الحمد واللوم، وهذان على الثواب والعقاب.

والإمام عليه السلام قدَّم في الذكر الأهم، فقدّم الثواب والعقاب لأنَّهما العلة الغائية، ولأنَّهما أهم من سائر ما ذكر.

[٩] **(أولى بالإحسان من المحسن):**

لأنَّه بإجباره على السيئة، يتحمل أضرارها الدنيوية واللوم عليها، فكان أولى بالإحسان ليكون تعويضاً له عمَّا لحقه من الأضرار.

[١٠] **(أولى بالعقوبة من المذنب):**

لأنَّه بإجباره على الحسنة، يحصل على منافعها الدنيوية وعلى مدح العقلاء له، فلا يكون ملزماً لإثابته مرَّة أخرى وقد حصل على الثواب، عكس المذنب، فإنَّه يتحمل الأضرار واللوم فكان أولى بالتعويض بأن يُثاب، وهذا المعنى هو الأقرب، وقيل في وجه الأولوية وجوهٌ أخرى، ذكرها في المرآة[١].

[١١] **(إخوان عبدة الأوثان):**

«تلك» أي الإكراه والاضطرار في جميع الأفعال، قول من ينتحل الإسلام لكنَّه يقول بمقالة عبدة الأوثان، فباشتراكهم في نسبة الباطل إلى الله تعالى صاروا إخواناً، فقد حكى الله تعالى كلام عباد الأصنام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا

---

(١) المرآة: ج٢ ص١٧٦ ـ ١٧٧.

الرَّحْمَنِ[١٢] وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ[١٣] وَقَدَرِيَّةِ هَذِهِ الأُمَّةِ[١٤] ....

حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾[١].

[١٢] **(وخصماء الرحمن):**

أي أعدائه، و«خصماء» عطف على «إخوان» أي تلك مقالة خصماء الرحمن، وذلك لأنَّهم نسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به، أي الجبر والظلم ـ بعذاب المجبور على المعصية ـ، ونحو ذلك من الأمور الباطلة، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[٢]، وشأن نزول الآية في اليهود، ومعاداتهم لله كانت بأن نسبوا إلى الله ما لا يليق، وكذا بعداوتهم لرسوله فإنَّ معاداة أولياء الله معاداة لله تعالى.

[١٣] **(وحزب الشيطان):**

أي من أتباعه قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[٣]، وكل منحرف عقائدي فإنَّما يتبع الشيطان فيكون من أتباعه وحزبه.

وفي المرآة[٤]: «أو لما لزمهم بطلان الأمر والنهي والتكليف، فيجوز له متابعة الشيطان في كل ما يدعوهم إليه».

وكان أحدهم يشرب الخمر، ويقول: إنَّ الله علم من الأزل بهذا الشرب، فلو امتنعت عن الشرب لكان علم الله جهلاً!! وكان هذا هو الجاهل بأنَّ العلم ليس سبباً للفعل، بل الفعل بالاختيار، وقد مرَّ سابقاً تفصيل عدم مدخلية علمه تعالى في اختيار العباد.

[١٤] **(قدرية هذه الأُمَّة):**

«القدرية» لفظ أُطلق في الروايات على المجبرة تارة وعلى المفوّضة تارة أخرى.

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٨.

(٣) سورة فاطر: الآية ٣٥.

(٤) المرآة: ج٢ ص١٧٨.

وَمَجُوسِهَا[١٥].

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً[١٦]، وَنَهَى تَحْذِيراً[١٧]، وَأَعْطَى

أما على المجبرة فلاعتقادهم بالقَدَر المحتوم في جميع أفعال العباد.
وعلى المفوّضة باعتبار إنكارهم القَدَر بشكل كامل في جميع أفعال العباد.
وفي المرآة(١): (ولا خلاف بين الأُمَّة في أنَّ النبي ﷺ ذمّ القدرية، لكن كلّ من الجبرية والتفويضية يسمّون خصومهم بها، وفي أخبارنا أطلقت عليهما، وإن كان في التفويضية أكثر).

[١٥] **(ومجوسها)**:
وجه تشبيههم بالمجوس هو أنَّ المجوس ـ على ما نُسب إليهم ـ قالوا: إنَّ نكاح المحارم بقضاء الله وقدره وإرادته ـ جبراً ـ، وهذا هو نفس كلام المجبرة في نسبة كل أفعال الخلق إلى الله تعالى.
وعن العلّامة الحلّي في شرح التجريد وجوهٌ متعدّدة في تشبيه هؤلاء بالمجوس، فراجع.

[١٦] **(كلّف تخييراً)**:
«تخييراً» مفعول لأجله، أي أمر لأجل أنَّ الإنسان مخيَّر، ولو كان مجبوراً لم يكن معنى للأمر بل كان لغواً وعبثاً، كأمر الساقط من شاهق بالسقوط أو بالتوقف!!
قال تعالى: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَـٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢) أي لا نكلّف إلَّا بما هو مقدور للإنسان بسهولة.

[١٧] **(ونهى تحذيراً)**:
أي لأجل التحذير من المعاصي، لا على وجه الجبر، قال تعالى: ﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣).

---

(١) المرآة: ج٢، ص١٧٨.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦٢.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً[١٨]، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً[١٩]، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً[٢٠]، وَلَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً[٢١]، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً[٢٢]، ....

---

[١٨] **(على القليل كثيراً):**

ترغيباً في الطاعة والاجتناب عن المعصية، ولو كان جبراً لم يكن معنى لهذا العطاء ولا لهذا الترغيب.

[١٩] **(لم يعص مغلوباً):**

أي إنَّ تخييره للعباد، لا يستلزم أن يكون مغلوباً حين عصيانهم له، بل هو الذي أعطاهم القدرة والاختيار وشاء أن يختبرهم، فإذا عصاه عاصٍ، فليس ذلك بمعنى غلبة إرادة العاصي على إرادته تعالى، بل هو الغالب القاهر ولكن لم يمنع العاصي عن العصيان لمصلحة الامتحان وغيره.

[٢٠] **(لم يطع مكرهاً):**

«مكره» إمَّا اسم مفعول، فالمعنى كالمقطع السابق، أي لا يستلزم أن يكون مغلوباً حين طاعتهم له، بل طاعتهم إنَّما هي بالقدرة والاختيار والتوفيق الذي أعطاهم.

وإمَّا اسم فاعل، فالمعنى أنَّه لم يطعه المطيعون حال كونه قد أكرههم على الطاعة، بل أطاعوه باختيارهم.

[٢١] **(لم يملّك مفوضاً):**

من باب التفعيل، أي لم يملّكهم القدرة والاختيار حال كونه مفوضاً لهم فلا يكون أمر ولا نهي ولا توفيق ولا خذلان، بل أمرهم ونهاهم ووفّق المطيع وخذل العاصي.

[٢٢] **(وما بينهما باطلاً):**

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ

وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً[٢٣]، ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

فَأَنْشَأَ الشَّيْخُ يَقُولُ:

أَنْتَ الإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بِطَاعَتِهِ ... يَوْمَ النَّجَاةِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانَا

أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا مَا كَانَ مُلْتَبِساً ... جَزَاكَ رَبُّكَ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانَا

ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾(١)، وفي التبيين(٢): «باطلاً» لا حكمة فيه حتى يكون خلق الإنسان بلا جزاء ولا حساب.

ووجه استدلال الإمام عليه السلام بهذه الآية هو أنَّ الجبر والتفويض ينافيان الجزاء، ولولا الجزاء كان الخلق باطلاً، والله يتعالى عن فعل العبث، بل خلقهم بغرض العبادة ليرحمهم، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) وقال: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(٤).

[٢٣] (ومنذرين عبثاً):

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾(٥) والأنبياء عليهم السلام هم مبشرون بثوابه ومنذرون عن عقابه، ولو كان جبر أو تفويض لم يكن معنى لتبشير المؤمنين ولا لتحذير العصاة، فكان إرسالهم عبثاً، وتعالى الله عن ذلك.

وروي هذا الحديث الشريف في نهج البلاغة بتفاوت يسير(٦).

---

(١) سورة ص: الآيات ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) تبيين القرآن: ص٤٦٧.
(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.
(٤) سورة هود: الآية ١١٩.
(٥) سورة المؤمنون: الآيتان ١١٥ ـ ١١٦.
(٦) نهج البلاغة: قصار الحكم، الحكمة ٧٨.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ[١] قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ[٢]، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ إِلَيْهِ[٣] فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ.

الحديث الثاني:

[١] **(عن أبي عبد الله):**

الحديث يتطرق إلى أمرين:

الأول: إنَّ الله لا يأمر بالقبائح تشريعاً، وفيه ردّ على الأشاعرة حيث توهموا أنَّ لا حَسَن ولا قبيح إلَّا ما حسّنه الشارع أو قبحه، فجوّزوا أن يأمر الله بالفحشاء فتكون فعلاً حسناً!!

الثاني: إنَّ الله لا يجبر أحداً على الطاعة أو المعصية بل جعل الناس مختارين.

[٢] **(فقد كذب على الله):**

لأنَّه خالف قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(١).

و«الفاحشة» المعصية الكبيرة، وقيل هي الفعل القبيح جداً، وأمّا قوله: ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ففي المرآة(٢): (أي بأمر يجد العقل السليم قبحه، بل لا يأمر إلَّا بمحاسن الأعمال والعقائد).

ولو كان الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه، لم يكن معنى لقوله: ﴿لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ بل على كلامهم الباطل يجوز أن يأمر الله بكلّ شيء فيكون حسناً حتى إذا كان من الفحشاء.

[٣] **(الخير والشر إليه):**

أي إلى الله تعالى، بمعنى أنَّ الله يجبر عباده على الطاعة والمعصية، وقد مرَّ

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٨.

(٢) المرآة: ج٢، ص١٨٣.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: اللَّهُ فَوَّضَ الْأَمْرَ[١] إِلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ[٢].

قُلْتُ: فَجَبَرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ وَأَحْكَمُ مِنْ ذَلِكَ[٣]، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: قَالَ اللَّهُ[٤]: ....

أنَّ الخير والشّر قد يُراد بهما الطاعة والمعصية، والجبر كذب على الله تعالى لأنَّه لم يجبر أحداً، قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(١).

الحديث الثالث:

[١] **(فوّض الأمر):**
تكويناً: بأن لا يكون له أية مدخلية في أفعال العباد.
وتشريعاً: بأن لا يأمر ولا ينهى.

[٢] **(أعزّ من ذلك):**
أي أكثر عزّة وقهراً وقدرة من أن يتمكَّن أحد من أن يعمل مستقلاً في ملكه تعالى، بل لا بدَّ من إذنه التكويني في أفعال العباد، وحكمه التشريعي.

[٣] **(أعدل وأحكم من ذلك):**
لأنَّه يُعاقب على المعصية، وعقاب المجبور ظلم، «أحكم» إمَّا بمعنى أعدل فيكون تأكيداً، وإمَّا من الحكمة فالمراد أنَّه لا حكمة في الجبر.

[٤] **(قال الله):**
لعلَّ الاستشهاد بهذا الحديث القدسي، لوجود كلمة «أولى»، فالعبد يُحسن أو يُسيء بما أعطاه الله من القوَّة والإرادة والأدوات وعدم الإكراه وعدم المانع، وفي الوقت نفسه كانت الحسنات والسيِّئات باختيار العبد.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٨.

(يَا ابْنَ آدَمَ أَنَا أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ[٥]، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي[٦]، عَمِلْتَ الْمَعَاصِيَ[٧] بِقُوَّتِيَ الَّتِي جَعَلْتُهَا فِيكَ).

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَرَّارٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: يَا يُونُسُ لَا تَقُلْ بِقَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ[١]، ....

---

[٥] (أولى بحسناتك منك):
لأنّه تعالى هيّأ المقدّمات، ثم بيّن الحسنات للمكلّفين ـ بالشرائع أو بالعقول ـ ووفق إليها. فالفعل وإن صدر من العبد لكن الفضل يرجع إليه تعالى.

[٦] (بسيّئاتك منّي):
لأنَّه تعالى هيّأ تلك المقدِّمات لأجل الطاعة، لكن العبد بسوء اختياره عصىٰ، فلذا تكون الحجَّة عليه أتم، فهو أولى بتلك السيّئات.
ومَثَلهما مَثَل مولى أعطى مالاً للعبد ليتصدَّق به، فإن أطاع كان المولى أولى بتلك الطاعة، وإن عصى وصرف المال في الحرام، فلا لوم على المولى، بل العبد يكون أولى بالسيِّئة لأنَّه بدَّل النعمة كفراناً.

[٧] (عملت المعاصي):
هذه الفقرة إمَّا تعليل لقوله: (أنت أولى بسيئاتك مني) وذلك لأنَّ الله أعطاه القوَّة للطاعة لا للمعصية.
وإمَّا بيان لعدم التفويض في الأفعال ـ حتى المعاصي ـ حيث إنَّ العبد ارتكب المعصية بقدرة أعطاها الله إيَّاه، فلم يكن خارجاً عن سلطانه تعالى، ولكن الذمّ يلحق العبد حصراً، لأنَّ تلك القوَّة أُعطيت للطاعة وجعل له الاختيار للاختبار، لكنَّه سقط في الامتحان وحوَّل النعمة نقمة.

الحديث الرابع:

[١] (بقول القدرية):
المراد بهم ـ هنا ـ المفوضة، لأنَّهم ينكرون ـ بشكل مطلق ـ قضاء الله وقدره

فَإِنَّ الْقَدَرِيَّةَ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ[٢]، وَلَا بِقَوْلِ أَهْلِ النَّارِ[٣]، وَلَا بِقَوْلِ

في أفعال العباد، ويقولون باستقلال العبد في أفعاله.

[٢] **(بقول أهل الجنَّة):**

حيث أسندوا هدايتهم إلى الله تعالى، وقد ذكرنا في (التفكُّر في القرآن) أنَّ كلّ كمال إنَّما يرجع إلى الله تعالى، وكذا ترتّب المعلول على علّته هو من فعله تعالى ـ بمعنى أنَّه أذن تكويناً في ذلك كترتب الحرارة على النار، ولو لم يأذن في ذلك انتفت العلية كما في نار إبراهيم عليه السلام ـ، وهذا لا يُنافي كون المقدّمات الأخيرة بفعل العبد، كمن يُلقي نفسه من شاهق، فإنَّ المعلول وهو الموت يكون بإذنه تعالى، مع كون بعض المقدّمات من اختيار العبد.

[٣] **(ولا بقول أهل النار):**

من إسناد ضلالتهم إلى شقوتهم، فإنَّ الشقاء ـ وهو الختم بالسوء ـ إنَّما هو بإرادة الله تعالى، ولكن بعض أسباب الشقاء بسوء اختيارهم، وفي الحديث: (بأعمالهم شقوا)، قال تعالى: ﴿...فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(١)، ووجه الاستشهاد بقولهم، هو تقرير الله تعالى لقولهم، فإنَّ الله تعالى إذا ذكر قولاً في القرآن ولمْ ينفِه فقد أقرّه.

ولو كان كلاماً باطلاً منهم لردَّه تعالى، لأنَّ القرآن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ونقل قول باطل وعدم ردّه هو بمعنى وجود الباطل فيه، والقرآن حق مطلق.

أما نقل قول باطل بغرض ردّه فليس من الباطل بل هو الحق.

وهنا لم يَرُدّ القرآن قولهم، فكان عدم الرد تقريراً للكلام وإثباتاً لصحته.

---

(١) سورة طه: الآيتان ١٢٣ ـ ١٢٤.

إِبْلِيسَ[٤]، فَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالُوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]. وَقَالَ أَهْلُ النَّارِ: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا﴾ [المؤمنون: ١٠٦]. وَقَالَ إِبْلِيسُ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]. فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَقُولُ بِقَوْلِهِمْ وَلَكِنِّي أَقُولُ: لَا يَكُونُ إِلَّا بِمَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، فَقَالَ: يَا يُونُسُ لَيْسَ هَكَذَا[٥]: لَا يَكُونُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ وَقَضَى، يَا يُونُسُ

---

[٤] **(ولا بقول إبليس):**

حيث نسب الإغواء إليه تعالى، ومعنى الإغواء هو الخذلان ومنع اللطف عنه، بسبب كفره الباطني، وقد أظهره بامتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، ولذا قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(١)، وفي التبيين(٢): ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾(٣) أي سبَّبت ضلالي بخلق آدم، وفيه أيضاً(٤): ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾(٥): بسبب إغوائك لي، بأن هيَّأت سبب ضلالي.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾(٦)، أي يُضلّكم بترككم وشأنكم حتى تضلوا ـ كما في التبيين(٧) ـ.

[٥] **(يا يونس ليس هكذا):**

الفرق بين كلام يونس، وقول الإمام عليه السلام هو في الباء، ولعلَّ يونس كان يقصد بها باء السببية، حيث إنَّ الإمام لما نفى التفويض توهّم يونس الجبر، وتوهم أنَّ مشيئته وإرادته وقدره وقضاءه هي علّة تامَّة لصدور الفعل من العبد جبراً، فأراد الإمام عليه السلام إبطال الجبر أيضاً وإثبات الأمر بين الأمرين.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٤.
(٢) التبيين: ص١٦٤.
(٣) سورة الأعراف: الآية ١٦.
(٤) التبيين: ص٢٧٦.
(٥) سورة الحجر: الآية ٣٩.
(٦) سورة هود: الآية ٣٤.
(٧) التبيين: ص٢٣٧.

تَعْلَمُ مَا الْمَشِيئَةُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الذِّكْرُ الْأَوَّلُ[٦]، فَتَعْلَمُ مَا الْإِرَادَةُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الْعَزِيمَةُ عَلَى مَا يَشَاءُ[٧]، فَتَعْلَمُ مَا الْقَدَرُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هِيَ الْهَنْدَسَةُ وَوَضْعُ الْحُدُودِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالْفَنَاءِ[٨]، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: وَالْقَضَاءُ

[٦] **(هي الذكر الأوَّل):**

أي اللوح المحفوظ، فإنَّه أوَّل مخلوق له تعالى، كما مرَّ في قول الإمام الصَّادق عليه السلام: (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة)(١).

وقد مرَّ أنَّ البداء وتغيير القضاء والمقدرات لا يُنافي الذكر في اللوح المحفوظ، لأنَّها أيضاً مسجلة فيه.

وقيل: الذكر الأول هو لوح المحو والإثبات، والأول أقرب.

[٧] **(العزيمة على ما يشاء):**

يمكن أن يكون معنى الإرادة ـ إذا تقابلت مع المشيئة ـ هو تَهْيِئَة المقدّمات القريبة فيكون معنى العزيمة هو نتيجة العزيمة، أي الإيجاد لتلك المقدّمات، وذلك لعدم معقولية العزيمة ـ بمعناها الحقيقي ـ فيه تعالى، لاستلازمها التغيُّر في الذات.

وفي المرآة(٢): ولعلَّ المراد بها هنا الإثبات ثانياً مع بعض الخصوصيات، أو الأخذ في خلق أسباب وجوده البعيدة.

[٨] **(هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء):**

أي إثبات الخصوصيات والمشخَّصات للشيء، والهندسة معرب (أندازة)، والمهندس: هو مقدر مجاري القناة حيث تُحفر، ثم عمَّم في تحديد مجاري الأمور كلها بوضع خرائط الشيء لكي تُرتّب الأسباب على طبق تلك الخريطة.

وتقدير الله: هو إثبات مشخَّصات الشيء وترتيب أسبابه القريبة ـ أو البعيدة أحياناً ـ.

---

(١) مرَّ توضيح الحديث في: (باب الإرادة وأنَّها من صفات الفعل) الحديث الثاني.

(٢) المرآة: ج١، ص١٨٦.

هُوَ الْإِبْرَامُ وَإِقَامَةُ الْعَيْنِ[٩]، قَالَ: فَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أُقَبِّلَ رَأْسَهُ وَقُلْتُ: فَتَحْتَ لِي شَيْئاً كُنْتُ عَنْهُ فِي غَفْلَةٍ.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عُمَرَ الْيَمَانِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَعَلِمَ مَا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ[١]، وَأَمَرَهُمْ وَنَهَاهُمْ، فَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِهِ[٢]، وَلَا يَكُونُونَ

---

[٩] (وإقامة العين):

فالقضاء في هذا الحديث شمل الإمضاء ـ وهو الإيجاد ـ أيضاً و«الإبرام»: إحكام الشيء بحيث لا يكون فيه خلل قال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾(١) أي لا يوجد تناقص وعدم تناسب، وقال سبحانه: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾(٢).

الحديث الخامس:

[١] (فعلم ما هم صائرون إليه):

فليس أمره ونهيه لأجل أن يعلم، فإنَّه كان يعلم من الأزل، كما أنَّ علمه ليس سبباً لأفعالهم.

[٢] (فقد جعل لهم السبيل إلى تركه):

بأن أعطاهم القدرة للفعل والترك، إذ لا معنى للأمر مع الاضطرار إلى الفعل.

ولم يذكر الإمام عليه السلام القدرة على المنهي عنه، لوضوح ذلك بعد ذكر القدرة على المأمور به.

على أنَّ القدرة في النهي ذكرت في رواية الاحتجاج عن الإمام

---

(١) سورة الملك: الآية ٣.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٧٩.

آخِذِينَ وَلَا تَارِكِينَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ[٣].

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ حَفْصِ بْنِ قُرْطٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ[١]، ....

العسكري عليه السلام: «أنَّ أبا الحسن موسى عليه السلام قال: إنَّ الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلَّا بإذنه، وما جبر أحداً على معصيته بل اختبرهم كما قال: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(١).

[٣] (إلا بإذن الله):

أي التكويني، فقد شاء أن يكون العبد مختاراً وأن لا توجد الموانع أمام إرادته وفعله ـ عادة ـ، نعم في بعض الأحيان تكون إرادة حتمية من الله لوقوع أو عدم وقوع الفعل، فلا رادّ لإرادته تعالى، كما في سلب الحرارة عن نار إبراهيم عليه السلام، وكما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

والغرض من قوله: «إلَّا بإذن الله» بيان نفي التفويض المطلق، كما أنَّ قوله: «فقد جعل لهم السبيل» بيان نفي الجبر.

الحديث السادس:

[١] **(بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله):**

لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)،

---

(١) الاحتجاج: ج١، ص٣٣٠، سورة الملك: الآية ٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٨.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِغَيْرِ مَشِيئَةِ اللَّهِ[٢] فَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهَ مِنْ سُلْطَانِهِ[٣]،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾(١).

ومعنى «السوء» هو القبيح، أي لا يأمر الله تعالى بالقبيح ولا بالفحشاء فيكون ذكر الفحشاء بعد السوء من ذكر الخاص بعد العام.

[٢] **(بغير مشيئة الله):**

أي توهم أنَّ الله شاء تكويناً أن لا تقع المعصية، ولكن مع ذلك وقعت، فغلبت مشيئة العاصي مشيئة الله!!

[٣] **(فقد أخرج الله من سلطانه):**

لأنَّه توهم غلبة مشيئة العبد على مشيئة الرَّبّ، والمغلوب عاجز لا سلطان له.

والصحيح هو أنَّ الإرادة الحتمية التكوينية لم تكن في المنع عن المعصية، بل شاء الله أن يكون العباد مختارين، ولم يجعل موانع تكوينية عن المعاصي، بل اكتفى بالنهي ـ عادة ـ قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٢) فإذا وقعت معاصٍ فإنَّما هي لأنَّ الله شاء أن يكون العباد مختارين وشاء أن لا يمنعهم بالإجبار، ولذا لا تنافي بين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾(٣)، وبين قوله سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾(٤)، فإنَّ الأولى لنفي الإجبار، فإنَّه تعالى قادر على إجبارهم على التوحيد لكنَّه لم يفعل لأجل الاختبار، والثانية نقل كلامهم في نسبة الجبر إليه تعالى، وأنَّهم مجبورون على الشرك أو أنَّ الله يريد الشرك ولذا لم يمنعهم منه.

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٧.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٤٨.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ بِغَيْرِ قُوَّةِ اللَّهِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ[٤]، وَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ».

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيسَى، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْقَدَرِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا هَذَا أَسْأَلُكَ؟ قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا لَا يُرِيدُ؟ قَالَ: فَأَطْرَقَ طَوِيلاً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: يَا هَذَا! لَئِنْ قُلْتُ: إِنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ إِنَّهُ لَمَقْهُورٌ. وَلَئِنْ قُلْتُ: لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ أَقْرَرْتُ لَكَ بِالْمَعَاصِي[١]، قَالَ:

---

[٤] (بغير قوّة الله فقد كذب على الله):
قال تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(١)، ومن زعم أنَّ القوَّة من غير الله فقد أشرك بالله تعالى حيث أدخل في سلطانه تعالى غيره.
فالقوَّة التي أعطاها الله للإنسان، أعطاها لأجل أن يستفيد منها استفادة صحيحة، ولكنَّه تعالى اختباراً للعبد جعله مختاراً ولم يمنعه من المعاصي بالإجبار، فإذا عصى فإنَّما يعصي بالأدوات التي حباها الله تعالى فضلاً ونعمة، لكن العبد بسوء اختياره حوَّلها إلى كفران للنعمة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(٢).

الحديث السابع:

[١] (أقررت لك بالمعاصي):
أي أقررت لك بأنَّه تعالى يريد المعاصي، مع أنَّ الله لا يريدها بل يريد الطاعات.
والحاصل أنَّ كلا الشقّين فيه إشكال:
١ ـ أنَّه لا يريد، ومع ذلك يقع في ملكه ما لا يريد، وهذا صفة المغلوب المقهور، والله متعالٍ عن ذلك.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٩.
(٢) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: سَأَلْتُ هَذَا الْقَدَرِيَّ فَكَانَ مِنْ جَوَابِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: لِنَفْسِهِ نَظَرَ[٢] أَمَا لَوْ قَالَ غَيْرَ مَا قَالَ: لَهَلَكَ.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ زَعْلَانَ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ الْقُمِّيِّ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قُلْتُ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرَ؟ قَالَ: قَالَ: لَا، قَالَ: قُلْتُ: فَمَاذَا؟ قَالَ: لُطْفٌ مِنْ رَبِّكَ[١] بَيْنَ ذَلِكَ[٢].

---

٢ ـ أنَّه يريد كل أفعال العباد، ومن أفعالهم القبائح والمعاصي، وهذا لا يمكن الالتزام به.

والحقّ هو في الشقّ الثالث ـ وهو الأمر بين الأمرين ـ: بأنَّ الله تعالى أراد أن يكون العبد قادراً على اختيار الخير أو الشر، وأعطاه الوسيلة لذلك، ثم حصره بالأمر والنهي، ولم يحصره بالطاعة والمعصية ـ أي لم يجبره عليهما ـ اختباراً له وامتحاناً.

[٢] **(فقال: لنفسه نظر):**

أي احتاط لنفسه، فلم يقل ما يوجب هلاكه، أو بمعنى أنَّه رجع إلى عقله ورأى بطلان كلا الشقّين فلذا لم يعاند، والأول أقرب.

الحديث الثامن:

[١] **(لطف من ربّك):**

أي برّ ورحمة منه تعالى، لأنَّ من معاني اللُّطف: البرّ، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾(١)، أي بارّ بهم، لأنَّ من رحمته تعالى أن خلق الإنسان قادراً مختاراً، ومع ذلك أمره ونهاه، وهيَّأ له أسباب الطاعة وبعَّده عن أسباب المعصية، ـ إلا إذا رفضها الإنسان بسوء عمله فلا يكون لائقاً للتوفيق ـ، وكل ذلك لطف منه تعالى.

[٢] **(بين ذلك):**

الأمر بين الأمرين: هو أنَّ الله لم يحمل العباد على الفعل بالقسر

---

(١) سورة الشورى: الآية ١٩.

والاضطرار، ولم يتركهم سدى بلا أمر ولا نهي، بل إنَّ الله تعالى أقدر الخلق على أفعالهم، ومع ذلك أمرهم ونهاهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ثم إنَّ الله في كلّ فعل من أفعال العباد له إرادة بأن لا يجعل مانعاً فيتحقَّق الفعل أو يجعل مانعاً فلا يتحقَّق ما أراده العبد، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، أي يشاء الله بإعطائكم القدرة وبعدم إيجاد المانع.

وعن الإمام الحسن بن علي عليه السلام: والذي أنا عليه أنَّه مَن لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه فقد كفر، ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر، إنَّ الله لا يُطاع بإكراه، ولا يُعص بغلبة، ولا أهمل العباد من الملكة، ولكنَّه عزَّ وجلَّ المالك لما ملّكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن الله عزَّ وجلَّ لهم صادّاً، ولا عنها مانعاً، وإن ائتمروا بالمعصية، فشاء الله أن يمنّ عليهم فيحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو حملهم عليها إجباراً، ولا ألزمهم بها إكراهاً، بل احتجاجه ـ عزَّ ذكره ـ عليهم أن عرَّفهم وجعل لهم السبيل إلى فعل ما دعاهم إليه، وترك ما نهاهم عنه، وللَّه الحجَّة البالغة.

قال الفاضل الاسترابادي: معنى الأمر بين الأمرين: أنَّهم ليسوا بحيث ما شاؤوا صنعوا، بل فعلهم معلَّق على إرادة حادثة متعلقة بالتخلية أو بالصرف [يعني عدم إيجاد المانع، أو بإيجاد المانع] وفي كثير من الأحاديث أنَّ تأثير السحر موقوف على إذنه تعالى، وكان السِّر في ذلك أنَّه لا يكون شيء من طاعة أو معصية أو غيرهما كالأفعال الطبيعية إلَّا بإذن جديد منه تعالى، فتوقف حينئذٍ كلّ حادث على الإذن، توقف المعلول على شروطه، لا توقفه على سببه[2].

وقال العلامة المجلسي رضوان الله عليه:

الجبر المنفي، قول الأشاعرة والجبرية ـ كما عرفت ـ.

(١) سورة التكوير: الآية ٢٨.

(٢) نقله عنه في المرآة: ج٢ ص٢٠٥ ـ ٢٠٦.

والتفويض المنفي: هو قول المعتزلة: أنَّه تعالى أوجد العباد وأقدرهم على أعمالهم، وفوّض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها على وفق مشيئتهم وقدرتهم، وليس لله سبحانه في أعمالهم صنع!!.

وأمّا الأمر بين الأمرين: فهو أنَّ لهداياته وتوفيقاته تعالى مدخلاً في أفعالهم، بحيث لا يصل إلى حدّ الإلجاء والاضطرار، كما أنَّ لخذلانه سبحانه مدخلاً في فعل المعاصي وترك الطاعات، لكن لا بحيث ينتهي إلى حدّ لا يقدر معه على الفعل أو الترك، وهذا أمر يجده الإنسان من نفسه في أحواله المختلفة، وهو مثل أن يأمر السيِّد عبده بشيءٍ يقدر على فعله، وفهَّمه ذلك، ووعده على فعله شيئاً من الثواب، وعلى تركه قدراً من العقاب، فلو اكتفى من تكليف عبده بذلك، ولم يزد عليه مع علمه بأنَّه لا يفعل الفعل بمحض ذلك لم يكن لوماً عند العقلاء لو عاقبه على تركه، ولا يُنسب عندهم إلى الظلم، ولا يقول عاقل إنَّه أجبره على ترك الفعل، ولو لم يكتف السيِّد بذلك، وزاد في ألطافه والوعد بإكرامه والوعيد على تركه، وأكَّد ذلك ببعث من يحثّه على الفعل، ويرغِّبه فيه ويحذِّره على الترك، ثم فعل ذلك الفعل بقدرته واختياره، فلا يقول عاقل إنَّه أجبره على الفعل.

أمّا فعل ذلك بالنسبة إلى قوم وتركه بالنسبة إلى آخرين، فيرجع إلى حسن اختيارهم وصفاء طويتهم، أو سوء اختيارهم وقبح سريرتهم، أو إلى شيء لا يصل إليه علمنا.

فالقول بهذا لا يوجب نسبة الظلم إليه سبحانه، بأن يُقال: جبرهم على المعاصي ثم عذَّبهم عليها ـ كما يلزم الأولين [أي الأشاعرة] ـ، ولا عزله تعالى من ملكه واستقلال العباد، بحيث لا مدخل لله في أفعالهم، فيكونون شركاء لله في تدبير عالم الوجود ـ كما يلزم الآخرين [أي المعتزلة] ـ[١].

(١) مرآة العقول: ج٢ ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليهما السلام قَالَا: إِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِخَلْقِهِ مِنْ أَنْ يُجْبِرَ خَلْقَهُ عَلَى الذُّنُوبِ ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا. وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُرِيدَ أَمْراً فَلَا يَكُونَ[١]، قَالَ: فَسُئِلَا عليهما السلام هَلْ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ مَنْزِلَةٌ ثَالِثَةٌ؟ قَالَا: نَعَمْ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ[٢].

١٠ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سُئِلَ عَنِ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ؟ فَقَالَ: لَا جَبْرَ وَلَا قَدَرَ وَلَكِنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَهُمَا، فِيهَا الْحَقُّ[١]، الَّتِي

الحديث التاسع:

[١] (يريد أمراً فلا يكون):

«العزّة»: القهر والغلبة، فهو تعالى عزيز حكيم، فلا تغلب إرادة على إرادته تعالى، فهو أراد أن لا توجد الموانع بين العباد وبين ما يريدون ـ عادة ـ لحكمته حيث أراد اختبارهم.

[٢] (بين السماء والأرض):

أي ما بين الجبر والتفويض احتمالات كثيرة، فإنَّ وقوع الفعل يتوقف على مقدِّمات كثيرة، آخرها إرادة العبد باختياره، فلنفرض أنَّ المقدّمات ألف مقدِّمة، والمقدِّمة الأولى غير اختيارية، والمقدمة الأخيرة اختيارية، وسائر المقدّمات يمكن أن تكون بالاختيار أو بغير الاختيار، فكانت محتملات الأمر بين الأمرين ٩٩٨ احتمالاً ـ مثلاً ـ.

الحديث العاشر:

[١] (فيها الحقّ):

أي في تلك المنزلة الحقّ، فإنَّ الجبر باطل، والتفويض باطل.

بَيْنَهُمَا[٢] لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الْعَالِمُ أَوْ مَنْ عَلَّمَهَا إِيَّاهُ الْعَالِمُ[٣].

١١ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ عِدَّةٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَجْبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ: اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى الْمَعَاصِي ثُمَّ يُعَذِّبَهُمْ عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَفَوَّضَ اللَّهُ إِلَى الْعِبَادِ؟ قَالَ: فَقَالَ: لَوْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَحْصُرْهُمْ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ[١]، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَبَيْنَهُمَا مَنْزِلَةٌ قَالَ: فَقَالَ: نَعَمْ أَوْسَعُ

---

[٢] (التي بينهما):

«التي» مبتدأ، «لا يعلمها» خبر.

ويمكن جعل «التي» صفة للحقّ، وتأنيثها باعتبار أنَّ معنى الحقّ هو «المنزلة».

[٣] (علّمها إيَّاه العالم):

لدقَّة هذه المسألة، ولكثرة الشُّبهات، ولوجود الآيات المتشابهات فيها، ولا يعلم تأويلها إلَّا الله والراسخون في العلم ومن تعلَّم من الراسخين في العلم.

الحديث الحادي عشر:

[١] (لم يحصرهم بالأمر والنهي):

فإنَّ التفويض هو إيكال الفعل إلى العباد من غير مدخلية له تعالى فيه - لا تشريعاً ولا تكويناً -، وهذا الحديث ناظر إلى نفي التفويض التشريعي، فعن الإمام علي الهادي عليه السلام: «فمن زعم أنَّ الله فوَّض قبول أمره ونهيه إلى عباده، فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كلّ ما عملوا من خير أو شر، وأبطل أمر الله تعالى ونهيه»(١).

وعن الشيخ المفيد رضوان الله عليه: «والتفويض برفع الحظر عن الخلق في

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص٤٩٣، الاحتجاج رقم ٣٢٨.

مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

١٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرُهُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام: إِنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا يَقُولُ بِالْجَبْرِ، وَبَعْضَهُمْ يَقُولُ بِالِاسْتِطَاعَةِ قَالَ: فَقَالَ لِي: اكْتُبْ[١] بِسْمِ اللَّهِ

الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال، وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات.

والواسطة بين القولين ـ يعني الجبر والتفويض ـ أنَّ الله أقدر الخلق على أفعالهم ومكَّنهم من أعمالهم وحدَّ لهم الحدود في ذلك ورسم لهم الرسوم، ونهاهم عن القبائح بالزجر والتخويف، والوعد والوعيد، فلم يكن بتمكينهم من الأعمال مجبراً لهم عليها، ولم يفوِّض إليهم الأعمال لمنعهم عن أكثرها، ووضع الحدود لهم فيها وأمرهم بحسنها ونهاهم عن قبيحها، فهذا هو الفصل بين الجبر والتفويض»(١).

الحديث الثاني عشر:

[١] **(فقال لي اكتب):**

مرَّ هذا الحديث في باب المشيئة والإرادة، الحديث السادس، بألفاظ متقاربة، إلَّا أنَّ الكليني رضوان الله عليه كرَّره هنا لمناسبة الباب، ولتعدُّد الإسناد، ولزيادة (قد نظمت لك كل شيء تريد) في آخره.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾(٢) وقال: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾(٣) وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾(٤)، وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾(٥)، وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ

---

(١) نقله عنه في المرآة: ج٢ ص٢٠١.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٣٠.

(٣) سورة الكهف: الآية ٣٩.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٢٨.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٢.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (يَا ابْنَ آدَمَ بِمَشِيئَتِي كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي تَشَاءُ، وَبِقُوَّتِي أَدَّيْتَ إِلَيَّ فَرَائِضِي، وَبِنِعْمَتِي قَوِيتَ عَلَى مَعْصِيَتِي، جَعَلْتُكَ سَمِيعاً، بَصِيراً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ، وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ، وَذَلِكَ أَنِّي أَوْلَى بِحَسَنَاتِكَ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَوْلَى بِسَيِّئَاتِكَ مِنِّي، وَذَلِكَ أَنِّي لَا أُسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ، قَدْ نَظَمْتُ لَكَ كُلَّ شَيْءٍ تُرِيدُ[٢]).

١٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ وَلَكِنْ أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، قَالَ مَثَلُ ذَلِكَ[١]: رَجُلٌ رَأَيْتَهُ عَلَى

حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾(١)، وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٢) فالأصل في النفس هو اتباع الشيطان فلذا كانت أولى بالسيِّئات، ولكن بفضل الله تعالى لم يتبعه المؤمنون فلذا كان تعالى أولى بتلك الحسنات، وقد مرَّ شرح هذه الفقرات تفصيلاً.

[٢] (قد نظمت لك كل شيء تريد):

الظاهر أنَّ هذا المقطع هو تتمَّة للحديث القدسي، والمعنى قد هيَّأت لك كلّ شيء تريده من الخيرات في الدُّنيا والآخرة، فإن لم تصل إليها فبسوء اختيارك.

ويحتمل أن يكون من كلام الإمام الرِّضا عليه السلام، فالمعنى أنِّي بذكر هذا الحديث القدسي قد أجبت عن سؤالك بشكلٍ وافٍ.

الحديث الثالث عشر:

[١] (قال: مثل ذلك):

دلَّ الحديث على أنَّ الأمر بين الأمر: يشمل التشريع فلا تفويض فيه، كما

---

(١) سورة النساء: الآية ٧٩.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

مَعْصِيَةٍ فَنَهَيْتَهُ فَلَمْ يَنْتَهِ فَتَرَكْتَهُ فَفَعَلَ تِلْكَ الْمَعْصِيَةَ[٢] فَلَيْسَ حَيْثُ لَمْ يَقْبَلْ مِنْكَ فَتَرَكْتَهُ كُنْتَ أَنْتَ الَّذِي أَمَرْتَهُ بِالْمَعْصِيَةِ.

١٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: اللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُكَلِّفَ النَّاسَ مَا لَا يُطِيقُونَ[١]، وَاللَّهُ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي سُلْطَانِهِ

يشمل التكوين بمعنى مدخلية توفيقه وخذلانه في أفعال العباد.

ولا يخفى أنَّ بعض الأحاديث ذكرت جانباً من جوانب المعنى، وذلك إمَّا مراعاة لحال السامع وفهمه، أو للاكتفاء لتوضيح الأمر وردّ المخالف بذلك، أو لجهات أخرى، وهذا حال الكثير من الآيات والأخبار، حيث فيها تفصيل وإيجاز بمعنى أنَّ بعضها تبيِّن جوانب أكثر وبعضها تقتصر على جانب واحد مثلاً، ولا تُنافي بينها، وكما يُقال «المُثبتَيْن لا تخالف بينهما»، كما لو وصفت داراً لزيد فقلت إنَّ فيها غرفة صفاتها كذا، ثم وصفتها لعمرو بأن غرفتها كذا وصالتها كذا، ثم وصفتها لبكر بأنَّ غرفتها كذا وصالتها كذا وحديقتها كذا. . .الخ فلا تنافي بين الكلمات الثلاث وإنَّما الفرق في الزيادة والنقصان.

[٢] **(فتركته ففعل تلك المعصية):**

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ﴾(١).

الحديث الرابع عشر:

[١] **(ما لا يطيقون):**

طاقة عقلية، أي ما لم يقدروا عليه، وهذا ردّ للجبر، حيث إنَّ المجبرة يقولون بأنَّ العصاة مجبورون على المعاصي فلا يقدرون على تركها ومع ذلك نهاهم الله عنها.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

مَا لَا يُرِيد[٢].

---

[٢] **(ما لا يريد):**

كما تقوله المفوضة فأخرجوه عن سلطانه، بل الله تعالى أراد أن يكون العباد مختارين، فما فعلوه من طاعة أو معصية إنَّما كان لأنَّ الله شاء أن يكونوا مختارين.

ثم إنَّ في الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين بحوثاً كثيرة، وقد اقتصرنا على ما في هذه الأحاديث الشريفة، وإن أردت تفصيل الأقوال وردّها أو توضيحها، والروايات الأخرى الواردة في هذا الباب، فعليك بكتاب كفاية الموحّدين(١) والحمد لله ربّ العالمين.

---

(١) كفاية الموحدين: ج١ ص٤٥٥ ـ ٥٠٣.

بَابُ الِاسْتِطَاعَةِ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ[١]، ....

الحديث الأول:

[١] **(سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الاستطاعة):**

الاستطاعة هي القدرة على الفعل أو الترك، فهما مترادفان ولا يصحّ القول: «بأنَّ استطاعة أحد الطرفين لا يستلزم استطاعة الآخر، بخلاف القدرة».

وذلك لأنَّه لا يصحّ أن نقول للساقط عن شاهق وهو في حالة الهويّ: إنَّه يستطيع السقوط، نعم لو كان المراد من الاستطاعة عدم امتناع أحد الطرفين ـ سواء أمكن الطرف الآخر أم لا ـ صحَّ هذا القول، لكن هذا خلاف المعنى اللغوي والعرفي.

والصحيح أنَّ الإنسان قبل الفعل مستطيع عليه، وكذا هو مستطيع حين الفعل، وهذا الأمر من البديهيات التي يعرفها كل عاقل فالجالس يستطيع القيام ولو لم يقم.

وقال بعض العامَّة كالأشاعرة بعدم الاستطاعة قبل الفعل، وذلك لأنَّ مبناهم على الجبر وعدم تأثير قدرة العبد وإرادته في الفعل أصلاً، والاستطاعة قبل العمل لا تنسجم مع قولهم بالجبر، لذلك ابتدعوا هذا القول ـ المخالف للبديهة ـ، وشاع هذا القول، فلذا سأل أصحاب الأئمة عليهم السلام عنه وأجابوهم بأنَّ الاستطاعة قبل الفعل

فَقَالَ: يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ بَعْدَ أَرْبَعِ خِصَالٍ[٢]: أَنْ يَكُونَ مُخَلَّى السِّرْبِ[٣]، صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَلِيمَ الْجَوَارِحِ[٤]، لَهُ سَبَبٌ وَارِدٌ مِنَ اللَّهِ[٥]، قَالَ:

وحين الفعل.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلّف الله العباد كلفة فعل، ولا نهاهم عن شيء حتى جعل لهم الاستطاعة، ثم أمرهم ونهاهم، فلا يكون العبد آخذاً ولا تاركاً إلّا باستطاعة متقدّمة قبل الأمر والنهي، وقبل الأخذ والترك، وقبل القبض والبسط»(١).

وقد نقل العلامة المجلسي في المرآة(٢) عدّة روايات تدلُّ على هذا الأمر البديهي، فراجع.

[٢] **(بعد أربع خصال):**

العدد لا مفهوم له، والمعنى أنَّه لا بدَّ من اجتماع هذه الخصال الأربع لتحقُّق الاستطاعة.

[٣] **(مخلّى السرب):**

«السِّرْب» بكسر السين وسكون الراء، هو النفس والبال، أي يكون غير مشغول البال والخاطر بما يصرفه عن الفعل.

[٤] **(سليم الجوارح):**

معنى صحيح الجسم: أن لا يكون مريضاً، وسليم الجوارح بأن لا يكون ناقصها، فالخصي ليس بمريض لكنَّه ناقص الأعضاء.

[٥] **(له سبب وارد من الله):**

بتوفيقه وذلك بأن يعصمه، أو يخذله بأن يخلّي بينه وبين العصيان، وكذلك بوجود المقدّمات غير الاختيارية كوجدان وسيلة العصيان.

---

(١) توحيد الصدوق: ص٣٥٢.

(٢) المرآة: ج٢ ص٢١٥ ـ ٢١٦.

قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَسِّرْ لِي هَذَا[٦]. قَالَ: أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ مُخَلًّى السَّرْبِ، صَحِيحَ الْجِسْمِ، سَلِيمَ الْجَوَارِحِ يُرِيدُ أَنْ يَزْنِيَ فَلَا يَجِدُ امْرَأَةً[٧] ثُمَّ يَجِدُهَا[٨]، فَإِمَّا أَنْ يَعْصِمَ نَفْسَهُ فَيَمْتَنِعَ كَمَا امْتَنَعَ يُوسُفُ عليه السلام، أَوْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُ[٩] وَبَيْنَ إِرَادَتِهِ فَيَزْنِيَ فَيُسَمَّى زَانِياً، وَلَمْ يُطِعِ اللَّهَ بِإِكْرَاهٍ[١٠] وَلَمْ يَعْصِهِ بِغَلَبَةٍ.

---

[٦] **(فسِّر لي هذا):**

«هذا» إشارة إلى السبب الوارد من الله تعالى، لأنَّ معنى الثلاثة الأُوَل واضح، وكذا جواب الإمام عليه السلام كان عن السبب الوارد.

[٧] **(فلا يجد امرأة):**

فعدم الوجدان هو سبب وارد من الله تعالى ولم يكن باختيار العبد، فلا يعصى لعدم تمكُّنه من العصيان.

[٨] **(ثم يجدها):**

وجدانه لها سبب وارد منه تعالى، فإنَّه سبحانه خلقها ولم يجعل مانع بينه وبين الوصول إليها.

وبعد الوجدان تمَّت المقدِّمات الأربع للاستطاعة، فيأتي دور العبد وقدرته واختياره، فباختياره قد يعصى أو يعتصم.

[٩] **(أو يخلِّي بينه):**

أي يخلِّي العبد بين نفسه وبين الفعل الذي أراده.

[١٠] **(ولم يطع الله بإكراه):**

الغرض من ذكر هذا المقطع هو بيان أنَّ السبب الوارد من الله لا يوجب جبراً بحيث يفقد العبد إرادته واختياره، بل ذلك السبب هو توفيق أو خذلان ووجود المقدِّمات، ولا شيء منها يتسبَّب في الجبر، بل يطيع باختياره أو يعصي باختياره.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ جَمِيعاً، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ جَمِيعاً، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ، فَقَالَ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ مَا لَمْ يُكَوَّنْ[١]؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْتَهِيَ عَمَّا قَدْ كُوِّنَ[٢]؟ قَالَ: لَا، قَالَ:

الحديث الثاني:

[١] **(أتستطيع أن تعمل ما لم يكوّن؟)**:

أي بعد مضيّ زمن الشيء ولم يفعله، فهل يتمكّن من إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء وفعل ذلك الشيء في الزمان الماضي؟ الجواب: كلّا، لأنّ الزمان لا يرجع، وما تركه الإنسان لا يمكنه إيجاده في الزمان الماضي.

وشرحنا هذا المقطع هكذا، بقرينة السؤال الثاني.

[٢] **(أن تنتهي عمّا قد كوّن)**:

أي بعد إيجاد الشيء في الزمان الماضي، هل يمكنه إرجاع عقارب الساعة إلى الوراء وترك ذلك الشيء في زمانه؟

الجواب: كلّا، وندم الإنسان على ما فعله لا يوجب تمكُّنه من محوه من الوجود، فإنّ الماضي ما مضى وقته ولزم أجله ويستحيل تغييره عن واقعه وعمّا وقع فيه.

ويمكن شرح العبارتين بأنّ الإنسان قبل إيجاد الفعل لا يمكنه إيجاده في نفس ذلك الزمان بل يوجده في الزمان الثاني، مثلاً القاعد لا يمكنه إيجاد القيام في زمان القعود، بل يوجد القيام في زمان ثانٍ، وكذلك بعد إيجاد الفعل لا يمكنه تغييره عمّا وقع عليه، وإنّما إيجاد الفعل متلازم مع وجوده، لاستحالة انفكاك الإيجاد عن الوجود، نعم هو قبل الإيجاد قادر على الإيجاد في الزمان اللاحق، لا كما زعمت الأشاعرة بعد تمكُّنه.

فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: فَمَتَى أَنْتَ مُسْتَطِيعٌ؟ قَالَ: لَا أَدْرِي، قَالَ: فَقَالَ لَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[٣]: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ خَلْقاً فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الاسْتِطَاعَةِ[٤] ثُمَّ لَمْ يُفَوِّضْ إِلَيْهِمْ[٥]، فَهُمْ مُسْتَطِيعُونَ لِلْفِعْلِ وَقْتَ الْفِعْلِ مَعَ الْفِعْلِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ الْفِعْلَ[٦]، ....

---

[٣] **(فقال له أبو عبد الله عليه السلام):**

حاصل الكلام: أنَّ الناس مختارون، لأنَّ الله جعل فيهم الإرادة، ولم يتركهم سدى، بل أمرهم ونهاهم من غير إكراه، فالناس يعملون العمل باستطاعتهم، وليسوا مجبورين حين العمل ـ كما زعمت الأشاعرة ـ لأنَّهم لو كانوا مجبورين لم يكن معنى للقول بأنَّهم مستطيعون، لعدم اجتماع الجبر والاستطاعة، لأنَّهما ضدَّان لا يجتمعان، وهذا أمر بديهي.

وإذا جعل الله مانعاً عن الفعل فإنَّهم لا يتمكَّنون من إيجاد الفعل، لأنَّ تمكُّنهم من إيجاده معناه غلبة إرادتهم على إرادته التكوينية وهذا باطل ويلزم من القول به الشرك.

[٤] **(آلة الاستطاعة):**

أي القدرة والاختيار والجسم السليم ونحوها.

[٥] **(ثم لم يفوِّض إليهم):**

أي لم يتركهم بلا أمر ولا نهي حتى يكون قد فوَّض إليهم الأوامر والنواهي، بل حصرهم بأوامر ونواهي تشريعيَّة قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(١) وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(٢) وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾(٣).

[٦] **(إذا فعلوا ذلك الفعل):**

حاصل العبارة: أنَّ الاستطاعة موجودة حين الفعل، فليس الإنسان مكرهاً

---

(١) سورة الشمس: الآيات: ٧ ـ ١٠.
(٢) سورة فاطر: الآية ٢٤.
(٣) سورة الرعد: الآية ٧.

فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوهُ فِي مُلْكِهِ[٧] لَمْ يَكُونُوا مُسْتَطِيعِينَ أَنْ يَفْعَلُوا فِعْلاً لَمْ يَفْعَلُوهُ، لِأَنَّ

حين الفعل.

ولا يُخفى أنَّ الإمام عليه السلام لم يذكر الاستطاعة قبل الفعل، لأنَّ المهم في عدم الإكراه هو الاستطاعة حين الفعل ـ حتى لو كان قبل الفعل مكرهاً ـ، ولا تنفع الاستطاعة قبل الفعل إذا انقلبت إلى إكراه حين الفعل.

مثلاً: من أُكره على شرب الخمر، ثم رفع عنه الإكراه متزامناً مع شروع الشرب، فإنَّه يجب عليه الامتناع، فإذا شرب الخمر فإنَّه لا ينفعه الاعتذار بأنَّه أُكره قبل الفعل.

وكذا من كان مستطيعاً لشرب الخمر فتركه ثم أُكره على الشرب واستمر الإكراه إلى نهاية الشرب، فإنَّه معذور لأنَّه حين الشرب كان مُكرهاً، وهذا واضح.

[٧] **(فإذا لم يفعلوه في ملكه)**:

لعلَّ المراد أنَّ تركهم كان لأجل مانعٍ أوجده الله تعالى، فحينئذٍ من الواضح أنَّهم لا يتمكَّنون من الفعل، لأنَّ إرادتهم يستحيل أن تغلب إرادة الله التكوينية.

وإنَّما شرحنا هذا المقطع بما ذكرناه لقوله: «في ملكه»، وللتعليل في قوله: «لأن الله عز وجل أعز»... الخ.

والحاصل أنَّ الوجود كلّه مُلكٌ لله تعالى، فهو المسيطر القاهر، فلا يمكن أن يقف أمام إرادته شيء قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[١] وقال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[٢] وقال: ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾[٣] وقال: ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا

---

(١) سورة يٰس: الآية ٨٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٧.

اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعَزُّ مِنْ أَنْ يُضَادَّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ[٨]. قَالَ الْبَصْرِيُّ: فَالنَّاسُ مَجْبُورُونَ؟ قَالَ: لَوْ كَانُوا مَجْبُورِينَ كَانُوا مَعْذُورِينَ. قَالَ: فَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ[٩] قَالَ: لَا. قَالَ: فَمَا هُمْ؟ قَالَ: عَلِمَ مِنْهُمْ فِعْلاً[١٠] فَجَعَلَ فِيهِمْ آلَةَ الْفِعْلِ[١١]، فَإِذَا فَعَلُوهُ كَانُوا مَعَ الْفِعْلِ مُسْتَطِيعِينَ، قَالَ الْبَصْرِيُّ: أَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَقُّ وَأَنَّكُمْ أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(١).

[٨] (أن يُضادّه في مُلكه أحد):
فيفعل شيئاً لم يرده الله تكويناً، أما في الإرادة التشريعية فإنَّ الله أراد أن لا يُكرِه عباده وأن يكونوا مختارين وأن يتمكَّنوا من المخالفة، فلو خالفوا أمره أو نهيه لم يكونوا قد خالفوا إرادته التكوينية بل عملوا على طبقها.

[٩] (قال: ففوَّض إليهم):
السؤال إنَّما هو عن التفويض التكويني، وذلك لأنَّ التفويض التشريعي قد نفاه الإمام من قبل حيث قال عليه السلام: (فجعل فيهم آلة الاستطاعة ثم لم يفوِّض إليهم).

[١٠] (علم منهم فعلاً):
لعلَّ تقديم هذه العبارة كمقدِّمة لبيان أنَّ إعطائهم القدرة ليس لأجل أن يعلم لأنَّه تعالى منزَّه عن الجهل، بل كان يعلم بما سيختاره العباد، فليس علمه سبباً لفعلهم ـ كما مرَّ تفصيله ـ.

[١١] (فجعل فيهم آلة الفعل):
الفاء في (فجعل) للتفريع، لأنَّ الله خلق الخلق لعلمه بالمصلحة، وليس العلم هو علَّة تامَّة وإلا استلزم قدم المخلوقات، بل العلَّة التامَّة علمه واختياره ـ كما مرَّ تفصيله ـ. فصحَّ التفريع.
و(آلة الفعل) هي القدرة وعدم إيجاد المانع ونحوهما.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٧.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ. وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ صَالِحٍ النِّيلِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام هَلْ لِلْعِبَادِ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: إِذَا فَعَلُوا الْفِعْلَ كَانُوا مُسْتَطِيعِينَ بِالِاسْتِطَاعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهِمْ. قَالَ: قُلْتُ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: الْآلَةُ. مِثْلُ الزَّانِي[١] إِذَا زَنَى كَانَ مُسْتَطِيعاً لِلزِّنَا حِينَ زَنَى، وَلَوْ أَنَّهُ تَرَكَ الزِّنَا وَلَمْ يَزْنِ كَانَ مُسْتَطِيعاً لِتَرْكِهِ إِذَا تَرَكَ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: لَيْسَ لَهُ مِنَ الِاسْتِطَاعَةِ قَبْلَ الْفِعْلِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ[٢] وَلَكِنْ مَعَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ كَانَ مُسْتَطِيعاً، قُلْتُ: فَعَلَى مَاذَا يُعَذِّبُهُ[٣]؟ قَالَ: بِالْحُجَّةِ

الحديث الثالث:

[١] **(الآلة مثل الزاني)**:

سؤال الراوي كان استطراداً في وسط كلام الإمام عليه السلام لذا أجاب سؤاله بقوله: (الآلة)، ثم رجع عليه السلام إلى كلامه فقال: (مثل الزاني... الخ)، فهو مثال لقوله: (إذا فعلوا الفعل كانوا... الخ) وليس مثالاً لتفسير الاستطاعة.

[٢] **(قبل الفعل قليل ولا كثير)**:

هذا الكلام بظاهره يخالف ما ثبت بالروايات الصحيحة وبالبديهة أنَّ الاستطاعة تكون قبل الفعل ومعه، فلا بدَّ من تأويل هذا المقطع بأن يُقال: إن المراد بالاستطاعة هنا: العلَّة التامَّة لوقوع الفعل خارجاً، ومن المعلوم هو تقارن العلَّة التامَّة مع المعلول زماناً كالحرارة والنار ـ مثلاً ـ، ويستحيل تقدُّم العلَّة التامَّة على المعلول في الزمان، فالعبد يكون مستطيعاً عند الفعل بمعنى أنَّه بإرادته وإقدامه وشروعه في الفعل تتمّ العلَّة التامَّة فيقع الفعل خارجاً، وإنَّما نُسبت العلَّة التامَّة إلى العبد باعتبار أنَّ الجزء الأخير من العلَّة كانت من فعله.

[٣] **(فعلى ماذا يعذِّبه)**:

لما كان بعض العامَّة يذهبون إلى الجبر وإلى أنَّ الاستطاعة حين العمل لا

الْبَالِغَةِ وَالْآلَةِ الَّتِي رَكَّبَ فِيهِمْ[٤]، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُجْبِرْ أَحَداً عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَلَا أَرَادَ - إِرَادَةَ حَتْمٍ[٥] - الْكُفْرَ مِنْ أَحَدٍ، وَلَكِنْ حِينَ كَفَرَ كَانَ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ أَنْ يَكْفُرَ[٦]، وَهُمْ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ وَفِي عِلْمِهِ أَنْ لَا يَصِيرُوا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ[٧]،

قبله، توهّم السائل أنَّ قول الإمام عليه السلام يستلزم الجبر، وحيث لا يصحّ عقلاً تعذيب المجبور، فلذا سأل عن سبب العذاب.

[٤] (التي ركّب فيهم):
أي سبب عذاب الزاني هو: أنَّه قادر تكويناً، ومكلَّف تشريعاً بتكليف واصل إليه. وكلَّما كان العاصي يعلم بالعصيان وقادر على الامتناع، صحَّ عذابه .

[٥] (إرادة حتم):
الإرادة تكوينية بلا شروط تُسمَّى إرادة حتم، أما لو كان الوقوع مشروطاً بأمر تكون إرادة معلَّقة، فإن تحقَّق الشرط تحقَّق الشيء وإلا فلا - كما مرَّ -.

[٦] (في إرادة الله أن يكفر):
لأنَّه لا يقع شيء خارجاً إلَّا وهو مسبوق بالمشيئة والإرادة والقضاء والقدر - كما مرَّ تفصيله -، وكفر الكافر وقع خارجاً، فلا بدَّ أن يكون مسبوقاً بالإرادة الإلهيَّة.

[٧] (إلى شيء من الخير):
وذلك لأنَّه تعالى علم أنَّ هذا الكافر لا يؤمن باختياره، وهو تعالى أراد أن يكون هذا الكافر مختاراً فلم يجبره على الإيمان، فلذا كان كفره بعلم الله وإرادته من غير أن يكون العلم والإرادة سبباً لكفره، بل السبب هو سوء اختياره، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾[١]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[٢] وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[٣].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.
(٣) سورة التوبة: الآية ٥٥.

قُلْتُ: أَرَادَ مِنْهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا[٨]؟ قَالَ: لَيْسَ هَكَذَا أَقُولُ، وَلَكِنِّي أَقُولُ: عَلِمَ أَنَّهُمْ سَيَكْفُرُونَ، فَأَرَادَ الْكُفْرَ لِعِلْمِهِ فِيهِمْ، وَلَيْسَتْ هِيَ إِرَادَةَ حَتْمٍ إِنَّمَا هِيَ إِرَادَةُ اخْتِيَارٍ[٩].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنِ الاسْتِطَاعَةِ فَلَمْ يُجِبْنِي[١]، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ دَخْلَةً

---

[٨] **(قلت أراد منهم أن يكفروا):**

سأل هذا السؤال لأنَّه توهَّم أنَّ كلام الإمام عليه السلام دالّ على الجبر.

فأجابه عليه السلام: بأنَّ إرادته تعالى لكفرهم إنَّما هو لسوء اختيارهم، فلم يجبرهم على الإيمان بل تركهم إلى إرادتهم واختيارهم.

وبعبارة أخرى: إنَّ الله تعالى خلق الإنسان قادراً مختاراً لأنَّ المصلحة في ذلك، وكان الغرض هو أن يختار العبادة لينال الرحمة، ومع أنَّه تعالى علم أزلاً بأنَّ الكافر سيختار الكفر، لم يكرهه على الإيمان ولا سلب منه القدرة والاختيار.

فمعنى إرادته لكفرهم، هو تعلُّق إرادته بما يمكِّنهم من الكفر ـ أي إعطائهم القدرة والاختيار ـ.

[٩] **(إنَّما هي إرادة اختيار):**

أي اختيارهم كان سبباً لإرادة الله تعالى الكفر لهم، وهذه إرادة تتغيَّر بتغيُّر السبب، ولذا كان البداء ودفع البلاء بالصدقة والدُّعاء ونحوها، فليست إرادة محتومة قطعية لا دخل لأفعالهم فيها.

الحديث الرابع:

[١] **(فلم يجبني):**

لعلَّ عدم جواب الإمام عليه السلام عن سؤاله لأجل عدم لزوم الاعتقاد في المسائل المتفرعة عن أُصول الدِّين، أي في التفاصيل الجزئية، بل يلزم أنه لا يعتقد فيها بالباطل وأن لا ينكر الحق.

أُخْرَى، فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِي مِنْهَا شَيْءٌ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا شَيْءٌ أَسْمَعُهُ مِنْكَ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا كَانَ فِي قَلْبِكَ[٢]. قُلْتُ: أَصْلَحَكَ

وقد ذكر الشيخ الأعظم الأنصاري رضوان الله عليه في الرسائل تفصيل ما يلزم الاعتقاد به وما لا يلزم، فراجع كتاب الرسائل، باب الانسداد، التنبيه الخامس(١).

قال رحمه الله: (ويمكن أن يُقال: إنَّ المعتبر هو عدم إنكار هذه الأمور وغيرها من الضروريات، لا وجوب الاعتقاد بها على ما يظهر من بعض الأخبار: من أنَّ الشاكّ إذا لم يكن جاحداً فليس بكافر)(٢).

وقال رضوان الله عليه: (وبالجملة فالقول بأنَّه يكفي في الإيمان: الاعتقاد بوجود الواجب الجامع للكمالات المنزَّه عن النقائص، وبنبوَّة محمد ﷺ، وبإمامة الأئمة عليهم السلام، والبراءة من أعدائهم، والاعتقاد بالمعاد الجسماني ـ الذي لا ينفكُّ غالباً عن الاعتقادات السابقة ـ غير بعيد، بالنظر إلى الأخبار والسيرة المستمرة.

وأما التديُّن بسائر الضروريات، ففي اشتراطه، أو كفاية عدم إنكارها، أو عدم اشتراطه أيضاً فلا يضرُّ إنكارها إلَّا مع العلم بكونها من الدِّين، وجوه، أقواها الأخير، ثم الأوسط)(٣).

[٢] **(لا يضرّك ما كان في قلبك):**

إمَّا بمعنى أنَّ ما في قلبك صحيح فلا يضرُّ، وذلك لعلمه عليه السلام بما في قلبه، وإمَّا بمعنى أنَّه إذا خطر شيء في قلب الإنسان فإنَّه لا يضرّه ما دامه يرجع إليهم عليهم السلام لتبيين الحق، وإمَّا لأنَّ ما في القلب لا يضرُّ ما لم يظهر على الأعمال واللِّسان ـ وحتى وإن لم يكن صحيحاً ـ نظير ما ورد في أنَّ «الوسوسة في الخلق»(٤) مرفوعة عن الأُمَّة الإسلامية مِنَّة من الله عليهم، كما في حديث الرفع.

---

(١) الرسائل: ج١ ص٥٦٢ ـ ٥٦٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٥٦٨.

(٣) المصدر نفسه: ص٥٦٨.

(٤) توحيد الصدوق: ص٣٥٣.

اللَّهُ إِنِّي أَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُكَلِّفِ الْعِبَادَ مَا لَا يَسْتَطِيعُونَ، وَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ[٣]، وَأَنَّهُمْ لَا يَصْنَعُونَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ[٤] إِلَّا بِإِرَادَةِ اللَّهِ وَمَشِيئَتِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ[٥]، قَالَ: فَقَالَ: هَذَا دِينُ اللَّهِ الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ وَآبَائِي. أَوْ كَمَا قَالَ.

---

[٣] **(ولم يكلّفهم إلَّا ما يطيقون):**
الفقرتان إمَّا مترادفتان، أو قوله: «ما لا يستطيعون» يُراد به القدرة العقلية وقوله: «ما يطيقون» يُراد به القدرة العرفية.

[٤] **(شيئاً من ذلك):**
من التكاليف.

[٥] **(وقضائه وقدره):**
قد مرَّ شرح معنى هذه العبارة في (باب في أنَّه لا يكون شيء في السماء والأرض إلَّا بسبعة) فراجع.
وذكرنا أنَّ الأمر بين الأمرين يعني أنَّ بعض مقدِّمات الفعل ـ كالإرادة والمشيئة. . .الخ ـ من الله تعالى، وبعضها من العبد كإرادته باختياره.

بَابُ الْبَيَانِ وَالتَّعْرِيفِ وَلُزُومِ الْحُجَّةِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ، عَنِ ابْنِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ احْتَجَّ عَلَى النَّاسِ بِمَا آتَاهُمْ[١] وَعَرَّفَهُمْ[٢].

الحديث الأوّل:

[١] **(بما آتاهم):**
آتاهم من العقول والأدوات والقوى، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾(١)، فإذا لم يكن تكلف لم يكن احتجاج، لأنَّ الاحتجاج يكون بترك واجب أو فعل حرام، فإذا أعطى الله للإنسان نعمة ثم كلَّفه بما يرتبط بتلك النعمة، فإنَّه سبحانه يحتجّ عليه لو خالف ذلك التكليف.

[٢] **(وعرّفهم):**
عرَّفهم من أُصول الدِّين وفروعه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٣)، ولولا إرسال الرُّسل كانت الحجَّة للناس، أما بعد إرسالهم فالحجَّة له تعالى كما قال: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾(٤).

و«المعرفة» هي العلم بالشيء عبر العلم بأوصافه وخصوصياته، مثلاً نسمع

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.
(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.
(٣) سورة النساء: الآية ١٦٥.
(٤) سورة طه: الآية ١٣٤.

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ مِثْلَهُ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: الْمَعْرِفَةُ مِنْ صُنْعِ مَنْ هِيَ[١]؟ قَالَ: مِنْ صُنْعِ اللَّهِ[٢] لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ.

بأوصاف زيد ثم نراه ونرى تطابق تلك الأوصاف عليه، فنكون قد عرفناه.

قال في الوافي(١): (يعني بما آتاهم من العقل والفهم وعرَّفهم الخير والشر، دون ما لم يؤتهم ولم يعرِّفهم من ذلك، ولا يُنافي هذا لزوم بذل الجهد بالقدر المقدور، فإنَّه أيضاً من الأسباب، إلَّا أنَّ ترتُّب حصول المعرفة على السعي، في حيِّز الإمكان، وبحسب مشيئة الله، وعلى اختلاف درجات الناس في الهمَّة والاستعداد، وليس عليهم إلَّا التعرُّض لها بتحصيل مقدِّماتها، كما ورد في الحديث النبوي: «إنَّ لربّكم في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرَّضوا لها . . . الخ).

الحديث الثاني:

[١] (المعرفة من صنع من هي):

المراد بالمعرفة هنا: إمَّا معرفة الله تعالى، أو معرفة أُصول الدِّين، أو المراد المعرفة بتفاصيل الشريعة، أو كل ذلك.

[٢] (من صنع الله):

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾(٢).

أمَّا المعرفة الفطرية: فمن الواضح أنَّ الله تعالى جعل في فطرة كلّ إنسان معرفته قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾(٣).

---

(١) الوافي: ج١ ص٥٥١ ـ ٥٥٢.

(٢) سورة النمل: الآية ٩٣.

(٣) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

وأمَّا معرفة تفاصيل أُصول الدِّين: فإنَّها وإن كانت تحتاج إلى تفكُّر وأعمال نظر للوصول إليها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[1] إلَّا أنَّ تمكُّن هذا الفكر من الإيصال إلى المطلوب ـ أي المعرفة ـ، هو من صنع الله تعالى.

وذلك لأنَّ كل كمال خاص به تعالى، وقد يؤتي عباده بعضاً من الكمالات بشكل مباشر أو غير مباشر.

وكذا ترتيب المعلول على العلَّة أيضاً من صنعه تعالى، فهو الذي أوجد في الشيء ما به يكون علَّة، وحينما يشاء ينزع منه العلية فيبقى الشيء نفسه ـ من غير تغيُّر في الماهية ـ لكن من غير تأثير، كما في نار إبراهيم عليه السلام، فإنَّها كانت ناراً حقيقية لكن الله تعالى سلب منها العِلية للإحراق، بل جعلها عِلة لضدّ معلولها ـ أي البرد الذي هو ضد الحر ـ قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[2].

أما أنَّ كل كمال هو خاص به تعالى ومنه سبحانه، فهو ما دلَّ عليه العقل ـ من كونه الغني المطلق وكون المخلوقات فقراء إليه في كلّ شيء ـ ودلّ عليه أيضاً النقل، كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾[4].

وأمَّا أنَّ ترتيب المعلول على العلَّة من صنعه تعالى، فلأنَّ العلية ليست ذاتية للعلل المادية، بل هي جعل من الله تعالى لمصلحة نظم الحياة، وقد مرَّ الإشكال على قولهم «بلزوم السنخية بين العلَّة والمعلول»، ولا يصحّ دليلهم «بأنَّه لولاها لصدر كلّ شيء من كلّ شيء»، وذلك لأنَّ صدور شيء عن شيء من المخلوقات يحتاج إلى جعل العِلية، وبدونها لا يصدر أي شيء من أي شيء، ولذا قال بعضهم بالإعداد وبعضهم بالتوافي ـ أو بالتوافي عادة الله جرت ـ،

(١) سورة الروم: الآية ٨.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٦٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٧٣.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ[١]﴾ [التوبة: ١١٥]. قَالَ: حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسْخِطُهُ. وَقَالَ:

فتكون المعرفة من صنع الله، لأنَّها كمال وكلّ كمال يرجع إليه، وكذا هي قد تكون معلولاً للنظر والتفكُّر، وترتيب المعلول على العلَّة من صنعه تعالى.

وأمَّا من لم تحصل له المعرفة، فذلك بتقصير منه عادة في المقدِّمات، نعم القاصر لا يُعاقب على عدم المعرفة بل يُمتحن في الآخرة مرَّة أخرى ـ كما تدلُّ عليه بعض الروايات ـ.

الحديث الثالث:

[١] **(يبيِّن لهم ما يتَّقون):**

قال الوالد رضوان الله عليه في تقريب القرآن[١]: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا﴾ بأن يصرفهم عن طريق الهدى ويحكم بضلالهم، بأعمال عملوها قبل النهي والتحريم ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ إلى الإيمان ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من أوامره ونواهيه، فإذا بيَّن لهم ثم خالفوا استحقوا العقاب والحكم بالضلال، وهكذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[٢] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم مَن عمل قبل التحريم، ومن عمل بعد التحريم، فيجزي كلّاً حسب عمله، وفي بعض التفاسير: إنَّ سبب نزول الآية: أنَّه مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض، فقال المسلمون: يا رسول الله إخواننا المؤمنين الذين ماتوا قبل الفرائض ما هي منزلتهم؟ فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ﴾... انتهى.

والحاصل أنَّه تعالى إذا أرشد قوماً إلى الطريق فإنَّه لا يتركهم حتى يضلّوا بل يبيِّن لهم، فإذا بيَّن لهم ولم يعملوا تركهم وشأنهم.

---

(١) تقريب القرآن: ج٢ ص٤٧٣.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا[٢]﴾ [الشمس: ٨] قَالَ: بَيَّنَ لَهَا مَا تَأْتِي وَمَا تَتْرُكُ. وَقَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا[٣]﴾ [الإنسان: ٣] قَالَ: عَرَّفْنَاهُ، إِمَّا آخِذٌ وَإِمَّا تَارِكٌ[٤]. وَعَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ[٥]﴾ [فصلت: ١٧] قَالَ: عَرَّفْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى وَهُمْ يَعْرِفُونَ. وَفِي رِوَايَةٍ: بَيَّنَّا لَهُمْ.

---

[٢] (فألهمها فجورها وتقواها):

فليس معنى إلهام الفجور أنَّه ألقى الفجور في القلب، فإنَّ الله تعالى منزَّه عن ذلك، بل المعنى هو أنَّه تعالى عرَّف الإنسان طريق الخير وطريق الشر، أما طريق الخير فلكي يعمل به، وأما طريق الشر فلكي يتجنَّبه.

[٣] (إمَّ شاكراً وإمَّا كفوراً):

«كفور» صيغة مبالغة في كفران النعمة، وفيه إشعار بأنَّ الشكر قليل، وكفران النعمة كثير، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾(١)، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾(٢).

[٤] (وإمَّا تارك):

أي بعد إراءة الطريق إمَّا يأخذ بالطريق فيكون شاكراً بعمله فإنَّ الإطاعة هي شكر للمنعم، لأنَّه كما يكون الشكر باللِّسان كذلك يكون بالعمل قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾(٣)، وإمَّا يترك الطريق فيكون كفوراً.

[٥] (فاستحبُّوا العمى على الهدى):

فليس معنى الهداية هو الهداية التكوينية، بل بمعنى هداية تشريعية، أي أريناهم الطريق ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟﴾ أي طلبوا حب «العمى» أي التعامي عن الحقّ ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بدلاً من الهدى.

---

(١) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٢) سورة الزخرف: الآية ١٥.

(٣) سورة سبأ: الآية ١٣.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنِ ابْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ، عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ[١]﴾ [البَلَد: ١٠] قَالَ: نَجْدَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

٥ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَصْلَحَكَ اللَّهُ[١] هَلْ جُعِلَ فِي النَّاسِ أَدَاةٌ يَنَالُونَ بِهَا الْمَعْرِفَةَ[٢]؟ قَالَ: فَقَالَ: لَا، قُلْتُ: فَهَلْ كُلِّفُوا الْمَعْرِفَةَ؟

الحديث الرابع:

[١] **(وهديناه النَّجدين):**

في التقريب[(١)]: وأصل النجد هو العلوّ، وكأنَّ الطريق موجب لارتفاع الإنسان ارتفاعاً معنوياً يوصله إلى حاجته، أو لظهور الطريق سُمِّي نجداً، تشبيهاً بالمرتفع من الأرض. انتهى.

والهداية أُطلقت على إراءة طريق الشر، لأنَّها هداية إلى تركه أو هو على التغليب ـ كذا في المرآة ـ.

الحديث الخامس:

[١] **(أصلحك الله):**

دعاء باستمرار الإصلاح، كالدُّعاء في ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[(٢)].

[٢] **(ينالون بها المعرفة):**

من دون الحاجة إلى الرُّسل وأوصيائهم؟، والمراد بالمعرفة هنا هو العلم بتفاصيل الفروع وكذلك بعض تفاصيل الأُصول.

وأما معرفة الله وبعض صفاته وكذلك معرفة صدق الرسول فإنَّ أداته العقل وقد جعله الله في المكلّفين.

---

(١) التقريب: ج٥ ص٦٧٩.

(٢) سورة الفاتحة: الآية ٥.

قَالَ: لَا[٣]، عَلَى اللَّهِ الْبَيَانُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا[٤]﴾ [البَقَرَة: ٢٨٦]. ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا[٥]﴾ [الطَّلَاق: ٧]. قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التَّوبَة: ١١٥] قَالَ: حَتَّى يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيهِ وَمَا يُسْخِطُهُ.

٦ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ سَعْدَانَ رَفَعَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]

---

[٣] **(فهل كلّفوا المعرفة؟ قال: لا)**:

لأنّهم لا يقدرون بأنفسهم على المعرفة ـ بالمعنى المذكور ـ، وتكليف غير القادر قبيح.

بل على الله البيان عبر الأنبياء وأوصيائهم، وعلى الناس الانقياد لهم وإطاعتهم.

[٤] **(إلّا وُسْعها)**:

أي ما يسعها إتيانه، وذلك دون الطاقة بكثير، لأنّ «الوسع» ظاهر في الإتيان بالعمل بيسر وسهولة، ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «بُعثت بالحنيفيّة السمحة السهلة»(١).

[٥] **(إلّا ما آتاها)**:

وحيث لم يجعل في النفس أداة المعرفة ـ بالمعنى المذكور ـ فلا يكلّفها بتلك المعرفة، وإنّما عليه البيان بإرسال الرُّسل وإنزال الكتب.

الحديث السادس:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام)**:

الشاهد في هذا الحديث صدره، بأنّ الله تعالى يحتجّ على العباد بما آتاهم دون ما لم يأتهم.

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٥، ص٣١٩، عن النهاية.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْعِمْ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً إِلَّا وَقَدْ أَلْزَمَهُ فِيهَا الْحُجَّةَ مِنَ اللَّهِ[٢]، فَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ قَوِيّاً فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِمَا كَلَّفَهُ[٣]، وَاحْتِمَالُ مَنْ هُوَ دُونَهُ مِمَّنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُ[٤]، وَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ مُوَسَّعاً عَلَيْهِ فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ مَالُهُ[٥]، ثُمَّ تَعَاهُدُهُ الْفُقَرَاءَ بَعْدُ بِنَوَافِلِهِ[٦]، وَمَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فَجَعَلَهُ شَرِيفاً فِي

---

[٢] **(الحجّة من الله):**

أي الاحتجاج من الله تعالى، والمعنى أنَّه تعالى كلَّما أعطى نعمة، أحدث تكليفاً بمقتضى تلك النعمة وبسببها وسيحتجّ بذلك التكليف عليه، فإنَّه ما دام لا يوجد تكليف فلا حجَّة، ولكن لو كُلِّف العبد فإنَّ الله سيحتجّ عليه لو خالف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾(١)، وذكر النعمة إنَّما هو بشكرها، وبصرفها فيما خُلقت لأجله، كقوله: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ﴾(٢).

[٣] **(القيام بما كلَّفه):**

من الطاعات المشترطة بعدم العجز، كالجهاد، والصوم ونحوهما، فلو لم يستطع الجهاد كالأعمى فليس عليه حرج، وكذا لو لم يُطِقْ الصوم وسائر التكاليف كذلك، ومعنى «القيام بما كلَّفه» هو الاحتجاج عليه بأنَّه هل قام بما كلَّفه به أم لا.

[٤] **(ممَّن هو أضعف منه):**

بأن لا يظلمه بقوَّته وقهره.

[٥] **(فحجَّته عليه ماله):**

أي يحتجّ عليه بالتكاليف المرتبطة بالمال، [أ]داء الحقوق المالية الواجبة ـ من النفقة والزكاة والخمس ونحوها ـ.

[٦] **(بنوافله):**

«التعاهد» التفقُّد باستمرار، [و]«النافلة» ما يزيد عن الشيء، وهنا بمعنى ما

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣.

(٢) سورة النمل: الآية ١٩.

بَيْتِهِ[٧]، جَمِيلاً فِي صُورَتِهِ فَحُجَّتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَتَطَاوَلَ عَلَى غَيْرِهِ[٨] فَيَمْنَعَ حُقُوقَ الضُّعَفَاءِ لِحَالِ شَرَفِهِ وَجَمَالِهِ.

يزيد عن مؤنة نفسه وما يتعلَّق بها، وفي الحديث إشعار بأنَّ الإنسان يُحاسب على ترك الصدقة المستحبة، ولكن ليس معنى المحاسبة العقاب ـ لعدم العقاب على ترك المستحبات ـ بل بمعنى سؤاله، وقد يكون العتاب وعدم رفع الدرجات، وفي الحديث (في حلالها حساب)(١) وقوله: (بعد) أي بعد أداء الواجبات التي يحتجّ بها الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾(٢) والآية نهي لغالب الأغنياء الذين يجعلون بعض الأعذار الواهية مبرّراً لحلفهم، ليمنعوا الفقراء ونحوهم عن أموالهم.

[٧] **(شريفاً في بيته):**
أي عالياً في أُسرته أو قبيلته، لأنَّ الشرف هو العلوّ والارتفاع في النسب. ثم إنَّ الشرف ارتفاع معنوي، وجمال الصورة رفعة مادية، وخاصة في الشباب والنِّساء، وهذان ممَّا يُوجبان التبختر والتكبُّر على الآخرين.

[٨] **(ولا يتطاول على غيره):**
أي لا يتكبَّر، من «الطَّول» وهو ما يستطيل به الإنسان على غيره من جاه أو مال أو نحو ذلك.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب:٨٢.
(٢) سورة النُّور: الآية ٢٢.

بَابُ اخْتِلَافِ الْحُجَّةِ عَلَى عِبَادِهِ[١]

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سِتَّةُ أَشْيَاءَ[٢] لَيْسَ لِلْعِبَادِ فِيهَا صُنْعٌ: الْمَعْرِفَةُ وَالْجَهْلُ[٣] وَالرِّضَا

---

[١] **(اختلاف الحجَّة على عباده):**

هذا الباب من تتمَّة الباب السابق، وإنَّما أُفرد هذا الحديث بباب مستقلّ لاشتماله على الرِّضا والغضب والنوم واليقظة، زيادة على المعرفة والحجَّة.

ومعنى (اختلاف الحجَّة) هو أنَّ الله يحتجّ عليهم بما آتاهم من صنعة، دون ما لم يؤتهم.

[٢] **(ستة أشياء):**

هذه الستة من باب المثال وهي:

١ ـ ما يرتبط بالقلب، كالمعرفة والجهل.

٢ ـ وما يرتبط بالنفس، كالرِّضا والغضب.

٣ ـ وما يرتبط بالجسم، كالنوم واليقظة.

وإنَّما اختار عليه السلام هذه الأمثلة، لأنَّها أهم ما يرتبط بالإنسان ـ بجوانبه الثلاثة ـ وسائر الصفات فرع لهذه أو ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً، فتأمَّل.

[٣] **(المعرفة والجهل):**

المعرفة هنا بمعنى العلم بتفاصيل الشريعة، حيث لا يمكن للإنسان الوصول إليها إلَّا عبر البيان من الله تعالى.

ومعنى كون الجهل من صنعه تعالى، هو عدم إفاضته العلوم والمعارف عبر الرُّسل وأوصيائهم عليهم السلام.

وَالْغَضَبُ[٤] وَالنَّوْمُ وَالْيَقَظَةُ.

ويمكن أن يكون المعنى أنَّ الإنسان إذا هيَّأ مقدّمات المعرفة فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُفيضها عليه، ومن هيَّأ مقدّمات الجحود فإنَّه تعالى يضلّه ـ كما مرَّ قبل قليل بأنَّ ترتيب النتائج على المقدّمات هو من فعله تعالى ـ.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ المعرفة: من صنع الله عزَّ وجلَّ في القلب مخلوقة، والجحود: صنع الله في القلب مخلوق، وليس للعباد فيهما من صنع، فلهم فيهما الاختيار من الاكتساب، فبشهوتهم الإيمان اختاروا المعرفة، فكانوا بذلك مؤمنين عارفين، وبشهوتهم الكفر اختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلّالاً، وذلك بتوفيق الله لهم، وخذلان من خذله الله، فبالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم. . .الخ»[١].

وفي معنى الحديث احتمالات أخرى ـ أنهاها في المرآة إلى سبعة ـ فراجع.

[٤] (الرِّضا والغضب):

«الرِّضا» حالة نفسانية تُوجب قبول الشيء، ويمكن أن يكون مع الشيء المرغوب عنه، فلذا كان (الرِّضا بمكروه القضاء من أعلى درجات اليقين) ـ كما في الحديث الشريف ـ[٢].

و«الغضب» حالة نفسانية تُوجب الميل إلى الاعتداء والانتقام.

---

(١) المرآة: ج٢ ص٢٣٢ عن توحيد الصدوق.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٨، ص١٥٢.

بَابُ حُجَجِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِي شُعَيْبِ الْمَحَامِلِيِّ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَعْرِفُوا[١]، وَلِلْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ[٢]، وَلِلَّهِ عَلَى

الحديث الأوَّل:

[١] (ليس لله على خلقه أن يعرفوا):

أي ليست المعرفة ـ بتفاصيل الشرائع قبل إرسال الرُّسل ـ واجبة عليهم، لأنَّها ليست من صنعهم، بل هي من صنع الله تعالى، وتكليفهم بها من دون بيان، تكليف بما لا يُطاق، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(١).

[٢] (وللخلق على الله أن يعرِّفهم):

وذلك لقاعدة اللُّطف، قال الوالد رضوان الله عليه: «قاعدة اللُّطف: هي عبارة عن فعل الله تعالى كلّ ما هو مقرَّب للعبد إلى الطاعة، ومُبعد لهم عن المعصية.

بيان ذلك: أنَّ الغرض من الخلقة، العبادة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢). والعبادة لا تتحقَّق إلَّا بإرشاد الله سبحانه إلى مواقع الأمر والنهي.

فإذا كان الغرض ذلك ـ والمفروض أنَّ العقل لا يُدرك تلك المواقع ـ لزم

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

الْخَلْقِ إِذَا عَرَّفَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا[٣].

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَجَّالِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَنْ لَمْ يَعْرِفْ شَيْئاً[١] هَلْ عَلَيْهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: لَا.

على الله سبحانه بمقتضى الحكمة، هداية العباد إليها، فإذا لم يفعل كان نقضاً للغرض وهو قبيح على الحكيم». انتهى(١).

وفي المرآة: «ثم إنَّ هذه الألطاف:

١ ـ تكون من فعله تعالى خاصة، كإرسال الرُّسل، ونصب الأئمَّة، وإظهار المعجزات على أيدي الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فيجب عليه فعل ذلك.

٢ ـ وقد يكون من فعل المكلَّفين، كاتباعهم الرُّسل وطاعتهم الأئمَّة، وامتثالهم لأوامرهم، والانتهاء عن نواهيهم، فيجب عليه [تعالى] إعلامهم بذلك، وإيجابه عليهم، ليتمّ الامتثال، ويحصل القول، ويستكمل الألطاف.

٣ ـ وقد يكون من فعل غيرهما، كقبول الرُّسل للرِّسالة، وتحمُّل الإمام للإمامة، وقيامهما بأعبائهما، فيجب عليه [تعالى] في ذلك الإيجاب على ذلك الغير، وإثابته عليه، لأنَّ تكليف شخص لنفع غيره، من غير نفع له، قبيح عقلاً»(٢).

[٣] **(إذا عرَّفهم أن يقبلوا):**

أي يعترفوا وينقادوا ويطيعوا، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(٣).

الحديث الثاني:

[١] **(من لم يعرف شيئاً):**

«يعرف» إمَّا فعل معلوم مجرَّد، أو من باب التفعيل مجهول.

---

(١) الوصول إلى كفاية الأُصول: ج٣ ص٤٥٦.

(٢) مرآة العقول: ج٢ ص١٩١.

(٣) سورة النساء: الآية ١٦٥.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ فَرْقَدٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ زَكَرِيَّا بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَا حَجَبَ اللَّهُ عَنِ الْعِبَادِ[١] فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ.

«شيئاً» إمَّا عام، أي لا يعرف أي شيء لقصور فهمه أو لعدم إرسال الرُّسل إليه، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٢).

وإمَّا خاص، أي لا يعرف بحكم شرعي من الأحكام لعدم وصول ذلك الحكم إليه، فيكون مجرى أصالة البراءة.

الحديث الثالث:

[١] **(ما حجب الله عن العباد):**

١ ـ إمَّا بمعنى أنَّ الله تعالى لم يشأ أن يُكلِّفهم فلم يُخبرهم به، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾(٣)، ومعنى العفو هنا هو عدم المؤاخذة على عدم علمها.

٢ ـ وإمَّا بمعنى أنَّ الله أمرهم ونهاهم، ولكن لم يصل إليهم التكليف ـ لا عن تقصير بل عن قصور ـ فيكون معنى «الحجب»: عدم إزالة المانع وعدم الإعلام القهري بالطرق الغيبية، بل هناك نهي عن اتباع ما لم يعلموا به، قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾(٤).

٣ ـ وإمَّا بمعنى لم يتمكَّنوا من معرفته لقصورهم وعدم وسعهم، ولذا كلَّما كان العقل أكثر كان التكليف أشدّ، وقد مرَّت الإشارة إليه في أبواب كتاب العقل.

---

(١) سورة النساء: الآية ٩٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانٍ الْأَحْمَرِ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ الطَّيَّارِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: قَالَ لِي: اكْتُبْ[٢] فَأَمْلَى عَلَيَّ: إِنَّ مِنْ قَوْلِنَا إِنَّ اللَّهَ يَحْتَجُّ عَلَى الْعِبَادِ بِمَا آتَاهُمْ وَعَرَّفَهُمْ[٣]، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ[٤] فَأَمَرَ فِيهِ وَنَهَى، أَمَرَ فِيهِ بِالصَّلَاةِ

الحديث الرابع:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام):**

حاصل الحديث:

١ ـ أنَّ التكليف لا يكون إلَّا بعد العقل والمعرفة.

٢ ـ وأنَّ الأوامر والنواهي أقلّ من وسع الناس وطاقتهم.

٣ ـ وأنَّه لا تكليف عليهم فيما لا يقدرون.

٤ ـ وأنَّ المشيئة الإلهية، وهداية الله وإضلاله للناس، لا تُوجب جبراً.

[٢] **(قال لي اكتب):**

لعلَّ الأمر بالكتابة؛ لأهمية الموضوع، لكي لا ينساه، وقد مرَّ في كتاب (فضل العلم) باب (رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسُّك بالكتب) بعض الروايات الدالة على استحباب كتابة الأحاديث ونحوها.

[٣] **(بما آتاهم وعرَّفهم):**

أي بما آتاهم من العقول، فإنَّ العقل حجَّة باطنة، وبما عرَّفهم عبر العقول كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾(١).

[٤] **(أنزل عليهم الكتاب):**

كما يصحّ أن يُقال بنزول الكتاب على النبي صلى الله عليه وآله، كذلك يصحّ القول بنزوله على الناس، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾(٢).

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) سورة النساء: الآية: ١٤٠.

وَالصِّيَامِ[٥]، فَنَامَ رَسُولُ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ[٦]، فَقَالَ: أَنَا أُنِيمُكَ وَأَنَا أُوقِظُكَ، فَإِذَا

---

[٥] **(أمر فيه بالصلاة والصيام):**
خصَّ الصلاة والصيام بالذِّكر، لأنَّهما من أعظم العبادات.

[٦] **(فنام رسول الله ﷺ عن الصلاة):**
لا يخفى أنَّه اتفقت الإمامية أعزهم الله بعدم جواز السهو على رسول الله ﷺ، بل هو معصوم عن الخطأ والغلط والسهو ونحوها، سواء في تبليغ الأحكام أو في سائر شؤونه العامَّة والخاصَّة، دلَّت على ذلك الأدلَّة المعتبرة العقلية والنقلية.
ثم إنَّه ذهب القليل منهم على أنَّ الله تعالى أسهى نبيه ﷺ عن صلاته واستدلوا لذلك ببعض الروايات، ومنها هذه الرواية قال الصدوق في «من لا يحضره الفقيه»:
(وليس سهو النبي ﷺ كسهونا لأنَّ سهوه من الله عزَّ وجلَّ، وإنَّما أسهاه ليُعلم أنَّه بشر مخلوق، فلا يتخذ ربَّاً معبوداً دونه، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو متى سهوا. وسهونا من الشيطان، وليس للشيطان على النبي والأئمَّة عليهم السلام سلطان ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[١] وعلى من تبعه من الغاوين). انتهى.
وهذه الروايات متعدّدة:
ففي بعضها أنَّه نام عن الصلاة حتى طلعت الشمس، وفي بعضها أنَّه سلَّم في الركعتين الأوليين من الرباعية فأخبره أصحابه فقام فأتمَّها أربعاً وسجد سجدتي السهو، وفي بعضها أنَّه زاد ركعة خامسة ـ فراجع الوافي[٢] ـ.
ويمكن حملها على أحد الأمور التالية:
١ ـ أنَّها صدرت تقية لموافقتها للعامة.
روى الشيخ الطوسي بسند معتبر عن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: هل سجد رسول الله ﷺ سجدتي السهو قط؟ فقال: لا، ولا يسجدهما فقيه» أي إمام.

---

(١) سورة النّحل، الآية: ١٠٠.
(٢) الوافي: ج٨، ص٩٥٣، باب السهو في أعداد الركعات، وباب أنَّه لا عار في الرقود عن الفريضة ص١٠١٩.

قال الشيخ الطوسي: الذي أفتى به ما تضمَّنه هذا الخبر، فأما الأخبار التي قدَّمناها من أنَّ النبي ﷺ سها، فسجد، فإنَّها موافقة للعامة[١].

قال الوالد رضوان الله عليه في الفقه: (والذي يؤيد كون تلك الأخبار للتقية ما رووه عن ابن مسعود «أنَّ النبي ﷺ صلَّى بنا خمساً، فلما أخبرناه، انفتل فسجد سجدتين ثم سلم وقال: إنَّما أنا بشر أنسى!!».

وهذا الخبر كما تراه ـ بصدره وذيله ـ يدلُّ على الوضع، كيف وثبت بالأدلَّة القطعية عدم تطرق السهو والنسيان إلى الأنبياء.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[٢]، يُراد بالنسيان الترك، فإنَّ آدم لم ينس وإنَّما حمله إبليس على ترك الأولى حيث ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٣]، فنسيانه من قبيل ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾[٤]، يُراد به الترك من باب ذكر السبب وإرادة المسبّب... الخ)[٥].

وقال الشيخ الطوسي رضوان الله عليه في الاستبصار: (مع أنَّ في الحديثين ما يمنع من التعلُّق بهما ـ وهو حديث ذي الشمالين وسهو النبي ﷺ ـ وذلك ممَّا يمنع منه الأدلَّة القاطعة: في أنَّه لا يجوز عليه السهو والغلط)[٦].

٢ ـ إنَّ صلاة الفجر في ذلك اليوم كانت ساقطة عنه أو كان مأموراً بتركها، وهذا ما رجَّحه العلامة المجلسي في مرآة العقول حيث قال رضوان الله عليه: (فلا يبعد أن يكون مع العلم بالفجر، الصلاة ساقطة عنه أو مأموراً بتركها لتلك المصلحة)[٧].

والحاصل أنَّ الله تعالى لم يكلِّفه بتلك الصلاة في ذلك اليوم، فلم يكن نومه عنها، سهواً ولا إسهاءً بل كان نوماً بأمر من الله تعالى.

---

(١) الوافي: ج٨ ص٩٦٦.
(٢) سورة طه: الآية ١١٥.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٢١.
(٤) سورة التوبة: الآية ٦٧.
(٥) الفقه: ج٢٥ ص٢٩ ـ ٣٠، وأيضاً راجع الفقه: ج٢٦ ص٢١.
(٦) الاستبصار: ج١ ص٣٧١، البحار: ج١٧، ١٠٢.
(٧) مرآة العقول: ج٢ ص٢٣٧.

وإذا كان النوم بأمر من الله فالنوم خير من الصلاة ،كنوم أمير المؤمنين عليه السلام في فراش النبي صلى الله عليه وآله ليلة المبيت، فإنَّ ذلك النوم كان خيراً من الصلاة لمصلحة إخفاء خروج الرسول صلى الله عليه وآله عن المشركين، ولو كان يقوم عليه السلام لصلاة اللَّيل ـ مثلاً ـ لاكتشف المشركون الأمر، ولخرجوا في طلب الرسول صلى الله عليه وآله مبكراً، فكان في تلك الصلاة المفسدة، وفي ذلك النوم المصلحة.

وقال العلامة المجلسي رضوان الله عليه ـ في حديث آخر ـ: (أو لأنَّ الله تعالى أمره بذلك في خصوص تلك الصلاة لتلك المصلحة)[١].

٣ ـ ردّ هذه الأخبار ـ إنَّ لم يمكن حملها على التقية أو تبدل التكليف ـ:

وذلك لتعارضها مع الدليل القطعي العقلي، وكذلك مع إجماع الإمامية ـ أعلى الله كلمتهم ـ.

قال العلامة المجلسي رضوان الله عليه في بحار الأنوار: إنَّ أصحابنا الإمامية أجمعوا على عصمة الأنبياء والأئمة ـ صلوات الله عليهم ـ من الذُّنوب الصغيرة والكبيرة، عمداً وخطأً ونسياناً، قبل النبوَّة والإمامة وبعدهما، بل من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلَّا الصدوق محمد بن بابويه، وشيخه ابن الوليد ـ قدّس الله روحهما ـ، فجوَّزا الإسهاء من الله تعالى، لا السهو الذي يكون من الشيطان، ولعلَّ خروجهما لا يخلُّ بالإجماع، لكونهما معروفي النسب.

وأما السهو في غير ما يتعلَّق بالواجبات والمحرمات، كالمباحات والمكروهات، فظاهر أكثر أصحابنا أيضاً الإجماع على عدم صدوره عنهم.

ويدلُّ على جملة ذلك: كونه سبباً لتنفير الخلق منهم، ولما عرفت من بعض الآيات والأخبار في ذلك، ولا سيَّما في أقوالهم عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾[٣]، ولعموم ما دلَّ على التأسي بهم عليهم السلام في جميع أقوالهم وأفعالهم، وما ورد في وجوب متابعتهم، وفي الخبر المشهور عن الرِّضا عليه السلام

---

(١) بحار الأنوار: ج١٧ ص١٠٦.

(٢) سورة النجم: الآيتان ٣ ـ ٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

في وصف الإمام: «فهو معصوم، مؤيَّد، موفَّق، مسدَّد، قد أمن من الخطأ والزلل والعثار... الخ[١].

وقال المحقّق الحلي رحمه الله في النافع: (والحق رفع منصب الإمامة عن السهو في العبادة)[٢].

وقال المفيد رضوان الله عليه في تصحيح الاعتقادات: «وقد سمعنا حكاية ظاهرة عن أبي جعفر محمد بن الحسن بن الوليد رحمه الله، لم نجد لها دافعاً في التقصير، وهي ما حُكي عنه أنَّه قال: أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ والإمام عليه السلام، فإن صحَّت الحكاية عنه، فهو مقصِّر)[٣].

وقال العلامة الحلي رحمه الله ـ بعد أن ذكر حديثاً في سهو النبي ـ: هذا الحديث عندنا باطل لاستحالة السهو على النبي ﷺ[٤].

وقال أيضاً ـ في مسألة أخرى ـ: (قال الشيخ: وقول مالك باطل لاستحالة السهو على النبي ﷺ)[٥].

وقال الشهيد رحمه الله في الذكرى: (وخبر ذي اليدين متروك بين الإمامية، لقيام الدليل العقلي على عصمة النبي ﷺ عن السهو، لم يصر إلى ذلك غير ابن بابويه)[٦].

وقال العلامة ـ حول حديث ذي اليدين ـ (هذا الحديث مردود من وجوه: أحدها: أنَّه يتضمَّن إثبات السهو في حقّ النبي ﷺ، وهو محال عقلاً، وقد بيَّنا في كتب الكلام... الخ)[٧][٨].

وإن شئت التفصيل أكثر فراجع بحار الأنوار، تاريخ نبيِّنا محمَّد ﷺ[٩].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٧ ص١٠٨.

(٢) النافع: ص٤٥.

(٣) تصحيح الاعتقادات: ص٦٥ ـ ٦٦.

(٤) منتهى الطلب: ج١ ص٤١٨.

(٥) المنتهى: ج١ ص٤١٩.

(٦) الذكرى: ص٢١٥.

(٧) المنتهى: ج١ ص٣٠٨.

(٨) نقلنا هذه الأقوال عن بحار الأنوار: ج١٧ ص١١٠ ـ ١١١.

(٩) البحار: ج١٧ ص٩٧ ـ ١٢٩.

قُمْتَ فَصَلِّ لِيَعْلَمُوا إِذَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ كَيْفَ يَصْنَعُونَ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُونَ: إِذَا نَامَ عَنْهَا هَلَكَ[٧]. وَكَذَلِكَ الصِّيَامُ أَنَا أُمْرِضُكَ وَأَنَا أُصِحُّكَ فَإِذَا شَفَيْتُكَ فَاقْضِهِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: وَكَذَلِكَ إِذَا نَظَرْتَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَمْ تَجِدْ أَحَداً فِي ضِيقٍ وَلَمْ تَجِدْ أَحَداً إِلَّا وَلِلَّهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ[٨] وَلِلَّهِ فِيهِ الْمَشِيئَةُ[٩]. وَلَا أَقُولُ: إِنَّهُمْ مَا شَاؤُوا صَنَعُوا[١٠]، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي وَيُضِلُّ[١١]. وَقَالَ: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا بِدُونِ

---

[٧] **(ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك):**

دلَّ على أنَّ الله وسَّع على العباد ولم يضيق عليهم، فكيف يجبرهم على المعاصي بلا اختيار منهم ثم يُعاقبهم عليها؟!!

[٨] **(ولله عليه الحجَّة):**

هذا دليل على التوسعة وعدم الجبر، إذ لو كان جبر لكانت الحجَّة عليهم، حيث لا حجَّة على المجبور، لأنَّه معذور عقلاً، كما هو واضح.

[٩] **(ولله فيه المشيئة):**

هذا لنفي توهُّم التفويض، فإنَّه عليه السلام لما أثبت عدم الجبر وأنَّ العباد مختارون، بيَّن أنَّ نفي الجبر لا يلازم التفويض، بل لله المشيئة، فيكون من «الأمر بين الأمرين»، كما مرَّ تفصيله في باب (الجبر والقدر).

[١٠] **(ما شاؤوا صنعوا):**

تأكيد لنفي التفويض، بل القضاء والقدر والإرادة والمشيئة تسبق مشيئتهم، ولكن من غير جبر وإكراه.

[١١] **(ثم قال إنَّ الله يهدي ويضلّ):**

تأكيد آخر لنفي التفويض، واستدلال بالقرآن الكريم والحاصل أنَّ الله آتى العباد عقلاً واحتجَّ عليهم به، ثم أرسل الرُّسل وأنزل الكتب وأمر الناس ونهاهم، ولم يجبرهم ولم يفوِّض إليهم، لذا الهداية منه والضلال منه ـ بالمعاني التي سنذكرها في الباب الآتي إن شاء الله تعالى ـ.

سَعَتِهِمْ[١٢]، وَكُلُّ شَيْءٍ أُمِرَ النَّاسُ بِهِ فَهُمْ يَسَعُونَ لَهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ لَا يَسَعُونَ لَهُ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ[١٣] ثُمَّ تَلَا[١٤] عليه السلام: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾ [التوبة: ٩١] فَوُضِعَ عَنْهُمْ، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩١ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ[١٥]﴾ [التوبة: ٩١-٩٢] قَالَ: فَوُضِعَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ.

---

[١٢] (بدون سعتهم):
أي أقل من طاقتهم.

[١٣] (لا خير فيهم):
لأنَّهم يخالفون أوامر الله تعالى، مع أنَّه قد وسَّع عليهم، وأنزل عليهم الشريعة السهلة السمحاء.
أو بمعنى أنَّ الناس حينما يخالفون، فإنَّ مخالفتهم ليست لأجل عدم طاقتهم وعدم سعتهم، بل لأنَّهم لا خير فيهم.
أو بمعنى أنَّ العامَّة ينسبون إليه تعالى الجبر، مع أنَّهم يشاهدون هذه التوسعة في الأحكام، وذلك لأنَّهم لا خير فيهم، حيث تركوا من أمر الله بالتمسُّك بهم، فشرقوا وغربوا، وضلّوا.

[١٤] (ثم تلا):
استدلال بالآية على أنَّه لا تجد أحداً في ضيق.

[١٥] (إذا أتوك لتحمِّلهم):
﴿لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ ليس عندهم نفقة الخروج وآله السفر، ﴿حَرَجٌ﴾ ضيق نفسي ومشقَّة، ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[(١)] في حال قعودهم، بأن لم يشوبهم غش ونفاق، ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ طريق إلى لومهم أو عقوبتهم، ولم يقل «ما عليهم» وإنَّما قال ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ للدلالة على أنَّ منشأ نفي الحرج عنهم هو اتّصافهم بالإحسان، ﴿إِذَا مَآ أَتَوْكَ﴾ «ما» زائدة ﴿لِتَحْمِلَهُمْ﴾ على مركب الجهاد.

---

(١) سورة التّوبة، الآية: ٩١.

بَابُ الْهِدَايَةِ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ

---

[١] لا بأس ببيان معنى الهداية والإضلال، وإن كان قد مرَّ بعض الكلام في ذلك:

أما الإضلال:

فقد يُطلق الإضلال على المعاني التالية:

١ ـ خداع الناس عن الحق، وبيان الباطل على أنَّه الحق، وهذا مُحال على الله تعالى، لأنَّه قبيح.

٢ ـ الإكراه على الضلال، ثم عقاب الضالين، وهذا أيضاً قبيح فيكون محالاً عليه تعالى.

كيف وقد ذمَّ الله فرعون والسامري وإبليس وبني إسرائيل على الإضلال، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾(٣).

٣ ـ تركهم حتى يضلوا، ومنع الألطاف الخفيَّة عنهم، وذلك بسبب فسقهم أو ظلمهم أو معاصي أخرى، كما يُقال فلان أفسد ابنه، أي تركه حتى فسد.

فإنَّ الله تعالى سبحانه يبدأ باللُّطف للجميع، فمن قَبِل هذا اللُّطف فالله يزيده لطفاً كما قال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾(٤)، ومن رفض هذا اللُّطف فإنَّ الله يمهله ويستمر في ألطافه عليه، فإن استمر في رفضه لتلك الألطاف وازداد عتوّاً فإنَّ الله يمنع تلك الألطاف عنه ويتركه وشأنه.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٢.
(٢) سورة طه: الآية ٧٩.
(٣) سورة طه: الآية ٨٥.
(٤) سورة محمد: الآية ١٧.

وهذا المعنى هو المراد من أكثر الآيات الدالّة على أنّ الله سبحانه يُضلّ ناساً.
٤ ـ الإهلاك والإبطال كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[(١)].
٥ ـ الضلال بسبب خلق، كأن يفعل الله شيئاً فيعصي المخلوق عند ذلك الشيء، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[(٢)] فإنَّ الله تعالى لو لم يخلق آدم عليه السلام لم يكن إبليس ليضلّ، ولكن لما خلقه وأمرهم بالسجود له، عصى إبليس ربّه فغوى، وحيث كان سبب الضلال هو خلق آدم عليه السلام، نسب الإغواء إليه تعالى.
٦ ـ الحكم عليه بالضلال، كقوله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾[(٣)] أي حكم عليهم بأنّهم أهل ضلالة ـ كذا قيل ـ.

وأما الهداية:

فتُطلق على ما يقابل الإضلال من المعاني المذكورة، مثل:
١ ـ الإرشاد إلى الطريق كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[(٤)].
٢ ـ إيجاد المعرفة الضرورية في القلوب من غير اختيار منهم، كقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[(٥)]، وقد مرّت الأحاديث الدالّة عليه في باب (البيان والتعريف ولزوم الحجّة).
٣ ـ إيجاد الألطاف الخفيّة من غير جبر، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[(٦)].
٤ ـ الثواب كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾[(٧)].

---

(١) سورة محمد: الآية ٨.
(٢) سورة الحجر: الآية ٣٩.
(٣) سورة النساء: الآية ٨٨.
(٤) سورة فصلت: الآية ١٧.
(٥) سورة الروم: الآية ٣٠.
(٦) سورة محمد: الآية ١٧.
(٧) سورة محمد: الآيتان ٤ ـ ٥.

إِسْمَاعِيلَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّرَّاجِ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا ثَابِتُ: مَا لَكُمْ وَلِلنَّاسِ[١]، كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا

وغير ذلك.

وفي تفسير النعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (الضلالة على وجوه: فمنه محمود، ومنه مذموم، ومنه ما ليس بمحمود ولا مذموم، ومنه ضلال النسيان:

١ ـ فأما الضلال المحمود، وهو المنسوب إلى الله تعالى كقوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾(١)، هو ضلالهم عن طريق الجنَّة بفعلهم.

٢ ـ والمذموم منه: هو قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾(٢)، ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾(٣) ومثل ذلك كثير.

٣ ـ وأما الضلال المنسوب إلى الأصنام، فقوله في قصة إبراهيم: ﴿...وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(٤)، والأصنام لا يضللن أحداً على الحقيقة، إنَّما ضلَّ الناس بها وكفروا حين عبدوها من دون الله عزَّ وجلَّ.

٤ ـ وأمَّا الضلال الذي هو النسيان، فهو قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾(٥). . . . إلى آخر كلامه عليه السلام)(٦).

الحديث الأوَّل:

[١] (ما لكم وللناس):

أي ما تصنعون أنتم والناس، والمقصود هو ترك الناس وشأنهم.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٢٧.
(٢) سورة طه: الآية ٨٥.
(٣) سورة طه: الآية ٧٩.
(٤) سورة إبراهيم: الآيتان ٣٥ ـ ٣٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.
(٦) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٠٨ عن تفسير النعماني: ص١٧ ـ ١٨.

تَدْعُوا أَحَداً إِلَى أَمْرِكُمْ[٢]، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرَضِينَ

---

[٢] (ولا تدعوا أحداً إلى أمركم):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٩٦ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾[٤] وغيرها من الآيات، وإنَّما قدَّمنا هذه الآيات، ليعلم أنَّ هذا الحديث الشريف والأحاديث اللاحقة إنَّما هي مقتبسة من القرآن الكريم.

ولا يخفى أنَّ الآيات والروايات دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى فضيلة الهداية والتعليم والإرشاد.

وأحاديث هذا الباب وكذا الآيات التي ذكرناها تدلُّ على عدم فائدة الهداية والإنذار.

ووجه الجمع هو ما يُستفاد من نفس الآيات وهو:

أنَّ الآيات الآمرة بالهداية، إنَّما هي لأجل إيضاح الحق للناس حينما يجهلونه أو أحاطت بهم الشُّبهات، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[٦]، أي لا يهمك عدم اهتدائهم، وإنَّما عليك البلاغ والدعوة.

---

(١) سورة البقرة: الآيتان ٦ ـ ٧.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٨٦.
(٣) سورة المائدة: الآية ٤١.
(٤) سورة يونس: الآيتان ٩٦ ـ ٩٧.
(٥) سورة الشورى: الآية ٥٢.
(٦) سورة النحل: الآية ١٢٥.

وأمَّا الآيات الأخرى، فإنَّما هي بالنسبة إلى المعاندين الذين اتضح لهم الحق لكنَّهم تركوه عمداً، فهؤلاء يتركهم الله وشأنهم ولا يلطف به الألطاف الخفيَّة لظلمهم وفسقهم وكفرهم وعنادهم.

ثم هناك وجوه للجمع ـ اقتبسناها من كتاب مرآة العقول[1] باختصار وتصرُّف ـ منها:

١ ـ حمل أخبار النهي على التقية، لحفظ الشيعة، فإنَّهم ـ لحرصهم على هداية الخلق وتشيُّعهم ـ كانوا يلقون أنفسهم في المهالك.

٢ ـ أو عند ظهور الأمر ووضح الحق، وعناد المخالفين، وتبين الرشد من الغي، فقد تمَّت الحجَّة عليهم بما رأوا من فضل الأئمَّة عليهم السلام وورعهم، وشاهدوا من فجور السلاطين وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

٣ ـ أو إذا كان التخاصم لأجل المراء واللجاج والتعنُّت.

ففي الأمالي عن الإمام الصادق عليه السلام: (إيَّاك والخصومات في الدِّين، فإنَّها تشغل القلب عن ذكر الله عزَّ وجلَّ، وتُورث النفاق وتكسب الضغائن، وتستجيز الكذب)[2].

٤ ـ أو من كان قليل العلم، ضعيف الحجَّة، غير قادر على دفع الشُّبهات، فتكون مخاصمته سبباً لقوَّة حجَّة الخصم وفتنة على الضعفاء، أو تكون سبباً لإنكار الحق خوفاً من استدلال المبطل به.

كما روي أنَّه ذكر عند الإمام الصادق عليه السلام: الجدال في الدِّين، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة المعصومين عليهم السلام قد نهوا عنه؟

فقال الإمام الصادق عليه السلام: لم ينه عنه مطلقاً، لكنَّه نهي الجدال بغير التي هي أحسن، أما تسمعون إليه يقول: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[3]، ـ إلى أن قال ـ والجدال بغير التي هي أحسن محرَّم، وحرَّمه الله على شيعتنا، ـ إلى أن قال ـ أما الجدال بغير التي هي أحسن: أن يُجادل مبطلاً، فيورد عليك باطلاً، فلا تردّه بحجَّة قد نصبها الله تعالى، ولكن

(١) مرآة العقول: ج٢ ص٢٤٣ ـ ٢٤٧.
(٢) أمالي الصدوق: ص٥٠٣، ح٤، مجلس ٦٥.
(٣) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوا عَبْداً يُرِيدُ اللَّهُ ضَلَالَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا عَلَى أَنْ يَهْدُوهُ[٣]، وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلَ الْأَرَضِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يُضِلُّوا عَبْداً يُرِيدُ اللَّهُ

يجحد قوله، أو تجحد حقاً يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله، فتجحد ذلك الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجَّة، لأنَّك لا تدري كيف المخلص منه، فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم، وعلى المبطلين، وأما المبطلون فيجعلون الضعيف منكم ـ إذا تعاطى مجادلة، وضعف في يده ـ حجَّة له على باطله، وأما الضعفاء منكم فتعمى قلوبهم، لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل(١).

وروى الكشي عن عبد الأعلى، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الناس يعيبون عليَّ بالكلام، وأنا أكلِّم الناس؟

فقال: أما مثلك من يقع ثم يطير، فنعم، أما من يقع ثم لا يطير، فلا(٢).

وعن الطيار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني أنَّك كرهت مناظرة الناس؟

فقال: أما كلام مثلك فلا يكره، من إذا طار يحسن أن يقع، وإن وقع يحسن أن يطير، فمن كان هكذا فلا نكرهه(٣).

[٣] **(يريد الله ضلالته ما استطاعوا على أن يهدوه):**

قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٥)، والمعنى ـ كما مرَّ مراراً ـ هو أن يتركه، ويكله إلى نفسه، ويمنع عنه ألطافه، وذلك بسبب سوء اختياره.

---

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام: ص٥٢٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ج٢، ص٦١٠، ح٥٧٨..

(٣) المصدر نفسه: ج٢، ص٦٣٨، ح٦٥٠.

(٤) سورة الأنعام: الآيتان ١١٠ ـ ١١١.

(٥) سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

هِدَايَتَهُ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُضِلُّوهُ[٤]، كُفُّوا عَنِ النَّاسِ وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ: عَمِّي وَأَخِي وَابْنُ عَمِّي وَجَارِي[٥]؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً[٦] طَيَّبَ رُوحَهُ[٧] فَلَا يَسْمَعُ

---

[٤] **(ما استطاعوا أن يضلوه):**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾(١)، والمعنى ـ كما مرَّ مراراً ـ هو إفاضة الألطاف عليه، وتوفيقه، وذلك بسبب حسن اختياره، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾(٢)، أي الذين لم ينافقوا وقبلوا الهداية فإنَّ كلام الرسول يزيدهم ثبوتاً على الهدى وكذلك يزيدهم هداية جديدة، ووفَّقهم الله للتقوى.

[٥] **(وابن عمي وجاري):**

أي هذا قريبي فيلزمني هدايته، حرصاً عليه وشفقة.

[٦] **(إذا أراد بعبد خيراً):**

قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٣).

ومن الواضح أنَّه تعالى إنَّما يريد الخير بهذا العبد، بسبب علمه تعالى بحسن اختياره، ثم يزيده خيراً بعد ظهور حسن اختياره.

[٧] **(طيّب روحه):**

لعلَّ المراد خلق طينته من علّيين، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الله خلقنا من أعلى علّيين، وخلق قلوب شيعتنا ممَّا خلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا، وأنَّها خُلقت ممَّا خُلقنا منه ثم تلا قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(٤)»(٥) والروايات في ذلك متواترة روتها الخاصَّة والعامَّة، وسيأتي

---

(١) سورة الزمر: الآية ٣٧.
(٢) سورة محمد: الآية ١٧.
(٣) سورة يونس: الآية ١٠٧.
(٤) سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢١.
(٥) بحار الأنوار: ج٥ ص٢٣٥.

مَعْرُوفاً إِلَّا عَرَفَهُ، وَلَا مُنْكَراً إِلَّا أَنْكَرَهُ[٨]، ثُمَّ يَقْذِفُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ كَلِمَةً[٩] يَجْمَعُ بِهَا أَمْرَهُ[١٠].

الحديث عنها إن شاء الله تعالى.

وقيل: طيَّب الله روحه من خبث العقائد الباطلة.

[٨] **(إلا أنكره):**

«عرفه» أي استأنس به وأذعن به، «وأنكره» أي كرهه ولم يذعن به، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(١)، أي لأسمعهم وذلك بأن أفهمهم الحق لطفاً بهم، ولكن لو أسمعهم حال عنادهم تولوا عن الحق جسماً وهم معرضون قلباً.

[٩] **(يقذف الله في قلبه كلمة):**

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾(٢)، والله تعالى يقذف بالحق كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(٣)، والكلمة هي كلمة التقوى كما قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾(٤)، والمقصود هو أنَّ الله يُلقي في قلبه ولاية الأئمَّة عليهم السلام ومتابعتهم فيكون في ذلك نجاته.

[١٠] **(يجمع بها أمره):**

لأنَّ الإيمان نظام لجميع أمور المؤمن، أما الكافر فيميل إلى هنا وهناك كالعنب الفرط الذي انسلخ من عنقوده، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(٥).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٣.

(٢) سورة التغابن: الآية ١١.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

(٥) سورة الكهف: الآية ٢٨.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حُمْرَانَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً[١] نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً مِنْ نُورٍ[٢]، وَفَتَحَ مَسَامِعَ قَلْبِهِ[٣]، وَوَكَّلَ بِهِ مَلَكاً يُسَدِّدُهُ[٤]، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ سُوءاً[٥] نَكَتَ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً

الحديث الثاني:

[١] **(إذا أراد بعبد خيراً):**

بسبب علمه تعالى بحسن نيَّته، وحسن اختياره، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾(١).

[٢] **(نكتة من نور):**

أي أثر في قلبه تأثيراً، وأصل «النكت» هو ضرب الأرض بعصا أو نحوها فيؤثر فيها، و«النُّور» هو اليقين، لأنَّه تظهر به حقائق الأشياء، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(٢) أي فهو على يقين وهداية من ربّه فويلٌ للذين قست قلوبهم فلم يدخلها نور.

[٣] **(فتح مسامع قلبه):**

أي فتح إدراكه، ليستوعب الحقائق ثم يقبلها بسهولة، قال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ﴾(٣).

[٤] **(ووكَّل به ملكاً يسدِّده):**

«السداد» الاستقامة، وهذا هداية من الله تعالى بواسطة الملك.

[٥] **(وإذا أراد بعبد سوءاً):**

لسوء أعمال ذلك العبد وخبث نبته، فإنَّ الله تعالى يبدأ باللُّطف عليه، ثم

---

(١) سورة محمد: الآية ١٧.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

سَوْدَاءَ[٦]، وَسَدَّ مَسَامِعَ قَلْبِهِ[٧]، وَوَكَّلَ بِهِ شَيْطَاناً يُضِلُّهُ[٨]، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ

يستمر في اللُّطف، ولكن ذلك العبد يختار العصيان والفسق والظلم ويصرّ عليها مستكبراً، وحينئذٍ يتركه الله تعالى وشأنه ويمنع عنه ألطافه حتى يضلّ.

[٦] **(نكتة سوداء):**

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾(١).

ولعلَّ المراد أنَّ الله يختم على قلبه بختم يعرفه الملائكة والرسول ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام، كما روي ذلك(٢) في معنى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾(٣)، وذلك بسبب سوء اختيار هذا العبد، كما قال سبحانه: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٤).

[٧] **(سدّ مسامع قلبه):**

قال تعالى: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾(٥)، أي لا يسمعون سماع تفهّم، وقال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٦).

[٨] **(شيطاناً يضله):**

أي يخلّي بينه وبين الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(٨)، والإنسان بطبعه يحب اتباع الشيطان ـ لجهله وشهواته

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠.
(٢) البرهان: ج١ ص٢٧٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٧.
(٤) سورة النساء: الآية ١٥٥.
(٥) سورة الأعراف: الآية ١٠٠.
(٦) سورة التوبة: الآية ٨٧.
(٧) سورة الزخرف: الآية ٣٦.
(٨) سورة مريم: الآية ٨٣.

﴿ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ[٩]﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ونفسه الأمّارة بالسوء ـ لكنَّ الله يلطف به بلطف يكون سبباً لعدم الاغترار بالشيطان، لكنَّه إذا تمادى في غيِّه تركه الله وشأنه فيتبع الشيطان بسوء اختياره، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

[٩] **(كأنَّما يصعد في السماء):**

قال الوالد رضوان الله عليه في تقريب القرآن: (إنَّ النبي ﷺ إذا جاء بالإسلام، فمن حكَّم عقله وآمن، كان له من الله اللُّطف الخفيّ وشرح الصدر، ومن أعرض وبقي على كفره، أعرض الله سبحانه عنه وخلّىٰ بينه وبين ما يفعل الشيطان به من تضييق الصدر ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ إلى الإيمان ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ الشرح: هو التوسعة، وهذا من باب التشبيه، فكما أنَّ الشيء الواسع له مجال أن ينفذ فيه شيء، كذلك القلب المنشرح، له محل أن ينفذ فيه الإسلام، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ﴾ لأنَّه ترك الإيمان وعاند، فاقتضت المشيئة أن يخلِّي بينه وبين الضلال، حتى تكون عاقبة أمره خسراً، ويذوق وبال إعراضه ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ لا ينفذ فيه الإسلام ﴿حَرَجًا﴾ هو أضيق الضيق ـ كما قالوا ـ: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ فإنَّ الإنسان إذا جرَّ إلى السماء جراً، أحسَّ بضيق شديد في صدره، من جهة أنَّ الهواء كلَّما لطف كان التنفُّس أصعب، ومعنى «في السماء» الولوج في طبقات السماء، ليعطي معنى الشِّدَّة أكثر من «إلى»، وكذلك التشديد في «يصَّعَّد»، انتهى(٢).

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ فقال: قد يكون ضيقاً وله منفذ يسمع منه ويُبصر، والحرج: هو الملتئم الذي لا منفذ يسمع به ولا يُبصر منه(٣).

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) تقريب القرآن: ج٢ ص١٢٦.

(٣) البرهان: ج٤ ص٤٤.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ لِلَّهِ[١] وَلَا تَجْعَلُوهُ لِلنَّاسِ، فَإِنَّهُ مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ لِلَّهِ[٢]، وَمَا كَانَ لِلنَّاسِ فَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ[٣]، وَلَا تُخَاصِمُوا النَّاسَ لِدِينِكُمْ[٤] فَإِنَّ الْمُخَاصَمَةَ مَمْرَضَةٌ لِلْقَلْبِ[٥]، إِنَّ

الحديث الثالث:

[١] **(اجعلوا أمركم لله):**

أي ليكن عملكم لله، لا للناس، وهذا كالمقدِّمة لما سيذكره عليه السلام من ترك الخصام، فإنَّكم ترغبون في أن يكونوا مثلكم، فإذا لم يرد الله ذلك، فاتبعوا أمره وإرادته، واتركوا رغبتكم.

[٢] **(ما كان لله فهو لله):**

أي العمل الذي أُتي به لوجه الله وكما أمر سبحانه، فإنَّ الله هو الذي يُجازي عليه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾(١).

[٣] **(فلا يصعد إلى الله):**

«الصعود»: كناية عن القبول، أو بمعنى صعوده إلى علِّيين، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾(٢)، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾(٣).

[٤] **(لا تخاصموا الناس لدينكم):**

الجدال بالتي ليست بأحسن بل الأسوأ.

[٥] **(ممرضة للقلب):**

فإنَّ المراء والجدال للمغالبة ولإظهار الذات ونحو ذلك، تُوجب حدوث الرذائل الأخلاقية ـ التي هي من أمراض القلب ـ.

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٧.
(٢) سورة المطففين: الآية ١٨.
(٣) سورة فاطر: الآية ١٠.

اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ[٦]﴾ [القصص: ٥٦] وَقَالَ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ[٧]﴾ [يونس: ٩٩]، ذَرُوا النَّاسَ، فَإِنَّ النَّاسَ أَخَذُوا عَنِ النَّاسِ، وَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٨]، إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَتَبَ عَلَى عَبْدٍ[٩] أَنْ يَدْخُلَ فِي هَذَا

---

[٦] **(ولكن الله يهدي من يشاء):**

أي إنَّك لا توصل إلى المطلوب، فإنَّ مهمتك الإرشاد، وأما الإيصال إلى المطلوب فهو بلطف الله تعالى.

[٧] **(حتّى يكونوا مؤمنين):**

في تبيين القرآن(١): ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ بأن يجبرهم على الإيمان ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ أي لا تقدر على إكراههم، ولو قدرت لم تكن مصلحة، إذ لو كان في الإكراه مصلحة لفعله الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾إذ الإيمان لا يكون إلّا بعد إرسال الرسول، الذي هو بيد الله وإذنه ﴿وَيَجْعَلُ﴾ الله ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ لوث العصيان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾(٢) بأن لا يتدبَّروا آيات الله عناداً، انتهى.

[٨] **(أخذتم عن رسول الله):**

لعلَّ المراد أنَّ حجَّتكم واضحة، لا لبس فيها، حيث أخذتم مذهبكم عن رسول الله ﷺ بواسطة أهل بيته عليهم السلام، وعامَّة المخالفين يعلمون بأنَّكم أتباع لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك لا يتبعون طريقتكم إمَّا عناداً أو لمراعاة دُنياهم، فمخاصمتكم معهم غير مجدية.

وحسب هذا المعنى، فمعنى الحديث هو ترك جدال المعاندين.

[٩] **(إذا كتب على عبدٍ):**

كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾(٣)، والكتابة هنا إمَّا

---

(١) تبيين القرآن: ص٢٣٢.

(٢) سورة يونس: الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

الْأَمْرِ كَانَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ مِنَ الطَّيْرِ إِلَى وَكْرِهِ.

٤ ـ أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَدْعُو النَّاسَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ فَقَالَ: لَا يَا فُضَيْلُ إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً أَمَرَ مَلَكاً فَأَخَذَ بِعُنُقِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَائِعاً أَوْ كَارِهاً[١].

تَمَّ كِتَابُ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالتَّوْحِيدِ مِنْ كِتَابِ الْكَافِي
وَيَتْلُوهُ كِتَابُ الْحُجَّةِ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْكَافِي
تَأْلِيفِ الشَّيْخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

بمعنى الكتابة في اللوح أو بمعنى التقدير.

الحديث الرابع:

[١] **(طائعاً أو كارهاً):**
أي سواء كان في أوّل أمره راغباً فيه أو غير راغب، مثلاً يكره الإيمان في البداية ولكن قد تتهيّأ ظروف خاصة يضطرّ بسببها إلى الإيمان، كأن تأخذه الحمية أو العصبية فيدخل في الدِّين غير راغب، فتكون حميَّة قادته إلى الجنَّة.

سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين
والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.
وكان الفراغ من كتابة هذه الأوراق في يوم الخميس آخر شهر ذي الحجة
عام ألف وأربعمائة وثلاثين من الهجرة في بلدة قم المقدسة



الفهرس

كِتَابُ التَّوْحِيدِ